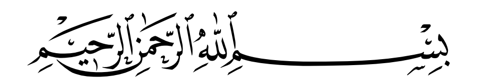
الحركة السنوسية

في ليبيا

وسيرة الزعمين
محمد ادريس السنوسي
وعمر المختار

- الجزء الثالث -

تأليف
الدكتور علي محمد محمد الصلابي



الإهداء

الى العلماء العاملين ، والدعاة المخلصين، وطلاب العلم المجتهدين،وأبناء الأمة الغيورين أهدي هذا الكتاب سائلاً المولى عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أن يكون خالصاً لوجهه الكريم

قال تعالى: .... فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِهِ فَلْيَعمَل عَمَلاً صالِحاً وَلا يُشرِك بِعِبَادَةِ رَبِه أَحَدَاً.

(سورة الكهف، آية 110)

مُقَدِّمَة

إن الحمدلله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله { ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حَق تقاتِهِ ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون} (سورة آل عمران:آية 102).

{ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطعِ الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً} (سورة الأحزاب، الآية70).

أما بعد؛

يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى.

هذا الكتاب السابع في سلسلة صفحات من التاريخ الاسلامي في الشمال الافريقي يتحدث عن سيرة الزعيمين محمد ادريس السنوسي، وعمر المختار، فالسيد محمد ادريس السنوسي تولى زعامة الحركة السنوسية في ظروف دولية واقليمية ومحلية شديدة الصعوبة واستطاع أن يقود قبائل برقة بحكمة وسياسة وحزم، ودخل في مفاوضات مع بريطانيا وإيطاليا لكي يحقق بعض المصالح لشعبه وبلاده، فيتحدث هذا الكتاب عن تلك المفاوضات بشيء من التفصيل، وعن الاسباب التي جعلته يضطر للمباحثات مع الدولتين البريطانية والايطالية، وعن حكومة برقة التي تزعمها الامير ادريس، وعاصمتها، ومجالسها، والاعمال التي حققتها ، ويتطرق الكتاب للأسباب التي جعلت السنوسيين يصطدمون بالأتراك، ويشير الكتاب الى الأسباب التي جعلت ليبيا في الحرب العالمية الاولى تنقسم الى شطرين شرقي وغربي، ولماذا تحالف الطرابلسيون مع تركيا وألمانيا ضد الحلفاء؟ ولماذا تحالف البرقاويون مع بريطانيا ضد المحور؟ وما أثر ذلك الانقسام الخطير على ليبيا؟ ومامو قف الطرابلسيون من الاحداث بعدهزيمة تركيا وألمانيا في الحرب العالمية الاولى؟ وكيف ظهرت الجهورية الطرابلسية الى حيز الوجود؟ ومن هم أصحاب هذه الفكرة؟ وماهي العوامل التي ساعدت على ظهورها؟ وماحقيقة مجالسها الشورية، والشرعية والرئاسية والاستشارية؟ وهل استجابت الدول الكبرى لبلاغاتها؟ وماهو القانون الاساسي الذي اتفق عليه الايطاليون والطرابلسيون؟ وماهو أول حزب سياسي اقامه الطرابلسيون؟ وماهي أول جريدة في طرابلس تؤيد الجمهورية الطرابلسية؟ وماهي قرارات مؤتمر غريان؟ ولماذا كان اجتماع سرت بين زعماء طرابلس وبرقة؟ وماهي القرارات التي توصل إليها المجتمعون؟ ولماذا بايع أهل طرابلس الأمير ادريس السنوسي؟ وهل وافق الأمير على تلك البيعة؟ وماهي الاسباب التي دفعت الامير محمد ادريس لمغادرة البلاد الى مصر؟ ولماذا عاد القتال بين ايطاليا والليبيين؟ وماهي العوامل التي ساعدت إيطاليا على إخماد حركة الجهاد في غرب ليبيا؟

ويتحدث الكتاب عن المقاومة التي قادها احمد السويحلي وسعدون وصفي الدين السنوسي، وبشير السعداوي في غرب ليبيا حتى سكنت حركة الجهاد في غربها واستمرت جذوتها في برقة وكيف قاد كتائب المجاهدين الشيخ الجليل عمر المختار؟
فيترجم الكتاب سيرة الشيخ عمر المختار منذ مولده حتى استشهاده، وعبادته وتلاوته للقرآن الكريم ، وشجاعته وكرمه، ودعوته وجهاده قبل الاحتلال الايطالي، ومعاركه الاولى ضدها، وسفره الى مصر للتنسيق مع الأمير ادريس في أمور البلاد والقبائل واستمرارية الجهاد، ويعيش القارئ الكريم مع عمر المختار في معاركه التي خاضها كمعركة بئر الغبي، وعقيرة الدم، وعن وسائله في تموين المجاهدين، وعن تشكيلاته وخططه وقيادته لحرب العصابات التي أصبحت مَعْلَماً لمن جاء بعده من قيادات حركة التحرير.
ويتحدث الكتاب عن فقد عمر المختار لكبار المجاهدين وآثار ذلك على مشاعره واحاسيسه وموقفه من تلك الصدمات المتكررة، كاستشهاد أخيه في الدين حسين الجويفي البرعصي، وابن اخيه المختار بن محمد وعن حرصه للشهادة وأخلاصه لقضية الجهاد، وعزيمته النافذة، وصبره العظيم، وحكمته في القيادة، وفهمه للأمور ببصيرته النافذة ونظره البعيد.
ويوضح الكتاب حرص إيطاليا في دخول المفاوضات مع عمر المختار لكسب الوقت، وتفريق المجاهدين وكيف كان عمر المختار منتبهاً لأغراضهم الخبيثة؟ فكان في تلك المفاوضات واسع الأفق بعيد النظر، فاتخذ مواقف صحيحة وقوية فرضت الاحترام على اعدائه قبل اصدقائه.
ويبين الكتاب حقيقة الجنرال غراسياني الذي كان عند قومه معظماً ومقدماً والذي اسندت إليه الحكومة الايطالية بزعامة الدوتشي (موسليني) مهمة القضاء المبرم على حركة الجهاد مهما كلف ذلك بكل الطرق وكافة الوسائل، ولذلك أنشأ المحكمة الطائرة التي كانت تحكم على الأهالي بالموت وتصادر الاملاك لأقل شبهة وتمنحها للمرتزقة الفاشيست، فكانت تلك المحاكم تنعقد بصورة سريعة وتصدر احكامها وتنفذ في دقائق بحضور المحكمة نفسها لتتأكد من التنفيذ قبل أن تغادر الموقع الذي انعقدت فيه لتنعقد في نفس اليوم بموقع آخر، وفتحت أبوب السجون في كل مدينة وقرية ببرقة ونصبت أعواد المشانق في كل من العقيلة وإجدابية، وبنغازي، وسلوق ، والمرج، وشحات، ودرنة، وعين الغزالة، وطبرق، ولأتفه شبهة وأقل فرية يصدر حكم الاعدام وينفذ شنقاً أو رمياً بالرصاص، وقام الجنرال غراسياني بعزل الاهالي الخاضعين لهم عن المجاهدين وأدخلهم المعتقلات الرهيبة، فيجد القارئ في هذا الكتاب حقيقة تلك المعتقلات.
وتحدث الكتاب عن عمر المختار كقائد عسكري له القدرة على تغيير خططه وتطوير اساليبه القتالية مع ما يتمشى مع المراحل التي يخوضها حتى أن عدوه غراسياني اعترف بذلك فقال: (بالرغم من أبعاد النواجع والسكان الخاضعين لحكمنا يستمر عمر المختار في المقاومة بشدة ويلاحق قواتنا في كل مكان).
وقال أيضاً: (عمر المختار قبل كل شيء لن يسلم أبداً لان طريقته في القتال ليست كالقادة الآخرين فهو بطل في إفساد الخطط وسرعت التنقل بحيث لايمكن تحديد موقعه لتسديد الضربات له ولجنوده، ... عمر المختار يكافح... الى أبعد حد لدرجة العجز ثم يغير خطته ويسعى دائماً للحصول على أي تقدم مهما كان ضئيلاً بحيث يتمكن من رفع الروح العسكرية مادياً ومعنوياً حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً وهنا يسلم امره لله كمسلم مخلص لدينه).
ويتعرض الكتاب للأسلاك الشائكة التي مدها الايطاليون على طول الحدود الليبية المصرية مايزيد عن 300كم من البحر المتوسط الى مابعد الجغبوب بغية القضاء على حركة الجهاد التي كان يقودها المختار، ويجد القارئ الكريم في هذا الكتاب تفصيلاً دقيقاً موثقاً عن الاعمال الشنيعة القبيحة والمزرية والحاقدة التي قام بها الايطاليون ضد الليبيين عندما احتلوا الكفرة العاصمة

السنوسية الشهيرة، وكيف اهتز العالم الاسلامي لتلك الاحداث؟ وكيف كان دور الصحافة الاسلامية؟ ويبين للقارئ الكريم وثائق تاريخية مهمة بقلم شكيب ارسلان ، وجمعية الشبان المسلمين بمصر وقد وقعّ عليها محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامية، وتقي الدين الهلالي، الاستاذ الاول للآداب العربية بندوة العلماء بالهند وغيرهم.

ويمضي الكتاب مع عمر المختار حتى الايام الأخيرة من حياته، فيصف اللقاء الشهير الذي تم بين محمد اسد وعمر المختار وكيف وقع المختار في الأسر؟ ويتحدث عن مواقفه في داخل السجن التي تدل على سلامة العقيدة، ورسوخ مفهوم القضاء والقدر في نفس ذلك الشيخ الجليل، وعن عزة الايمان التي كان يتحدث بها في لقائه مع الجنرال غراسياني وأثناء المحكمة وكيف كان يقاد الى المشنقة وهو يتلوا قول الله تعالى: {يأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي} (سورة الفجر).

إن هذا الكتاب يثبت بالحقائق التاريخية أن حياة عمر المختار مدرسة تستحق الدراسة والبحث في جوانب متعددة في شخصيته العلمية والدعوية والجهادية وصفاته الخلقية الرفيعة.

ويوضح الكتاب أحوال ليبيا بعد استشهاد عمر المختار، وعن مصير حركة الجهاد التي قادها يوسف بورحيل والمجاهدين، وعن اضطهاد واستعباد الإيطاليين لمسلمي ليبيا بعد القضاء على الحركة.

ويصف الكتاب أحوال المهاجرين الليبيين في مصر والشام وتونس ويدون للأجيال بعض القصائد الرائعة التي نظمها الأجداد شوقاً وحباً لديارهم كالتي قالها الأستاذ بشير السعداوي رحمه الله:

قالوا تحن إلى البلاد وأهلها
فأجبتهم هي بغيتي ومرادي
تالله لم أشغف بغير طلالها
ولامنيتي مالت لغير بلادي
في حب هاتيك الديار وأهلها
ذابت حشاشة مهجتي وفؤادي
بالله يا ريح الصبا ونسيمه
إن زرت يوماً منزلاً لسعادي
أبسط لها شوقي وفرط صبابتي
وأهدي تحياتي لها ووداد
وأخفض جناح الذل عني وقل لها
أسرفت في هجري وفي ابعادي

حر النوى أوها فؤادي وإنني
متهك متمزق الأكبادي
مذ غردت بالبين اغربة النوى
من بيننا ماذاقت طعم رقادي
أمسى سميري في الدجى بدر السما
والبدر جسم لايجيب منادي

فلطالما ناديت في غسق الدجى

حبي فتذهب صيحتي في وادي

لهفي على تلك الديار وأهلها

قوم لهم في المكرمات اياد

لازلت أصبو بحبهم ووداهم

رغما على أنف الزمان العادي

ويبين الكتاب جهود المهاجرين في ديار المهجر حتى ضاقت بهم إيطاليا ويجد القارئ وثيقة تاريخية مهمة قامت بإعدادها الجمعية الطرابلسية البرقاوية وقدمتها كورقة عمل للمؤتمر الإسلامي في القدس عام 1931م.

ويقف الباحث عند الحرب العالمية الثانية ويتحدث عن كونها آية من آيات الله في تصريف أمر الدول والشعوب والأمم وفق سننه وقوانينه في المجتمعات البشرية ومن السنن التي وقف عندها الكاتب، أنه عندما تتجبر أمة من الأمم وتعلو في الأرض ويصيبها البطر والكبرياء يهيأ الله لها أسباب الانهيار والزوال، كما يكون الزوال والانهيار بفشو الظلم، وعدم إقامة العدل.

ويتحدث الكتاب عن الأمير ادريس في مصر وعن دوره في جمع زعماء ليبيا والتشاور معهم ودراسة احتمالات الموقف ووضع الخطط التي يجب أن يسيروا عليها، وعن جهوده العظيمة في تكوين الجيش السنوسي الذي كان له أثر فعّال في الحرب العالمية الثانية في شرق ليبيا، وكيف ساهم ذلك الجيش في إخراج الطليان من بلادنا؟ ويتكلم الكاتب عن اعتراض الليبيين عن موقف الدول الكبرى وخصوصاً بريطانيا من قضيتهم العادلة بعد الحرب العالمية الثانية ويأتي بوثيقة تاريخية كتبها عمر فائق شنيب عام 1945م وكان عنوان المقالة (ليبيا مهد البطولة) وجاء فيها ... وبصفتي أحد قادة الحركة الوطنية وعضو الجمعية الوطنية التي ارتبطت مع بريطانيا يوم 9 أغسطس 1940م اصرح بأن الوضع الحالي في ليبيا شاذ لايتناسب في شيء مع العدل والإنصاف ولا مع وعود الحلفاء بأي وجه كان، بل أن مايعانيه الشعب الليبي اليوم لايختلف عن الاستعمار البغيض وأن الشعب الليبي يتطلب إقامة حكومة وطنية شرعية تحت إدارة أميره المطاع (إدريس السنوسي) بأسرع مايمكن ليحقق لها اختيار الجهة التي ترغب في الارتباط معها. أقول هذا لدول الحلفاء عامة ولدول بريطانيا العظمى خاصة قبل أن يعم الاستياء الذي أخذ يتسرب إلى النفوس وتتبدل وجهات النظر من الاخلاص والمحبة والتعاون النزيه إلى المقت والبغض والمشاكسة ويطغى اليأس فتنعكس الآية ولاينفع الندم، وإن ليبيا رغم قلة عددها وفقدان عدادها ومعرفتها بأنها لاتقوى على مقاومة الدول العظمى مع أنها جربت في حرب إيطاليا تفضل أن تضرب يومياً بألف بل بمليون قنبلة ذرية حتى ينقطع فيها النسل والذرية على أن يطأ أرضها إيطالي أو أن تمس كرامتها أو ينتقص شيء من حريتها واستقلالها وحقها في الحياة أو يقرر مصيرها الغير بدون ارادتها وهي علمت الشعوب معنى التضحية في سبيل الحرية والاستقلال من سنة 1911م إلى يومنا هذا والتاريخ شاهد عدل ...).

ويتحدث الكتاب عن الجمعيات التي أسست خارج ليبيا، وعن حل الأحزاب وانشاء المؤتمر الوطني في برقة واضطراب الأحزاب في طرابلس، ويأتي بنص قرار الأمم المتحدة بشأن ليبيا، وبأسماء اللجنة التحضيرية المختصة بالإعداد للجمعية الوطنية، وبأسماء الجمعية الوطنية التأسيسية والتي عرفت بلجنة الستين، ويجد القارئ نص مبايعة الجمعية الوطنية التأسيسية للأمير ادريس السنوسي ملكاً دستورياً للمملكة الليبية المتحدة عام 1950م، ونص الخطاب التاريخي الذي ألقاه الملك بمناسبة اعلان استقلال ليبيا يوم 24 ديسمبر 1951م، وقصيدة الاستقلال للشاعر أحمد

رفيق المهدوي، وتعرض الكاتب في هذا الكتاب لإهتمامات الملك، فتحدث عن اهتمامه بالدين والعلم والأخلاق، وحبه للشعب وحب الشعب له، ونصحه لزعماء العرب، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وعن أدب العبارة في خطاباته وسمو معانيها وتواضعها الجم والدعوة إلى الخير والتقوى، واهتمامه بالثورة الجزائرية، وحديثه عن الوحدة العربية وحالة العرب، وعن مفهوم الأخوة الإسلامية والعروبة عند الملك، وعن نظرته للعمل الإصلاحي، وعن الزعيم الأساسي الذي يؤسس حكومة راسخة البنيان، وعن مكانة الصحافة في زمن الملك، وحرية الكلمة في مجلس النواب وعن استقالته الأولى عام 1965م ونقل الكاتب استقالته الثانية قبل انقلاب عام 1969م والتي جاء فيها (... والذي اختتم به قولي بأن أوصي الجميع من أبناء وطني بتقوى الله في السر والعلن، وإنكم جميعاً في أرغد عيش وأنعم النعم من الله تبارك وتعالى فاحذروا من أن يصدق عليكم قوله تعالى :{وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون} (سورة النحل). فالله الله مما يغضب الله وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ولا تفرقوا، قال ﷺ: (لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم).

وتحدث الباحث عن نزاهة ملك ليبيا وعفته وكيف كان حاله في تركيا عند حدوث الانقلاب وكيف اعتذر للمسؤول المالي المرافق له عن أخذ ماتبقى من المال وقال له: (يابني أنا بالأمس كنت ملك ليبيا، ولكني لم أعد كذلك اليوم، وبالتالي فإن هذا المال لم يعد من حقي، ويجب أن يسلم الى خزينة الشعب).

ويتحدث الكتاب عن أقوال المؤرخين في الملك السابق وعن وفاته بمصر ودفنه بالبقيع بالمدينة المنورة في مايو عام 1983م.

هذا وقد تركت مايتعلق بالمملكة الليبية بسبب قلة المصادر وندرة الوثائق التي بحوزتي واقتصرت الحديث على الملك ادريس كزعيم وقائد وإني أشعر بضعف المادة التي أمامي فيما يتعلق بتلك الاحداث لأن قضايا ذلك العهد على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لملابساتها وآثارها الممتدة الى زمننا الحاضر وخصوصاً وإني قد بحثت في اسباب سقوط المملكة بحثاً دقيقاً وطلبت من رجال عاشوا تلك المرحلة المساهمة في دراسة وتتبع الاسباب التي أدت الى سقوط المملكة الليبية، ولكن التفاعل كان ضعيفاً واعتذر البعض لأسباب أمنية وقد علمت بأن بعض الذين عاصروا تلك الاحداث قد كتبوا مذكرات مهمة في تلك المرحلة وينتظرون الوقت المناسب لنشرها، لذلك رأيت من الحكمة والتعقل التريث حتى يأذن الله في نشرها لأنها سوف تساهم بإذن الله تعالى في توفير معلومات تساعد الباحثين على تقصي الحقائق والوصول الى نتائج صحيحة مبنية على معلومات يقينية، فإن كان للعمر بقية واذن الله في مواصلة هذه الرحلة الطويلة التي بدأتها من الفتح الاسلامي الى هذا الكتاب فإنني بإذن الله تعالى سوف أواصل المسيرة وإلا فأقلام الليبيين لم تجف ولن تجف بإذن الله تعالى في تدوين تاريخها لأن شعبنا ليس بعقيم بل يملك الطاقات الكامنة في كافة مجالات الحياة، السياسية ، والتاريخية والادبية، والتربوية والاقتصادية، وكم أتمنى أن يهيئ الله الأسباب لجمع المادة عن المملكة لأحد من ابناء بلادي فيواصل المسيرة المهمة في بناء الشعوب، فيكون البناء تراكمياً ونكون تابعين لمن سبقنا في الكتابة عن تاريخ بلادنا الحبيبة.

إن فترة المملكة الليبية من عام 1951م الى 1969م غنية بالأحداث على المستوى المحلي والاقليمي والدولي تحتاج الى دراسة واعية وباحث مدقق يتوخى العدل والانصاف ويشمر عن سواعد الجد والاجتهاد ويعتمد على القوي العزيز الوهاب ثم على الوثائق والحجج والبراهين.

هذا واني أشيد بالمجهودات القيمة التي قاما بها كل من الوزرين السابقين؛ مصطفى بن حليم ومحمد بن عثمان الصيد في كتابة مذكراتهم ثم نشرها بغية استفادة الاجيال منها إن الجهود التي قاما بها الوزيران السابقان تستحق الثناء، والتقدير لأنها أصبحت مرجعاً مهماً من مراجع تلك المرحلة وتعتبر من المبادرات الرائعة والرائدة لأن اصحابها عاشوا تلك الأحداث وساهموا في صناعة بعضها، كما أنهم حطموا جدار الصمت، وكتبوا تاريخهم السياسي الذي في حقيقته اصبح ملكاً للأجيال الصاعدة بغض النظر عن اختلاف الآراء حول تلك المذكرات.
إن الاعتناء بتاريخ بلادنا وبلاد المسلمين تظهر أهميته في هذا العصر الذي استخدم فيه التاريخ كأداة لتوجيه الشعوب وتربيتها كما يريد القادة والساسة، بل استعان بهذا العلم أصحاب المذاهب الفكرية الهدامة في فلسفة مذاهبهم المادية وتدعيمها حتى أصبح هذا العلم عند الأمم المتقدمة في مكانة سامية لا يعلوها علم آخر.

إن دراسة التاريخ بوجه عام، وتاريخ الامة المسلمة على وجه الخصوص لاينبغي في دراسته تحقيق الرغبات والحاجات الدونية، بل من أجل الوصول الى القمة العلية ألا وهي أحياء الامة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومعرفة كيفية التعامل مع سنن النهوض والصعود بالشعوب، واجتناب سنن السقوط والهبوط، قال تعالى: {أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض} (سورة غافر، آية8).
هذا وقد قمت بتقسيم الكتاب الى مقدمة وثلاثة فصول وخلاصة وهي كالآتي:
المقدمة

الفصل الاول: محمد ادريس ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الاول: اسمه ونسبه وولادته وشيوخه وحجه.

المبحث الثاني: موقف الاسلام من المعاهدات مع العدو.

المبحث الثالث: الجمهورية الطرابلسية.

الفصل الثاني: عمر المختار -رحمه الله- نشأته واعماله واستشهاده ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الاول: نشأته وأعماله.

المبحث الثاني: استمرار العمليات والدخول في المفاوضة.

المبحث الثالث: الايام الأخيرة من حياته ووقوعه في الاسر ثم أعدامه.

الفصل الثالث: الليبيون بين المهجر والاستقلال ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الاول: الليبيون في المهجر.

المبحث الثاني: الحرب العالمية الثانية.

المبحث الثالث: قرار الامم المتحدة بشأن ليبيا.

المبحث الرابع: الملك ادريس -رحمه الله- وشيء من سيرته.

المبحث الخامس: نظرة في كتاب الملك ادريس في اتحاد العرب وائتلاف الموحدين وبعض المقابلات الصحفية .

هذا وقد انتهيت من كتابة هذه السلسلة التاريخية يوم الثلاثاء 1 ربيع الاول 1420هـ الموافق 15 يونيو 1999م والفضل لله من قبل ومن بعد وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل قبولاً حسناً وأن يكرمنا برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين قال تعالى:{مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم}(سورة فاطر، آية2).

وبهذا الكتاب أضع سلسلة صفحات من التاريخ الاسلامي في الشمال الافريقي بين يدي قارئها، ولا أدعي الكمال فيها قال الناظم :

وما بها من خطأ ومن خلل
أذنت في إصلاحه لمن فعـل
لكن بشرط العلم والانصاف
فذا وذا من أجمل الأوصاف
والله يهدي سبل الســـــلام
سبحانه بحبله اعتصامـــــــي

فلله الحمد على مامنّ به عليّ أولاً وآخراً، واسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعل هذه السلسلة التاريخية لوجهه خالصة، ولعباده نافعة، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافة مايملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من القارئ الكريم أن لاينسى العبد الفقير الى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه في صالح دعائه.

{سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين}

((سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين)).

الفقير الى عفو ربه ومغفرته

علي محمد محمد الصّلابي

الفصل الأول

الأمير محمد ادريس السنوسي

المبحث الأول

اسمه ونسبه وولادته وشيوخه ورحلته الى الحجاز

أولاً: اسمه ونسبه وولادته:

هو محمد ادريس بن محمد المهدي بن علي السنوسي ، ولد يوم الجمعة في العشرين من شهر رجب 1307هـ الموافق 12 مارس 1890م بزاوية الجغبوب[1]، وتوفى بمدينة القاهرة عام

(1) انظر: المغرب الكبير ، جلال يحيى (35/4).

1983م تزوج والده محمد المهدي وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره من والدته فاطمة ابنة عمران بن بركة، وذلك سنة 1275هـ الموافق 1858م وقد انجبت له عدة أولاد في حياته وتوفيت سنة 1891م[1].

كان مولده يوم فرح وسرور لأتباع الحركة السنوسية، وخصوصاً أهالي الجغبوب، فعطل معهد الجغبوب، والكتاتيب القرآنية، ودور الأعمال ، ونحرت الجزر، ومدت الموائد، وقدمت الصدقات شكراً لله تعالى، وكانت زوايا الحركة تحتفل بقدوم هذا المولود بمجرد وصول الخبر إليها، وجادت قرائح شعراء الحركة بالقصائد الشعرية التي أهديت الى محمد المهدي بمناسبة مولد أبنه[2]:

قال العلامة فالح الظاهري:

لاح في أفق الزهرا
كوكب الأفراح والبشرى
وأتى المقدور من غرض
بالذي أملته جهراً
إن للدهر لدى يداً
ليس اقراري بها سراً

الى أن قال:

يهنئ المخدوم ماخوله
الله من البشرى
بغلام اليمن كان له
منكم طول البقا ذخرا
وبلغتم فيه بغيتكم
في ظلال عيشة خضرا
ودواعي البشر لا برحت
تنتحي ناديكم الدهرا[3]

وقال ابو سيف مقرب بهذه المناسبة:

هنئت بالكوكب الدري اذ سطعا
وارج الافق والارجاء وارتفعا
وغصت للدر بحراً لجه عظما
وصغت للفظ نظما حسنه جمعاً
شنفت اسماعنا ياخير مبتكر
للشعر بلغك الله المنا جمعا

---

(1) انظر: الحركة الوطنية في شرق ليبيا، مطصفى هويدي، ص101.

(2) انظر: برقة العربية امس واليوم للاشهب ، ص350.

(3) انظر: برقة امس واليوم، ص350 الى 351.

فانشر شمائلهم واذكر محاسنهم

واهزج بها دائماً لازالت مخترعا

هم آل مجد لهم ظل يظللهم

قد آب بالذل من في شأوهم طمعا

لهم مفاخر والمهدي أعظمها

طوبى لمن طاف في ذاك الحمى وسعا

موفق ماجد للحق متبع

ثبت الجنان بامر الله قد صدعا

وفرع دوحة مجد قد زكت ونمت

اغصانها حيث بدر الحسنى قد طلعا

لازال تشرق في الآفاق بهجته

مخولا ببقا الاصلين مرتضعا[1]

ثانياً : شيوخه وطلبه للعلم وبعض صفاته:

نشأ محمد ادريس في رعاية أبويه وبعد وفاة امه احتضنته جدته لوالدته، واهتم والده بتربيته تربية صالحة، وبدأ بتحفيظه للقرآن الكريم بنفسه مع دخوله في سن السابعة من عمره، وظل محمد ادريس يحفظ القرآن الكريم على أبيه وبعد فترة من الزمن أرسله والده لتلقي العلم على يدي شيخ عرف بالصلاح والتقوى وبصحبته أخيه محمد الرضا، وابناء عمه محمد الشريف وبعد وفاة والده كفله ابن عمه أحمد الشريف، وتفرغ محمد ادريس لطلب العلم بعد ماحفظ القرآن الكريم، وتتلمذ على مجموعة من أفاضل العلماء اشتهر من بينهم، العلامة العربي الفاسي، وأحمد أبي سيف، والعربي الغماري، وحسين السنوسي، وأحمد الريفي، وأحمد الشريف السنوسي[2]، فأتقن القراءات، وعلوم الحديث، كما أتقن البخاري، ومسلم ومسند أبي داود، والترمذي ، والنسائي، وابن ماجة، وموطأ مالك، ومسند ابي حنيفة، ومسند الامام أحمد ، وكتاب الأم للشافعي، وغير ذلك من كتب الفقه والحديث والتفسير واللغة، وعلوم التاريخ، وتقويم البلدان ، وتحصل على إجازات عدة[3].

ولما تقدم في السن أصبح من أعضاء مجلس شورى الحركة السنوسية ونظم لنفسه حياة خاصة، ورسم خطة سار عليها في حياته؛ فشيد منزلاً بزاوية التاج في الكفرة مؤثثاً بإبدع الأثاث، والفرش وعكف على الدراسة بهمة ونشاط واهتم بتكوين مكتبة خاصة أصبحت في طليعة المكاتب العربية، واتخذ حاشية مؤلفة من خيار الاخوان وكبارهم، وأقام منازل جميلة في مزارع السنوسية التي تقع في ضواحي التاج بواحة الكفرة أعدها بجميع ماتحتاجه من الضروريات، والكماليات، فإذا اشتقات نفسه للتريض والنزهة والترفيه خرج بحاشيته يقضي بعض الايام في تلك البساتين.

---

(1) انظر: برقة العربية ، ص351.

(2) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص102.

(3) انظر: السنوسية دين ودولة، ص184،183.

وكان مجلسه عامراً بالعلماء والأدباء، وكان يحب العلماء، ويجلهم ويكبر مافي نفوسهم من العلم، وينزلهم منه منزلة خاصة، ويحيطهم بعطفه وكانت أحب العلوم إليه الحديث الشريف، وعلم التاريخ والأدب والسياسة ولا يتحدث في موضوع إلا ويعلل رأيه فيه بعد تدقيق وتمحيص ثم يأتي بالحجج الدامغة ، والبراهين القاطعة، تارة من كتاب الله ومرّة من الحديث الشريف، وحيناً من أقوال السلف الصالح وأئمة المسلمين، وكان قوي الذاكرة، سريع الخاطر متين الحجة، وله اهتمام خاص بالفقراء والمساكين، وكان جميل المعشر، رحيماً باتباعه وخدمه، فيعود مرضاهم بنفس متواضعة ويصفح عن المذنبين منهم مالم يكن الذنب مغضباً لله ولرسوله وكان يميل الى اقتناء جياد الخيل، وله شغف بجمع انواع الاسلحة، وبجمع الكتب خصوصاً ماكانت حديثة، وكان كثير المطالعة، وله قلم سيال اذا كتب، كما كان خطيباً بارعاً يرتجل الخطبة ، ويسترسل في المواضيع يتدفق كالسيل الجارف، فلا يتلعثم، ولا يتردد حتى ينتهي من موضوعه مع قوة في اللهجة، وحدة في المنطق وقد تغير صوته القوي الى هدوء بعد المرض الذي اصابه عام 1923م[1]، وكان حريصاً غاية الحرص على وحدة الصف السنوسي أمام أعداء الاسلام، فعندما كان أحمد الشريف يقود كتائب الجهاد ضد فرنسا في السودان الغربي لم يشأ أن يطلب منه أن يتخلى عن الزعامة لصاحبها الشرعي في نظره وفاءً منه للسيد أحمد الشريف الذي كفله بعد وفاة أبيه، ويتجلى حرص محمد ادريس على جمع كلمة المسلمين ولمّ شملهم، وعدم التفرقة عندما اشتدت المحنة وقت ان بدأ الطليان هجموهم الغادر على الأراضي الليبية ورأى بعض الاخوان أن يسندوا الزعامة الى ادريس السنوسي كحق موروث بدلاً من احمد الشريف، فرفض ادريس السنوسي ذلك العرض وبذلك اجتمعت كلمة المجاهدين على أحمد الشريف[2].

لقد رأى محمد ادريس ببعد نظره، وثاقب فكره أن تغيير القيادة في أثناء المعركة ليس من مصلحة حركة الجهاد، ودفع ابن عمه لمواصلة قيادة كتائب الحركة نحو الواجب المقدس.

ثالثاً: رحلة الحج:

وقد ذكر محمد ادريس قصة رحلته الى الحج بنفسه فقال: (في عام 1330هـ الموافق 1912م بلغت سن الرشد في الكفرة ، فطلب مني بعض الاخوان السنوسيين بالآصالة عن أنفسهم ونيابة عن غيرهم أن أتسلم مسؤوليات المرحوم والدي من السيد احمد الشريف الذي كان يومها يتأهب للرحيل الى الجغبوب بناءً على طلب أنور باشا حتى يكون على مقربة من المجاهدين، وكان ردي على طلب الاخوان هو أن السيد أحمد مشغول بالاستعداد للسفر، وأننا على حافة الحرب مع إيطاليا، فلا أرى من المناسب أن أستلم منه في وقت كهذا، ثم انني أقدر خبرته الطويلة المجربة في ادارة شؤون الطريقة، ولكن متى استقرت الأحوال فسوف نلبي رغبتهم، ولاشك أن السيد احمد سوف يوافق على ذلك.

وسافر السيد احمد الى الجغبوب ، بينما بقيت أنا في الكفرة عاماً كاملاً تدربت خلاله على تسيير الأمور المتعلقة بمسؤولياتي المقبلة. وفي تلك الأثناء تخلت تركيا عن البلاد لايطاليا، وبينما كان السيد أحمد يحارب الايطاليين، قررت أن أذهب الى مكة لأداء فريضة الحج ثم أعود لمساعدته، وبتاريخ الرابع من شوال (الموافق أغسطس 1913م) غادرت الكفرة برفقة ثلاثة من الاخوان هم

---

(1) انظر: برقة العربية ، ص354.

(2) انظر: السنوسية دين ودولة، ص184.

(الحاج محمد التواتي والحاج فرج، والحاج علي العابديه[1])، وكان معنا ايضاً شيخ احدى الزوايا، وثلاثة من الخدم، منهم واحد سوداني، بالاضافة الى حداة الابل، وكنت أركب فرسي، وتحمل أمتعتنا الجمال ، وسرنا بطريق القوافل الرئيسي الذي يمر بمناطق طلاب وربيانة وبوزيمة وزيغن، وابو عشكة، وبوطفل مؤدياً الى جالو، فاستغرقت الرحلة الى هناك واحداً وعشرين يوماً منها ستة عشر يوماً من السفر الفعلي، اذ كنا نسير ليلاً ونستريح نهاراً كالمعتاد أثناء الصيف. وقضينا تسعة أيام في جالوا التي كانت مركزاً تجارياً هاماً ثم أخذت مكانتها في التدهور على أثر اغلاق طريق القوافل من الساحل الى واداي وبعدئذ واصلنا السير نحو الجغبوب مروراً بخربة وقطمر، وترفاوي ، وعبدالسلام، واستمرت الرحلة كلها ستة عشر يوماً منها ثلاثة عشر يوماً في المسير.

ومكثت بالجغبوب سبعة أشهر من بيت أبي وكان المعهد الذي أسسه جدي هناك لا يزال مزدهراً. وفي شهر جمادي الثاني الموافق لأبريل 1914م غادرت الجغبوب متجهاً الى مصر مع نفس الجماعة وكذلك الحاج يونس العابدية الذي انضم إلينا في الجغبوب وبعد مسيرة سبعة أيام وصلنا الى الساحل عند مكان يسمى بقبق (بالقرب من السلوم) حيث شاهدت البحر للمرة الأولى في حياتي. ثم سافرنا الى الضبعة (التي كانت في ذلك الوقت آخر محطة للسكك الحديدية المصرية من ناحية الغرب) ، ومررنا في طريقنا بمرسى مطروح حيث رحبت بي السلطات المصرية، كما زرنا الزوايا السنوسية في كل من سيدي البراني شماس ونجيله وأم الرخم وأبو هارون، ولدى وصولنا الى الضبعة استقبلنا صالح حرب، وهو ضابط مصري جاء مندوباً عن الخديوي عباس الثاني ثم سافرنا الى الاسكندرية بقطار خصوصي، ونزلت ضيفاً على الخديوي في قصر راس التين، ولقيت ترحيباً حارً من المصريين، فهم على الرغم من حيادهم رسمياً في الحرب مع إيطاليا كانوا يؤيدون اخوانهم المسلمين يبذلون كل مافي وسعهم لمساعدة السنوسيين بامدادات السلاح والمعدات الطبية، وفي ذلك الوقت كان اللورد كتشنر يشغل منصب المندوب البريطاني في مصر.

وبقينا في الاسكندرية تسعة أيام بانتظار باخرة بريد الخديوي الى حيفا، ثم سمعنا أنها سوف تعرج على ميناء بورسعيد فاستقلينا قطاراً خاصاً تفضل به الخديوي أيضاً لنقلنا الى هناك حيث ركبنا الباخرة وأبحرت بنا عند الظهر في نفس اليوم. وكانت الرحلة مريحة وصلت بعدها الى حيفا يوم 24 رجب فاستقبلني الوالي التركي استقبالاً رسمياً، وبعدها مباشرة سافرنا بقطار سكة الحجاز، وقد وضعت تحت تصرفي المقصورة الملكية الخاصة، وكان القطار الى المدينة يقوم بثلاث رحلات أسبوعياً تستغرق رحلته ثلاثة أيام يمر فيها بعدة محطات رئيسية، وهي درعا وعمان وتبوك ومدائن صالح؛ وهو كان مريحاً رغم بطئه، ويضم ثلاث عربات للنوم وواحدة للأكل، كما وجدت به زريبة لفرسي وبقيت في المدينة خمسة عشر يوماً كان الجو أثناءها قائظ الحر، فداهمتني الحمى، ولذا نصحت بالانتقال الى مكة لأن جوها ألطف قليلاً. ومع أن موسم الحج لم يكن قد حل بعد، إلا أنني امتطيت فرسي وانطلقت في رحلة المائتي ميل من المدينة الى مكة، فقطعتها خلال أحد عشر يوماً من السفر الوئيد أثناء الليل والراحة في ظل خيمة بالنهار. وبعد إقامة ثلاثة أيام بمكة نصحني البعض بالذهاب الى مدينة الطائف الواقعة وسط التلال في جنوبي مكة، وكان الشريف حسين يمضي بها فصل الصيف مع ولديه عبدالله، وفيصل.

وقضيت في الطائف 75 يوماً، بما فيها رمضان وشوال وكان جوها لطيفاً بالفعل، فاستعدت صحتي تماماً. وفي تلك الأثناء حدث اغتيال أرشيدوق النمسا في ساريفيو، واندلعت الحرب

---

(1) زعيم سنوسي معروف ولد سنة 1870م، وهو من قبائل الزوية.

العالمية الاولى. وبعدئذ توجهنا الى مكة لأداء مناسك الحج في أكتوبر 1914م، ونزلت بالزاوية السنوسية في ابوقبيس . ثم انتقلنا الى المدينة فاضطررنا الى البقاء فيها مدة شهرين لانقطاع المواصلات بسبب الحرب. وكان قد انضم إلينا في مكة اثنان من عرب برقة المعروفين، وهما رشيد الكخيا وعلي العبيدي.

وفيما كنا ننتظر بالمدينة اثناء شهر نوفمبر قامت الحرب بين بريطانيا وتركيا، فحاول الاتراك المسيطرون على الحجاز أن يحملوا العرب على الوقوف في صفهم، كما أخذ البريطانيون في التقرب الى العرب على نحو مماثل، غير ان الشريف حسين التزم موقف الحياد، متجنباً اعطاء أي رد مباشر على الدعوة التركية الى اعلان الجهاد. وفي ديسمبر عندما استأنفت القطارات رحلاتها العادية، سافرنا الى حيفا استضافنا الوالي التركي ابو شاهين. وهناك اكتشفنا أن الاتصالات مع مصر شبه مقطوعة تماماً لأن البريطانيين والاتراك كانوا يتقاتلون قرب قنال السويس، وكان البريطانيون قد اعلنوا الحماية على مصر بعد خلع الخديوي عباس الثاني واستبداله بعمه حسين كامل الذي منح لقب السلطان ولما كانت هناك باخرة إيطالية تقوم برحلات منتظمة بين حيفا ونابولي عبر ميناء بورسعيد، فقد ارسلنا واحداً من جماعتنا لاستطلاع امكانية السفر بهذا الطريق، وجاءنا رده مشجعاً، فحجزنا أماكن على الباخرة ، غير أن القبطان قال أنه لايضمن السماح لنا بالنزول في بورسعيد، نظراً لأن السنوسيين كانوا حلفاء للاتراك وبالتالي فإننا نعد نظرياً من رعايا دولة معادية. ولكن العلاقات في ذلك الوقت كانت قد تحسنت نوعاً بين السنوسيين والايطاليين الذين أخذوا يسعون الى التفاهم مع السيد احمد الشريف، فاتفقنا على دفع عربون لقبطان الباخرة بحيث يحملنا الى نابولي في حالة ما إذا رفض البريطانيون ان يسمحوا لنا بالنزول في بورسعيد، ومن نابولي يدبر الايطاليون أمر ترحيلنا الى برقة متى حانت الفرصة.

وهكذا غادرنا حيفا في فبراير 1915م وقد اضطررت للأسف الى ترك فرسي هناك لأن القبطان لم يجد لها مكاناً على الباخرة. وهي كانت من سلالة برقاوية تربت في أرياف الجبل الاخضر، وكان اهداها إليّ خليل البناني، وقد حملتني طول الطريق من الكفرة الى مكة، ثم في طريق العودة كذلك ، فتأسفت كثيراً لتركها في حيفا حيث ماتت بعدها بمدة قصيرة.

ولدى وصولنا الى بور سعيد طلبنا من رفيقنا علي العبيدي أن يسبقنا في النزول الى البر حتى رأيناه مر بسلام فتبعناه كلنا في زحمة الحجاج متظاهرين بأننا مصريون، وفور وصولنا الى الشاطئ بعثنا برقيات الى كل من السلطان حسين والجنرال ماكماهون الذي خلف اللور كتشنر في منصب المندوب السامي البريطاني بمصر، وتلقينا منهما استجابة ودية، فتوجهنا الى القاهرة في ضيافة السلطان حسين، وفي أثناء ذلك قمنا بزيارة لكل من الجنرال ماكسويل، قائد القوات البريطانية في مصر، والكولونيل كلينتون، مندوب حكومة السودان المقيم بالقاهرة، وأعرب الاثنان عن رغبتهما الاكيدة في أن نقطع علاقتنا مع الاتراك ونؤيد البريطانيين في الحرب او نبقى محايدين على الاقل. وكان ذلك أول لقاء بيني وبين البريطانيين وخرجت منه بانطباع جيد عن سلوكهم الودي وقوتهم العسكرية، ولم يكن بوسعي أن ألتزم بأي تعهد نيابة عن السنوسيين قبل استشارة السيد أحمد الشريف أولاً. ولكنني وافقت على متابعة الاتصال من خلال علاقتنا بعائلة الادريسي في مصر، ووافقوا من جانبهم على تسهيل عودتي الى برقة.

وبعد فترة اقامة قصيرة في القاهرة، ركبنا قطار الصباح الى الاسكندرية ، وفي نفس اليوم استقلنا باخرة لخفر السواحل وضعها البريطانيون تحت تصرفنا حتى أنزلتنا في السلوم ومن ثم توجهنا الى امساعد للالتحاق بمعسكر السيد أحمد الشريف، وكانت غيبتي عن برقة استغرقت عاماً كاملاً

تقريباً)[1].

إن رحلة محمد ادريس الى الأراضي المقدسة كانت لها أثر عميق في تفكيره حيث احتك بالحكومة المصرية، وبزعيم الثورة العربية الكبرى الشريف حسين، وقادة الانكليز في مصر ولاشك أنه ناقش ، وحوار واستمع الى الاطراف المذكورة وتبلورت لديه قناعات مهمة فيما يتعلق بمجريات السياسة الدولية ، وبطبيعة الصراع بين الاتراك والانجليز، ورسم لنفسه تصوراً واضحاً يخدم به شعبه ووطنه ومصالح بلاده ولذلك رأى انه ليس من مصلحة الحركة السنوسية الدخول مع الاتراك في حربهم ضد الانكليز وبعد رجوعه من الحج نصح احمد الشريف بعدم الدخول في الحرب مع الاتراك ضد الانكليز، وأعلن رأيه ذلك بصراحة.

رابعاً: محمد ادريس السنوسي في برقة:

بعد ماقرر أحمد الشريف الاشتراك مع الاتراك والألمان ضد بريطانيا على الحدود المصرية الغربية رأى أن يرتب شؤون الإدارة في برقة حتى يتفرغ هو للجهاد ، فقسم القطر البرقاوي الى مناطق، وجعل ادريس على منطقة برقة ومركزه في اجدابية على أن يكون تحت إشرافه وفي دفنا محمد هلال، وفي الجبل الاخضر محمد الرضا، وارسل محمد صفي الدين لمنطقة طرابلس، وأما أحمد الشريف فقد ذكرت ما قام به في الحدود المصرية في الجزء الثاني من كتابي عن الحركة السنوسية.

انتقل محمد ادريس من السلوم شرقاً حتى إجدابية غرباً، في أواخر سنة 1915م وكان معه حوالي سبعون مجاهداً من بينهم (جمعة ابو شناك، وسعيد الشامي، والشارف الغرياني، وابراهيم الشلحي، ومحمد أحمد ابوبكر....)[2].

وأخذ يتنقل بين القبائل وكتائب الجهاد، فمر بكتائب البراعصة، والعبيدات وغيرهم، وشرع في إدارة دفة الحكم في برقة بكل حزم ومهارة، فأظهر مواهبه كرجل إدارة محنك، وحاكم حازم، وكانت برقة تشكو في هذه الفترة المضطربة اختلال الأمن، وتعرض الاهالي لشرور المفسدين، فضرب محمد ادريس على أيدي المفسدين واستصدر من علماء البلاد "فتوى" لإعدام بعض السودانيين الذين وجدهم يعبثون في الأرض فساداً ينهبون الأموال ويفتكون بالأرواح[3]، فقام بشنق هؤلاء وكانوا سبعة رجال[4].

وقام محمد ادريس بتنظيم شؤون البلاد، وتوطيد الأمن وضرب على أيد العابثين، وقطع دابر المفسدين[5]، كانت مهمة محمد ادريس في برقة شاقة وعسيرة، وبخاصة بعد الفشل الذي أصاب المجاهدين بزعامة احمد الشريف على ايدي الانكليز فإن برقة كانت تعاني الأمرين في الحقيقة من جراء انتشار المجاعة بها وقتذاك (1915م) بسبب احتباس الأمطار، وفضلاً عن ذلك فقد غزت حملات الجراد البلاد في العام التالي فأتت على الزرع، وتفشى فيها مرض الطاعون، خصوصاً عام 1917م، وظل المطر محتبساً طول هذه المدة تقريباً، فكان أعظم بلاء شهدته برقة في تلك

(1) انظر: الملك ادريس عاهل ليبيا حياته وعصره، ص19 الى 22.

(2) مكتبة دراسة الجهاد الصوتية شريط رقم 34/14 محمد احمد ابوبكر الدرس من كتاب الحركة الوطنية شرق ليبيا.

(3) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص186.

(4) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص107.

(5) انظر: برقة العربية، ص360.

الفترة هو بلاء المجاعة[1].

وأمام هذه الظروف السيئة (اجتمع بعض أعيان أهل برقة وتدارسوا وتشاوروا في تلك الحالة المخيفة التي حلت بالوطن وأهله، وارسلوا وفودهم وكتبهم الى ادريس بمقره في اجدابية، وبصفته صاحب الحق الشرعي في إمارة السنوسيين ليتدارك ما وقع فيه ابن عمه احمد الشريف الوصي على الإمارة بمحاربته الانكليز جرياً وراء الاتراك، خصوصاً وأنهم لم يوفوا بوعودهم التي قطعوها له، فلم يرسلوا إليه بما يسد حاجة جيشه وبلاده كما وعدوه، بل ورطوا البلاد في نكبة الحرب ضد بريطانيا وتركوا شعبها المخلص لهم يموت جوعاً)[2].

ويلخص عبدالرحمن عزام حالة الانتظار تلك في قوله : (...كنا نترقب السواحل باستمرار مؤملين أن ترى الغواصات الألمانية اشاراتنا بالرايات في النهار او نيراننا التي كنا نشعلها في الليل ، وتركزت آمالنا في أن تمدنا الغواصات بشيء من السلاح والمال والمؤونة، وقد بقينا نحو أربعة شهور وصلنا فيها الى حالة مروعة من الفقر.....)[3].

كان السيد محمد ادريس متأدباً مع ابن عمه احمد الشريف غاية التأدب ولذلك لم يتخذ أي قرار لمعالجة الموقف الحرج الذي تمر به البلاد إلا بعد ما كتب الى أحمد الشريف وشرح له ماكان يجري في برقة، فرّد عليه الأخير برسالة في أواخر عام 1916م جاء فيها : (.... أعمل ماتراه مناسباً، والحاضر يرى مالايراه الغائب، وأنا موافق على مطالب أهل الوطن حيث أن لهم حقاً في ذلك...)[4].

كان ظهور محمد ادريس على مسرح العمل السياسي الليبي في تلك الفترة الحرجة مهماً للغاية لما تمتع به من صفات أهلته لزعامة البلاد ، وآلت الأمور الى أن بايعه أهل برقة بالإمارة ثم أهل طرابلس بعد فشل الجمهورية الطرابلسية وهذا ماسوف نراه بإذن الله تعالى في هذا الكتاب.

كان من رأي ادريس أن يدخل في مفاوضات مع الانجليز، والوصول على الاقل الى اتفاق مؤقت من أجل فتح الطرق مع مصر، حتى يتمكن من القضاء على خطر المجاعة ولم يكن زعماء برقة يمانعون من دخول محمد ادريس في التفاوض مع ايطاليا او انجلترا مادام تلك المفاوضات تساعدهم في القضاء على شبح المجاعة الذي هدد البلاد، ولم تكن هناك عوائق أمام تحقيق ذلك المطالب وخصوصاً ان محمد ادريس تعرّف أثناء زيارته للحج على الكثير من رجالات العرب، مثل شريف مكة حسين ودرس معه القضية العربية التي كانت آنذاك في دور اليقظة[5] كما أنه اصبح بعد تلك الزيارة رجل مهماً بالنسبة لبريطانيا وحلفائها وشرع محمد ادريس لدفع البلاد نحو دهاليز السياسة، فأرسل رسالة الى ممثل الملك جورج الخامس في مصر، وهو الجنرال ماكماهون في ذلك الوقت مقترحاً عقد مفاوضات للصلح، فأجاب بالموافقة على فكرة اجراء المفاوضات من حيث المبدأ بشرط أن يشارك فيها الايطاليون أيضاً، ولم يجد محمد ادريس مفراً من قبول ذلك الشرط، وخصوصاً أن موقفه كان صعباً حيث أن هزيمة جيش السيد أحمد الشريف في مصر جردت السنوسيين من عنصر القوة العسكرية، فأصبح محمد ادريس مضطراً الى التفاوض من

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص187.

(2) انظر:تاريخ حرب طرابلس، ابراهيم لطفي، ص57.

(3) ذكريات عزام، الحلقة 8، مجلة المصور، العدد( ) 1332هـ، 1950 القاهرة، ص19.

(4) انظر: ليبيا اليوم، محمد الاشهب، ص7.

(5) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا.

موقع ضعف عسكري بينما كان رصيده الوحيد في ولاء قبائل برقة، وحرص الانجليز على كسبه لصفهم وإضعاف الزعامة السنوسية الموالية للأتراك كما أن من العوامل التي ساعدت في دفع محمد ادريس نحو التقارب مع السياسة البريطانية ثورة الاتراك ضد السنوسية .

خامساً: ثورة الاتراك ضد السنوسية:

بدأت تلك الثورة في أواخر سنة 1916م وانتشرت في جهات عديدة حتى توجت بالنصر على السنوسية في فزان خلال شهر سبتمبر سنة 1917م، وطردوا منها محمد عابد السنوسي الذي التجأ الى الكفرة وترك واحة واو، وأصبحت فزان منذ ذلك الحين بيد الاتراك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى[1].

وفي اجدابية بدأ تحرك الضباط الأتراك منتهزين فرصة انشغال ادريس بالمفاوضات بعكرمة، فبدأوا بتأليب المجاهدين ضد السنوسيين هناك، فلما علم ادريس بذلك جاء بقوات كبيرة يقودها كل من عمر المختار والذي كان سنداً قوياً لمحمد ادريس ويقودها قجة عبدالله وعسكر ادريس بقواته خارج مدينة اجدابية، وضرب حول معسكر الاتراك بالمدينة حصاراً، وخيرهم بين أمرين التسليم أو مغادرة اجدابية الى أراضي طرابلس، وقبلوا الأمر الثاني فغادر الكثير منهم برقة الى طرابلس، واعتقل جماعة منهم وأرسل بعضهم الى الجغبوب والبعض الآخر الى الكفرة[2] وبعد اخماد تلك الحركة عاد مسرعاً الى عكرمة لإكمال مفاوضاته[3].

واستمر الاتراك في مضايقة محمد ادريس، وتضييق الحصار عليه وعملوا على الإطاحة به، وأرسل نوري باشا بعثته الأولى الصغيرة الى الكفرة لضرب النفوذ السنوسي هناك إلا أن تلك البعثة فشلت وانتهت بوقوع أعضائها في أيدي صفي الدين السنوسي الذي استطاع أن يكشف أمرهم بسرعة، وأودعهم السجن[4]، أما بالنسبة لفزان فقد استطاع نوري أن يشعل الثورة هناك ضد السنوسية وسيطر الاتراك عليها كما ذكرنا، وقد ودع نوري باشا أحد زعماء الحملة واسمه الملازم محمد الارناؤوطي فقال له: (أذهب وأفعل ماتسطيع عمله واكتب لي بما تحقق من نجاح في مصراته، أنني اثق في شخصك ولا أستطيع أن أعطيك مالاً أكثر مما أعطيتك لأنني لا أملكه، إنك ستجد في فزان ذهباً وسلاحاً بكميات كثيرة لأن الايطاليين قد تركوا منها الكثير هناك، ولا تنسى أنك محارب وأنك ذاهب الى حرب مقدسة للجهاد في سبيل الله)[5].

وقام الاتراك بمهاجمة الجفرة التي كان بها عبدالجليل سيف النصر، وكان يتولى قيادة هذه الحملة الضابط التركي برتو توفيق، وعبدالنبي بالخير، وتكونت الحملة من قسم كبير من مسلحي مصراته وزليطن برئاسة شرف الدين العمامي الزليطني والحاج محمد الروياتي المصراتي كان غرض القيادة التركية توسيع نفوذها في تلك الجهات والقضاء على شوكة السنوسية وتأمين المواصلات بين طرابلس وفزان، ووصلت الحملة الى الجفرة ، وتمكنت من طرد الاهالي (أولاد سليمان ، وقذاذفة ، بعض المغاربة)[6] واضطر السنوسيون لجمع قوة مسلحة كبيرة من انصارهم في

---

(1) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص116.

(2) انظر: جهاد الابطال، ص133.

(3) انظر: السنوسية دين ودولة، ص117.

(4) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص118.

(5) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص118.

(6) المصدر السابق نفسه، ص120.

النوفلية وذلك في منتصف شهر نوفمبر من سنة 1917م، وشنوا هجوماً معاكساً ضد الاتراك، وأعوانهم في سوكنة واستطاعوا تحقيق نصر كبير عليهم، وطردوا القوات التركية الطرابلسية في الجفرة بعد أن خسرت الكثير، وأسرت القوات السنوسية القائمقام التركي برتو توفيق وقامت بشنقه[1].

لقد كانت مواقف الاتراك من الحركة السنوسية مشجعة لمحمد ادريس على ضرورة المفاوضة مع الانكليز لا لتدارك المجاعة المهلكة فحسب بل للقضاء على الاتراك الذين سعوا للقضاء على نفوذ السنوسية وإقصائهم من ليبيا وتمكين القيادات الطرابلسية الموالية لهم في البلاد.

إن محمد إدريس فقد الثقة في الأتراك وعمل على إفشال أهدافهم وارسل الى ابن عمه احمد الشريف رسالة يبين له غدر الاتراك به على حد زعمه كانت الرسالة بتاريخ 26 ربيع أول عام 1335هـ (2 يناير 1917م) تساءل فيها ادريس عن ثمرة وعود الأتراك المتكررة عندما أرسل هؤلاء (الباروني ممثلاً لجلالة السلطان في طرابلس وأعطوه أسلحة، وذخيرة وزودوه بمنشورات كثيرة مقدار مايملأ الدنيا منها، بينما أنتم - مخاطباً السيد أحمد- تجاهدون من أجلهم، وهم لايكتفون بعدم الاهتمام بكم بل يغدرونكم بإرسال خائن الى بلادكم ويبذلون له كل مساعدة في الوقت الذي يتحدث فيه فقط وقبل كل شيء عن طرابلس ولا يذكر السنوسية بكلمة واحدة، وفضلاً عن ذلك فإن السيد أحمد - على حد ما جاء في هذه الرسالة- كان يقول دائماً: (إن انور (أخبره) بأن السلطان أصدر فرماناً بتعيينه نائباً عن الخليفة في أفريقيا ولكن ماقيمة هذا الكلام إذا كانت الأقوال تختلف عن الأفعال؟ فإلى متى يجب علينا نحن وأتباعنا أن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذه الوعود الباطلة الكثيرة التي سوف تنتهي من غير شك بنتيجة واحدة هي القضاء علينا وعلى أوطاننا، ويالها من كوارث عظيمة تلك التي نزلت بأهل هذا الوطن[2].

ومن الأسباب التي جعلت محمد ادريس أن يتقارب مع الانكليز قناعته بأن نهوضه ببرقة لابد له من دعم خارجي مادي، ومعنوي ورأى ببعد نظره السياسي، أن الحرب العالمية سينتصر فيها الحلفاء ولذلك حرص على التقارب من بريطانيا، صاحبة التفوق في منطقة الشرق ولذلك سعى إليها لتقليل الخسائر، والمحافظة على كيان السنوسية الذي تعمل تركيا على تحطيمه في البلاد في تلك المرحلة.

لقد حرص محمد ادريس من التقليل من الخسائر الى أقصى حد، واتخذ قراراً بالانسحاب من الحرب ضد إيطاليا، وبريطانيا ووافقه زعماء القبائل التابعين للحركة السنوسية على ذلك.

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص 223.

(2) أنظر: السنوسية دين ودولة، ص191.

المبحث الثاني
موقف الاسلام من المعاهدات مع العدو

قال الامام الشافعي ، في هذا الصدد مايلي: (إذا ضعف المسلمون عن قتال المشركين ، أو طائفة منهم لبعد دارهم، أو كثرة عَدَدِهم ، أو خلة بالمسلمين، أو بمن يليهم منهم- جاز لهم الكف عنهم، ومهدنتهم على غير شيء يأخذونه من المشركين، -ثم يقول- فأحب الامام ، إذا نزلت بالمسلمين نازلة ، وأرجو أن لاينزلها الله عز وجل بهم، إن شاء الله تعالى - مهادنة يكون النظر لهم فيها. ولا يهادن إلا الى مدة ولا يجاوز بالمدة مدة أهل الحديبية، كانت النازلة ما كانت فإن كانت بالمسلمين قوة قاتلوا المشركي بعد انقضاء المدة. فإن لم يَقوَ الإمام فلا بأس أن يُجدد مدة مثلها أو دونها...)[1].
وقال في المهذب ، بصدد مانحن فيه :(لا يجوز عقد الهدنة لإقليم ، أو صقع عظيم إلا للإمام ، أو لمن فوض إليه الإمام، فإن كان الإمام مُسْظْهِراً[2] نظرت: فإن لم يكن في الهدنة مصلحة لم يجز عقدها لقوله عز وجل: {ولا تهنوا وتدعو الى السلم وأنت الأعلون، والله معكم} (سورة الانفال : الآية : 35). وإن كان فيها مصلحة بأن يرجو اسلامهم، أو بذل الجزية، او معاونتهم على قتال غيرهم- جاز أن يهادن ... ثم يقول - وإن كان الامام غير مستظهر بأن كان في المسلمين ضعفٌ وقلة، وفي المشركين قوة وكثرة، او كان الامام مستظهراً لكن العدو على بعد ويحتاج في قصدهم الى مؤونة مجحفة - جاز عقد الهدنة الى مدة تدعو إليها الحاجة؛ واكثرها عشر سنوات ؛ لان رسول الله ﷺ هادن قريشاً في الحديبية عشر سنين ...)[3].
يفهم مما تقدم أن مصلحة الاسلام والمسلمين هي المحور الذي ينبغي أن يدور عليه عقد المعاهدات مع العدو، وهذه المصلحة يرجع تقديرها الى خليفة المسلمين، أو من يفوض في هذه المسألة.
ففي عصرنا اليوم، وقد تخلف المسلمون عن غيرهم من الشعوب، والدول المتقدمة في مجالات العلم، والصناعات، والأجهزة والمعدات العسكرية...وما الى ذلك - قد يكون من المصلحة عقد المعاهدات مع بعض تلك الدول، بحيث تؤدي الى نقل ماتملتكه في هذه المجالات، الى بلاد المسلمين ، مما تتحقق معه المنفعة التي تربو على مايمكن أن ينشأ عن تلك المعاهدات من بعض المفاسد.
كما أننا في هذا العصر، حين نجد الدول الاستعمارية، وهي تبحث عن أية ذريعة تُسوِّغُ لها - في نظر العالم- أعمالها العدوانية ضد المسلمين ، وتتحين أية فرصة مناسبة للسيطرة على ثرواتهم، وتمزيق شملهم، وتدمير منشآتهم الحيوية...حين نجد الدول الاستعمارية على هذه الحال، فإن مصلحة الاسلام والمسلمين تحتم على المسؤولين أن يتجنبوا كل مامن شأنه أن يجعل تلك الدول

---

(1) انظر: المغني لابن قدامة (259/10).

(2) أي غالباً.

(3) المهذب للشيرازي (259/2-260) هذا والجمهور على عدم تقييد المعاهدة بعشر سنين بل يرجع تقييدها الى المصلحة سواء زادت على عشر سنين او نقصت عنها.

الظالمة تكشف لهم عن مخالبها، أو تكشر عن أنيابها ، وعليهم في مثل هذه الأحوال أن يعقدوا مع العدو من المعاهدات المشروعة مايكون نفعه اكبر من ضرره بالنسبة الى الاسلام والمسلمين ، من أجل قطع الطريق على مخاطر أكبر ومفاسد أعظم. هذا ، مع وجوب السعي، في الوقت نفسه، الى المعالجة الجادة لواقع الوهن، والهوان والخزي الذي يعيشه المسلمون بسبب ماهم عليه من عداوات وتمزق، وتجزئة، وتخلف[1].

إن هذا المدخل يساعدنا على الانصاف، والحكم بالعدل عندما ندخل في دراسة المفاوضات التي مارسها محمد ادريس مع بريطانيا وايطاليا او التي قام بها زعماء طرابلس بعد اعلان الجمهورية الطرابلسية مع ايطاليا، وتعطي الأجيال نوعاً من الفقه المتعلق بالعلاقات الدولية في الاسلام، وتجعلها تهتم بقضية المعادلة الدولية ، وعدم اغفالها اثناء سعيها الدؤوب لتحكيم الاسلام في دنيا الناس، وواقع الحياة.

أولاً : الدخول في المفاوضات بين محمد ادريس وبريطانيا وايطاليا:

كانت السياسة الانكليزية في مصر ترى محمد ادريس اقرب إليها من احمد الشريف ووصف الوفد الادريسي الذي بعث به الانكليز الى برقة قبيل نشوب الحرب الليبية الانجليزية على حدود مصر الغربية ادريس : (بأنه اكثر اعتدالاً وأشد حزماً وأنه من أشد المعارضين لغزو حدود مصر الغربية والاشتباك في حرب مع الانكليز، لما تنطوي عليه من أخطار، وأنه غادر المسيعيد الى جهة الجبل الاخضر احتجاجاً على سياسة السيد احمد الشريف المائلة الى الترك والألمان والتساهل معهم....) وعلى ضوء تلك المعلومات أذن الحكام في مصر للوفد بأن يكاتب ادريس بغية الوصول الى اتفاق معه[2]، والاستفادة من العلاقات القائمة التي كانت تربط الأسرة الادريسية بمصر بالبيت السنوسي لكونها من أبناء وأحفاد أحمد بن ادريس الذي كان شيخاً ومعلماً للسيد السنوسي الكبير في مكة[3].

واستمرت المراسلات بين ابناء البيت الأدريسي ومحمد ادريس السنوسي، وانتهت الى الوصول لاتفاق يقضي بسفر وفد انكليزي وايطالي الى اجدابية لعقد صلح بين الاطراف الثلاثة ينهي الخلافات بينهم[4]. وقد أبلغ الانكليز إدريس بصفة رسمية أنهم لن يشرعوا في دخول مفاوضات معه لأجل الصلح إلآ شريطة قبوله فتح باب المفاوضة مع حليفتها إيطاليا، وقد وصل في أواخر سنة 1916م الى الزويتينة وفد من الانكليز والإيطاليين ومعهم من المصريين احمد محمد حسنين أفندي، ومحمد الشريف الادريسي وابنه محمد المرغني، وكانوا جميعاً ضمن الوفد الانكليزي إضافة الى الكولونيل تالبوت الذي له دراية كبيرة بشؤون الشمال الأفريقي، والضابط اللفتنت هسلم.

كان الوفد الانكليزي قد جاء بطريق البحر من القاهرة الى بنغازي للإجتماع بالوفد الايطالي الذي كان مكوناً من الكولونيل بيلا، والكوماندوتور بياجنتيني ومترجمهم ولم يطل الوفد الإقامة في بنغازي بل سافر الى الزويتينة بيخت خاص، فوافاهم إليها ادريس من اجدابية وكان من بين من معه: علي باشا العابدية[5].

---

(1) انظر: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ، محمد خير هيكل (1483/3،1481).

(2) انظر: الدولة العربية المتحدة، أمين السعيد، ص31-32.

(3) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص126.

(4) المصدر السابق نفسه، ص130.

(5) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص132.

بدأت المفاوضات بين الأطراف الثلاثة خلال شهري أغسطس وسبتمبر سنة 1916م[1]. وكان الوفاق والتفاهم ظاهراً فيما بين الجانبين الانكليزي والسنوسي أما العلاقات الايطالية فقد كانت مغايرة لذلك تماماً.

وكان أول طلب للإيطاليين هو موضوع الاسرى الايطاليين، يقول برتشارد: (...لكن ادريس لم يكن ينوي تسليمهم بدون واحدة بواحدة، فاتبع تكتيكه المعتاد في المماطلة، لقد توسل بأن عليه أن ينال موافقة احمد الشريف اولاً لأن الاخير هو الذي أسرهم، أما من جهته فليس بوسعه أن يصدر أوامره فيما يصدر ابن عمه أوامر مناقضة لها...)[2].

وقد أجّل بحث هذه النقطة الى فترة اخرى قريبة، ثم قدّم الوفد الايطالي بقية شروطه للوصول للصلح مع السنوسيين، وقد تمثلت الشروط في الآتي:

1- ان يعترف ادريس بالسيادة الايطالية على كل برقة من (منطقة بنغازي الى الكفرة).

2- أن يسلم المجاهدون اسلحتهم فلا يبقى لديهم سوى ما يكفي للمحافظة على انفسهم.

3- إحلال السلام مع وقف العمليات الحربية بين الجانبين .

4- اعتراف ايطاليا بالسنوسية زعامة وطريقة.

5- منح الكفرة -مقر السنوسيين- استقلالاً ادارياً .

تتعهد ايطاليا بقيام المحاكم الاسلامية الشرعية.

تتعهد ايطاليا بالعمل على تحسين الأحوال الصحية في البلاد وانشاء المستشفيات والمدارس.

إن شرط الايطاليين الخاص بمسألة اعتراف السنوسيين بالسيادة الايطالية في برقة كان مهدداً بفشل المفاوضات بصفة عامة، لذا فقد تأجل النظر في هذه المسألة من الجانب السنوسي، إلا أن الايطاليين قد تمسكوا بهذا البند كثيراً، وكأن المفاوضات كانت من أجله فقط.

وتقدم محمد ادريس بوجهة نظره في هذ المفاوضات وتتلخص أهم شروطه في الآتي:

1- وجوب الاعتراف من قبل ايطاليا باستقلال السنوسيين .

2- الاعتراف بشخص ادريس السنوسي أميراً على برقة.

3- وضع حدود بين الأراضي الخاضعة لكل من الطرفين (السنوسي والايطالي) ، فكل طرف يحتفظ بما تحت يديه من أراضي تحدد بخرائط واضحة مع عدم التعدي على أراضي الطرف الآخر.

4- الاسراع بفتح الطرق التجارية وضمان سلامتها.

لقد كان محمد ادريس يدرك جيداً بأن الاتفاق مع ايطاليا كان بالنسبة له ضرورة ملحة لا مفر منها، لكنه اتضح بدون شك بأن الاتفاق في صالح الايطاليين أكثر مما هو في صالحه[3].

يقول الكاتب الايطالي فبرينثربوسيرا:

(... لقد ساد جو المفاوضات بعض من التذمر نتيجة لأسباب نشأت بالمناسبة أثارت اشمئزاز ادريس ونفوره، خاصة وأن الظروف التي نشأت كانت تتعارض مع الاهداف التي كان ادريس يسعى إلى تحقيقها.. ويضيف قائلاً: ان المفاوضين الايطاليين رأوا أنه ليس هناك لزوم لاتباع محادثات الخطوة خطوة وذلك بالنظر الى عدم التأكد من إحراز أية نتيجة تذكر، كما ان طريقة التصرف في الأمور وما لازمها من حنق وغيظ، الى جانب مجاراة الزمن دون فائدة، كل ذلك كان

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص132.

(2) السنوسيون في برقة ترجمة عمر الديراوي ابو حجلة ، ص232.

(3) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص136.

له أثره الفعال لدرجة انعدمت معه تلك الآمال في الوصول الى النتيجة التي كان يحبذها، ويرغبها ادريس...)[1].

واستمرت هذه المفاوضات قرابة شهرين او يزيد وانتهت بالاتفاق على بعض الامور بين الطرفين تقوم على الاسس الآتية:

1- تنتهي حالة الحرب بين السنوسيين والايطاليين وينادى بالسلام.
2- يعترف الايطاليون باستقلا السنوسيين داخل برقة.
3- يبقى الايطاليون في الساحل ويحتفظون بما في حوزتهم من الأراضي الساحلية.
4- تحديد مناطق النفوذ بين أراضي الطرفين.
5- تفتح الطرق التجارية وتعود البلاد الى حالة السلم ويكون الدخول والخروج بتصاريح.
6- يعترف الايطاليون بادريس زعيماً للطريقة السنوسية في برقة.

وقبل أن تتفرق الوفود جرى تحديد أراضي الفريقين على الورق (خريطة) واحتفظ كل وفد بخريطة للاعتماد عليها عند الحاجة[2].

إلا أن الحكومة في روما نقضت هذا الاتفاق واعتبرت شروطه مذلة فنقضتها على اساس ان مفاوضيها لم يكونوا يملكون الصلاحيات لتوقيعها[3]. وأصدر والي برقة (جيوفاني أميليد)[4] أمراً بقطع المفاوضات وتم له ماراراد واخفقت مفاوضات الزويتينه.

أما الوفد الانكليزي فقد كانت مهمته يسيرة، فلم تكن هناك اية صعوبة في الوصول الى اتفاق مع السنوسيين ولكن الصعوبة تكمن في إصرار الكولونيل تالبوت رئيس الوفد على عدم التوقيع على أي اتفاق مع السنوسيين قبل أن ينتهي ادريس من الاتفاق مع الايطاليين ويتم التوقيع من الطرفين على هذا الاتفاق[5].

ويذكر عزام: (... ان الوفد الانكليزي كان قد طلب الى ادريس السنوسي المبادرة بالقبض على المتطوعين المصريين والعمل على تسليمهم الى السلطات الانكليزية في السلوم ولكن ادريس رفض ذلك....)[6].

كانت هناك عدة عوامل ساعدت محمد ادريس وقوّت موقفه في المفاوضات فمن أهمها:

1- عدم وجود منافس قوي له في برقة، فالغالبية تنضوي تحت زعامته وخاصة بعد فشل حملة احمد الشريف ضد الانكليز في مصر، بما في ذلك قادة المجاهدين، وضباطهم وشيوخ القبائل ورؤساء الزوايا الدينية، مثل؛ ابراهيم المصراتي، خالد الحمري، عمر المختار، موسى بولامين الحمري، الفالح محمد الدرسي، الشارف الغرياني، محمد بومليحة العبيدي، السنوسي الغزالي، محمد ابو الشويخ، عياد بالقاسم البرعصي، شعيب الخدة، حمد ابو جالي العبيدي، عمر منصور الكيخيا، وغيرهم كثيرون.

2- استمرار الحرب العالمية الاولى وانشغال الجميع بها ورغبة الجميع في عدم فتح جبهات قتالية

---

(1) انظر: ايطاليا والسنوسية ترجمة محمد السيد ابو مدين ، ص90 ومابعدها.

(2) انظر: الدولة العربية المتحدة، ص38.

(3) انظر:السنوسية في برقة ايفاتر برتشارد، ص232.

(4) أحد القادة العسكريين الايطاليين الكبار.

(5) انظر: السنوسية دين ودولة، ص196.

(6) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص138.

جديدة تكلفهم المزيد، أفاد ادريس وعزز مركزه في المساومة.
3- وجود ضباط أتراك وألمان في برقة يدعم موقف ادريس وهذا مايخيف بريطانيا وإيطاليا ويجعلهما تعملان على إنجاح التفاوض وإنهاء المشكلة بسرعة خوفاً من تغير موقفه.
4- شجعت سياسة بريطانيا في الشرق -المتمثلة في تشجيع العرب وحصولهم على استقلالهم وتكوين دول وإمارات مستقلة- محمد ادريس على المطالبة بتكوين امارة مستقلة في برقة لاتخضع للايطاليين ، وهو بهذا يكون مطالباً بحقوق إمارة له مثلما حدث في الحجاز (ثورة الشريف حسين) وفي عسير (إمارة الأدارسة) وخصوصاً أن بريطانيا كانت قد شجعت كل المناهضين والثائرين ضد الحكم العثماني واعدة إياهم بالحصول على استقلالهم وسيادتهم.
وفي أوائل سنة 1917م تمت اتصالات جديدة بين الانكليز والايطاليين والسنوسيين وقد لعب محمد الشريف الادريسي وابنه المرغني دوراً هاماً في إنجاح هذه الاتصالات وموافقة جميع الاطراف على تجديد المفاوضات.
وتألف الوفد الانكليزي هذه المرة من : الكولونيل تالبوت رئيساً، والضابط رود ابن السفير الانكليزي بروما[1]، وأحمد محمد حسنين؛ أما الوفد الايطالي فكان مكوناً من الكولونيل أرتوري برنتو رئيساً للوفد[2]، والكولونيل دي فيا وتراجمهما، وكان الوفدان الانكليزي والايطالي يقيمان في مدينة طبرق، أما ادريس ومستشاروه[3] وأعوانه فقد أقاموا في منطقة عكرمة وبدأت المفاوضات مع بداية العام الجديد، ورغم أنها اتسمت بطابع الحذر والحيطة إلا أن جهوداً ومساعي قد بذلت فيما يبدو لإنجاحها والوصول الى حلول يقبلها الجميع، وتقدم الوفد الايطالي بمذكرة رقم (1) توضح وجهة نظره متمثلة في النقاط التالية:
1- حل المعسكرات السنوسية وتسريح حامياتها.
2- يتم نزع السلاح من رجال القبائل بصورة تدريجية في فترة زمنية قدرت بسنة واحدة.
3- للحكومة الايطالية تعيين شيوخ الزوايا الدينية التي تقع في مناطقها وذلك بمشورة ادريس.
إلا أن الوفد السنوسي لم يقبل كل ماجاء في المذكرة الايطالية، وتقدم باقتراحاته في المذكرة رقم (2) وقد جاء فيها مايلي:
1- يقوم الايطاليون بتنفيذ جميع طلبات الوفد السنوسي التي قدمها أثناء مفاوضات الزويتينة العام الماضي (1916م) .
2- يرجأ البحث في نقاط المذكرة الايطالية رقم (2) الى مباحثات تتم في المستقبل[4].
إلا أن الايطاليين تقدموا بحلول جديدة قدموها في مذكرة جديدة رقم (3) وتنازل الوفد الايطالي فيها عن بعض شروطه وتساهل في قبول بعض شروط ادريس حتى أن برتشارد يقول: (... ان الحل رقم (3) اعطى ادريس جميع مطالبه تقريباً)[5] وتقدم ادريس بمذكرة جديدة رقم (4).
لقد طالت مدة المفاوضات ، فاستغرقت الفترة مابين شهر يناير الى منتصف ابريل تقريباً، والجلسات معقودة والحوار مستمر، وكانت لضغوط الانكليز اثر على الطرفين الايطالي

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص196.

(2) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص143.

(3) المصدر السابق نفسه، ص143

(4) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص145.

(5) المصدر السابق نفسه، ص145.

والسنوسي حتى تم التوصل الى اتفاق ارتضاه الجميع وكانت بنوده تتمثل في الآتي:
1- إيقاف العمليات الحربية بين الطرفين ابتداءً من تاريخ هذه المعاهدة.
2- يقف الايطاليون عند النقط التي كانوا يحتلونها في شهر ابريل سنة 1917م ويتعهدون بأن لا يعملوا على إقامة وتجديد مراكز عسكرية مسقبلاً، على أن يكون هذا الشرط مقيداً للسنوسيين ايضاً[1].
3- لايحق لأي من الطرفين نهب او اغتصاب أو أخذ ممتلكات الطرف الآخر.
4- يعتبر كل من الطرفين مسؤولاً عن الأمن والسلام في المنطقة التي تخضع لنفوذه.
5- يسمح لكافة التجار والعاملين بالتجارة بحرية الارتحال والمتاجرة مع الدواخل فهي (طبرق - درنة - بنغازي) على أن تشمل حرية التجارة بقية الموانئ مستقبلاً.
6- بقاء جميع الزوايا السنوسية التي سيطر عليها الايطاليون سابقاً تحت النفوذ السنوسي.
7- تعفى جميع الزوايا السنوسية وممتلكاتها من الرسوم والضرائب.
8- تدفع الحكومة الايطالية مرتبات لمشائخ الزوايا الواقعة ضمن مناطق نفوذها على ان يقوم هؤلاء بدور الوسيط بين السلطات الايطالية وأهل البلاد حين الحاجة[2].
9- يطبق على السكان الليبيين القاطنين في مناطق النفوذ الايطالي قانون الاحوال الشخصية الاسلامي[3].
10- تدريس القرآن الكريم وأصول الدين في المدارس والمساجد الليبية الواقعة ضمن مناطق النفوذ السنوسي.
11- تعفى البضائع المستوردة للسنوسيين وطلابهم من الجمارك عدا تجارة السلاح.
12- تقدم ايطاليا المعونة المالية وتسمح بتوصيل الأدوار بأقرب المراكز الايطالية بالهاتف لتسهيل الاتصال وتبادل الرأي[4].
13- يقوم محمد ادريس بإبعاد كل من يكدر العلاقات بينه وبين الايطاليين.
14- يؤجل النظر في مرتبات العائلة السنوسية.
15- يلزم الاتفاق استعجالاً ويتفق الجميع على الاصلاح وإطفاء الفتن[5].
وإضافة الى هذه البنود فقد تم مسبقاً الاتفاق على نقطتين هما تبادل الاسرى، وإعادة فتح الأسواق.
أما الاتفاق السنوسي-الانكليزي فقد تم التوصل فيه على النقاط الآتية:
1- فتح طرق التجارة عند السلوم واتخاذ ميناء السلوم مركزاً للتبادل التجاري. على أن يكون طريق الاسكندرية السلوم الطريق الوحيد الذي تمر منه السلع الى برقة.
2- تسليم الضباط الاتراك وغيرهم من اعداء بريطانيا إذا وقعوا تحت قبضة ادريس مسقبلاً الى الانكليز.
3- خروج جميع المسلحين التابعين للسنوسية وأعوانها من كل الاراضي المصرية.
4- عدم قيام أية تجمعات عسكرية او مدنية مسلحة قرب الحدود المصرية الليبية.

---

(1) انظر: ليبيا في العصور الحديثة، نقولا زيادة ، ص90.

(2) انظر: برقة الدولة العربية الثامنة، نقولا زيادة ، ص92.

(3) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص146.

(4) انظر: قضية ليبيا، محمود الشنيطي، ص83.

(5) المصدر السابق نفسه، ص83.

5- صيانة أموال السنوسية في مصر.
6- تسمح السلطات البريطانية في مصر بجمع المعلومات المادية من أنصار الطريقة السنوسية ومؤيديها.
7- تخضع واحة الجغبوب الى ادارة وإشراف السنوسيين .
8- يكفّ السنوسيون عن إنشاء زوايا دينية لهم داخل الاراضي المصرية.
9- إبعاد المفسدين والعابثين بالأمن ومحدثي الشغب والقلاقل من مناطق الحدود بين البلدين.
10- إطلاق سراح المعتقلين في مصر من أتباع السيد أحمد الشريف[1].
11- تسليم جميع الرعايا البريطانيين والمصريين التابعين لدول الحلفاء الى الحكومة البريطانية في مصر.

وقبل أن تنتهي المفاوضات بين الأطراف المذكورة في عكرمة طلب اللواء تالبوت رئيس الوفد الانكليزي، ومحافظ الصحراء الغربية، الى ادريس السنوسي أن لا يبقي رجالاً مسلحين في واحة الجغبوب، وقد رد محمد ادريس على هذا الطلب رداً سياسياً دبلوماسياً بكتاب مؤرخ في يوم 10 ابريل 1917م جاء فيه ما يلي:

(...ان الجغبوب واقعة في مكان سحيق في الصحراء وهي موصلة لعدة طرق مع مصر ومع الجبهات الغربية، والآن بما أن مهمتي حفظ النظام ومنع الدسائس في مصر وقطع دابر السرقات والتهريب، فلابد أن يكون لدي لهذا الغرض قوة يخشى الناس بأسها....)[2].

واستطرد ادريس واصفاً حالة العرب في الصحراء ووجوب المحافظة على الأمن فيها الى أن قال:

(... هذه هي الأسباب التي تضطرني لطلب السماح لوجود رجال مسلحين في الجغبوب)[3].

يرى بعض المؤرخين[4] أن معاهدة عكرمة في طبرق كانت خير وسيلة لتحقيق السلم وصون مصالح العرب المجاهدين في برقة، كما أنه اتيحت فرصة لمحمد ادريس لتنظيم القبائل تنظيماً من شأنه أن يجمع الكلمة ويقضي على بذور الفتنة والاضطراب، كما ساعد ذلك الاتفاق على تأييد نفوذ محمد ادريس حتى بدأ الاهالي من ذلك الحين يلقبون محمد ادريس (بالمنقذ)، وكان من أهداف الطليان من إبرام اتفاق عكرمة تمكينهم من أن يتصلوا مباشرة بالأهلين وأن يمدوا نفوذهم في داخل البلاد عن طريق هذا الاتصال المباشر؛ وهذا ماكان السيد ادريس يدركه حق الادراك ويعمل من جانبه على تعطيله ومقاومته، وتركزت جهود محمد ادريس في أمرين هامين بعد تلك المعاهدة:

أولاً: إقامة الحكومة الوطنية الرشيدة التي تحفظ مصالح البلاد، وتتولى زعامة القبائل في برقة، وتطالب بكل حقوقهم.

ثانياً: مقاومة نفوذ الطليان ومنع اتصالهم بالعرب بكل الوسائل في داخل البلاد[5].

واستطاع محمد ادريس أن يقيم حكومة وطنية فعلية عاصمتها اجدابية عام 1917م .

ثانياً: اجدابية عاصمة الحكومة الوطنية:

اتخذ محمد ادريس إجدابية مركزاً لقيادته، وذلك لعدة أسباب نجملها فيما يلي:

---

(1) انظر: قضية ليبيا، ص81.

(2) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص149.

(3) انظر: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ص186.

(4) منهم دكتور محمد فؤاد شكري.

(5) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص205.

1- تتمتع إجدابية بموقع استراتيجي هام لأنها تملك حماية محدودة من البحر وابتعادها عنه نسبياً، ثم أن لها ميناءً صغيراً تصلها به عن طريق (الزويتينة) كل الاحتياجات، كما أنها كانت قريبة من مرسى البريقة البحري الذي كانت تصل إليه بعض الاحيان الغواصات اللألمانية قادمة من تركيا باحتياجات المجاهدين.
2- وقوعها في منتصف قاعدة مثلث رأسه في الكفرة وقاعدته النوفلية والجبل الاخضر، كما أنها تمثل الامتداد الطبيعي لواحات جالوا وأوجلة، جخرة، والكفرة، وهذا يعطيها بعداً استراتيجياً هاماً.
3- كونها من أهم المناطق في تجارة القوافل سواء بين طرابلس وبرقة أو بين الواحات الجنوبية والساحل او بين تشاد وبرقة وغير ذلك من الخطوط التجارية.
4- قربها من طرابلس زاد من أهميتها السياسية والاقتصادية والاستراتيجية، فكان لها دورها الهام في مختلف الانشطة التجارية والحربية.
5- كانت موطناً لمعظم القبائل التي كانت تؤيد الحركة السنوسية .
6- كان الترتيب الاداري الذي وضعه احمد الشريف أثناء غيابه عن برقة خلال الهجوم على مصر، يقضي بأن يكون ادريس مسؤولاً في برقة البيضاء، ويكون مركزه في اجدابية.
لهذه الاسباب وغيرها اتخذها محمد ادريس عاصمة لامارته الجديدة، ومقر رئاسة حكومته، ونظم بها دواوين الحكومة السنوسية، وقسم الادارات ونظم ورتب الجيش، وشمل نفوذ هذه الحكومة جميع أراضي برقة من الحدود المصرية الليبية شرقاً الى قصر سرت غرباً ماعدا المنطقة الساحلية التي كانت خاضعة للسيادة الايطالية[1].
إن الاتفاق الذي أجراه السيد محمد ادريس سواء مع الطليان او الانكليز لايحمل باي شكل من الأشكال استسلام أو قبول للواقع، وإنما هي مرحلة مؤقتة هدفها إنقاذ البلاد وتوحيد الصفوف وتقويتها، فأثبت بعمله ذلك حرص الحركة السنوسية على صيانة البلاد وحمايتها وما إتفاق عكرمة بطبرق الذي عقد في السادس من نيسان سنة 1917م إلا حل قصد منه تهدئة خواطر الأهالي وتبعه اتفاق الرجمة والتي اعترفت فيه ايطاليا بإمارة محمد ادريس وقد قصدت إيطاليا من ذلك تجزئه البلاد، إلا أن زعماء ليبيا في غربها بددوا أمالها وأفشلوا مساعيها حينما عقدوا مؤتمر غريان في تشرين الثاني 1921م وأقروا تعيين محمد ادريس أميراً على البلاد فارسلوا البيعة له في أيلول سنة 1922م، فحققوا بذلك الوحدة الوطنية للبلاد، ووضعوا محمد ادريس أمام مسؤولية عظيمة تتطلب منه تولي زمام الأمور والسير بالبلاد الى حريتها واستقلالها، لقد أصبحت مسؤولية محمد ادريس بعد تلك البيعة التاريخية ليست برقة فقط، كما أرادت إيطاليا وإنما ليبيا بقطريها الطرابلسي، والبرقاوي، وإن إمارته ليست منحة إيطالية، وإنما هي رغبة شعبية وإرادة جماهيرية، وضرورة شرعية وقد جاء في رده على كتاب البيعة التالي : (وبعد فقد تناولت بيد الشكر عريضتكم التي أظهرتم فيها رغبتكم الخالصة في تحقيق غايتكم التي أجمعتم عليها في مؤتمر غريان وجهادتم لها جهاداً صادقاً بالأنفس، والثمرات في شخصي فأخذتها داعياً لله أن يحقق آمال هذه الأمة، ويكلل مساعيها كلها بنجاح، ولما كان اتحاد الوطن وسلامته هما الغاية التي طالما سعيت إليها وجدت من واجبي أن أتلقى طلبكم بالقبول وأن أتحمل المسؤولية العظمى التي رأت الأمة تكليفي بها، فعلي إذن أن أعمل بجد معكم، ولكن لاتنسوا أنني بغير إقدامكم لا قدرة لي على شيء، إني إعلم أن الحياة الخالدة هي للأمم لا للأفراد وكذلك الاعمال العظيمة الباقية هي التي تنصرف الى صالح الجميع، فلذلك أدعوه سبحانه وتعالى أن يهدينا الى كل عمل ثمرته للأمة.

---

(1) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص111.

إن من حق كل شعب أن يسيطر على شؤونه والناس منذ نشوؤا أحراراً ، وقد أظهر شعبنا في كل أدواره مقدار محبته للحرية فدفع مهوراً غالية، فلا يصح لأحد أن يطمع في استعباده والاستبداد بشؤونه ، لقد اشترطتم عليّ الشورى وهي أساس ديننا وسأعمل على قاعدتها...)[1].
لقد تأثرت البلاد في بداية الحرب العالمية الاولى وانقسمت الى معسكرين؛ زعماء الغرب (سلمان الباروني، رمضان السويحلي، و...) وكذلك أحمد الشريف السنوسي وقفوا مع تركيا وألمانيا، وأما محمد ادريس هادن الانكليز وبعد هزيمة تركيا وألمانيا، تغيرت موازين القوى، وآل أمر طرابلس الغرب الى فكرت الجمهورية الطرابلسية ثم انتهى بها المطاف الى مبايعة محمد ادريس وهذا ماسوف نتعرف عليه عندما نشرع في دراسة الجمهورية الطرابلسية بإذن الله تعالى.
قام محمد ادريس بوضع نواة لجيش نظامي، واجتهد في تسوية الخلافات بين بعض القبائل ، وتمكن من القضاء على عناصر السلب والنهب والقتل من أفراد العصابات الذين اطلقوا على انفسهم حكومة الصلب وكانت تتواجد بين الأبيار وتاكنس، وذلك باتباع سياسة حازمة ورادعة، وقام ببعض التنقلات، والإجراءات الادارية، ففرّغ ابن عمه صفي الدين بعد رجوعه من الجهات الغربية (سرت) لفض النزاعات القبلية في برقة، وكلف وكيله الشارف الغرياني لاستلام الأسلحة والذخائر من الايطاليين، وذلك لإنشاء مراكز أمنية في الحدود مع سلامة تأمين هذه المراكز[2].
وقام بتقسيم برقة الى منطقتين مقاطعيتن ، فكانت المنطقة الغربية يرأس أدارتها نائب مقر اجدابية ويقال عنه (نائب المنطقة الغربية)، وكانت المنطقة الشرقية يراسها آخر بنفس اللقب ومقره (الابيار) وقد تولى منصب هذه المنطتقتين خيرة رجال السنوسية[3].
وقام محمد ادريس بتشكيل مجلسين احدهما يضم كبار العلماء والاخوان ويقال عنه المجلس الخاص وله السلطة التشريعية والتنفيذية، وأما المجلس الثاني فكان اعضاؤه من شيوخ وأعيان القبائل ويقال له مجلس الاعيان والمجلسين هما بمثابة البرلمان في بادئ الامر وقبل أن يكون مجلس النواب في بنغازي وبجدابية قسم من الجيش النظامي يقال عنه جيش المعية وهذا مهمته حراسة القصر الاميري ومنه قسم لايفارق الامير محمد ادريس في تجولاته الداخلية، وقد أصبحت منطقة العقيلة والبريقة للمعسكرات الاحتياطية وللتدريب وتضم هذه المعسكرات الكثير من خيرة الضباط، وكان أول من تولى رئاسة هذه المعسكرات الشارف باشا الغرياني، ثم اسندت الى حسين الجويفي وكان عدد المعسكرات السنوسية كما يلي :

1- معسكرات التدريب والاحتياطي بمنطقتي العقيلة، والبريقة، ويقال عنهما (خط النار).
2- المعية بجدابية.
3- يضم قدماء المحاربين بجدابية.
4- بالزويتينة.
5- بالابار.
6- بجردس.
7- مراوه.
8- معسكر خولان.
9- عكرمة.

(1) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص262،261.

(2) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص112.

(3) انظر: برقة العربية ، ص362.

وفي اجدابية معسكر منفصل عن المعسكرات المذكورة ولكنه مرتبط بالقيادة وهو مؤلف من الذين يحسنون القراءة والكتابة ويقال عنه: (طابور الطلبة).
وأقام مراكز حكومية تابعة للمنطقتين المذكورتين، وجعل لكل مركز قائمقام أو مأموراً، أو وكيلاً وفي كل مركز قاضي، أو نائب قاضي للنظر فيما يتعلق بالاحكام الشرعية ومجلس من المشايخ يرجع إليه حاكم المركز في كثير من الشؤون حسب التعليمات الحكومية، وفي كل مركز قسم من البوليس للنظام، والأمن، وسلامة الناس(1).
أما التعليم:
فكانت بعاصمة الحكومة الوطنية (اجدابية) مدرسة قرآنية كبرى) نهجت منهج معهد الجغبوب ، وكان شيخها الأكبر الحاج طاهر المراكشي ومعه، سعد المنفي واحمد بن موسى السيوي، وشرع الأمير محمد ادريس في بناء مدرسة على الطراز الحديث أرادها أن تكون كلية ووضع الحجر الاساسي لها في حفل كبير ضم الكثير من رجال السلطة والاعيان والوجهاء، وألقيت يومذاك الخطب والقصائد، وتم بنائها وتنسيقها وجلبت الادوات المدرسية ومايلزم من الكتب وبدأ تسجيل اسماء التلاميذ الذين ينتسبون إليها وجلهم من تلاميذ المدرسة القرآنية، إلا أن الايطاليين بعد احتلالهم اجدابية عام 1923م اتخذوها مركزاً لضباط الطيران وفي عام 1927م اتخذت ناد للضباط، وفي سنة 1930م جعلت مستوصف مدني ، وبقى هكذا الى عام 1942م حيث نسفها الالمان، ولم يبقى منها إلا الأثر(2).
وكان مسجد اجدابية الكبير يجلس به فطاحل العلماء الذين تخرجوا من معهد الجغبوب لتدريس الفقه ، واللغة ، والتفسير، والحديث، والرياضيات وعلم الفلك، وكان من هؤلاء الشيوخ؛ احمد بن ادريس، سليمان الحوتي، المختار الغدامسي، حامد بركان الشريف، عبدالعزيز الهوني، عبدالعزيز العيساوي، على المحجوب، محفوظ الورفلي، وكان الأخير قاضياً بمعسكرات الجبل، وقتل شهيداً في ساحات الفداء، وكان الناس مقبلين على حلقات العلم، فتبدأ حلقات العلم بعد الساعة التاسعة صباحاً، وبعد صلاة العصر، وكان الطلبة يلتفون حول الشيوخ، وخلف هؤلاء طبقات الاعيان والوجهاء والكثير من ضباط الجيش يستمعون الى الوعظ والارشاد، والعلم، وانتشرت مدارس قرآنية اخرى بدواخل البلاد وبجميع المراكز عدا مدارس الزوايا المعروفة(3).
وتقدمت الحياة الاقتصادية، وشرع التجار في مزاولة اعمالهم، واستتب الأمن في جميع انحاء برقة، لقد استطاع محمد ادريس ان يبحر بالسفينة بمهارة ويصل بشعبه الى شط الامان بعد أن أمضه الجوع حتى اضطر بعض الناس الى أكل لحوم الخيل والبغال والحمير.
وكان يعمل مع اخوانه في حكومته بكل جد ونشاط لتطوير الجوانب السياسية، والاقتصادية والعسكرية، والثقافية.
لقد أوجد الامير محمد ادريس حكومة في برقة احبتها القبائل وهابتها، عملت على نشر العدل، وازالت الظلم، ووحدت الصف، ونبذت الخلاف، وأقرت السلام.
كان الأمير محمد ادريس يدير دفة العلاقات مع ايطاليا بمنتهى الحذر واللباقة، والكياسة، والدبلوماسية، والسياسة، وحرص على توثيق علاقته مع الوالي الايطالي الكونت جاكومودي مارتينو، وعين عمر باشا منصور الكيخيا ممثلاً له في بنغازي، وكان لعمر باشا خبرة سياسية

---

(1) انظر: برقة العربية ، ص364،363.

(2) انظر: برقة العربية، ص365.

(3) المصدر السابق نفسه، ص365.

نادرة، حيث كان نائباً في مجلس المبعوثان العثماني في استانبول[1].

ثالثاً: اتفاق الرجمة:

كان الايطاليون غير راضين على الاتفاقات السابقة لأنهم كانو يطالبون بالسيادة التامة على ليبيا، وإنهم قبلوا بالأمر الواقع موقتاً، لذلك حاولوا أن يتقربوا من السكان، أملاً في أن ينتهي الأمر بهم الى القبول بالسيادة الايطالية ، ولعل هذا ماحدا بإيطاليا أن تمنح برقة (دستوراً اساسياً) وقد تم ذلك في اكتوبر 1919م. وينص الدستور على أن يعين ملك إيطاليا والياً يشرف على الشؤون المدنية والعسكرية لبرقة، ويكون لبرقة مجلس نواب محلي يتألف من نواب عن القبائل والحضر، بحيث يضاف إليهم عدد من الأعضاء المعينين يجلسون فيه بحق وظائفهم أما إدارة البلاد فتتم على أساس تنظيم ادارات مدنية وعسكرية يعين رؤساؤها بأمر ملكي[2].

وكفل القانون الأساسي، حرية العبادة والدين، وحق الملكية الفردية، وحرية النشر ، وإنشاء المدارس، واحترام لغة البلاد. هذا الى تفصيل امور كثيرة.

وقد أدرك مشايخ القبائل ماتنطوي عليه هذه المبادرة من خطر، فعقد نحو مائة من كبارهم اجتماعاً في اجدابية قرروا فيه: (أنهم لايقبلون بالايطاليين إلا في المدن الساحلية، على أن يقتصر عملهم هناك على التجارة)[3].

واتضح من إعلان الدستور من جهة، وقرار المشايخ من جهة اخرى، أنه من الضروري المبادرة الى مفاوضات جديدة، لعلها تؤدي الى وضع الامور في نصابها وبدأت المفاوضات فعلاً، وفي 25 تشرين الأول (أكتوبر) 1920م وقع الاتفاق المعروف باتفاق الرجمة.

وبموجب اتفاق الرجمة تقسمت برقة الى قسمين: الشمالي، وفيه السواحل وبعض الجبل الاخضر يخضع للسيادة الايطالية، والجنوبي وهو داخل ويشمل الجغبوب، واوجله وجالو ، والكفرة ، يكوّن ادارة مستقلة هي الامارة السنوسية، ويتمتع السيد محمد ادريس بلقب (أمير) ، على أن يكون اللقب وراثياً، ومع أن عاصمة الامارة هي أجدابية، فقد اشترط في الاتفاق على أن للامير أن يتجول ويقيم في جميع أنحاء برقة، ويتدخل في إدارة المنطقة الايطالية متى شعر أن مصلحة العرب تتطلب ذلك. والحد الفاصل بين المنطقتين هو خط يمتد جنوبي خميس، والسلوق، والرجمة الى شمال الأبيار ثم يمر بغوط ساس، وشمالي القصور وجنوبي سيدي رافع (الزاوية البيضاء) الصفصاف، ومرتوبة، وتميمي الى طبرق.

وأدخل القانون الأساسي في صلب اتفاق الرجمة. وأعلنت إيطاليا أنها لاتنوي بحال من الأحوال النزاع الأرض من أصحابها سواء في ذلك الأراضي التي يملكها الأفراد، أو اراضي الزوايا.

وتعهد سمو الامير من جانبه في أن تحل الأدوار العسكرية وتسرح الوحدات العسكرية (في مدة ثمانية أشهر) على أن يحتفظ بألف جندي فقط يستخدمهم في شؤون الادارة وحفظ النظام، ورضيت إيطاليا بأن تقدم مساعدات مالية للأمارة السنوسية تمكنها من تنظيم أعمالها، على أن يشجع الامير التجارة ويضمن المواصلات والأمن.

وقد تم في الواقع انتخاب مجلس نيابي في عام 1921م (نيسان، ابريل) ، واختير رئيساً له السيد صفي الدين.

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص207.

(2) انظر: ليبيا من الاستعمار الايطالي الى الاستقلال، نقولا زيادة، ص91.

(3) المصدر السابق نفسه، ص92.

لقد كان ذلك المجلس الأول من نوعه في دنيا العرب وقد عقد المجلس خمس جلسات (الى مارس 1923)[1].
لقد كان اتفاق الرجمة يتكون من مقدمة، وعشرين مادة الى جانب ملحقين ، فمن أراد التوسع في هذا الموضوع فليراجع السنوسية دين ودولة[2].
مرت المدة المتفق عليها مع الأمير محمد ادريس لحل الأدوار، وهي ثمانية شهور، ولم تحل هذه الادوار التي كانت تعمرها فلولا من أفراد المقاومة السنوسية منذ سنة 1917م، وهذه الأدوار (في اجدابية والشليظيمة، ومروه وخولان والأبيار وتكنيس، وعكرمة)[3]. كان يشرف على كل منها قائمقام، وقائد جند، وقاض، وجامع ضرائب يجمع حاجاتها من العرب، ومن هنا كان كل دور وحدة عسكرية إدارية قضائية، لالنفسه فحسب ولكن للمنطقة المحيطة به، وكانت الأدوار واسطة لنشر النفوذ السنوسي ومن هنا كان اهتمام إيطاليا بحلها وتعلل الأمير بأن حل هذه الأدوار قد يثير العرب على غير فائدة، ولذلك بدأ أمر بحثها من جديد وانتهى البحث بالأمير والإيطاليين إلى اتفاق جديد بشأنها يعرف باسم (اتفاق بو مريم) الذي تم في 11 تشرين الثاني نوفمبر 1921. ومع أن الفريقين جددا الاتفاق الماضي بشأن حلها فقد رئى أن يؤجل ذلك ليتسنى للإدارة الإيطالية توطيد أركانها في منطقتها، وإلى أن يتم ذلك رئى من المناسب إنشاء (الأدوار المختلطة) على أن يكون ثمة أربعة منها في عكرمة وسلطنة والأبيار وتكنس، فيكون الجنود فيها إيطاليين وسنوسيين، بنسبة خمسة إلى أربعة، و يقوم ضباط إيطاليون بالإشراف على الإيطاليين وضباط سنوسيون بقيادة الجند السنوسي.
والذي يبدو من هذا كله بحسب رأي الإيطاليين أنفسهم، هو أن النفوذ الإيطالي كان في سبيل التقدم من الناحية السياسية.
لكن هذا كان في الظاهر فقط، فهؤلاء الإيطاليون يعترفون بأن إدارة برقة باستثناء المدن، كانت في الواقع في أيدي السنوسيين، إما مباشرة أو بالوساطة وهذه حالة ماكان ليرضى عنها الإيطاليون أبداً، وإن كانوا قد قبلوا بها مؤقتاً، وكان من الطبيعي أن يعود القتال إلى البلاد يوماً ما[4].

---

(1) انظر: ليبيا من الاستعمار الايطالي الى الاستقلال ، ص92، 93.

(2) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص208.

(3) انظر: ليبيا من الاستعمار الايطالي ، نقولا زيادة ، ص93.

(4) انظر: ليبيا من الاستعمار الايطالي ، نقولا زيادة ، ص94.

المبحث الثالث
الجمهورية الطرابلسية

إن تاريخ الجهاد الليبي ملئ بالمحطات المهمة التي ينبغي الوقوف عندها درساً للوقائع واستجلاء للحقائق واستفادة من العبر قال تعالى: {إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد} (سورة ق، آية: 37).

لقد كان إعلان الجمهورية الطرابلسية محاولة مبكرة لإقامة دولة مستقلة لها دستورها، ومؤسساتها، وهياكلها، وبذلك أصبحت لهذه الحادثة سبقاً تاريخياً في عالمنا الإسلامي والعربي، ولذلك لابد من تسليط الأضواء عليها والتعريف بها، ونستطيع القول إن بداية الفكرة ظهرت مع ظهور ورجوع سليمان الباروني في ساحة الجهاد الليبي مرسلاً من قبل الخلافة العثمانية التي خولته الولاية على طرابلس والقيادة، ونقصد بظهوره بعد غيابه المفاجئ من ساحة الجهاد وذهابه إلى الأستانة عاصمة دار الخلافة، حيث نزل عن طريق غواصة ألمانية بقصر (حمد) بمصراته في 16 أبريل

1916م[1]. كان رجوع سليمان الباروني بعد أن مهد الأتراك لهذا الإلحاق فاستصدروا (فرماناً) مرسوماً سلطانياً من جلالة السلطان بإلحاق طرابلس بتركية.
وقد جاء هذا القرار في وقت كان الطرابلسيون محتاجين فيه إلى المساعدة، ففرحوا به، وكانت سياسة الترك والألمان تستهدف لإذكاء نار الثورة في طرابلس واستئنافها في برقة إن أمكن من طريق وجودهم في طرابلس من شغل أكبر عدد ممكن من الجيوش الإنجليزية والإيطالية[2].
وقام الشيخ سليمان الباروني بمجموعة من الإجراءات الإدارية والمالية للإشراف على قيادة وتنظيم المجاهدين لمواجهة تحركات الجيوش الإيطالية وفي إطار التنظيمات الإدارية للولاية قام بتشكيل المجلس العرفي الشرعي- وكان يتكون من مجموعة من العلماء ليتمكنوا من حل القضايا الجنائية والشرعية المعلقة بسبب الحرب، وقد ضم ذلك المجلس كلاً من:
1- الشيخ عمر المنصوري مفتياً للولاية.
2- الشيخ علي الهمالي قاضياً لمصراته.
3- الشيخ محمد سعيد المسعودي قاضياً للجبل.
4- الشيخ الزروق أبو رخيص قاضياً للمنطقة الغربية.
5- الشيخ الشكشوكي قاضياً للنواحي الأربعة.
6- الشيخ عبدالرحمن زبيدة قاضياً لورفلة[3].
وفي تلك المرحلة كانت الأوضاع العسكرية تميل إلى صالح المجاهدين، فقد تصاعدت حركة الجهاد ضد إيطاليا، وقام سليمان الباروني بالإتصال بقادة البلاد، وزعمائها وعمل على نبذ الخلاف، وتوحيد الصف ويحفظ لنا التاريخ بعض الرسائل التي أرسلها سليمان الباروني من مصراته إلى الأعيان والمشايخ يخبرهم فيها بقدومه ومن هؤلاء المشايخ الشيخ سوف رئيس المجاهدين في العزيزية: (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم:
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: عدنا ولله الحمد - والعود أحمد - إلى وطننا العزيز من دار الخلافة العظمى تحملنا عفاريت البحر السابحة فوق جبال الأمواج تارة، وتحت عمق خمسين ذراعاً في لجج اليمّ أحياناً إلى أن قال: عدنا ولله الحمد، ومعنا كل مايلزم، واستقبلنا أهل مصراته الكرام بكل سرور وابتهاج، هذا وقد تفضل أمير المؤمنين أيده الله - فأمر حكومته بإلحاق طرابلس الغرب بلادنا بالولايات العثمانية، واقتضت إرادته السنية إرسالي لأجل إجراء الترتيبات اللازمة ملكية وعسكرية وتعهد أن يوالي المدد إلى النهاية كما تطلعون على ذلك في منشوره العالي الشأن. وسنعرفكم من مركز مسلاته بعد المذاكرة مع البطل الغيور رمضان بك ومن معه من الأبطال عن المكان واليوم الذي يصير فيه الاجتماع العمومي إن شاء الله، فانتظروا جوابنا والسلام الأسنى على العلماء الأفاضل والمشايخ ورجالكم الكرام[4].

19 ذي الحجة سنة 1334هـ

من أخيكم سليمان الباروني

وقبل سفره إلى مسلاته أرسل كتاباً إلى محمد إدريس السنوسي يطلب منه الإنسحاب من سرت قطعاً للفتنة والنزاع. وهذا نصه بعد الديباجة:

---

(1) انظر: مجلة الانقاذ عدد 29 بقلم سالم نوح، ص45،44.

(2) انظر: جهاد الابطال للزاوي، ص203.

(3) انظر: مجلة الانقاذ عدد 29 بقلم سالم نوح، ص44، 45.

(4) انظر: جهاد الابطال، ص205.

هذا وقد وصلت مصراته مرسلاً من لدن حكومتنا السنية بطلب من الأهالي بعنوان والي قومندان طرابلس. ولدى وصولي المركز وصل الخبر بأن قوة قدمت من جهة برقة تحت قيادة القائمقام موسى بك واحتلت قصر سرت بعد أن بارحتها قوة الزاندرمة التي هناك من طرف رمضان بك السويحلي باسم الدولة العثمانية، فبادرت بإرسال جواب إلى موسى بك والشيخ صالح الأطيوش لأنه بلغني أنه مع القوة المذكورة، فجاء الجواب من الشيخ صالح مبيناً فيه أنه ماقدم إلا بأمر من سيادتكم ومن نوري باشا بعنوان (متصرف سرت) فتأسفت لأنه كان أول أمر أصدرته متعلقاً بتجهيز قوة لمقابلة تلك القوة المنسوبة إليكم إلا أنني أمرت قومندان القوة أن يتحاشى - ما أمكن - الدخول فيما يكدر الخواطر بين بني وطن واحد ودين واحد رجاء أن تتخلى القوة مختارة عن القصر بعد أن يبلغها المنشور السلطاني الذي أرسلناه إليكم.
بناء عليه أرجو المبادرة إلى تسوية هذه المسألة إن كان أمر حركتها صادراً منكم[1].
27-28 ذي الحجة سنة 1334هـ.
فرد عليه السيد محمد أدريس برسالة قال فيها:
(... وذكرتم نزول عساكرنا بسرت فصحيح ذلك قبل قدومكم، اذا كانت الفتن مشتعلة بين السويحلي وترهونة، فأجبرنا الحال على ان نطفأها بأي كان ، قال تعالى : {وإن طائفتان} وذكر الآية، فأرسلنا الجيش ونزل بسرت من دون اذن أحد .. وها نحن امرناهم بأن يقفوا بالقصر .
ونحن لاغرض لنا الا اتحاد الإسلام وتخليص رقاب المسلمين فقط، كما اننا نأمل من جانبكم معاونتنا على اطفاء الفتن .. ونحن وأنتم لا فرق بيننا، كلنا قصدنا شريف ومحارب تحت الراية الاسلامية العثمانية[2].

8 محرم سنة 1335هـ
محمد ادريس بن السيد المهدي

كانت تركيا حريصة على دعم ثورة ليبيا في تلك الايام ولذلك ارسلت الامير عثمان فؤاد قائداً عاماً بدل الباروني في مارس 1918م وكان في صحبته البارون فريد فون توندروف الالماني الذي جاء معه فريق فني لتسيير التلغراف اللاسلكي، وكان الأمير عثمان يحمل لقب (القائد الأعلى للقوات الافريقية)[3].
جاء الأمير عثمان فؤاد إلى مصراته في مارس سنة 1918م لتنفيذ سياسة متفق عليها بين الترك والألمان لتغذية الثورة في طرابلس ضد الطليان، حتى إذا ماوافقوا حاولوا أن تمتد الثورة إلى برقة للإغارة على الإنجليز في مصر مرة ثانية.
وكان مما تنطوي عليه هذه السياسة إحياء فكرة جمهورية شمال إفريقية التي قامت من أجلها ثورة الحامة بتونس عام 1915م، وقد وجدوا من نشاط الطرابلسيين ما شجعهم على المضي في العمل من أجلها.
كان الاستعمار الفرنساوي في شمال إفريقية مضرب المثل في الاستبداد بالمسلمين والإساءة إليهم، وكان الأحرار من التونسيين، والجزائريين والمراكشيين يفكرون دائماً في التخلص من هذا الكابوس الذي جثم على صدورهم وسلب حقوقهم، وقد انتهزوا فرصة نشوب الحرب في عام 1914م فألف جماعة منهم في الأستانة وفداً أخذ يعمل لإنشاء (جمهورية شمال افريقية) ينضوي

---

(1) انظر: جهاد الابطال، ص205.

(2) انظر: جهاد الابطال، ص206.

(3) انظر: عبدالنبي بالخير، داهية السياسة وفارس الجهاد، محمد المرزوقي ، ص102.

تحت لوائها من حدود مصر إلى حدود بحر الظلمات، وكان في مقدمة هؤلاء السادة المجاهدين السيد علي باشا حنبه، والشيخ صالح الشريف، والشيخ إسماعيل الصفايجي، وهؤلاء الثلاثة من تونس، ومعهم جماعة من الجزائريين والمراكشيين، وزار الوفد ناظر الخارجية العثمانية، وأبلغه رغبة سكان شمال إفريقية في الاستقلال، وإنشاء جمهورية افريقية متحدة، وطلبوا منه إبلاغ ذلك إلى ألمانيا والنمسا رسمياً، وأن يسمح لهم بالسفر إلى برلين وفيينا لبسط مطالبهم والحصول على الوعود والمساعدات اللازمة.
وعرض اقتراح الوفد على سفير إلمانيا في تركية، فأبلغه بأن حكومته لاتتعهد لأبناء شمال أفريقية بالاستقلال إلا إذا ثاروا على الفرنساويين الذين يحتلون بلادهم، وغادر الوفد الأستانة عقب ذلك إلى برلين وزار وزارة الخارجية الألمانية، وقدم طلباته فقبلتها وسجلتها رسمياً، كما اعترفت بها النمسا وتركية أيضاً، فكان ذلك أول اعتراف دولي بالجمهورية الإفريقية المتحدة في شمال إفريقية.
وقصد الوفد بعد ذلك إلى لهاي (مقر المحكمة الدولية)، فسجل هذا الاعتراف في سجلاتها، لأن عصبة الأمم لم تكن أنشئت إذ ذاك.
وتنفيذاً لرغبة الألمان في الثورة على الفرنساويين، ورجاء الوفاء بما وعدوا به الوفد من المساعدة، وإمداد الثورة بما يلزمها من المال وآلات الحرب وإنشاء جمهورية شمال افريقية قامت ثورة الحامة سنة 1915م، فاضطرت فرنسا إلى أن ترسل من جيشها ثلاثين ألفاً لإخماد الثورة. وقد اختيرت الحامة مكاناً للثورة لقربها من الحدود الطرابلسية، وليسهل الإتصال بها والاستناد إليها، وكانت إذ ذاك على أشدها، وقد قام بهذه الثورة الشيخ سعيد دبان من أعيان جنوب تونس وممثله في الجمعية الشورية، فأغار على مراكز الفرنساويين في الحامة، وقد تداركها الفرنساويون بجيوشهم فأخمدوها في مدة خمسة أيام، وأسفرت عن قتل الشيخ سعيد وابنه وخادمه، وجماعة من رجاله، وعن نحو مئة قتيل من الفرنساويين. وانتقم الفرنساويون ممن وقعوا في أيديهم من أنصار الشيخ سعيد بالقتل والشنق والسجن. والتجأ كثير منهم إلى الحدود الطرابلسية، وجاهدوا مع الطرابلسيين، وكانوا يسمونهم المهاجرين وكان كبيرهم الشيخ الوحيشي رحمه الله[1].
إن هذه الثورة، وهذه الدعوة لقيام جمهورية شمال إفريقية تحتاج إلى دراسة واعية، متأنية، عميقة، لعل الأجيال تستلهم دروساً من الماضي وتجعلها نبراساً لها في المستقبل.
كانت الحرب إذ ذاك قائمة في جزيرة العرب بين الإنجليز والعرب من ناحية، وبين الترك من ناحية أخرى، ولم يطل الأمر حتى رجحت كفة الإنجليز على الترك، ثم اشتد الضغط عليهم من الجيوش العربية والإنجليزية في الشام، وتلاحقت عليهم الهزائم، وتحطمت جيوشهم، وضعفت عزائمهم، واضطروا للاستسلام وعقد الترك والحلفاء معاهدة جزيرة (موندروس) في 31 أكتوبر سنة 1918م تعهدت فيها بسحب جيوشها من جميع البلاد ومما جاء في هذه المعاهدة مما يتعلق بطرابلس في المادة 17 (يجب على جميع الضباط الترك في طرابلس الغرب أن يسلموا أنفسهم إلى أقرب مركز إيطالي. ويجب على تركية أن تقطع الأرزاق والمساعدات وكل صلة مع هؤلاء إذا لم يذعنوا ويسلموا).
وجاء في المادة 19 (تسلم جميع الموانئ في طرابلس ومصراته إلى أقرب قائد لجيوش الحلفاء).
وكانت هذه المعاهدة آخر سلاح استعمله الحلفاء لقطع صلة الترك بالعرب، كما كانت آخر عهد العرب بدولة آل عثمان التي تفككت أوصالها، وتراخت بها الحياة، وزال ظلها بعد أن حكمتها 416سنة، من عام 922هـ إلى 1338هـ لم تنقطع صلتها بها. حتى وصلت في آخر عهدها إلى أحط

(1) انظر: جهاد الابطال ، ص219،218.

الدركات، وطوى التاريخ صفحاته على مالها وما عليها[1] ولقد تعرضت للدولة العثمانية في كتابي السادس (الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط).

إن لله سبحانه وتعالى سنناً ثابتة في حركة الإنسان في هذا الكون وهذه السنن، كما عرّفنا عليها القرآن الكريم ذات ارتباط وثيق بقضية الإيمان، والكفر والعدل والظلم، وقضايا السلوك الإجتماعي والأخلاقي للمجتمعات البشرية، والذي يحدد لنا اتجاهات السنن الربانية هو القرآن الكريم فهو الذي عرفنا بالخير والشر وبالحق والباطل، والعدل والظلم[2]، وقد بين لنا القرآن الكريم أن الحياة الهادئة المباركة الآمنة لاتكون إلا في ظل الإيمان والتقوى والاستقامة على منهج الله تعالى قال تعالى: {ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون} (الأعراف:96).

وإن الإعراض عن منهج الله وترك العمل بشريعته يؤدي بالأمة إلى مدارك الهلاك وضنك الحياة المادية منها والنفسية، ويرفع التمكين والنصر، وتنزل الهزيمة والخذلان بسبب المعاصي، والذنوب، والكبائر والابتعاد عن صراط الله المستقيم وحبله المتين.

لقد كان لسقوط تركيا في الحرب العالمية الأولى أثر سيئ على حركة الجهاد بطرابلس، وساهم خبر سقوطها في إخماد جذوة الحماس، وبث في قلوب الطرابلسيين الوهن، وأفزعهم كثيراً على مصيرهم المظلم.

وسرعان ما انتشر خبر هزيمة تركيا في مصراته وامتد منها إلى غيرها، فاضطربت أحوال الناس، وهاجت نفوسهم، وتشوشت أفكارهم.

كان لسقوط تركيا سبب رئيسي في ظهور فكرة الجمهورية الطرابلسية وطرحت على بساط البحث، واشترك فيها رمضان بك، وعزام بك، والباروني باشا، والأمير عثمان، ومختار بك كعبار وانتهت نتائج المباحثات بالموافقة على فكرة تأسيس الجمهورية، وأرسلت الدعوة إلى رؤساء القبائل وزعمائها وشيوخها باسم الأمير عثمان لعقد اجتماع عام في مسلاته لإعلان الجمهورية، وفي يوم السبت الثالث عشر من صفر سنة 1337هـ الموافق 16 من نوفمبر سنة 1918م اجتمعت الوفود الطرابلسية في جامع المجابرة بمسلاته، وهو أكبر جامع فيها، وحضر الامير عثمان فؤاد، وأخبر المؤتمرين أن الاستاذ عبدالرحمن عزام بك سيخطب فيهم بالنيابة عنه، وأنه سيتحدث نيابة عنه وطلب منهم الموافقة على ماسيطلبه منهم.

وخطب الاستاذ عزام خطبة مؤثرة حث فيها الناس على وحدة الصف، ونبذ الخلاف، وعلى العمل الجاد للوصول الى استقلال البلاد، وطرد الغزاة ثم طرح عليهم فكرة انشاء حكومة وطنية تتوحد فيها الكلمة وتتولى امور البلاد، وتنظر في شؤون الامة، فلقت الفكرة استجابة من الجميع، واجماعاً بدون خلاف وسميت الجمهورية الطرابلسية[3]. واجريت الانتخابات في الحال لاختيار أعضاء الجمهورية، فأسفرت الانتخابات عن الآتي:

---

(1) انظر: جهاد الابطال ، ص320،319.

(2) انظر: صفحات من تاريخ ليبيا الاسلامي، علي محمد الصلابي، ص83.

(3) انظر: جهاد الابطال، ص224.

أولاً: تشكيل مجلس إدارة الجمهورية:

وكان اعضاء هذا المجلس اربعة من أقوى الزعماء نفوذاً على سكان منطقتهم وهم : سليمان الباروني، احمد بك المريض، رمضان بك السويحلي، عبدالنبي بك بالخير، وكان جميع القرارات والأوامر الصادرة من هذا المجلس، تمضي بأسماء الأعضاء ، الأربعة، إظهاراً لاتحاد اصحابها وتقوية لاعتمادها بين الناس، وانتخب الى جانب الأربعة مراقباً ومديراً مالياً لمالية الجمهورية، هو زعيم غريان مختار بك كعبار، وكان ذا ثقافة عصرية عالية درسها بالمعاهد التركية، وكان أحد نواب طرابلس في البرلمان العثماني باستانبول، وجعل الاستاذ عبدالرحمن عزام مستشاراً لشؤون الجمهورية، وارتبط بمجلس الادارة جميع الموظفين، وشؤون الجهاد، والأمور الاجتماعية.

ثانياً: مجلس شورى الجمهورية:

وشكلت الهيئة الثانية وهي مجلس شورى الجمهورية، والغاية من إيجاده هو ليساند مجلس الادارة الحكومية، في قيامها بأعمال وواجبات تشبه الى حد ما، وظائف مجلس النواب، والشيوخ في البلدان الاخرى، ذات الأنظمة الدستورية، وقد تألف هذا المجلس من أربعة وعشرين (24) عضواً، ضم كافة أعيان الجهات من فزان جنوباً الى العجيلات شمالاً، ومن سرت شرقاً الى نالوت وغدامس غرباً.

واختاروا المجاهد الكبير، الشيخ محمد بك سُوف زعيم قبيلة المحاميد وحفيد غومة المحمودي صاحب الثورة الكبيرة ضد الترك رئيساً لمجلس الشورى، ونائبه يحيى بك الباروني ، شقيق سليمان الباروني[1].

وأما باقي الأعضاء فهم:

الشيخ عبدالصمد النعاس	عضواً	ترهونة
الشيخ مفتاح التريكي	عضواً	مسلاته
الشيخ علي بن رحاب	عضواً	قماطة
الحاج محمد بن خليفة	عضواً	الساحل
عبدالسلام الجدايمي	عضواً	زليتن
الحاج علي المنقوش	عضواً	مصراته
محمد المنتصر	عضواً	سرت
مفتاح التايب	عضواً	أرفلة
السيد محمد بن بشير	عضواً	أولا ابي سيف
عبدالرحمن بن بركان	عضواً	من مرزق-فزان
محمد بن أحمد الفايدي	عضواً	الشاطئ
الشيخ الحبيب عزالدين	عضواً	غدامس
ابراهيم أبي الأحباس	عضواً	الجبل
الحاج محمد فكيني	عضواً	الرجبان
الشيخ احمد البدوي	عضواً	الزنتان
سالم البرشوشي	عضواً	الجبل-يفرن
علي بن عبدالرحيم	عضواً	ككّلة
الشيخ شطيبة	عضواً	غريان

---

(1) انظر: رمضان السويحلي، محمد فشيكة ، ص196،195.

علي بن تنتوش	عضواً	ورشفانة
عبدالرحمن شلابي	عضواً	الزاوية
علي شلابي	عضواً	النواحي الأربعة
عبيدة المحجوبي[1]	عضواً	عن صرمان والعجيلات

ثالثاً: مجلس الجمهورية الشرعي:

وعرفت الهيئة الثالثة باسم (مجلس الجمهورية الشرعي) وكانت أعماله، وأحكامه القضائية وفقاً لاحكام الفقه الاسلامي، على مذهب الامام مالك، وعرف وتقاليد البلاد، واسندت عضويته الى أربعة من كبار العلماء وهم : الشيخ الزروق بوخريص (من غريان) - الشيخ محمد الإمام (من الزنتان)، الشيخ عمر المساوي (من الزاوية) ، الشيخ مختار الشكشوكي (من مدينة طرابلس)[2].

مؤشرات ودلائل:

كان لاختيار اسم الجمهورية دلالة واضحة على اطلاع الليبيين في ذلك الوقت على أنواع الانظمة السائدة في العالم ومنها النظام الجمهوري، ولإطلاق لفظ الشورى دلالته الخاصة التي توحي بالتأصيل والتمسك بالمصطلح وما يضيفه ذلك المصطلح من أبعاد اسلامية وتاريخية كما تدلنا على معرفة الاجداد لأهمية الشورى وانها من قواعد النظام الاسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم.

قال تعالى : {والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون} (سورة الشورى، آية 38). لقد قرنت الآية الكريمة الشورى بين المسلمين بإقامة الصلاة، فدل ذلك على أن حكم الشورى كحكم الصلاة واجبة شرعاً، فكذلك الشورى واجبة شرعاً[3].

إن هذه الاية قد نزلت في سورة سميت سورة الشورى، وهي مكية، ولقد جاءت مؤكدة أن تكون الشورى صفة ملازمة للجماعة الاسلامية، وسلوكاً اجتماعياً لا يغادرهم قبل قيام الدولة الاسلامية وبعد قيامها، فإن كلمة أمرهم من ألفاظ العموم تشمل جميع شؤونهم في الحياة العامة ، والمشتركة[4].

كما أن اعتماد طريقة الترشيح والانتخاب كوسيلة مثلى لتولي المسؤولية والوصول الى المناصب السياسية الهامة في الدولة اشارة ودلالة على اهتمام الأجداد بهذا المبدأ رغم أن الفترة كانت فترة جهاد وحرب ، واستنفار.

كما أن اختيار المسجد (جامع المجابرة) للاجتماع وإجراءات الترشيح، والانتخابات والاتفاق على إقامة الجمهورية والتعهد بإقامة العدل، يؤكد على أن نظرة المجاهدين للجامع لا تقتصر على اعتباره مكاناً للعبادة فقط، وإنما هو محلاً للعمل السياسي، والنشاط الاجتماعي ، والحكم القضائي، كانت مساجد بلادنا عامرة بالنشاطات الشاملة، ونرجو من الله تعالى أن يوفق المسلمين للعمل الدؤوب حتى ترجع المساجد شعلة نور، ومحضن تربية، ومنبراً للدعوة الى الله.

ان المساجد في بلادنا اصبحت في احسن احوالها مقتصرة على اداء الصلوات فيها وجردت من

---

(1) انظر: جهاد الابطال، ص226،225.

(2) انظر: رمضان السويحلي، فشيكة ، ص199.

(3) انظر: النظام السياسي في الاسلام لأبي فارس، ص90.

(4) انظر: فقه التمكين في القرآن الكريم للصلابي ، ص447.

مهامها الاخرى.
إن ماقام به الاجداد من التقاء واجتماع في مسجد المجابرة في مسلاته دليلاً على معرفتهم لوظائف المسجد في الأمة.

لقد كان المسجد في عهد رسول الله ﷺ مكان الاجتماع العام الذي كانت جلسات الشورى تعقد فيه، وكان يتم توزيع العطايا، كما كانت التبرعات تجمع للمحتاجين....الخ.
ومن الأدلة على ذلك:

استشارة النبي ﷺ اصحابه رضي الله عنهم في غزو احد، فقد استشارهم في المسجد بعد صلاة الجمعة، وكان رايه ﷺ أن يبقى المسلمون متحصنين داخل المدينة، لكن الأغلبية من الشباب كانت تفضل ملاقاة المشركين خارج المدينة حتى لايفوتهم اجر الشهادة في سبيل الله الذي فاتهم يوم بدر، وقد فضل النبي ﷺ النزول لرغبتهم اخيراً، فخرج لملاقاة المشركين خارج المدينة[1].
إن الأدلة في هذا المعنى كثيرة ومن أراد التوسع فعليه مراجعة كتاب الدكتور محمد احمد كيف نعيد للمسجد مكانته.
كما أن تشكيل المجلس الشرعي للنظر في قضايا الجمهورية الوليدة، والمخالفات والجنايات بين المواطنين، وتحديد العلماء الذين يشرفون على هذه المهمة لدلالة قاطعة على احترام الاجداد للعلماء والفقهاء، وعلى حرصهم على جعل الشريعة الاسلامية هي الدستور للجمهورية مما يؤكد على اجتهاد الليبيين الأصيل وعدم نجاح الغزو الفكري في ذلك الوقت في التأثير على اختيارات المواطنين النابعة من عقيدتهم ودينهم وتراثهم الاسلامي العظيم.
إن من أخطر عوائق النهوض بالامم غياب القيادة الربانية وذلك أن قادة الأمة عصب حياتها، وبمنزلة الرأس من جسدها، فإذا صلح القادة صلحت الأمة، وإذا فسد القادة صار هذا الفساد الى الأمة، ولقد فطن أعداء الاسلام لأهمية القيادة في حياة الأمة الاسلامية، ولذلك حرصوا كل الحرص على ألا يمكنوا القيادات الربانية من امتلاك نواصي الأمور، وأزمة الحكم في الأمة الاسلامية ففي خطة لويس التاسع أوصى بـ (عدم تمكين البلاد الاسلامية والعربية من أن يقوم بها حاكم صالح) كما أوصى بـ (العمل على إفساد أنظمة الحكم في البلاد الاسلامية بالرشوة ، والفساد، والنساء ، حتى تنفصل القاعدة عن القمة)[2].
إن العمل السياسي عندما يكون خالياً من العلماء الربانيين لاتتحقق ثماره المرجوة، إن العلماء الربانيين هم الذين جعل الله عز وجل عماد الناس عليهم في الفقه ، والعلم وأمور الدين والدنيا والعلماء وهم : أئمة الدين ، ونالوا هذه المنزلة العظيمة بالاجتهاد، والصبر، واليقين {وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون} (سورة السجدة، آية 24).
إن العمل السياسي في بلادنا خالياً من العلماء الربانيين وكأن العالم الرباني والعمل السياسي طرفي نقيض وهذا فهم خاطئ، بل تاريخ الأمة في صراعها بين الحق والباطل، والهدى والظلال، والنور ، والظلام، لخير دليل على دور العلماء الربانيين في حركة النهوض.
ولابد من التفريق بين العلماء، والمفكرين، والمثقفين، إن مفكري الأمة لهم مكانتهم ، وقد نفع الله بهم نفعاً كبيراً، ولكنهم مع ذلك لن يغنوا عن العلماء شيئاً إلا في حدود علمهم، وقدراتهم كما أن المثقفين وهم ، فئة من الأخيار الصالحين، ذوي تخصصات علمية برزوا فيها، سواء في العلوم

(1) انظر: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام (162/8).

(2) قادة الغرب يقولون ، جلال العالم، ص63.

التجريبية مثل، الطب والهندسة والكيمياء او في العلوم المسماة بـ(العلوم الانسانية) مثل علم النفس وعلم التربية وعلم الاجتماع، فهؤلاء وإن حمد لهم تخصصهم في مثل هذه العلوم فصاروا مرجعاً فيها، فإنهم غير مختصين في العلوم الشرعية، وهم في الاصطلاح العلمي الشرعي جمهور المسلمين، وعوامهم الذين يجب عليهم أن يكونوا وراء العلماء، ويجب عليهم أن يرجعوا للعلماء في أمور الشريعة ، ويكونوا عوناً لهم في شرح واقع تخصصاتهم، فالطبيب يشرح الأمور الطبية، والاقتصادي يشرح الجوانب الاقتصادية العصرية ، وهكذا ليفهم العلماء والفقهاء الأمور على حقيقتها، ويستخرجوا الحكم الشرعي وفق دراسة واعية ومتفتحة، إن كلام (المفكرين) والمثقفين يجب أن يكون محكوماً بالشرع، وأما إذا بنى هؤلاء المثقفون والمفكرون كلامهم في أمور الشريعة، وأحوال الأمة العامة على اساس من العقول والأهواء، وإطلاق القول بالمصالح دون نظر في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ ، وأقول العلماء الراسخين، فإنهم بذلك يكونون أشبه بأهل الكلام[1].

ولابد من التفريق بين القارئ للعلوم الشرعية والفقيه فيها:

إن القارئ لديه نتف وجزيئات أمسك بها من خلال قراءته لبعض الكتب، واطلاعه على أقوال أهل العلم فهو لم يعان العلم، ولم يشافه العلماء، ولم يزاحمهم بالركب في الحلق.

أما العالم الفقيه فليس كأولئك بل هو ذو فهم شمولي عام للاسلام ، واطلاع على مجمل الأحكام الشرعية، فهو لم يقرأ نتفاً، بل درس العلوم الشرعية دراسة شاملة عامة. فمر على مسائل العلم واستطاع تخريجها على أصولها، وأصبحت لديه ملكة فهم النصوص، وعرف مقاصد الشريعة، وأهدافها العامة.

إن علمه لم يأته من قراءة ليلة بل من سهر الليالي ومعاناة الأيام، فشأن العلماء أنهم لايقفون عند حد في التعلم، بل هم دائمو الطلب ، دائبو التعلم[2].

ولابد من التفريق بين العلماء والخطباء والوعاظ إن العالم قد يكون بطبعه قليل الكلام غير قادر على الخطابة، وقد يكون من العوام من هو بليغ اللسان يقلب الألفاظ كيف يشاء.

هذا التفريق مهم جداً في مابين العلماء الراسخين وممن يشتبه بهم، ولذلك لابد أن يقود العمل الاسلامي القادة الربانيون وعلى رأسهم العلماء الراسخون.

إن الشريعة الاسلامية أعطت اعتباراً للعلماء، وبنته على أمرين مهمين:

1- طاعتهم طاعة لله -عز وجل- ولرسوله ﷺ، فالتزام أمرهم واجب.

2- أن طاعتهم ليست مقصودة لذاتها، بل هي تابعة لطاعة الله ورسوله ﷺ.

والادلة على هذه المنزلة، وهذا الاعتبار للعلماء في الشريعة غير منحصرة ، فمنها:

قوله تعالى : {يا أيها الذين آمنوا أطيعو الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم} (سورة النساء، آية : 59).

وقد اختلف المفسرون في أولي الأمر منهم على أقوال:

فقيل هم السلاطين وذوو القدرة.

وقيل : هم أهل العلم.

يقول الامام ابن القيم الجوزية -رحمه الله- : (والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى

---

(1) انظر: فقه التمكين في القرآن الكريم، ص232.

(2) انظر: قواعد في التعامل مع العلماء، ص33.

العلم، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول ﷺ فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول ﷺ، فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء، ولما كان قيام الاسلام بطائفتي العلماء والأمراء، وكان الناس لهم تبعاً، كان صلاح العالم بصلاح هاتين الطائفتين ، وفساده بفسادهما)[1].

إن وضع الثقة في العلماء الربانيين لخطوه مباركة في ترشيد الأمة التي تسعى نحو تحكيم شرع الله والتمكين لدينه.

إن القيادة الربانية ، والتي على رأسها العلماء الذين وصلوا الى درجة النظر في فقه الاسلام من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، هم الذين يجب أن يقودوا الأمة نحو مرضات الله.

إن أعداءنا من اليهود ، والنصارى، والملاحدة والعلمانيين، أيقنوا أن من أسباب قوة المسلمين التفافهم حول علمائهم وقادتهم، ولذلك شنوا هجوماً عنيفاً من أجل زعزعة ثقة الامة في علمائها وقادتها واستعملوا اساليب متنوعة للتشويه والطعن فيهم؛ لأن العلماء هم الوصلة الحقيقية بين الأمة ، وقرآنها، وسنة نبيها ﷺ.

وقد لاحظ الاستعمار الأوروبي الحديث ذلك، وما الثورات التي فجرت الاستعمار إلا بقيادة العلماء، والقادة الربانيين، من المغرب الى المشرق، وفي كل ديار المسلمين ولذلك قام اليهود ، والنصارى، والملاحدة بتشويه صورة القادة والعلماء بواسطة المسرح، والتلفاز، والمجلة، الجريدة، والنوادي، والغناء، وكل وسائل الاعلام، وإذا أردت أن تعرف هجومهم الاعلامي ابتداء من العقود الماضية، فلتراجع كتاب المشايخ والاستعمار للاستاذ حسني عثمان، فإنه أجاد.

إن القيادة الحكيمة وهي تسعى لتحكيم شرع الله تعالى، وإقامة دولة الاسلام توقن إقاناً جازماً أن المجتمع لن يكون اسلامياً بجرة قلم ، أو بقرار يصدر من ملك ، أو رئيس، أو مجلس قيادة، أو برلمان إنما يتحقق ذلك بطريق التدرج، والاعداد ، والتهيئة الفكرية، والنفسية، والاخلاقية، والاجتماعية ، وإقامة البدائل الاسلامية للأوضاع الجاهلية التي تأسست عليها مؤسسات عدة لأزمنة مديدة.

فهي تعين الهدف، وتوضع الخطة، وتحدد المراحل بوعي وصدق، بحيث تنتقل من مرحلة الى مرحلة بتخطيط، وتنظيم، وإرادة قوية، معتمدة على الله تعالى حتى تصل المسيرة الى مرحلة النهوض الشامل لدولة الاسلام المنشودة.

إن القيادة الربانية الحكيمة والتي تسعى لتحكيم شرع الله تعطي للعلوم بأنواعها أهمية، وخصوصاً في علوم الشرع ، وتركز عل علم المقاصد، وفقه الموازنات، وفقه الخلاف وفقه الأولويات، وفقه السنن الربانية، لأهميتها في زماننا هذا، بل هي من أفضل العدة بعد تقوى الله تعالى للعاملين من أجل تحكمي شرع الله[2].

إن القيادة الربانية الحكيمة هي التي تفجر طاقات الأمة ، وهي التي تحتضن الاسلام وتنتهجه قلباً وقالباً، عقيدة وشريعة ، وديناً ودولة، وهي التي تصبح وتمسي وهماها عقيدتها وأمتها، وهي التي تسعى بكل ماتملك لحل المشاكل التي تواجهها، وتعمل بكل جهد، وإخلاص للقضاء على عوائق النهوض الداخلية والخارجية.

---

(1) انظر: أعلام الموقعين (10/1).

(2) انظر: فقه التمكين في القرآن الكريم، ص240.

إن العمل لبناء الأمة، وأحياء الشعوب يحتاج لمعرفة بالسياسة الشرعية، وأمور الجهاد، والهدنة، والمصالح والمفاسد، وغير ذلك من الاحكام التي تتناول مظاهر الحياة، وهذه العلوم من لها إن لم يكن العلماء الربانيون لها.

رابعاً: قسم الجمهورية والبلاغات:

لم يستطع بعض أعضاء مجلس الشورى الاجتماع، بل كان بعضهم غائباً، وإنما انتخب توزيعاً للمسؤولية وتحقيقاً للمساواة والوحدة بين جميع القبائل. وقبل الانصراف من المسجد أقسم الحاضرون جميعاً يمين الولاء والاخلاص للجمهورية، وتوكيداً لليمين أحضروا مصحفاً وكل من أراد اليمين وضع يده عليه وهذا نص اليمين:
(أقسم بالله العظيم قابضاً بيدي على هذا القرآن الكريم أن أجعل نفسي ومالي فداء لوطني، وحكومتي الجمهورية الطرابلسية. وأن أكون لعدوها عدواً ولصديقها صديقاً، ولقانونها الشرعي مطيعاً)[1].
ثم وزع الأمير عثمان بعض النياشين والرتب على أعضاء الجمهورية وكثير من الأعيان والوجهاء.
ومن هذا التاريخ أصبحت الحكومة الجمهورية الطرابلسية قائمة وأصبح لها عهد في عنق كل طرابلسي يحميها مما يحمي منه نفسه وماله، وأصبح واجب عليه الالتزام بما أقسم عليه من الولاء والإخلاص[2].

أ- بلاغات الجمهورية:

وكان أول ماقام به مجلس الادارة من الأعمال أنه أذاع بلاغه الأول، على أبناء الشعب الطرابلسي، عن قيام الجمهورية الطرابلسية، وذيل بتوقيعات الأعضاء الأربعة بمجلس الادارة وكان هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(في الساعة الرابعة والنصف من يوم السبت المبارك، الثالث عشر من شهر رمضان سنة 1337هـ قررت الأمة، تتويج استقلالها بإعلان حكومة الجمهورية بإتفاق آراء علمائها الأجلاء، وأشرافها ، وأعيانها، ورؤساء المجاهدين المحترمين، الذين اجتمعوا من كل أنحاء البلاد، وقد تم انتخاب أعضاء مجلس الجمهورية، وأن الأمة الطرابلسية تعتبر نفسها، حائزة لاستقلالها، الذي اكتسبته بدماء أبنائها وقوتها، منذ سبع سنين، وسعيدة بالوصول الى هذه الغاية التي هي أشرف ماتصل إليه الأمم، وتهنئ أبناءها بتمام نجاحهم واتحادهم، على الثبات في الدفاع عن وطنهم وحكومة الجمهورية الجديدة والتوفيق من الله تعالى وحده).

13 صفر سنة 1337.

سليمان الباروني،
احمد المريض،
رمضان الشتيوي،

---

(1) انظر: جهاد الابطال، ص226.

(2) المصدر السابق نفسه،ص227.

عبدالنبي بالخير[1].

وفي أثناء إعلانات البلاغات السياسية عن الجمهورية، كان قد اختاروا المتصرفين والقائمقامين، ونقل بعضهم، وعين موظفي المناطق ، وعين الموظفين للعمل بمجالس الجمهورية، كما عين لقيادة الجيش الجمهوري اللواء الفخري عبدالقادر الغناي وهو من بنغازي، ولكنه لم يكن من المقدرة القتالية المطلوبة، وبلغ من ضعفه أنه سلم الزاوية الغربية للطليان في أول يناير 1919م[2].

ب- البلاغ الثاني:

كان البلاغ الثاني الى الضباط الوطنيين:

(الى حضرة الوطني

بما أن جنابك وطني صادق، ومجاهد في سبيل الدين والوطن، منذ ابتداء الحرب الطرابلسية فإننا ندعوك الى تقديم طاعتك لحكومتك الجمهورية الجديدة والقيام بما نقلدك إياه من الخدمة والدفاع عن شرف الوطن حتى تنال منها شرف الاحترام، والترفيع، وتبرهن للعالم أنك ابن الوطن العزيز وأحد رجاله الذين سيحفظ لهم التاريخ ذكرهم المجيد)[3].

ج-البلاغ الثالث الى رئيس الحكومة الإيطالية:

(تفتخر الأمة الطرابلسية بتتويج استقلالها بإعلان الحكم الجمهوري وانتخاب نواب عنها من كافة انحاء القطر لمجلسي الحكومة والشورى ولا هدف لها إلا ضمان وحدتها وحريتها داخل حدودها السياسية المعروفة، ولا تقصد إلا أن يعيش عيشة هنيئة مسالمة لجميع الأمم التي لاتحاول غصب حقوقها لذلك فالحكومة الجمهورية الطرابلسية تدعو الحكومة الايطالية الى الاعتراف بها، وسد كل باب يضطر الحكومة الطرابلسية الى مداومة الحرب الى أن تحقق أملها المشروع)[4].

13 صفر سنة 1337هـ

ملحق:

إذا قبلت المواد الآتية ووضعت موضع الاجراء فالحكومة الجمهورية الطرابلسية مستعدة للبحث مع الحكومة الايطالية في عقد صلح طبقاً للقواعد الآتية:

في حالة دوام المذاكرة يجب على كل من الطرفين المحافظة على مواقعه بصورة هدنة.

لا تقرب السفن الحربية السواحل غير المحتلة بالعساكر الايطالية.

لا تتجاوز الطائرات حدود الاستحكامات.

لا تقع مخابرة خصوصية مع أي أحد كان لا من جهة المناطق الحربية ولا من غيرها.

يقطع كل مافيه وسيلة للاختلاط بالأهالي من طرف الحكومة الايطالية كأخذ وإعطاء البضاعة وتوزيع الاعلانات على أي صورة وبأي طريقة كانت.

المخابرات الرسمية والدخول والخروج لايكون إلا من الموقع الذي يصير تعينه في منطقة الخمس من طرف الحكومة الطرابلسية.

---

(1) انظر: رمضان السويحلي، محمد مسعود، ص200،199.

(2) انظر: جهاد الابطال، ص228.

(3) انظر: جهاد الابطال، ص228.

(4) المصدر السابق نفسه، ص228.

الحكومة الجمهورية الطرابلسية مستقلة في شؤونها وحركاتها تمام الاستقلال، وغير مقيدة بأي شرط أو قيد تضعه حكومة أخرى أو تتعهد به لحكومة إيطاليا في طرابلس.

ضباط الترك والألمان الموجودون في داخل طرابلس هم بمنزلة ضيوف عند الحكومة الطرابلسية، ولاتسمح بسفرهم إلا بصورة تكفل منفعة وشرف الأمة الطرابلسية وحكومتها الجمهورية.

بما أن الأمة الطرابلسية لها الحق في إظهار حقوقها للعالم الانساني وبالخصوص الحكومات الموجودة قناصلها في مدينة طرابلس مثل انكلترا، وفرنسا، وأمريكا فعلى الحكومة الايطالية قبول وتوصيل مايرسل من الحكومة الطرابلسية إليها بدون اطلاع عليه، وأخذ سندات من القناصل المذكورين، وإرسالها الى الحكومة الطرابلسية حتى لاتضطر الى اتخاذ طريقة اخرى لمواصلة مخابراتها المذكورة.

المخابرة مع الحكومة الإيطالية لاتجوز إلا تحريراً ولايعتبر أي كلام شفهي[1].

13 صفر سنة 1337

الامضاءات

د- البلاغ الرابع : الى الرئيس ولسن :

"نتشرف بأن نعرض على فخامتكم أن الامة الطرابلسية قد توجت استقلالها باعلامها حكومة وجمهورية . وفي 16 نوفمبر 1918م تم انتخاب مجلس شوراها، ومجلس جمهوريتها.

إن قواعدكم المشهورة بالنسبة لمقدرات جميع الأمم سواء كانت في أوربا أو خارجها قد شجعتنا كثيراً على أن نضع آمالنا في مقاصدكم العظيمة ونواياكم العالمية الإنسانية.

إنه ليس هناك حد للحقوق والواجبات البشرية، لذلك إننا متأكدون من أنه لايمكنكم أن تنظروا بعدم الاكتراث إلى استعباد أمة صغيرة بقوة السلاح مثل أمة طرابلس وهي تقاتل لثامن سنة ضد الغاصب المعتدي بكل متانة وهي متأكدة من أن بسالة أبنائها قادرة على أن ترد قوات المعتدين عليها في كل زمان.

وإننا نؤمل أن عواطفكم السامية نحو الحكومات والأمم الصغيرة الحية ستحثكم على أن تمنعوا تكرار سفك الدماء بيننا وبين الطليان بتكليفهم بالاعتراف بحكومتنا.

وفي الختام نرجو قبول احترامنا ووضع المسألة الطرابلسية على بساط مذكرات الصلح العمومي.

ر- البلاغ الخامس : إلى رئيس الوزراء الإنجليزي:

(نتشرف بأن نحيط فخامتكم علماً بأن الأمة الطرابلسية قد توجت استقلالها بإعلانها الحكومة الجمهورية. وفي 16 نوفمبر سنة 1918م أعلنت نتيجة انتخابات مجلس شوراها ومجلس جمهوريتها.

ليس بين الامم من هو جدير بحريته واستقلاله أكثر من الأمة الطرابلسية التي تقاتل الى الآن ثماني سنوات ضد غاصب أرضها وحريتها، وإننا لاشك في أن إحساساتكم العالية نحو حرية الأمم والحكومات الصغيرة، كما أن غيرتكم على حماية العرب تجبركم على العطف على جمهوريتنا الجديدة الحرة. وإننا نؤكد لكم أيضاً أن قومنا وضعوا جل آمالهم في انكلترا حامية حقوق الأمم الصغيرة، فرجاؤنا أن تتفضلوا بوضع المسألة الطرابلسية على بساط مذكرات الصلح العمومية حتى تنال جمهوريتنا مايضمن لها مستقبلها. والمرجو قبول عظيم احترامنا)[2].

---

(1) انظر: جهاد الابطال، ص229،228.

(2) انظر : جهاد الابطال، ص230.

س- البلاغ السادس: الى رئيس الجمهورية الفرنسية:

(نتشرف بأن نحيط فخامتكم علماً بأن الامة الطرابلسية قد توجت استقلالها بإعلان الحكم الجمهوري. وفي 16 نوفمبر سنة 1918م أعلنت نتيجة انتخاب مجلسي الجمهورية والشوري.

إن ما قامت به فرنسا الحرة من نشر إعلان الحرية في العالم وتكبدها كل الصعوبات في سبيل حمايتها لايجهله أحد، وإنه لمكتوب على صفحات القلوب بمداد الحياة تتغذى به أرواح الأحرار في كل الأقطار لاينسخه توالي الدهور ولاتمحوه زلازل الحروب.

إن ماقام في هذا العصر بطلب حريته سواء كان بسيفه أو قلمه فإنما هو مستمد من منبع الحرية الزلال، ومقتبس من سناها الساطع، ومغترف من بحرها الطاف؛، ومستخرج من معدنها الصافي (قاعدة فرنسا الحرة) فلا عجب إذا قامت الآن فرنسا لحماية الأمم الصغيرة، كأمة طرابلس الغرب التي مابرحت تريق دماء ابنائها منذ سبع سنين وزيادة في سبيل نيل حريتها واستقلالها ورد جيوش إيطاليا الغاصبة لأرضها المعتدية على شرفها.

إن الأمة الطرابلسية التي لا تجهل تاريخ فخرها القديم لم ترض أن تساق الآن بعصا الذل والهوان، وأن تستعبد في زمن مادت فيه الأرض شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً بالحروب الهائلة لأجل تحرير بني الانسان.

إن كل من يتتبع التاريخ بإنصاف يجد أن الأمة الطرابلسية لم تملكها دولة من الدول، كما تملك البلاد ملكاً مطلقاً، بل لم تزل منذ خلقت أو عرفت بين الأمم في مناضلة كل من يقصد استعبادها سواء كان من الدول الاسلامية أو المسيحية وكانت ولاتزال تفضل الجلاء وسكنى القفار على تحمل الضيم والاحتقار. وهاهي أطلال بلادهم الخالية بادية، وأنسابها المنتشرة شرقاً وغرباً شاهدة؛ فسعى الأمة الايطالية وراء استعبادها الآن هو ضرب من طلب المستحيل، ولو راجعت تاريخ اجدادها وأجدادها القدماء لرأت فيه مايصدها الآن عن سفك الدماء.

لذلك تؤمل حكومة طرابلس الجديدة من جارتها الجمهورية الفرنسية أن تنظر الى المسألة الطرابلسية بنظرة الاهتمام والاعتبار، وأن تعن بوضعها على بساط مذكرات الصلح العمومي، وأن تقنع حليفة ألمانيا القديمة وحليفتها هي الآن حكومة ايطاليا بالاعتراف بحقنا المشروع حتى يقف تيار إراقة الدماء بين الأمتين، وتستريح البلاد والعباد، وتنل البلاد الطرابلسية نصيبها من هذه الراحة أيضاً فإن منفعة البلدين ومضرتهما واحدة)[1].

وقد أرسلت هذه البلاغات الى الحكومات الموجهة إليها ممضاة كلها بإمضاءات أعضاء الجمهورية. وعين موظفوا الادارة في جميع أنحاء القطر، وانصرف الاعضاء والموظفون كل الى عمله[2].

وهذه البلاغات تدل على إهتمام زعامة الجمهورية بالدول الكبرى، وحرصها على استمالتها والوقوف معها ومحاولة انتزاع الاعتراف بها ولكن يبدو أن تلك البلاغات لم تجد تجاوباً من أمريكا وفرنسا، وبريطانيا وذهبت في أدراج الرياح واستنكرت إيطاليا إعلان الجمهورية الطرابلسية، وعندما تلقى الإيطاليون بلاغ الجمهورية، أعلنوا فوراً أن دولتهم ترفض، بكل تصميم الاعتراف بقيام واستقلال الجمهورية الطرابلسية، ولاتسلم لها بشيء، مما جاء في البلاغ الموجه إليها والمواد الملحقة به، بل ليس لها من جواب على ذلك سوى استئناف الحرب الضارية معها إلى أن تخضع

---

(1) انظر: جهاد الابطال، ص232.

(2) المصدر السابق نفسه، ص232.

البلاد لحكمها بالقوة[1].
ومارست إيطاليا القوة ضد الطرابلسيين، ولكن بدون جدوى، واضطرت لدخول مفاوضات تمّ تتويجها بانعقاد صلح سواني بنيادم وعقد ذلك الصلح في ليلة 17 إبريل 1919م في قرية سواني بنيادم، غرب مدينة طرابلس نحو 12كم واعتبر الطرابلسيون ذلك الصلح انتصاراً سياسياً، وحربياً على خصمهم المتعجرف العنيد وأصدرت إيطاليا القانون الأساسي، الذي جعل الفرد الطرابلسي، في مصاف الفرد الإيطالي في الحقوق السياسية، والإجتماعية[2].
وعلق غرسياني على فوز العرب بهذا القانون فقال: (تلاشى به كل أمل لسيادتنا الفعلية على طرابلس، وأصبح السبيل ممهداً للطمات شديدة نتلقاها .. وقد كان من جانبنا تسليماً حقيقياً، وهذا الدستور يمنح عرب طرابلس تفوقاً وامتيازات مدنية وسياسية واسعة، دون أن يتحملوا كما هو الحال في البلاد المتمدنة، أعباء واجبات ثقيلة، في مقابل ممارسة الحرية بمفهومها الحديث)[3].

خامساً: القواعد الأساسية للقانون

والقانون الأساسي أو الدستور، اشتمل على أربعين فصلاً ولكن قواعده الأساسية ارتكزت في 16 مادة منه ونصها حرفياً كما يأتي:
1- تسمى الحكومة (حكومة طرابلس الغرب).
2- يدير أمور قطر طرابلس مجلس حكومة، مؤلف من ثمانية أعضاء وطنيين ينتخبهم مجلس النواب الطرابلسي، من بين أعضائه، ومن عضوين إيطاليين ينتخبهم النائب العام.
3- يرأس هذا المجلس حاكم عام بيده السلطات الملكية والعسكرية، معين من جانب ملك إيطاليا (لم يحدد القانون جنسية الحاكم فقد يكون عربياً وقد يكون إيطاليا).
4- يسن قوانين البلاد مجلس ينتخبه الأهالي، يتمتع بما لمجالس الدول الأخرى المتمدنة من سلطات وحقوق، وتكون مدته أربع سنوات، كلما جدد انتخابه، جدد مجلس الحكومة من بين أعضائه.
5- لاتنفق ضرائب البلاد إلا فيها، حسبما يقرره مجلس نوابها في وصفها وتوزيعها وجبايتها.
6- لايطبق من القوانين الإيطالية في طرابلس إلا مايقبله مجلس النواب الطرابلسي. ويوافق عليه لمصلحة البلاد.
7- ينظم من أبناء البلاد جند وطني بالتطوع، حسبما تقتضيه الحاجة وقائده هو الحاكم العام.
8- للوطنيين حق التوظف في الوظائف ملكية وعسكرية وقضائية وصحية وغيرها بالامتحان.
9- التعليم الأهلي حر تحت إشراف الحكومة.
10- اللغة العربية رسمية كاللغة الإيطالية.
11- وينتخب الأهالي رؤساء البلديات في العاصمة والملحقات.
12- يؤلف مجلس شرعي تستأنف إليه الأحكام الشرعية، وهو يعين القضاة.
13- للطرابلسيين الحائزين على شهادات عالية، الحق في مزاولة المهن الحرة كالطب، والمحاماة وغيرها في إيطاليا، كما هو في طرابلس.
14- الطرابلسي والإيطالي متساويان في الحقوق.
15- الأوقاف تدار بمعرفة هيئة إسلامية.

---

(1) انظر: رمضان السويحلي ، ص202.

(2) المصدر السابق نفسه، ص207.

(3) انظر: نحو فزان ، ص26.

16- تراعى حرية الدين والتقاليد الوطنية الحسنة كما في السابق.
وختمت مواد الدستور أو القانون الأساسي البالغ نيفاً وأربعين فصلاً بتوقيعات الآتية أسماؤهم وهم:
عن الطرابلسيين: سليمان الباروني - أحمد المريض - رمضان الشتيوي - أحمد الصويعي نيابة عن عبدالنبي بالخير.
وعن الطليان: الجنرال ماجور تارديتي، رئيس الدائرة السياسية، الجنرال (باسكانو) رئيس هيئة أركان حرب الجيش الإيطالي(1).
كانت إيطاليا تريد تخدير الرأي العام في إيطاليا الذي سئم من الحروب وويلاتها وأصبح الشعب بعد خروجه من الحرب العالمية الأولى محطم القوى، مهيض الجناح، لما تكبده من خسائر فادحة في إمكاناته الحربية، والعسكرية، والاقتصادية، مما جعل الرأي العام ينادي بنبذ الحروب، والاستعمار، وتزعم الحزب الاشتراكي الإيطالي هذه الدعوة، وعارض الحكومة في البرلمان.

وكانت الحكومة الإيطالية موطدة العزم سراً على نقض العمل بالقانون الأساسي، ببث الدسائس والفتن بين الزعماء في الظروف المناسبة لذلك، ثم إخضاع البلاد لحكمها والقضاء على الجمهورية(2).

كان مما جاء في القانون الأساسي الاعتراف بحكومة وطنية مقرها مدينة طرابلس وقد شكلت من ثمانية أعضاء وصدر أمر من الوالي الإيطالي بتعيينهم، وهذا نصه:

(إن والي طرابلس بعد إطلاعه على فصل 23،24 من قانون أساسي القطر الطرابلسي الصادر بتاريخ أول جونيو سنة 1919 عدد 931. وبما أنه في التحرير المؤرخ 3 سبتمبر الجاري المتقدم من أحمد بك المريض إلى الحكومة قد صار عرض الثمانية الوطنيين المنتخبين أعضاء في مجلس الحكومة. وأن هؤلاء الثمانية قد صار تقديمهم علناً بمراسم احتفالية إلى الوالي من طرف رمضان بك شتيوي الذي كان برفقته جمع كثير من رؤساء وأعيان القطر الطرابلسي. وحيث إنه من التحرير والمبحوث ومن الاحتفال الواقع تحقق أن العرض المذكور حصل باتفاق من رؤساء جهات طرابلس المختلفة يأمر بما يأتي:

إن الذوات الآتي ذكرهم قد صار تعيينهم أعضاء لمجلس حكومة القطر الطرابلسي.
عمر بك أبو دبوس.
أحمد بك شتيوي.
علي بك الشنطة.
أحمد بك الفسّاطوى.
محمد الصويعي بك.
الحاج محمد فكيني بك.
محمد بك ابن الفقيه حسن.

(1) انظر: رمضان السويحلي، ص209.

(2) انظر: رمضان السويحلي، ص210.

وسيصير تعيين مخصصاتهم بأمر آخر(1).

حرر بطرابلس في 4 ديسمبر سنة 1919م

صورة مطابقة للأصل الوالي

صار الاطلاع عليه كاتب الوالي الولي

الوالي طابع الحكومة الإمضاء: ميتر نيجر

طابع الحكومة

واجتمع مجلس الحكومة في مدينة طرابلس وصارت مراكز القطر كلها مربوطة به، وحاولت هيئة الحكومة أن تباشر أعمالها في دائرة سلطاتها. ولكن الطليان سرعان ماشرعوا في الدسائس، وظهرت بوادر تشير إلى عزمهم على عدم الوفاء للطرابلسيين بالحقوق التي اعترفت لهم بها في القانون الأساسي. ودليل ذلك:

1- انه على الرغم من مطالبة الزعماء لهم بأن يخصصوا مكاناً للمجلس النيابي ، وآخر لمحل الحكومة الوطنية، فإنهم صاروا يسوفون لاستجابته بأقوال وأعذار كاذبة .

2- بينما اصر الأعضاء العرب في مقابلة الوالي ، بأن تكون أصوات نوابهم في المجلس النيابي ، قرارية حسب المادة (15) من القانون الأساسي، إذ الوالي يرفض التسليم لهم بهذا الرأي، ويعتبر اصواتهم فيه استشارية ، ومعنى هذا أنه غير ملزم بتنفيذها، ولما استقال أربعة أعضاء من الحكومة الوطنية وهم: (مختار كعبار - احمد الشتيوي - عمر ابو دبوس - محمد الفقيه حسن) ، احتجاجاً على اعتبار أصوات النواب استشارية لا قرارية، وجد الطليان استقالتهم فرصة ذهبية، لإلغاء عضوية الأربعة الآخرين رغم رضاء هؤلاء بأن تكون أصواتهم استشارية.

3- لما رأوا الجيش الوطني، قد تمركز مع رمضان في سواني المشاشطة، لكي يتخلصوا من مقاومته لهم في المستقبل، بذلوا كل مساعيهم وجهودهم بواسطة عملائهم ، لاغرائه بالانضمام الى الجيش الايطالي، ونزوله معه بثكناته في المدينة، بزعم أن القانون الأساسي وحد بين الطرفين العربي والإيطالي في كل الأمور(2).

سادساً: حزب الاصلاح وجريدة اللواء:

في 30 سبتمبر سنة 1919م أعلن الطرابلسيون رسمياً عن تأسيس حزب الاصلاح لأجل الدفاع عن مكاسب البلاد، وإيقاظ الوعي الجماهيري السياسي، وأسندوا رياسته الى أحمد بك المريض، ورياسة شرفه الى رمضان بك، وكان من أعضاء هذا الحزب النشيطين عبدالرحمن عزام، وخالد القرقني، وعثمان الغرياني مدير جريدة (اللواء الطرابلسي) وكانت أهم مبادئ الحزب:

1- المحافظة على حقوق الطرابلسيين الواردة في القانون الأساسي كاملة.

2- التعجيل بتنفيذ القانون الأساسي، خصوصاً مايتعلق بالإصلاح، ومابنص على تدريب الطرابلسيين على حكم أنفسهم حتى يصلوا إلى حريتهم في أقرب وقت.

3- تحقيق التضامن بين العرب والإيطاليين على أساس المساواة التامة واتحاد المصالح.

4- نشر التعليم بكل الوسائل، مع المحافظة على العادات الإسلامية، لتدعيم الأخلاق العربية.

5- بذل العناية لإصلاح الحالة الإقتصادية وتوزيع الثروة الوطنية على أساس عادل.

وأنشأوا جريدة اللواء الطرابلسي لتكون لسان حاله. وكان الحزب يستمد قوته من الشعب، واستندت الحكومة الوطنية على الحزب في تأييدها وإقناع الطليان بمطالبها، وأبدى الطليان مراوغة في

---

(1) انظر: جهاد الابطال، ص264.

(2) انظر: رمضان السويحلي، ص219.

انتخاب مجلس النواب الذي ينص عليه القانون الأساسي، فكان حزب الإصلاح الوطني يطالب بتنفيذه، وكانت جريدة اللواء الطرابلسي تشير إلى هذا المعنى في جرأة وشجاعة فائقة، فكانت الحكومة الوطنية، والحزب الوطني والجيش الوطني يؤيد بعضها بعضاً في المطالبة بحقوق الأمة وإلزام الطليان بتنفيذ القانون الأساسي، ورأى الطليان خطورة الموقف، فعملوا على إفساد هذا الصلح[1]، وشرع الوالي الإيطالي وأعوانه يبذرون بذور الشقاق بين الزعماء ويديرون حملة عدائية ضد القادة، ويحركون كوامن الحقد والعداء[2].

يقول الأستاذ التليسي عن تلك الفترة: (ففي مجال العمل السياسي عملت إيطاليا على إثارة الفتنة والإنشقاق والإنقسام بين صفوف الزعماء، وسعت إلى إستمالة بعض الفئات وتأليبها على الفئات الأخرى، وكان أهم ماتوخته في هذه الفترة العمل على احداث انقسام بين مصراته وورفلة، وبين ترهونة ومصراته، ثم بين زعماء الجبل الغربي، ولامناص من الاعتراف بأن السياسة الإيطالية التي فشلت عسكرياً في هذه المرحلة التي أعقبت القرضابية قد نجحت نجاحاً كبيراً في إحداث الصدع بين الصفوف، بحيث لم تستأنف العمليات في عهد (فولبي) إلا بعد أن أوجدت من ذلك الإنقسام قاعدة كبيرة تعتمد عليها عملياتها[3].

لقد انتهز الإيطاليون فرصة المهادنة ليلقوا بذور الفتنة بين العرب والبربر من جهة وبين البدو والحضر من جهة أخرى وبين سكان البلدان المتجاورة أيضاً، واشتغل بعض الزعماء المخلصين بإخماد نار الفتن ومحاولة رتق الفتوق في كل جهة، ولكن الخروق اتسعت على الراقع، وكلما حاول دعاة الإصلاح اطفاء نار الفتنة من جهة، أوقد الإيطاليون ناراً أخرى من جهة أخرى، ونفخوا في جمرها من جديد[4].

وكانت من أكبر الفتن الحرب الطاحنة بين الزنتان والبربر فقدت بها طرابلس من أبنائها مالايعلم عدده إلا الله، وقعت الحرب الأولى بينهم 1916م وخلفت من الضغائن بين الفريقين ماكان سبباً من أكبر الأسباب في الحرب الثانية التي دارت رحاها في سنتي 1920م،1921م[5]. استغل الإيطاليون ذلك الصراع، وتلك الفتن، وتحركت جيوشهم للقضاء على الطرابلسيين، فاحتلوا يفرن في 31 أكتوبر سنة 1922م وكان معهم من الليبيين العملاء الذين انضموا إلى الجيش الإيطالي عدد كبير، وفي 17 نوفمبر 1922م احتلت غريان وبدأت المدن تتساقط أمام الجيوش الإيطالية، وانتهى الصراع بين مصراته وورفلة بمقتل رمضان السويحلي في عام 1920. لقد كانت فترة مابعد صلح بنيادم 1919م من أتعس الفترات التي مر بها التاريخ الليبي المعاصر، فترة سواد يتحاشى المؤرخ الحديث عنها.

لم تستطع الحكومة الوطنية التي تكونت بعد الصلح، أن تصنع شيئاً، وكل ماتقرره لاينفذ لان الزعامات كانت تتناحر داخلها، وذلك لايستغرب من حكومة في جمهورية لها أربعة رؤساء.

وهكذا ولدت الجمهورية وفي جسمها جراثيم هلاكها، إذ أن جمهورية يحكمها أربعة، لابد أن تغرق

---

(1) انظر: جهاد الابطال، ص267،266، 268.

(2) انظر: السنوسية دين ودولة، ص252.

(3) انظر: معجم المعارك ، ص59،58.

(4) انظر: عبدالنبي بالخير داهية السياسة وفارس الجهاد ، ص113،112.

(5) انظر: جهاد الابطال، ص285.

سفينتها بمجرد اقلاعها من الشاطئ، فتعدد الربابنة مدعاة لاغراق السفينة[1].

وقد صور الأستاذ خليفة التليسي تلك الفترة المظلمة فقال: (يلاحظ أن هيئة الإصلاح المركزية لم تكن حكومة بالمعنى المفهوم للحكومة، وأن كثيراً من المناطق قد ظلت غير خاضعة لحكمها ونفوذها، كما أن بعض الزعامات قد ظلت محافظة على موقفها الفردي، وكانت تستقل في كثير من الحالات بتقدير الوضع السياسي على أساس جهوي، وبما تقتضيه مصلحة منطقتها، أو مقاطعتها، وأحياناً قبيلتها وعشيرتها، مما انعدم معه عنصر الوحدة الوطنية الملزمة بالموقف الموحد، خاصة في هذا الظرف العسير، بحيث يعد الخروج عليه، أو التخاذل عنه خيانة تحسب على الخارج أو المتخاذل، وكانت هذه الثغرات التي نفذ منها الإيطاليون واستطاعوا استغلالها أحسن استغلال، وقد فطن الوطنيون إلى الخطر الكامن وراء انعدام توحد القيادة، ولكن ذلك كان بعد فوات الأوان، وقد نتج عن ذلك تعدد في المواقف، واختلاف في وجهات النظر، وترك الأمر للاجتهاد الخاص، يحدد الموقف ويرسم الطريق، فرأينا بعض الزعماء يعارضون - عن اجتهاد خاص - المقاومة المسلحة لإيطاليا عقب نزولها بقصر أحمد، ورأينا آخرين يقفون على الحياد، كأن الأمر لايتصل بهم من قريب أو بعيد، ورأينا بعضهم يتشبث بأن يكون صاحب الكلمة النهائية في إبرام الهدنة، نظراً لأن الاعتداء واقع على أرضه (بالمعنى الجهوي)، وهكذا تحددت مواقف الزعماء في تاريخنا في كثير من الحالات على أساس جهوي، وكان لكل جهة صاحب يتولى أمرها ويقرر مصيرها ويحدد موقفها، وانعدام القاعدة السياسية قد عرض مواقف الزعماء وشخصياتهم لكثير من الخلخلة والاهتزازات)[2].

سابعاً: مؤتمر غريان:

بعد التطورات الخطيرة، والانشقاقات العظيمة، التي وقعت بين الزعماء، رأى عقلاء طرابلس ضرورة الاجتماع في مؤتمر عام ليتدارسوا الأوضاع الراهنة، ويتخذوا حيالها موقف مشترك.

اجتمع المؤتمر في شهر ربيع الأول 1339هـ، نوفمبر سنة 1920م بعد أن اختار كل بلد من يمثله ماعدا بلاد البربر وأسفرت النتيجة عن انتخاب:

أحمد بك المريض	رئيساً
الأستاذ عبدالرحمن بك عزام	مستشاراً
محمد بك فرحان	عضواً
الصادق بك الحاج	عضواً
عمر أبو دبوس	عضواً
صالح بن سلطان	عضواً
التهامي قليصة	عضواً
الشيخ أحمد الرحيبي	عضواً
العيساوي بوخنجر	عضواً
محمد التايب	عضواً
عثمان القيزاني	عضواً
علي بن تنتوش	عضواً
مختار كعبار	عضواً

(1) انظر: عبدالنبي بالخير، ص103.

(2) انظر: عبدالنبي بالخير، ص121.

عبدالرحمن زبيدة عضواً
الحاج محمد بن عمر عضواً
عبدالسلام الجدايمي عضواً
نوري السعداوي عضواً
بشير السعداوي عضواً
حسين بن جابر عضواً
سالم البحباح عضواً
الصويعي الخيتوني عضواً

وقد اختار المؤتمرون أحمد بك رئيساً للمؤتمر وكانت الظروف إذ ذاك تتطلب ذلك، فرمضان السويحلي قتل، وسليمان الباروني امتنع عن الحضور لأنه كان متأثراً بالحرب التي وقعت بين الزنتان والبربر، وأرسل إليه أحمد بك المريض بعد انتخابه رئيساً للمؤتمر بأنه مستعد للتنازل له عن الرياسة فأبى وحاول المؤتمر اقناعه فامتنع، واستمر المؤتمر في أعماله الوطنية، وامتنع عبدالنبي بالخير عن الحضور بسبب مقتله لرمضان السويحلي، ومثل أرفلة عبدالرحمن زبيدة ومحمد العيساوي[1] وأصدر المؤتمر بعد انتهاء جلساته قراراً هذا نصه: (إن الحالة التي آلت إليها البلاد لايمكن تحسينها إلا بإقامة حكومة قادرة ومؤسسة على مايحقق الشرع الإسلامي بزعامة مسلم ينتخب من الأمة لايعزل إلا بحجة شرعية وإقرار مجلس النواب، وتكون له السلطة الدينية والمدنية والعسكرية، بأكملها بموجب دستور تقره الأمة بواسطة نوابها، وأن يشمل حكمه جميع البلاد بحدودها المعروفة)[2].

وانفض المؤتمر، وأبلغ قراراته إلى الحاكم الإيطالي في طرابلس وقرر إرسال وفد إلى روما ليطالب بتنفيذ قراراته. وكان الوفد يتكون من: محمد بك فرحات الزاوي رئيساً، ومحمد نوري السعداوي، والصادق بن الحاج، وخالد القرقني، وعبدالسلام البوصيري، واستطاع هذا الوفد أن يتصل برؤساء الأحزاب في إيطاليا ومحرري الجرائد، وتمكن من إعلان قضيته في بعض الجرائد وامتنعت الحكومة، وأصحاب القرار عن الاجتماع بهم، وقام والي طرابلس بإرسال وفد ليبي مناهض لوفد مؤتمر غريان، وأسفرت نتيجة الوفد الوطني عن الرجوع بخفيّ حنين، وتأزم الموقف بعد رجوع الوفد، وقام الطليان بنشاط عسكري، لمقاومة الروح الوطنية، واعتقلوا أناساً من حزب الإصلاح الوطني[3].

كانت الفتنة بين طرابلس وبرقة قد اشتدت مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، وحصل فتور بين البرقاويين والطرابلسيين، واستمر لمدة خمس سنوات، وترتب على ذلك تعدي على الأموال والأشخاص[4].

وكان عقلاء طرابلس وبرقة لاترضيهم تلك الحالة المزرية التي لايرضى عنها عقل، ولاشرع، ولاعرف وبادر السيد أحمد المريض بإرسال رسالة لأخيه الأمير محمد ادريس السنوسي، وكانت مليئة بالمعاني الرفيعة والعبارات السامية، ورد على تلك الرسالة الأمير محمد ادريس وترتب بعد

---

(1) انظر: جهاد الابطال، 299، 300.

(2) انظر: جهاد الابطال، ص301.

(3) المصدر السابق نفسه، ص303.

(4) المصدر السابق نفسه، ص304.

ذلك اجتماع سرت العظيم[1].

ثامناً: اجتماع سرت :

اجتمع الوفدان الطرابلسي والبرقاوي في سرت، وكان يمثل الوفد الطرابلسي كل من أحمد بك السويحلي، وعبدالرحمن بك عزام، وعمر بو دبوس، ومحمد نوري السعداوي، والشتيوي بن سالم، والصويعي الخيتوني، والحاج صالح بن سلطان، ويمثل برقة كل من: الشيخ صالح الأطيوش، والشيخ نصر الأعمى، والشيخ خالد القيصة، والشيخ صالح السنوسي بن عبدالهادي البرَّاني، وشرع المجتمعون في استعراض الحال التي وصلت اليها البلاد، ومعالجة أسباب الخلاف وخرجوا بهذه القرارات التي اتفق عليها ممثلوا طرابلس وبرقة.

(الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، ألف بين قلوب المسلمين وجعلهم خير أمة للعالمين، والصلاة والسلام على رسول الهدى والرحمة الذي جاء يدعونا إلى العزة والإباء، ويعلمنا كيف نقاتل الأعداء وبعد: فقد اجتمعنا نحن الموقعين على هذه المعاهدة المفوضين من قبل طرابلس وبرقة، وقررنا بعد مداولة الفكر المواد الآتية المتضمنة اتفاق القطر الطرابلسي البرقاوي على الاتحاد والتعاون في السراء والضراء:

يجب ان نوحد كلمتنا ضد عدونا الغاصب لبلادنا وضد المفسدين.

يجب أن يكون عدوناً واحداً وصديقنا واحداً .

إن كافة ماوقع بين الطرفين من التجاوز لا يطالب به أحد الآخر الى أن تستقر الحالة في الوطن، وتتعين وضعية البلاد العمومية. ومع ذلك يجب أن يسعى الطرفان في المسامحة بين العربان، ومن يتعدى بعد الآن فعلى الحكومة التابعة لها أن تعاقبه بما يستحق .

كل من يخالف الجماعة ويدس الدسائس الأجنبية، على الحكومة المنسوب إليها إعدامه ومصادرة أمواله حسب الشريعة الاسلامية.

يرى الطرفان أن مصلحة الوطن وضرورة الدفاع ضد العدو المشترك تقضي بتوحيد الزعامة على البلاد، ولذلك يجعلان غايتهما انتخاب أمير مسلم تكون له السلطة الدينية والمدنية داخل دستور ترضاه الأمة.

يتخذ الطرفان الوسائل اللازمة لتحقيق هذه الغاية المذكورة في المادة الخامسة، وأن تكون تولية الأمير بإرادة الأمة.

متى تحققت الغاية المذكورة في المادة الخامسة يجب انتخاب مجلس تأسيسي من الفريقين لوضع القانون الاساسي والنظم اللازمة لإدانة البلاد، وقبل ذلك، وتمهيداً لهذه الاعمال، يجب على الفريقين أن يرسل كل منهما مندوباً للبلدين لأجل أن يشتركا في سياسة البلاد والتدابير المقتضاة للدفاع عن الوطن.

يتعهد الطرفان بألا يعترفوا للعدو بسلطة، وأن يمنعوه من بسط نفوذه خارج الاماكن المتحصن بها الآن، وفي حالة وقوع حرب يتظافر الفريقان على حرب العدو، وألا يعقد صلحاً أو هدنة إلا بموافقة الفريقين.

إذا خرج العدو من حصونه مهاجماً جهة من الجهات وجب على الجهة الأخرى أن تمد المهاجم بالمهمات الحربية والمال والرجال، وأن تنذر العدو بالكف عن التجاوز وإذا لم يكف تهاجمه هي بدورها.

تجمتع هيئة منتخبة من أهالي طرابلس وبرقة مرتين في كل سنة في شهر المحرم ورجب

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص256.

للنظر في مصالح البلاد.

يشترط أن توافق على هذه المعاهدة كل من حكومة برقة والهيئة المركزية في جهة طرابلس.

مهمة الهيئة المذكورة تأييد العلائق الودية بين الطرفين وتأييد هذه الاتفاقية[1].

قصر سرت في يوم السبت 22 جماد الاولى سنة 1340هـ (21 يناير سنة 1922م).

كانت الحكومة الايطالية تتابع الأخبار ومايدور بين برقة وطرابلس، وخافوا أن يترتب على اتفاق طرابلس وبرقة مالا تحمد عقباه، فقرر وولبي احتلال مصراته قبل أن يصل الليبيون الى نتيجة في مؤتمر سرت، واستطاع الطليان أن يحتلوا قصر حمد وبدأ الجهاد من جديد، وأراد الطليان أن يخدعوا المجاهدين ودعوا الى عقد المفاوضات في فندق الشريف لكسب الوقت وإعداد العدة، وانتظار المدد من ايطاليا، واستمرت المفاوضات واتضح للمجاهدين أن الطليان عازمين على الحرب ، وانقطعت المفاوضات في يوم 10 ابريل سنة 1922م واستعد كل من الطرفين لما تتمخض عنه الايام المقبلة.

وكان من أقوى العوامل التي جعلت والي طرابلس وولبي يتشدد مع المجاهدين ويرفض مطالبهم ظهور الفاشستية في ايطاليا، وأصبحت وشيكة أن تستولي على مقدرات إيطاليا[2].

وكانت من مبادئهم المنحرفة الوصول الى أغراضهم بكل وسيلة ولا يجدون في نفوسهم غضاضة اذا كانت اعمالهم مخالفة للانسانية او للحقوق العامة متى كان فيها مصلحة لهم او لبلادهم، ولا يستحون من أن يعلنوا صراحة بأنهم لايعرفون الحرية، ولا يقدسون الحقوق العامة، ولا يحترمون العهود متى كان ذلك ضرورياً لمصلحة ايطاليا[3].

يقول شكيب ارسلان: (لموسوليني خطب كثيرة وكتابات بتوقيعه تؤخذ منها هذه المقاصد بدون إشكال، فلهذا لم تبق في ايطاليا لا حرية قول، ولا حرية كتابة، وكل شيء يصادم إرادة الفاشست فهو ممنوع)[4].

بعد انقطاع مفاوضات فندق الشريف في 10 ابريل سنة 1922م استئنفت الحرب من جديد، وأصبح الطليان يتوغلون في طرابلس، والمجاهدون يتراجعون أمام هجماتهم الشرسة.

فرأى الطرابلسيون ارسال وفد الى الأمير محمد ادريس ليبايعوه بالامارة تنفيذاً لما قررته هيئة الاصلاح المركزية في فندق الشريف، وكان ذلك الوفد يتألف من الشيخ محمد بن حسن، والشيخ محمود المسلاتي، والشيخ طاهر الزاوي، ووصل الوفد اجدابية في شوال عام 1340هـ وقابل الأمير محمد ادريس، وأبلغه الوفد هدفه الذي جاء من أجله، فأعتذر عن الذهاب الى طرابلس لشدة الحر، وانحراف صحته، ووعد بالسفر عندما تتحسن صحته[5].

وحرصت ايطاليا أن تشتشف ماوصل إليه زعماء برقة وطرابلس ، فأرسلت أمندولا وزير المستعمرات الايطالية للدخول في مباحثات مع الامير ادريس واشترط الايطاليون قبل الدخول في المباحثات أن يغادر بشير السعداوي ممثل الحكومة الوطنية الطرابلسية اجدابية وكان الأمير ادريس يأمل أن يصل الى ايقاف الحرب بين ايطاليا والطرابلسيين ولذلك طلب من بشير السعداوي

---

(1) انظر: جهاد الابطال، ص307.

(2) انظر: جهاد الابطال، ص308 الى 316.

(3) المصدر السابق نفسه، ص316.

(4) انظر : حاضر العالم الاسلامي.

(5) انظر: جهاد الابطال، ص323.

وزملاؤه أن يخرجوا الى الطبيل[1].
وبعد ذلك حضر وزير المستعمرات الايطالي الى غوط الساس بالقرب من المرج، وألتقى بالأمير محمد ادريس في 22 يونيه 1922م وعمل على اقناع امندولا بضرورة تهدئة الأحوال في طرابلس، وبعد انتهاء المباحثات أرسل الأمير ادريس الى بشير السعداوي وزملاؤه كلا من صالح الأطيوش، والفضيل المهشهش وأحد أبناء الكزة وسلم هؤلاء كتاباً لبشير السعداوي من سمو الأمير أخبره فيه بمقابلته مع وزير المستعمرات في غوط الساس، وبحث القضية الطرابلسية معه؛ وبأن المباحثات قد أسفرت عن إظهار إيطاليا استعدادها للصلح معها، وفضلاً عن ذلك فقد جاء الجماعة بكتاب آخر من الأمير موجهاً الى رئيس هيئة الاصلاح المركزية بهذا المعنى. فبادر بشير السعداوي بأنه يعتزم العودة فوراً الى طرابلس لإتمام البيعة ووعد بالعودة سريعاً الى اجدابية يحمل معه البيعة[2].
وغادر بشير السعداوي برقة الى طرابلس، وبمجرد وصوله الى مصراته اجتمع بالزعماء الطرابلسيين ونادى بالبيعة لسمو الأمير محمد ادريس مستنداً في ذلك الى أنه لاسبيل الى الخلاص البتة إلا بالاتفاق والتعاون ضد العدو الايطالي، وكتب بشير السعداوي نص البيعة بنفسه ثم ذهب بها من مصراته الى مسلاته ثم الى غريان، وهناك كانت هيئة الاصلاح المركزية مجتمعة برئاسة احمد المريض فقرأ عليهم البيعة ووافق هؤلاء عليها بالإجماع ودون مناقشة[3].
وما أن علم الطليان بتلك التطورات ومجيء الوفد الطرابلسي الى اجدابية حتى ثارت ثائرتهم، وأعلمت الحكومة الايطالية الأمير محمد ادريس بأنها لم تتوانى عن مهاجمة إجدابية ذاتها، ولما أدرك الامير ادريس خطورة الموقف بدأ يبذل قصارى جهده لإقناع الحكومة الايطالية، بأن الطرابلسيين ماقصدوا بما فعلوه سوى حقن الدماء وفض خلافهم مع إخوانهم أهل برقة، وأن واجب الحكومة الايطالية يتحتم عليها أن توقف اعتداءاتها على الطرابلسيين فضلاً عن ان كان للامير على حسب اتفاق الرجمة الحق في أن يعرض مايراه في مصلحة البلاد على الحكومة الايطالية، كما أن معاهدة الرجمة قد ألزمت الطليان كذلك بأن يضعوا موضع الأعتبار كل مايبديه الأمير من آراء في ذلك[4].

تاسعاً: نص البيعة بالإمارة:

تقرر أن يذهب السيد بشير السعداوي بوصفه مندوباً من هيئة الاصلاح على رأس وفد لتسليم كتاب البيعة الى الأمير محمد ادريس، وكان ضمن هذا الوفد كل من عبدالرحمن عزام، محمد الصادق بالحاج، نوري السعداوي، الشيخ محمد عبدالملك. ووقع على كتاب البيعة أحمد المريض رئيس هيئة الاصلاح المركزية وعبدالرحمن عزام مستشارها، ثم أعضاء الهيئة ، محمد بن عمر، وبشير السعداوي، وحسين بن جابر ، ومحمد فرحات، وعبدالرحمن زبيدة، ومحمد التائب، وسالم البحباح، وعثمان القيزاني، وعمر بودبوس، ومحمد صادق بن الحاج، محمد مختار كعبار، ومحمد فكيني، والصويعي الخيتوني، كما وقع على البيعة من الاعيان محمد الديب ومحمد سوف وعمر ضياء، وعلي ابو حبيل ، وأحمد القاضي، ومحمد القرقني، وأحمد السني، والبغدادي بن معيوف، ومحمد

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص258.

(2) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص258.

(3) المصدر السابق نفسه، ص259.

(4) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص259، 260.

الصغير المريض وهذا نص البيعة:
(سمو مولانا الأمير الجليل السيد محمد ادريس حفظه الله ورعاه أنه لايخفى علىسموه أن الخلاف مايزال قائماً بينهم وبين الحكومة الايطالية (ذلك لأن الحكومة الايطالية وجهت عزمها الى العبث بجميع حقوقنا شرعيها ، وسياسيها، وإداريها، وجعلت من قوتها مبرراً للتصرف في مصيرنا وحقوقنا الطبيعية، ونحن خير أمة أخرجت للناس لانتحمل ضيماً ولا نرضى أن تضمحل شريعتنا ولا أن يتطرق الخلل الى ديننا القويم كائناً ماكان، الأمر الذي حملنا على ركوب الأخطار واقتحام الحروب المتوالية، معتمدين على قوة الحق الى أن نظفر بتحقيق أمنيتنا القومية ألا وهي تاسيس حكومة دستورية يرأسها أمير مسلم جامع للسلطات الثلاثة الدينية والسياسية والعسكرية، مع مجلس نيابي تنتخب الأمة أعضاءه، وبهذا يسلم وطننا ويتم أمر ديننا وتصلح أحكام قضايانا ونحفظ شرعنا، وعنعنة تاريخنا الباهر، وهذا لاينافي ماتدعيه ايطاليا وما دأبت عليه من خطب رجالها من أنها لم تحتل ديارنا بنية الاستعمار، وإنما ساقتها دواعي السياسة الدولية في البحر المتوسط، ولو كانت صادقة في دعواها هذه لما عرضت بلادنا للخراب بتوالي الهجمات، واستعمال دهائها وقدرتها للتفريق والفوضى، وقد حاولت فصل الأمة بعضها عن بعض بطرق مختلفة وأبى الله إلا أن يجمع كلمة القطرين الشقيقين بأن يلتفا حول أمير واحد يرضيانه وحيث كان سموكم من أشرف عائلة وأكرم بيت مع ما تجتمع في ذاتكم الشريف من المزايا العالية، والأوصاف الجليلة فإن (هيئة الإصلاح المركزية) الحائزة للوكالة المطلقة من (مؤتمر غريان) الذي يمثل الأمة الطرابلسية، بانتخاب واقع منها قد وجدت في سموكم أميراً، حازماً قادراً على جمع الأمة للثقة العامة محبوباً، فهي لذلك تبايع سموكم أميراً للقطرين طرابلس وبرقة على أن تقودهما إلى ما يحقق أمانيهما الشريفة الإسلامية المنوه عنها. على أن مبايعتكم كانت مضمرة في كل نفس منذ وقع الاتحاد بين مندوبي القطرين في (سرت) وكان السبب في تأخير تحقيقها طوارئ الحرب التي طوحت بكل واحد من أعضاء الهيئة، ورجال القطر في منطقة شاسعة من المناطق الحربية. وبهذه البيعة إن شاء الله أصبح سموكم الأمير المحبوب للقطرين المباركين، ومتى سنحت الفرصة عند تشريفكم إيانا حسب رغبة الأمة تقام لكم مظاهر هذه البيعة في موكب لائق بسموكم. والله سبحانه وتعالى يمدكم بروح من عنده ويجعل البركة في البيت السنوسي المؤسس على التقوى والصلاح)[1].

وبادر الأمير محمد ادريس بمصافحة تلك اليد الممدودة وقبل البيعة دون تردد وأجاب على كتاب البيعة في 22 ربيع الأول 1341هـ (22 نوفمبر 1922م) فقال: (وبعد فقد تناولت بيد الشكر عريضتكم التي أظهرتم فيها رغبتكم الخالصة في تحقيق غايتكم التي أجمعتم عليها في مؤتمر غريان وجهادتم لها جهاداً صادقاً بالأنفس والثمرات في شخصي فأخذتها داعياً الله أن يحقق آمال هذه الأمة ويكلل مساعيها كلها بالنجاح. ولما كان اتحاد الوطن وسلامته هما الغاية التي طالما سعيت إليها وجدت من واجبي أن أتلقى طلبكم بالقبول وأن أتحمل المسؤولية العظمى التي رأت الأمة تكليفي بها، فعلي إذن أن أعمل بجد معكم، ولكن لاتنسوا أنني بغير إقدامكم وجدكم لاقدرة لي على شيء. إني أعلم أن الحياة الخالدة هي للأمم لا للأفراد، وكذلك الأعمال العظيمة الباقية هي التي تنصرف إلى صالح الجميع، فلذلك أدعوه سبحانه وتعالى أن يهدينا إلى كل عمل ثمرته للأمة. إذ من حق كل شعب أن يسيطر على شئونه، والناس منذ نشئوا أحراراً. وقد أظهر شعبنا في كل أدواره مقدار محبته للحرية فدفع مهوراً غالية، فلا يصح لأحد أن يطمع في استعباده والاستبداد بشئونه. لقد اشترطتم علي الشورى وهي أساس ديننا، وسأعمل على قاعدتها. هذا وقد رأيت أن أقر

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص262.

الأمور على ماهي عليه حتى تجتمع جمعية وطنية لوضع نظام البلاد، فلذلك أكل إلى الهيئة المركزية لما أبدت من الحمية، والعدل، والدراية أن تستمر على إدارة شئون القطر الطرابلسي، ولي الثقة العظيمة في حكمة رئيسها البطل الحازم أحمد بك المريض ورفقائه والرؤساء الكرام الذين أيدوا مساعي الهيئة الملية أن يتحملوا مشاق المسؤولية بصبر لتثبيت دعائم البناء الوطني الذي شيدوه وأسأله تعالى أن يمد الجميع بعنايته ويثبت الأقدام ويقهر الأعداء ويمن بالنصر الموعود، انه على مايشاء قدير)[1].

حاول مستشار الأمير محمد ادريس عمر منصور الكيحيا أن يوافق بين سياسة الأمير ادريس مع الطليان، وحرصه على وحدة الصف واجتماع الكلمة تحت زعامته، وانعقدت اجتماعات ومناقشات واستمر هذا الميدان مفتوحاً نحو أربعين يوماً ولم يهتد الباحثون إلى الحل المطلوب إلا بمغادرة الأمير محمد ادريس اجدابيا إلى مصر في اليوم الثاني من جمادي الأولى سنة 1341هـ 21 ديسمبر سنة 1922م)[2]، وكان ذلك السفر بسبب مرض ألمّ به ونصحه الأطباء بالذهاب إلى مصر للعلاج، وكان قبل سفره قد تعكرت وتغيرت العلاقات السنوسية مع ايطاليا، وحدثت بعض الاشتباكات بين الطليان والعربان بسبب حرص الطليان على نزع السلاح منهم، وتمّ اعتقال الشيخ صالح العوامي ظلماً وزوراً، وكانت هناك محاولة أخرى للقبض على صفي الدين ولكنها باءت بالفشل، بسبب الخبر الثمين الذي سربه عثمان العنيزي إلى صفي الدين محذراً إياه من غدر الطليان به.

إن الأمير محمد ادريس اتخذ قرار الهجرة إلى مصر بعد دراية وافية للمرحلة التي مرت بها البلاد، وللتطورات السياسية والعسكرية التي حدثت على الساحة، فالحل العسكري كان يعرف باستحالته منذ البداية وكان يعمل مافي وسعه لإقناع الآخرين بذلك للمحافظة على دماء المواطنين التي كانت تهدر بدون نتيجة مما كان سيسبب في إحباط الروح المعنوية وتمكين العدو، فقد كان يرأى أن المقاومة الليبية المسلحة لن يمكنها بأي حال من الأحوال دحر القوات الإيطالية.

ثم إن المجهودات الدبلوماسية التي كان يقوم بها قد أعطت كل مايمكنها أعطائه في تلك المرحلة، فرحل عن البلاد ليحتفظ بحريته ويراقب الوضع الدولي ويتحين الفرص[3].

لقد تعرض الأمير ادريس للانتقاد بدعوى أنه ترك شعبه أثناء منعطف تاريخي هام في عام 1922م، لقد حاول الإيطاليون قتله بالسم[4]، وتنامت الخلافات والمشاكل بينه وبين الحكومة الإيطالية حتى لم يجد في مقدوره التغلب عليها، فمعاهدة الرجمة لاتعدو كونها محاولة عقيمة لإقامة نوع من الحكم الثنائي يشارك فيه الإيطاليون والسنوسيون معاً، ولم يقدر لها النجاح أبداً من الناحية العملية، ثم انقطع الرجاء في استمرارها نهائياً عقب استيلاء الفاشست على مقاليد السلطة في إيطاليا، ولم يعد من المصلحة البقاء في وجود نظام فاشي، فلو أن الأمير محمد ادريس أصر على البقاء داخل ليبيا في ذلك الوقت لكانوا قبضوا عليه حتماً، وكانت أهميته القصوى بالنسبة لليبيين تكمن في سعة نفوذه وهيبته في العالم الإسلامي كزعيم للحركة السنوسية، وحنكته في أساليب التفاوض السياسي، وخبرته بالقضايا الدولية، وقد ظهر أثره في الحرب العالمية الثانية، واستفاد من الفرص التي اتيحت، وشكل الجيش السنوسي الذي خاض معارك ضارية ضد إيطاليا وألمانيا،

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص262.

(2) انظر: جهاد الابطال، ص331.

(3) انظر:تعليق محمد عبده بن غلبون على كتاب الملك ادريس عاهل ليبيا حياته وعصره، ص43.

(4) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص262.

وساعد ذلك الجيش الحلفاء مما اضطرهم بالإعتراف بالجهود التي بذلها الليبيون واستفاد الأمير محمد ادريس من تلك الأعمال الجليلة في مباحثاته ومفاوضته مع الإنجليز [1].
إن فترة المهجر التي عاشها الأمير محمد ادريس في مصر كانت من أصعب أيام حياته فقد قال عنها: (وكانت تلك الفترة تعيسة للغاية، فقدت أثنائها الكثيرين من أخلص أصدقائي وأنصاري الذين استشهدوا في معارك الجهاد ضد الإيطاليين، كما غمرني الحزن والأسى الشديد لمعاناة أهل برقة. وعقب احتلال الكفرة دمّر المسجد الذي كان يضم رفات والدي ونهبت وبعثرت محتويات المكتبة التي كان فيها الكثير من كتبنا ومخطوطاتنا. وماكان يشد من أزري عبر تلك الظروف العصيبة سوى ثقتي بالله وتعاطف أصدقائنا في العالم العربي)[2].
إن الأمير محمد ادريس قبل أن يغادر البلاد حاول تنظيم أمور المقاومة ضد الاحتلال الإيطالي، وبحث الأمر مع زعماء ورؤساء برقة من جانب، ومع بشير السعداوي والوفود الطرابلسية من جانب آخر.
واستقر رأي الأمير على أن يعهد بالأعمال السياسية والعسكرية في برقة إلى عمر المختار نائباً عنه في تنظيم معسكرات المجاهدين وعهد بالمسائل الدينية، ومايتعلق بالسنوسية وشئون الأسرة الكريمة إلى أخيه السيد محمد رضا، وكان السيد محمد الرضا في جالو نائباً عن سموه في إدارة شئونها، وزود الأمير رجاله بالتعليمات اللازمة وأوصاهم باتخاذ الحيطة دائماً من غدر الطليان، واتفق مع الشيخ عمر المختار على بعض القادة ليكونوا رؤساء على معسكرات المجاهدين في برقة، ومن هؤلاء القادة السيد محمد الصديق بن محمد رضا وأخيه الحسن، وقجة عبدالله السوداني، والفضيل بوعمر، ويوسف بورحيل، وحسين الجويفي، وعبدالله سلوم على أن يتولى قيادة هذه الجيوش جميعاً الشيخ عمر المختار[3].
وبحث الأمير مع بشير السعداوي مسألة استمرار الجهاد في طرابلس ضد الطليان، وقبل ذلك تقدم بشير السعداوي بمشروع إنشاء هيئة مركزية في برقة من رؤساء القبائل تضطلع بأعباء الإدارة، واختار الأمير لرئاستها الشيخ مختار الغدامسي وهو من القضاة الشرعيين ومن أكابر علماء البلاد، وبعد مغادرة الأمير إجدابيا عقدت الهيئة المركزية البرقاوية جلسات عدة للبحث في شئون البلاد وتهيئة وسائل الجهاد ضد العدو الإيطالي النصراني الحاقد، وحضر بشير السعداوي جلسات الهيئة، وعرض على الحاضرين تشكيل جبهة متحدة من برقة وطرابلس لمتابعة الجهاد ضد إيطاليا دون أي إبطاء، وبعد تبادل الرأي وافق الحاضرون على رأي السعداوي.
وتأهب السعداوي للسفر إلى طرابلس وكان معه صفي الدين السنوسي في 21 رجب 1341هـ (9 مارس 1923م) وكان في رفقتهم مجموعة من خيار المجاهدين من أمثال أحمد باشا سيف النصر، وعمر سيف يقول صفي الدين (وعندما وصلنا إلى النوفلية وجدنا بها خالد بك القرقني وعثمان بك الجيزاني فارتحلنا جميعاً إلى سرت وفي أثناء الطريق وصلنا خبر مشئوم مفاده أن محمد سعدون السويحلي أخ رمضان السويحلي قد استشهد في القتال، وكان محمد سعدون من خيرة القواد الذين تولوا قيادة العمليات العسكرية في الحركة الأخيرة، على أننا تابعنا السير بعد ذلك حتى بلغنا سرت، وهناك قابلنا أحمد بك المريض، ثم ذهبنا إلى وادي نفد بين مصراته وورفلة، وفي ورفلة وجدنا أحمد شتيوي وهو من إخوة رمضان السويحلي، وكان شتيوي متصرفاً على مصراته ثم وجدنا

---

(1) انظر: الملك ادريس عاهل ليبيا، ص44.

(2) المصدر السابق نفسه، ص47.

(3) انظر: السنوسية دين ودولة، ص267.

معسكر المجاهدين العام)[1].

وقد بذل بشير السعداوي جهوداً عظيمة لحشد جموع المجاهدين حول السيد صفي الدين وتحت زعامة السنوسية، وكان قائد معسكر المجاهدين الطرابلسيين في وادي نفد حوالي ثمانية شهور من شعبان 1341هـ إلى شهر جمادي الأولى من عام 1342(إبريل - ديسمبر 1923م).

وبعد فترة من الزمن بدأ زعماء المجاهدين في ترك معسكر نفد ولم يبق إلا أحمد السويحلي وكانت القوات الإيطالية تتقدم وتحتل المدن في منطقة طرابلس، وقد ذكر الشيخ طاهر الزاوي كيف احتل الطليان منطقة طرابلس ومدنها بنوع من التفصيل[2]، واضطر صفي الدين امام انحلال المقاومة، وضعف حركة الجهاد أن يذهب إلى جالو وبعث إلى الأمير محمد إدريس بمصر يخبره بكل ماوقع فأجابه الأمير بأن له أن يختار إما البقاء في جالو وإما الذهاب إلى جغبوب، وارتحل صفي الدين إلى الجغبوب في صفر 1243هـ، سبتمبر 1923م.

وكان بشير السعداوي يواصل جهاده المرير بجمع كلمة المجاهدين، وعقد الاجتماعات لتحقيق هذه الغاية في القرضابية ثم في قصر بوهادي واستطاع أن يؤسس مركزاً للجهاد في المكان الأخير، وتسلم القيادة في سرت وجمع شتات المنهزمين، اللاجئين إلى سرت، وكانوا حوالي خمسين أو ستين ألفاً، وثبت المجاهدون في مصراته وترهونة أقدامهم نتيجة لهذا العمل، ولكن الطليان بقواتهم الجرارة، وطائراتهم استطاعوا القضاء على حركة المقاومة رويداً رويداً، ثم هاجموا في آخر الأمر ورفلة وعندئذ انحلت المقاومة تماماً، واضطر بشير السعداوي إلى مغادرة سرت في عام 1924م بعد أن مكث بها سنة تقريباً، وكان السعداوي رحمه الله من أشد المجاهدين تحمساً في هذه الفترة العصيبة، ومن أعظمهم مثابرة على الجهاد وكان يتحلى برجاحة العقل، والرزانة، والهدوء، ويتصف بالقدرة على النظر البعيد وتقليب وجوه الرأي في عواقب الأمور[3]، قال محمد فؤاد شكري: إن خروجه كان مؤذناً بأن الثورة قد انتهت فعلاً وأن الأمر قد استتب للطليان في طرابلس أخيراً، وأن برقة وحدها هي التي أصبحت تحمل على عاتقها عبء الجهاد منفردة ضد العدو، وكان والي برقة الجديد بونجيو فاني قد بدأ يحل الأدوار المختلفة في برقة عنوة واقتداراً وتم له ما أراد في الأسبوع الأول من شهر مارس 1923م فحلت الحكومة في 6 مارس معسكرات الأبيار وتكنس وسلنطة، والمخيلي، وعكرمة، وانتهز بونجيوفاني فرصة افتتاح الدورة البرلمانية في اليوم نفسه وهجم في البرلمان على السنوسية وقال: إن السنوسيين كانوا غير مخلصين للحكومة الإيطالية ثم أبلغ سامعيه التدابير التي اتخذها للقضاء على السنوسية، وكانت أولى التدابير احتلال اجدابيا ذاتها في 21 ابريل 1923م وهي مقر الإمارة السنوسية وفي 24 ابريل اعلن الوالي (أن كل الاتفاقات التي أبرمتها إيطاليا مع السنوسية قد أصبحت لاغية ولا أثر لها)[4] وفي أول مايو من السنة نفسها عاد بونجيوفاني فأكد إلغاء هذه الاتفاقات في منشور أعلن فيه (أن السنوسية قد أصبحت مجرد طريقة تشبه غيرها من الطرق الإسلامية وأن نشاطها يجب أن يظل نشاطاً دينياً محدوداً فحسب، وفي يوم 3 مايو ذهب الدروفاندي الوزير الإيطالي في مصر لمقابلة الأمير محمد ادريس وأبلغه أن الاتفاقات التي عقدتها إيطاليا معه قد أصبحت لاغية، ولا وجود لها يقول الأمير محمد ادريس: (بعد بضعة أشهر من قدومي إلى مصر أبلغني الوزير الإيطالي المفوض في

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص268.

(2) انظر: جهاد الابطال، ص235 الى 262 .

(3) انظر: السنوسية دين ودولة،ص269.

(4) انظر: السنوسية دين ودولة، ص270.

القاهرة بأن حكومة موسوليني ألغت كافة العهود والمواثيق المعقودة مع السنوسيين، وكان ذلك في مايو 1923م وكان الإيطاليون قد ألقوا القبض على عمر باشا الكيخيا بتهمة التواطؤ في هروبي، فحبسوه أولاً في بنغازي ثم نقلوه إلى معتقل في إيطاليا، وبعدها بشهور قلائل علمت أن الحكومة الإيطالية قد طلبت من الحكومة المصرية تسليمي اليها ووعدت بعدم تعريضي لأي أذى. وشعرت بالخطر المحقق نظراً لأن الملك فؤاد كانت أمه إيطالية وقد تربى في إيطاليا وتربطه بالإيطاليين علاقة حميمة ربما تدفعه إلى تلبية طلبهم ...)[1].

ومن ذلك الحين بدأ الجهاد بقيادة عمر المختار في برقة ضد إيطاليا من غير هوادة أو لين، أو ضعف، أو خوار وقبل الدخول في سيرة الشيخ عمر المختار العطرة نحاول أن نقف مع الأحداث السابقة لنتأمل في العبر والدروس لتسترشد بها الأجيال في مستقبلها.

إن من الأمور الخطيرة التي مرت بها البلاد فيما بين 1916و 1923م أن انقسم زعماء ليبيا إلى قسمين بالنسبة للأوضاع الدولية، في بداية الحرب العالمية الأولى مما ضاعف من توسيع هوّة الخلاف، فأهل برقة عقدوا مصالحة مع الإنجليز وإيطاليا وأهل طرابلس وقفوا مع الأتراك قلباً وقالباً، وحدث تنازع على النفوذ ووصل إلى حد القتال بين الأشقاء وبعد هزيمة الأتراك والألمان، وخروجهم من ليبيا جاءت فكرة الجمهورية الطرابلسية، ولم يستطيع الزعماء أن يتغلبوا على أهوائهم الشخصية، فانتهى بهم الأمر إلى مقتل رمضان السويحلي رحمه الله تعالى، وهاجر سليمان الباروني رحمه الله من البلاد، وأصبح مستشاراً لحكومة مسقط بدولة عمان وتوفي أثر مرضه ببومباي بالهند عام 1941[2]، وعبدالنبي بالخير رحمه الله توفي في الصحراء الكبرى أثناء هجرته إلى تونس بسبب العطش[3] وأحمد المريض رحمه الله توفي في الفيوم بمصر عام 1941م[4] ومحمد ادريس السنوسي رحمه الله أصبح لاجئاً سياسياً.

أقول: لو اتفق زعماء طرابلس في بداية أمرهم على قلب رجل واحد لكانت النتائج لصالح الإسلام والمسلمين، لقد كانت البلاد في تلك الفترة في أشد الحاجة إلى توحيد الكلمة تحت قيادة رجل له مدارك الباروني، وهدوءه وحياده، وذكاء عبدالنبي ودهاؤه، وصلابة رمضان وشجاعته، وحلم أحمد المريض وسعة صدره، وكان كل من يحاول من الزعماء أن يتطلع إلى الانفراد بالحكم في تلك الفترة المظلمة، انما يحاول المستحيل، فكان من اللازم التضحية بنصيب من الانانية، والنعرة القبلية، ومحاربة الأهواء، ونبذ التعصب لتوحيد الشعب نحو مقصد الجهاد ضد المحتل الحاقد، ويختاروا زعيماً من بينهم ويقف الجميع لدعمه، ويقفلوا الأبواب على كل مخططات الأعداء التي تريد تمزيق الصف، وتعميق الخلاف، وضرب الزعماء ببعضهم، كما أن ماوصل إليه الطرابلسيون من وجوب توحيد جهودهم مع البرقاويين جاء متأخراً، وبعد فوات الأوان، ولو كان قبل ذلك بسنين أو في زمن قيادة أحمد الشريف لكان ذلك الاتحاد من عوامل النهوض، وأسباب النصر، ولقامت إمارة قوية تستطيع أن تتغلب على العدو المحتل، وتبني دولة عصرية قوية ولوجدت فيها الأجيال امتداداً حضارياً، وبعداً سياسياً، وانتماءً حقيقياً لمفهوم العقيدة والدين والأمة والشعب والوطن، لقد شبه أحد المؤرخين تلك المرحلة بفترة ملوك الطوائف في الأندلس، فالنزعة القبلية لاتزل في عنفوانها، ودكتاتورية زعيم القبيلة لايمكن محوها والتغلب عليها وإن كانت

---

(1) انظر: الملك ادريس عاهل ليبيا، ص45.

(2) انظر: الاعلام للزركلي (129/3).

(3) انظر: عبدالنبي بالخير داهية السياسة، ص251.

(4) انظر: جهاد الابطال، ص333.

المنطقة الشرقية تغلبت عليها بالدعوة الشاملة، والتربية العميقة وبتوفيق الله تعالى ثم بسبب جهود الحركة السنوسية في قبائل برقة.
إن الدرس المهم هو أن يتغلب الزعماء على أهوائهم من أجل المصالح العليا للبلاد والعباد وإلا أصبحت بلادنا فوضى يسهل عندئذ لأعدائنا اختراقها، ومصّ خيراتها، وتشتيت رجالها، إن الخطاب لوحدة الصف، وتوحيد الجهود، نقصد به كل مسلم من أبناء ليبيا حريصاً على بلده وشعبه وأمته.

إن الابتعاد عن الهوى ومحاربته في النفوس من أسباب النهوض ومن الأمور التي أرشد الله تعالى لها زعماء الأمة وقادتها قال تعالى: {ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيُضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب} (سورة ص، الآية: 26). إن اتباع الهوى من أسباب الفرقة، والفرقة من أسباب تأخر النهوض، فإذن على المخلصين من أبناء شعبنا الحريصين على تحكيم شرع الله تعالى، محاربة الهوى وقلع جذوره وأسبابه من النفوس، إن محاربة الأهواء طريق نحو الاجتماع والائتلاف، ونحو الأخذ بأسباب النهوض والتمكين لهذا الدين، إن العلاج الناجع والبلسم الشافي لمن ابتلى بشيء من الهوى، إلزام النفس بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح وتربية النفس باستمرار على التقوى والخشية من الله تعالى، واتهام النفس ومحاسبتها دائماً فيما يصدر منها، وعدم الاغترار بأهوائها وتزييناتها وخداعها، والإكثار من النفس على استنصاح الآخرين وتقبل الآراء الصحيحة الصائبة وإن كانت مخالفة لما في النفس، وتعويدها على التريث وعدم الاستعجال في إصدار الأحكام، وإمضاء الأعمال، والحذر من ردود الأفعال التي قد يكون فيها إفراط وتفريط، وغلو أو تقصير، وجهل وبغي وعدوان، وإكثار المرء من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بأن يجنبه اتباع الهوى ومضلات الفتن، ويسأله تعالى أن يوفقه لقول كلمة الحق في الغضب والرضا. ويكثر من الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ لأمته : (وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب)[1] ومن قوله ﷺ :(اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء)[2].
إن سنة الله ماضية في الأمم والشعوب لاتتبدل ولا تتغير ولاتجامل، وجعل سبحانه وتعالى من أسباب هلاك الأمم والشعوب الاختلاف قال ﷺ :(فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا) وفي رواية فأهلكوا[3].

وعن ابن حبان والحاكم عن ابن مسعود :(فإنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف)[4] قال ابن حجر العسقلاني : وفي الحديث والذي قبله الحض على الجماعة والألفة والتحذير من الفرقة

(1) انظر: النسائي، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر (55/3) صححه الالباني.

(2) رواه الترمذي وصححه الالباني، كما في صحيح سنن الترمذي (183/3).

(3) انظر: صحيح البخاري بشرح العسقلاني (101/9، 102).

(4) المصدر السابق نفسه (102/9).

والاختلاف[1].

وقال ابن تيمية - رحمه الله - : (وأمرنا الله تعالى بالاجتماع والائتلاف ونهانا عن التفرق والاختلاف)[2].

والاختلاف المهلك للأمة هو الاختلاف المذموم، وهو الذي يؤدي إلى تفرقها وتشتتها وانعدام التناصر فيما بين المختلفين كل طرف يعتقد ببطلان ماعند الطرف الآخر، وقد يؤول الأمر إلى استباحة قتال بعضهم بعضاً[3].

(وإنما كان الاختلاف علّة لهلاك الأمة كما جاء في حديث رسول الله ﷺ، لأن الاختلاف المذموم الذي ذكرنا بعض أوصافه يجعل الأمة فرقاً شتى مما يضعف الأمة، لأن قوتها وهي مجتمعة أكبر من قوتها وهي متفرقة، وهذا الضعف العام الذي يصيب الأمة بمجموعها يجرئ العدو عليها فيطمع فيها، ويحتل أرضها ويستولي عليها ويستعبدها ويمسخ شخصيتها وفي ذلك انقراضها وهلاكها[4].

إن من الدروس المهمة في هذه الدراسة التاريخية أن نتوقى الهلاك بتوقي الاختلاف المذموم، لأن الاختلاف كان سبباً من الأسباب في ضياع بلادنا وتسلط الطليان عليها وإن أخطر مانعاني منه الآن الخلاف في صفوف الحركات الإسلامية التي تقوم بواجب الدعوة إلى الله تعالى، وهذا الخلاف قد يؤدي إلى ضعف الحركات العاملة إذا لم تتخذ سبيل الوقاية منه.

يقول الشيخ عبدالكريم زيدان: (والاختلاف كما يضعف الأمة ويهلكها يضعف الجماعة المسلمة التي تنهض بواجب الدعوة إلى الله ثم يهلكها ولهذا كان شر ماتبتلى به الجماعة المسلمة وقوع الاختلاف المذموم فيما بينها بحيث يجعلها فرقاً شتى، بحيث ترى كل فرقة أنها على حق وصواب وأن غيرها على خطأ وضلال، وتعتقد كل فرقة أنها هي التي تعمل لمصلحة الدعوة. وهيهات أن تكون الفرقة والتشتت والاختلاف المذموم في مصلحة الدعوة أو أن مصلحة الدعوة تأتي عن طريق التفرق، ولكن الشيطان هو الذي يزين الفرقة والتفرق في أعين المتفرقين المختلفين فيجعلهم يعتقدون أن اختلافهم وتفرقهم في مصلحة الدعوة. والاختلاف في الجماعة لايقف تأثيره عند حد إضعاف الجماعة وإنما يضعف تأثيرها في الناس، وتجعل المعرضين ينفثون باطلهم في الناس ويقولون: جماعة سوء تأمر الناس بأحكام الإسلام، والإسلام يدعو إلى الألفة والاجتماع وينهى عن الاختلاف، وهي تخالفه إذ هي متفرقة مختلفة فيما بينها، كل فرقة تعيب الأخرى وتدعي أنها وحدها على الحق. ثم يؤول الأمر إلى انحسار تأثير الجماعة في المجتمع ثم اضمحلالها واندثارها وقيام جماعات جديدة مكانها هي فرق المنفصلين عنها، ووقائع التاريخ البعيد والقريب تؤيد مانقول)[5].

الفصل الثاني

---

(1) انظر: صحيح البخاري بشرح العسقلاني (102/9).

(2) انظر: مجموع الفتاوى (116/19).

(3) انظر: السنن الالهية ، د. عبدالكريم زيدان، ص139.

(4) المصدر السابق نفسه، ص139.

(5) انظر: السنن الالهية، ص141،140.

الشيخ الجليل عمر المختار - رحمه الله - نشأته ، وأعماله، واستشهاده

المبحث الأول نشأته وأعماله

اولاً: مولده ونسبه ونشأته وشيوخه

ولد الشيخ الجليل عمر المختار من أبوين صالحين عام 1862م[1] وقيل 1858م، وكان والده مختار بن عمر من قبيلة المنفة من بيت فرحات وكان مولده بالبطنان في الجبل الأخضر، ونشأ وترعرع في بيت عز وكرم، تحيط به شهامة المسلمين وأخلاقهم الرفيعة، وصفاتهم الحميدة التي استمدوها من تعاليم الحركة السنوسية القائمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

توفي والده في رحلته إلى مكة لأداء فريضة الحج، فعهد وهو في حالة المرض إلى رفيقه السيد أحمد الغرياني (شقيق شيخ زاوية جنزور الواقعة شرق طبرق) بأن يبلغ شقيقه بأنه عهد إليه بتربية ولديه عمر ومحمد، وتولى الشيخ حسين الغرياني رعايتهما محققاً رغبة والدهما، فأدخلهما مدرسة القرآن الكريم بالزاوية، ثم الحق عمر المختار بالمعهد الجغبوبي لينضم إلى طلبة العلم من أبناء الأخوان والقبائل الأخرى[2].

لقد ذاق عمر المختار - رحمه الله - مرارة اليتم في صغره، فكان هذا من الخير الذي أصاب قلبه الملئ بالإيمان وحب الله ورسوله ﷺ حيث التجأ إلى الله القوي العزيز في أموره كلها، وظهر منه نبوغ منذ صباه مما جعل شيوخه يهتمون به في معهد الجغبوب الذي كان منارة للعلم، وملتقى للعلماء، والفقهاء والأدباء والمربين الذين كانوا يشرفون على تربية وتعليم وإعداد المتفوقين من أبناء المسلمين ليعدوهم لحمل رسالة الإسلام الخالدة، ثم يرسلوهم بعد سنين عديدة من العلم والتلقي والتربية إلى مواطن القبائل في ليبيا وافريقيا لتعليم الناس وتربيتهم على مبادئ الإسلام وتعاليمه الرفيعة ومكث في معهد الجغبوب ثمانية أعوام ينهل من العلوم الشرعية المتنوعة كالفقه، والحديث والتفسير ومن أشهر شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم، السيد الزروالي المغربي، والسيد الجواني، والعلامة فالح بن محمد بن عبدالله الظاهري المدني وغيرهم كثير، وشهدوا له بالنباهة ورجاحة العقل، ومتانة الخلق، وحب الدعوة، وكان يقوم بما عليه من واجبات عملية أسوة بزملائه الذين يؤدون أعمالاً مماثلة في ساعات معينة إلى جانب طلب العلم وكان مخلصاً في عمله متفانياً في أداء ماعليه ولم يعرف عنه زملاؤه أنه أجل عمل يومه إلى غده وهكذا اشتهر بالجدية والحزم والاستقامة والصبر، ولفتت شمائله أنظار أساتذته وزملائه وهو لم يزل يافعاً، وكان الأساتذة يبلغون الإمام محمد المهدي أخبار الطلبة وأخلاق كل واحد منهم، فأكبر السيد محمد المهدي في

---

(1) انظر: عمر المختار نشأته وجهاده، د. ادريس الحريري، ص65.

(2) انظر : عمر المختار للاشهب، ص26.

عمر المختار صفاته وما يتحلى به من خلال[1]، وأصبح على إلمام واسع بشئون البيئة التي تحيط به وعلى جانب كبير في الإدراك بأحوال الوسط الذي يعيش فيه وعلى معرفة واسعة بالأحداث القبلية وتاريخ وقائعها وتوسع في معرفة الأنساب والارتباطات التي تصل هذه القبائل بعضها ببعض، وبتقاليدها، وعاداتها، ومواقعها، وتعلم من بيئته التي نشأ فيها وسائل فض الخصومات البدوية ومايتطلبه الموقف من آراء ونظريات، كما أنه أصبح خبير بمسالك الصحراء وبالطرق التي كان يجتازها من برقة إلى مصر والسودان في الخارج وإلى الجغبوب والكفرة من الداخل، وكان يعرف أنواع النباتات وخصائصها على مختلف أنواعها في برقة، وكان على دراية بالأدواء التي تصيب الماشية ببرقة ومعرفة بطرق علاجها نتيجة للتجارب المتوارثة عند البدو وهي اختبارات مكتسبة عن طريق التجربة الطويلة، والملاحظة الدقيقة، وكان يعرف سمة كل قبيلة، وهي السمات التي توضع على الإبل والأغنام والأبقار لوضوح ملكيتها لأصحابها، فهذه المعلومات تدل على ذكاء عمر المختار وفطنته منذ شبابه[2].

ثانياً:وصف عمر المختار :

كان عمر المختار متوسط القامة يميل إلى الطول قليلاً، ولم يكن بالبدين الممتلئ أو النحيف الفارغ، أجش الصوت بدوي اللهجة، رصين المنطق، صريح العبارة، لايمل حديثه، متزن في كلامه، تفتر ثناياه أثناء الحديث عن ابتسامة بريئة، أو ضحكة هادئة إذا ما اقتضاها الموقف، كثيف اللحية وقد أرسلها منذ صغره، تبدو عليه صفات الوقار والجدية في العمل، والتعقل في الكلام والثبات عند المبدأ وقد أخذت هذه الصفات تتقدم معه بتقدم السن[3].

ثالثاً: تلاوته للقرآن الكريم وعبادته:

كان عمر المختار شديد الحرص على أداء الصلوات في أوقاتها وكان يقرأ القرآن يومياً، فيختم المصحف الشريف كل سبعة أيام منذ أن قال له الامام محمد المهدي السنوسي ياعمر (وردك القرآن) وقصة ذلك كما ذكرها محمد الطيب الأشهب، أنه استأذن في الدخول على الامام محمد المهدي من حاجبه محمد حسن البسكري في موقع بئر السارة الواقع في الطريق الصحراوي بين الكفرة والسودان وعندما دخل على المهدي تناول مصحفاً كان بجانبه وناوله للمختار وقال : هل لك شيء آخر تريده فقلت له ياسيدي أن الكثيرين من الأخوان يقرأون أوراداً معينة من الأدعية والتضرعات أجزتوهم قراءتها وأنا لا أقرأ إلا الأوراد الخفيفة عقب الصلوات فأطلب منكم اجازتي بما ترون فأجابني ﷺ بقوله: (ياعمر وردك القرآن) فقبلت يده وخرجت أحمل هذه الهدية العظيمة (المصحف) ولم أزل بفضل الله احتفظ بها في حلي وترحالي ولم يفارقني مصحف سيدي منذ ذلك اليوم وصرت مداوماً على القراءة فيه يومياً لأختم السلكة كل سبعة ايام ، وسمعت من شيخنا سيدي احمد الريفي أن بعض كبار الأولياء يداوم على طريقة قراءة القرآن مبتدئاً (بالفاتحة) الى (سورة المائدة) ثم الى (سورة يونس) ، ثم الى (سورة الاسراء) ثم الى (سورة الشعراء) ، ثم الى (سورة الصافات) ثم الى (سورة ق) ثم الى آخر السلكة ومنذ ذلك الحين وأنا أقرأ القرآن من المصحف

---

(1) انظر: عمر المختار للاشهب، ص26.

(2) انظر: عمر المختار للاشهب، ص27.

(3) المصدر السابق نفسه، ص28.

الشريف بهذا الترتيب[1].

إن المحافظة على تلاوة القرآن والتعبد به تدل على قوة الايمان، وتعمقه في النفس، وبسبب الايمان العظيم الذي تحلى به عمر المختار انبثق عنه صفات جميلة، كالامانة والشجاعة، والصدق، ومحاربة الظلم، والقهر، والخنوع وقد تحلى هذا الايمان في حرصه على أداء الصلوات في أوقاتها قال تعالى: {إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا} وكان يتعبد المولى عز وجل بتنفيذ أوامره ويسارع في تنفيذها وكان كثير التنفل في أوقات الفراغ، وكان قد ألزم نفسه بسنة الضحى وكان محافظاً على الوضوء حتى في غير أوقات الصلاة، ومما يروى عنه أنه قال: لا أعرف إنني قابلت أحداً من السادة السنوسية وأنا على غير وضوء منذ شرفني الله بالانتساب إليهم[2].

لقد كان هذا العبد الصالح يهتم بزاده الروحي اليومي بتلاوة القرآن الكريم، وقيام الليل واستمر معه هذا الحال حتى استشهاده.

فهذا المجاهد محمود الجهمي الذي حارب تحت قيادة عمر المختار وصاحبه كثيراً، يذكر في مذكراته أنه كان يأكل معه وينام معه في مكان واحد ويقول: (لم أشهد قط أنه نام لغاية الصباح، فكان ينام ساعتين او ثلاثاً على أكثر تقدير، ويبقى صاحياً يتلو القرآن الكريم، وغالباً مايتناول الابريق ويسبغ الوضوء بعد منتصف الليل ويعود الى تلاوة القرآن ، لقد كان على خلق عظيم يتميز بميزات التقوى والورع، ويتحلى بصفات المجاهدين الأبرار....)[3].

وأما الاستاذ محمد الطيب الاشهب فقد قال : (وقد عرفته معرفة طيبة وقد مكنتني هذ المصاحبة من الاحتكاك به مباشرة، فكنت أنام بخيمته والى جانبه وأهم ماكنت امقته منه رحمه الله وأنا وقت ذاك حديث السن هو أنه لايتركنا أن ننام إذ يقضي كل ليلة يتلو القرآن ويقوم مبكراً فيأمرنا بالوضوء بالرغم عما نلاقيه من شدة البرد ومتاعب السفر...)[4].

وكأني أراه من خلف السنين وهو قائم يصلي لله رب العالمين في وديان وجبال وكهوف الجبل الأخضر وقد التف بجرده الابيض في ظلمة الليل البهيم وهو يتلو كتاب الله بصوت حزين، وتنحدر الدموع على خدوده من خشية العزيز الرحيم.

قال تعالى: {إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور} (سورة فاطر ، الآية).

لقد وصى رسول الله ﷺ ابا ذر بذلك فقال: (عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء) وقد حذر الرسول الكريم من هجر القرآن فقال: (إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخَرِبْ)[5].

قال الشاعر:

قم في الدجى واتل الكتاب

ولا تنم إلا كنومة حائر ولهان

---

(1) انظر: عمر المختار، ص29،28.

(2) انظر: مذكرات مجاهد، محمود الجهمي، محمد مناع.

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) انظر: برقة العربية ، ص439.

(5) رواه البخاري.

فلربما تأتي المنية بغتة

فتساق من فرش الى الاكفان

ياحبذا عينان في غسق الدجى

من خشية الرحمن باكيتان

اعرض عن الدنيا الدنيئة زاهداً

فالزهد عند أولى النهى زهدان

زهد عن الدنيا وزهد في الثناء

طوبى لمن أمسى له الزهدان[1]

إن من اسباب الثبات التي تميز به عمر المختار حتى اللحظات الأخيرة من حياته إدمانه على تلاوة القرآن الكريم والتعبد به وتنفيذ أحكامه، لأن القرآن الكريم مصدر تثبيت وهداية وذلك لما فيه من قصص الأنبياء مع أقوامهم ، ولما فيه من ذكر مآل الصالحين، ومصير الكافرين والجاحدين وأوليائه بأساليب متعددة[2].

لقد كان عمر المختار يتلوا القرآن الكريم بتدبر وإيمان عظيم فرزقه الله الثبات وهداه طريق الرشاد ولقد صاحبه حاله في التلاوة حتى النفس الأخير، وهو يساق الى حبل المشنقة وهو يتلو قوله تعالى :{يا أيتها النفس المطمئة ارجعي الى ربك راضية مرضية}[3] (سورة الفجر).

رابعاً: شجاعته وكرمه:

إن هذه الصفة الجميلة تظهر في سيرة عمر المختار منذ شبابه الباكر ففي عام 1311هـ (1894م) تقرر سفر عمر المختار على رأس وفد الى السودان يضم كل من السيد خالد بن موسى، والسيد محمد المسالوسي ، وقرجيله المجبري وخليفة الدبار الزوي احد اعضاء زاوية واو بفزان (وهو الذي روى القصة) وفي الكفرة وجد الوفد قافلة من التجار من قبيلتي الزوية والمجابرة ، وتجار آخرين من طرابلس وبنغازي تتأهب للسفر الى السودان، فانضم الوفد الى هؤلاء التجار الذين تعودوا السير في الطرق الصحراوية ، ولهم خبرة جيدة بدروبها وعندما وصل المسافرون الى قلب الصحراء بالقرب من السودان قال بعض التجار الذين تعودوا المرور من هذا الطريق إننا سنمر بعد وقت قصير بطريق وعر لا مسلك لنا غيره ومن العادة - إلا في القليل النادر- يوجد فيه أسد ينتظر فريسته من القوافل التي تمر من هناك، وتعودت القوافل أن تترك له بعيراً كما يترك الانسان قطعة اللحم الى الكلاب أو القطط، وتمر القوافل بسلام واقترح المتحدث أن يشترك الجميع في ثمن بعير هزيل ويتركونه للاسد عند خروجه، فرفض عمر المختار بشدة قائلاً: (إن الاتاوات التي كان يفرضها القوي منا على الضعيف بدون حق أبطلت فكيف يصح لنا أن نعيد اعطاءها للحيوان إنها علامة الهوان والمذلة. إننا سندفع الاسد بسلاحنا اذا ما اعترض طريقنا) وقد حاول بعض المسافرين أن يثنيه عن عزمه، فرد عليهم قائلاً: أنني أخجل عندما أعود وأقول أنني تركت بعيراً الى حيوان اعترض طريقي وأنا على استعداد لحماية ما معي وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته إنها عادة سيئة يجب أن نبطلها ، وما كادت القافلة تدنو من الممر الضيق حتى خرج الاسد من

---

(1) انظر: نونسية القحطاني، ص42.

(2) انظر: الثبات ، د. محمد بن حسن عقيل، ص12.

(3) انظر: عمر المختار للاشهب، ص159.

مكانه الذي اتخذه على احدى شرفات الممر فقال أحد التجار وقد خاف من هول المنظر وارتعشت فرائصه من ذلك: أنا مستعد أتنازل عن بعير من بعائري ولا تحاولوا مشاكسة الأسد، فانبرى عمر المختار ببندقيته وكانت من النوع اليوناني ورمى الاسد بالرصاصة الاولى فأصابته ولكن في غير مقتل واندفع الاسد يتهادى نحو القافلة فرماه بأخرى فصرعته، وأصر عمر المختار على أن يسلخ جلده ليراه أصحاب القوافل فكان له ما أرد[1].

إن هذه الحادثة تدلنا على شجاعة عمر المختار وقد تناولتها المجالس يومذاك بمنتهى الاعجاب وقد سأل الاستاذ محمد الطيب الاشهب عمر المختار نفسه عن هذه الحادثة في معسكر المغاربة بخيمة السيد محمد الفائدي عن هذه الواقعة فأجاب بقوله: تريدني ياولدي أن أفتخر بقتل صيد قال لي ما قاله قديماً أحد الأعراب لمنافسه وقد قتل أسداً (أتفتخر عليّ بانك قتلت حشرة) وامتنع عمر المختار بقول الله تعالى : {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى} (سورة الانفال).

إن جواب عمر المختار بهذه الآية الكريمة يدل على تأثره العميق بالقرآن الكريم، لأنه تعلم أن أهل الايمان والتوحيد في نظرتهم العميقة لحقيقة الوجود، وتطلعهم الى الآخرة ينسبون الفضل الى العزيز الوهاب سبحانه وتعالى، ويتخلصون من حظوظ نفوسهم، فهو الذي مرّ كثيراً على دعاء نبي الله يوسف عليه السلام: {رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والارض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً والحقني بالصالحين} (سورة يوسف: الآية 101).

وهو الذي تعلم من سيرة ذي القرنين هذا المعنى الرفيع والذي لابد من وجوده في الشخصية القيادية الربانية في قوله تعالى: {هذا رحمة من ربي....} (سورة الكهف، الآية 98)، فعندما بنى السد ، ورفع الظلم ، واعان المستضعفين نسب الفضل الى ربه سبحانه وتعالى.

إن عمر المختاركان صاحب قلب موصول بالله تعالى، فلم تسكره نشوة النصر، وحلاة الغلبة بعد ما تخلص من الاسد الاسطورة وازاح الظلم وقهر التعدي بل نسب الفضل الى خالقه ولذلك أجاب سائله بقوله تعالى: {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى} (سورة الانفال، الآية 17) .

إن صفة الشجاعة ظهرت في شخصية عمر المختار المتميزة في جهاده في تشاد ضد فرنسا، وفي ليبيا ضد ايطاليا ويحفظ لنا التاريخ هذه الرسالة التي ارسلها عمر المختار رداً على رسالة من الشارف الغرياني الذي أكرهته ايطاليا ليتوسط لها في الصلح مع عمر المختار وايقاف الحرب.

(قال بعد البسملة والتصلية على رسول الله القائل أن الجنة تحت ظلال السيوف.

الى أخينا سيدي الشارف بن أحمد الغرياني حفظه الله وهداه، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ومغفرته ومرضاته. نعلمكم أن إيطاليا إذا أرادت أن تبحث معنا في أي موضوع تعتقد أنه يهمها ويهمنا فما عليها إلا أن تتصل بصاحب الأمر ومولاه سيدي السيد محمد إدريس ابن السيد محمد المهدي ابن السيد محمد السنوسي رضي الله عنهم جميعاً، فهو الذي يستطيع قبول البحث معهم أو رفضه، وأنتم لا تجهلون هذا بل وتعرفون إذا شئتم أكثر من هذا ومكان سيدي إدريس في مصر معروف عندكم وأما أنا وبقية الاخوان المجاهدين لا نزيد عن كوننا جند من جنوده لانعصي له أمراً ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن لايقدر علينا مخالفته فنقع فيما لانريد الوقوع فيه حفظنا الله وإياكم من الزلل نحن لا حاجة عندنا إلا مقاتلة أعداء الله والوطن وأعدائنا وليس لنا من الامر شيء إذا ما أمرنا سيدنا وولى نعمتنا رضي الله عنه ونفعنا به بوقف القتال نوقفه وإذا لم يأمرنا بذلك فنحن واقفون عند ما أمرنا به ولا نخاف طيارات العدو ومدافعه ودباباته وجنوده من الطليان

(1) انظر: عمر المختار للاشهب، ص39،40.

والحبش والسبايس المكسرين (هؤلاء الآخرين هم المجندون من بعض الليبيين) ولا نخاف حتى من السم الذي وضعوه في الآبار وبخوا به الزروع النابتة في الأرض نحن من جنود الله وجنوده هم الغالبون ونحن لا نريد لكم مايدفعكم إليه النصارى وظننا بكم خير والله يوفقنا ويهدينا وإياكم الى سبل الرشاد وإلى خدمة المسلمين ورضاء سيدنا رضي الله عنه وسلام الاسلام على من تبع الاسلام.

13 ربيع الثاني 1344هـ

نائب المنطقة الجبلية عمر المختار [1]

ومحل الشاهد من هذه الرسالة قوله: (ولا نخاف طيارات العدو ومدافعه ودباباته وجنوده من الطليان والحبش والسبايس ، ولا نخاف حتى من السم الذي وضعوه في الآبار ووضعوه على الزروع النابتة في الأرض نحن من جنود الله وجنوده هم الغالبون).

إن صفة الشجاعة ملازمة لصفة الكرم، كما أن الجبن والبخل لا يفترقان ولقد حفظ لنا التاريخ عبارة جميلة كان يرددها عمر المختار بين ضيوفه : (اننا لا نبخل بالموجود ولا نأسف لمفقود).

لقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة بمدح الكرم والانفاق وذم البخل والامساك، قال تعالى : {تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون} (سورة السجدة، آية 16).

لم تكن همة عمر المختار منصرفة الى جمع المال والثروة والغنى وإن كان قد ورث عن والده بعض الماشية إلا أنه تركها في رعاية بعض أقاربه في القبيلة وترك أرضه وموطنه منذ أن كان عمره 16 عاماً، وكان طيلة فترة إقامته في معهد الجغبوب تتكفل إدارة المعهد بمصروفاته وبعد أن تزوج وكوّن أسرة أصبح مورد رزقه مايتحصل عليه من نتاج الحيوانات القليلة ولم يكن يوماً من الأيام متفرغاً لجمع المال، وإنما عاش للعلم والدعوة والجهاد، وانشغل عن جمع الاموال والثروات وقضى حياته فقيراً مقتنعاً بما رزقه الله من القناعة والرضى بالكفاف وكان يبذل مافي وسعة لضيوفه وجنوده وينفق على أفراد جيشه ما لايخشى الفقر، ويقدم إخوانه على نفسه وأصبح شعاره (إننا لا نبخل بالموجود ولا نأسف لمفقود)[2].

خامساً: الدعوة والجهاد قبل الاحتلال الايطالي:

تفوق عمر المختار على اقرانه بصفات عدة منها، متانة الخلق، ورجاحة العقل، وحب الدعوة، ووصل أمره الى الزعيم الثاني للحركة السنوسية محمد المهدي السنوسي فقدمه على غيره واصطحبه معه في رحلته الشهيرة من الجغبوب الى الكفرة عام 1895م وفي عام 1897م أصدر محمد المهدي قراراً بتعيين عمر المختار شيخاً لزاوية القصور بالجبل الأخضر قرب المرج، وقام عمر المختار بأعباء المهمة خير قيام، فعلمّ الناس أمور دينهم، وساهم في فض النزعات بين القبائل وعمل على جمع كلمتهم وسعى في مصالحهم ، وسار في الناس سيرة حميدة، فظهر في شخصيته أخلاق الدعاة من حلم وتأني، وصبر، ورفق، وعلم ، وزهد.

ومما تجدر الاشارة إليه أن وقوع الاختيار عليه للقيام بأمور هذه الزاوية كان مقصوداً من قبل قيادة الحركة السنوسية حيث أن هذه الزاوية كانت في ارض قبيلة العبيد التي عرفت بقوة الشكيمة، وشدة

---

(1) انظر:عمر المختار للاشهب، ص87.

(2) انظر: عمر المختار، ص32.

المراس، فوفقه الله في سياسة هذه القبيلة ، ونجح في قيادتها بفضل الله وبما أودع الله فيه من صفات قيادية من حكمة وعلم وحلم وصبر واخلاص.
إن الفترة التي قضاها في زاوية القصور تدلنا وتشهد لنا على أعماله الجليلة ؛ كداعية رباني يدعو الى الاسلام ونشره بالفكرة والاقناع والارشاد التوجيه، فهو قمة شامخة في هذا المجال، فهو لم يدخل مجال الدعوة والارشاد إلا بعد أن تعلم من أمور دينه الكثير، فشق طريق الدعوة بزاد علمي، وثقافة متميزة، وتفوق روحي، ورجاحة عقل، وقوة حجة ورحابة صدر، وسماحة نفس لقد كان حريصاً على تعلم العلم والعمل به وتعليمه وعندما زحف الاستعمار الفرنسي على مراكز الحركة السنوسية في تشاد، نظمت الحركة السنوسية نفسها وأعدت للجهاد عدتها، واختارت من القادة من هم أولى بهذا العمل الجليل، فكان عمر المختار من ضمنهم فقارع الاستعمار الفرنسي مع كتائب الحركة السنوسية المجاهدة في تشاد وبذل مافي وسعه حتى لفت الانظار الى حزمه وعزمه وفراسته وبعد نظره وحسن قيادته فقال عنه محمد المهدي السنوسي: (لو كان لدينا عشرة مثل المختار لاكتفينا)[1].
وبقي عمر المختار في تشاد يعمل على نشر الاسلام ودعوة الناس وتربيتهم الى جانب جهاده ضد فرنسا، فحمل الكتاب الذي يهدي بيد والسيف الذي يحمي باليد الاخرى، وظهرت منه شجاعة وبطولة وبسالة نادرة في الدفاع عن ديار المسلمين، وكانت المناطق التي يتولى أمرها أمنع من عرين الاسد، ولا يخفى مافي ذلك من ادراك القيادي المسلم لواجبه تجاه دينه وعقيدته وأمته[2].
وعندما أصيبت الأبل التي كانت تحمل الاثقال للمجاهدين بمرض الجرب، وكان عددها لا يقل عن أربعة آلاف بعير وكانت تلك الابل هي قوام الحياة بالنسبة للمجاهدين واهتم السيد المهدي السنوسي بشأن علاجها ووقع اختياره على عمر المختار ليكون المسؤول عن هذه المهمة التي شغلت بال المجاهدين، فأمره بأن يذهب بالابل الى موقع (عين كلك) نظراً لوفرة مائه ولصلاحيته، وكان على عمر المختار مهمة اخرى وهي الاحتياط والحرص الشديد واتخاذ التدابير اللازمة للدفاع، واختار عمر المختار من المجاهدين مجموعة خيرة، وذهب لتنفيذ أمر القيادة وكان توفيق الله له عظيماً في مهمته العسيرة فنال أعجاب السيد المهدي[3].
وفي عام 1906م رجع عمر المختار بأمر من القيادة السنوسية الى الجبل الاخضر ليستأنف عمله في زاوية القصور، ولكن ذلك لم يستمر طويلاً، فقد بدأت المعارك الضارية بين الحركة السنوسية والبريطانيين في منطقة البردى ومساعد والسلوم على الحدود الليبية المصرية. ولقد شهد عام 1908م أشد المعارك ضراوة وانتهت بضم السلوم الى الأراضي المصرية تحت ضغوط بريطانيا على الدولة العثمانية، وعاد الشيخ عمر المختار الى زاوية القصور وبرزت شخصيته بين زملائه مشايخ الزوايا، وبين شيوخ وأعيان القبائل، ولدى الدوائر الحكومية العثمانية، وظهرت مقدرته في مهمته الجديدة بصورة تلفت النظر، وأصبح متميزاً في حزمه في ادارة الزاوية وفي تعاونه مع زملائه الآخرين وفي معالجته للمشاكل القبلية، وفي ميدان الاصلاح العام مضرباً للامثال.
وكانت تربطه صلات شخصية مع عدد كبير من زعماء، وأعيان القبائل في برقة، وكذلك زعماء المدن، وكان زعماء البراعصة يحبون عمر المختار حباً نابعاً من قلوبهم في حين أنهم لم يكونوا من القبائل التابعة لزاويته ÷ وارتبطت علاقاته الاخوية مع شيوخ الزوايا كالسادة السنوسي

---

(1) انظر: مجلة المسلم.

(2) انظر: عمر المختار للأشهب، ص27.

(3) انظر: عمر المختار، ص37.

الأشهب شيخ زاوية مسوس، وعمران السكوري شيخ زاوية المرج، وعبد ربه بوشناف الشيخي، والحسن الغماري شيخ زاوية دريانه[1].

سادساً: الشيخ عمر المختار في معاركه الأولى ضد إيطاليا:

عندما اندلعت الحرب الليبية الايطالية عام 1911م كان عمر المختار وقتها بواحة (جالو) خفّ مسرعاً الى زاوية (القصور) وامر بتجنيد كل من كان صالحاً للجهاد من قبيلة العبيد التابعة لزواية (القصور) ، فاستجابوا نداءه، واحضروا لوازمهم، وحضر أكثر من ألف مقاتل، وكان عيد الاضحى من نفس السنة الهجرية على الأبواب أي لم يبق عنه إلا ثلاثة أيام فقط، ولم ينتظر السيد عمر المختار عند أهله حتى يشاركهم فرحة العيد، فتحرك بجنوده وقضوا يوم العيد في الطريق وكانت الذبائح التي اكل المجاهدين من لحومها يوم العيد من السيد عمر المختار شخصياً، ووصل المجاهدون وعلى راسهم عمر المختار وبرفقته احمد العيساوي الى موقع بنينه حيث معسكر المجاهدين الذي فرح بقدوم نجدة عمر المختار ورفقائه ثم شرعوا يهاجمون العدو ليلاً ونهاراً وكانت غنائمهم من العدو تفوق الحصر[2] وقد بينت دور الزوايا في جهادها ضد ايطاليا في الجزء الثاني عن الحركة السنوسية والذي سميته سيرة الزعمين محمد المهدي السنوسي ، وأحمد الشريف.

ويذكر الشيخ محمد الأخضر العيساوي بأنه كان قريباً من عمر المختار في معركة السلاوي عام 1911م فوصف لنا بعض احداث تلك المعركة فقال: (..وقد فاجأنا العدو فقابله من المجاهدين الخيالة، بينما كان العدو يضربنا بمدافعه الرشاشة واضطررنا للنزول في مكان منخفض مزروعاً بالشعير وكانت السنابل تتطاير بفعل الرصاص المنهمر، فكأنها تحصد بالمناجل، وبينما نحن كذلك إذ رأينا مكاناً منخفضاً أكثر من المكان الذي نحن فيه، وأردنا أن يأوى إليه السيد عمر المختار بسبب خوفنا عليه فرفض بشدة حتى جاءه احد أتباعه يدعى السيد الأمين ودفعه بقوة الى المكان الذي اخترناه لايوائه وحاول الخروج منه فمنعناه بصورة جماعية......)[3].

كما أشار الشيخ محمد الأخضر الى إعجاب الضباط الأتراك به وبشجاعته وبالآراء السديدة التي تصدر عنه فكأنما هي تصدر من قائد ممتاز تخرج عن كلية عسكرية، وكان قدومه الى معسكرات المجاهدين مشجعاً وباعثاً للروح المعنوية في قوة خارقة وقد تحدثت في سيرة احمد الشريف في الجزء الثاني عن الحركة السنوسية عن حركة الجهاد في أيامها الأولى ضد ايطاليا، وكان عمر المختار من المقربين للشيخ احمد الشريف السنوسي، وبعد هجرته لازم عمر المختار الأمير محمد ادريس وقام بواجباته خير قيام وبعد هجرة الأمير الى مصر تولى أمر القيادة العسكرية بالجبل الاخضر، وأخذ في تهيئة النفوس لمجابهة العدو وبدأ جولاته في أنحاء المنطقة للاتصال بالاهالي وزعمائهم، بل وبالأفراد كخطوة اولى للعمل الجديد الشاق في نفس الوقت، وقام بفتح باب التطوع للجهاد، فأقبل الليبيين من ابناء قبائل الجبل بوجوه مستبشرة وقلوب مطمئنة وتلهف على مجابهة العدو الغادر، وكانت ترافقه لجنة مكونة من أعيان وشيوخ قبائل المنطقة (البراغيث، والحرابي، والمرابطين) لمساعدته في عمله العظيم وكان من بينهم ؛ بوشديق بومازق حدوث، الصيفاط بوفروة، محمد بولقاسم جلغاف، حمد الصغير حدوث، دلاف بوعبدالله، محمد العلواني، سويكر

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص41،40.

(2) انظر: عمر المختار للاشهب، ص6.

(3) انظر : عمر المختار للاشهب، ص6.

عبدالجليل، موسى بوغيضان، الغرياني عبدربه بوشناف، عبدالله الخرساني، عوض العبيدي، رجب بوسيحة، رواق بودرمان، كريم بوراقي ، قطيط الحاسي، وغير هؤلاء من علية القوم، فزار أغلب منطق الجبل والبطنان، وكان سمو الأمير قد وصل الى مصر (يناير 1923م) وما كاد السيد عمر ينتهي من جولته هذه ويطمئن للنتائج حتى قرر الالتحاق بسمو الامير في مصر ليعرض عليه نتيجة عمله ويتلقى منه التوجيهات اللازمة[1].

سابعاً: سفره الى مصر :

سافر في شهر مارس سنة 1923م الى مصر بصحبة علي باشا العبيدي وترك رفقائه عند بئر الغبي حتى يعود إليهم، واستطاع اجتياز الحدود المصرية وتمكن من مقابلة السيد ادريس بمصر الجديدة ، وكان عمر المختار عظيم الولاء للسنوسية وزعمائها وشيوخها وظهر ذلك الولاء في إقامته بمصر عندما حاول جماعة من قبيلة المنفة وهي قبيلة السيد عمر المختار، وكانوا قد اقاموا بمصر، أن يقابلوا السيد عمر للترحيب به، فاستفسر المختار قبل ان يأذن لهم بذلك عما أذا كانوا قد سعوا لمقابلة الأمير عند حضوره الى مصر، فلما أجاب هؤلاء بالنفي معتذرين بأن أسباباً عائلية قهرية منعتهم من تأدية هذا الواجب رفض المختار مقابلتهم قائلاً: (وكيف تظهرون لي العناية وتحضرون لمقابلتي وأنتم الذين تركتم شيخي الذي هو ولي نعمتي وسبب خيري. أما وقد فعلتم ذلك فإني لا أسمح لكم بمقابلتي ولا علاقة من الآن بيني وبينكم)[2].

فما إن بلغ السيد ادريس مافعله عمر المختار مع من جاء إليه من أبناء قبيلته حتى أصدر امره بمقابلتهم فامتثل المختار لامره[3].

حاولت ايطاليا بواسطة عملائها بمصر الاتصال بالسيد عمر المختار وعرضت عليه بأنها سوف تقدم له مساعدة إذا ماتعهد باتخاذ سكنه في مدينة بنغازي أو المرج، وملازمة بيته تحت رعاية وعطف ايطاليا، وأن حكومة روما مستعدة بأن تجعل من عمر المختار الشخصية الاولى في ليبيا كلها وتتلاشى أمامه جميع الشخصيات الكبيرة التي تتمتع بمكانتها عند ايطاليا في طرابلس وبنغازي، وإذا ما اراد البقاء في مصر فما عليه إلا أن يتعهد بأن يكون لاجئاً ويقطع علاقته بادريس السنوسي، وفي هذه الحالة تتعهد حكومة روما بان توفر له راتباً ضخماً يمكنّة من حياة رغدة، وهي على استعداد أن يكون الاتفاق بصورة سرية وتوفير الضمانات لعمر المختار ويتم كل شيء بدون ضجيج تطميناً لعمر المختار وقد طلبت منه نصح الاهالي بالاقلاع عن فكرة القيام في وجه ايطاليا[4]، وقد أكد عمر المختار هذا الاتصال وهو في مصر لما سئل عن ذلك وقال: ثقوا أنني لم أكن لقمة طائبة يسهل بلعها على من يريد، ومهما حاول أحد أن يغير من عقيدتي ورأي واتجاهي، فإن الله سيخيبه، ومن (طياح سعد) إيطاليا ورسلها هو جهلها بالحقيقة. وأنا لم اكن من الجاهلين والموتورين فادعي أنني أقدر أعمل شيئاً في برقة، ولست من المغرورين الذين يركبون رؤسهم ويدعون أنهم يستطيعون أن ينصحوا الأهالي بالاستسلام، انني أعيذ نفسي من أن أكون في يوم من الايام مطية للعدو وأذنابه فأدعوا الأهالي بعدم الحرب ضد الطليان، وإذا لاسمح الله قدّر عليّ بأن أكون موتوراً فإن اهل برقة لايطيعون لي امراً يتعلق بإلقاء السلاح إنني أعرف أن قيمتي

---

(1) انظر: عمر المختار للاشهب، ص56.

(2) انظر: عمر المختار للاشهب ، ص8.

(3) انظر: السنوسية دين ودولة، ص271.

(4) انظر: عمر المختار، ص56.

في بلادي إذا ماكانت لي قيمة أنا وأمثالي فأنها مستمدة من السنوسية[1].
لقد استمرت عروض الايطاليين على عمر المختار حتى بعد رجوعه للبلاد وحاولوا استمالته بالمال الطائل، والمناصب الرفيعة ، والجاه العريض في ظل حياة رغيدة ناعمة ولكنهم لم يفلحوا ، لقد كان عمر المختار رجل عقيدة، وصاحب دعوة ومؤمناً بفكرة استمدت اصولها وتصوراتها من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ويفهم جيداً معنى قول الله تعالى: {من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً} (الاسراء ، الآية).
وعندما خرج السيد عمر المختار من مصر قاصداً برقة لمواصلة الجهاد اجتمع به مشايخ قبيلته الموجودون بمصر من المتقدمين في السن وحاولوا أن يثنوه عن عزمه بدعوى أنه قد بلغ من الكبر عتيا وان الراحة والهدوء ألزم له من أي شيء آخر وأن باستطاعة السنوسية أن تجد قائداً غيره لتزعم حركة الجهاد في برقة، فغضب عمر المختار غضباً شديداً وكان جوابه قاطعاً فاصلاً فقال لمحدثيه: (إن كل من يقول لي هذا الكلام لا يريد خيراً لي لأن ما أسير فيه إنما هو طريق خير ولا ينبغي لأحد أن ينهاني عن سلوكها، وكل من يحاول ذلك فهو عدو لي)[2].
لقد كان عمر المختار يعتقد اعتقاداً راسخاً أن ماكان يقوم به من الجهاد إنما هو فرض يؤديه وواجب ديني لامناص منه ولا محيد عنه ولذلك أخلص في عمله وسكناته واحواله وأقواله لقضية الجهاد في ليبيا وكان يكثر من الدعاء لله تعالى بأن يجعل موته في سبيل هذه القضية المباركة، فكان يقول: (اللهم اجعل موتي في سبيل هذه القضية المباركة)[3]، وأصر على البقاء في أرض الوطن الحبيب وقال: (لا أغادر هذا الوطن حتى ألاقي وجه ربي والموت أقرب الى من كل شيء فإني أترقبه بالدقيقة)[4].
وعندما عرض عليه أن يترك ساحة الجهاد، ويسافر الى الحج قال : (لن أذهب ولن أبرح هذه البقعة حتى يأتي رسل ربي وان ثواب الحج لايفوق ثواب دفاعنا عن الوطن والدين والعقيدة)[5].
وقال: (كل مسلم الجهاد واجب عليه وليس منه، وليس لغرض اشخاص وإنما هو لله وحده)[6].
إن هذه الكلمات التي كتبت بماء الذهب على صفحات تاريخنا المجيد نابعة من فهم عمر المختار لقوله تعالى: {أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لايستوون عند الله والله لايهدي القوم الظالمين۞الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم۞خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم} (سورة التوبة، الآيات 29، 20،21).
ومن فهمه لأحاديث رسول الله ﷺ: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)[1].

---

(1) انظر: عمر المختار، ص58.

(2) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص271.

(3) انظر: عمر المختار نشأته وجهاده للحساوي، ص36.

(4) المصدر السابق نفسه، ص37.

(5) المصدر السابق نفسه، ص37.

(6) المصدر السابق نفسه، ص37.

ولقوله ﷺ: (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد)[2].

إن هذه الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة، كانت المنهج العقدي والفكري الذي تربت عليها كتائب المجاهدين وقادتها الكرام الذين تربوا في احضان الحركة السنوسية.

تم الاتفاق بين الأمير ادريس وعمر المختار على تفاصيل الخطة التي يجب أن يتبعها المجاهدون في جهادهم ضد العدو الغاشم المعتدي على اساس تشكيل المعسكرات، واختيار القيادة الصالحة لهذه الادوار، وأن تظل القيادة العليا من نصيب عمر المختار نفسه وزوده الأمير بكتاب الى السيد الرضا بهذا المعنى وتم الاتفاق على بقاء الامير في مصر ليقود العمل السياسي، ويهتم بأمر المهاجرين ويضغط على الحكومة المصرية والانكليزية بالسماح للمجاهدين بالالتجاء الى مصر، ويشرف على إمداد المجاهدين بكل المساعدات الممكنة من مصر، ويرسل الارشادات والتعليمات اللازمة الى عمر المختار في الجبل واتفق على أن يكون الحاج التواتي البرعصي حلقة الوصل بين الأمير وقائد الجهاد، وبعد ذلك الاتفاق غادر عمر المختار القاهرة، وعند وصوله الى السلوم وجد بعض رفقائه في انتظاره، فأخذ الجميع حاجتهم من المؤن الكافية لرحلتهم الى الجبل الأخضر وغادروا السلوم الى برقة[3].

وقد حدث في أثناء وجود عمر المختار أن اشتبك المجاهدون مع الطليان في معركتين كبيرتين في بير بلال والبريقة في ذي القعدة 1341هـ/ 1923م ، فأنتصر المجاهدون على الطليان في معركة بير بلال بقيادة المجاهد قجة عبدالله السوداني واستشهد كل من المهدي الحرنة، والشيخ نصر الأعمى وغيرهم، وقد ساهم في هذه المعركة صالح الاطيوش، والفضيل المهشهش وكانت نفقات المجاهدين في هذه المعركة على حساب الفضيل المهشهش ووقعة معركة البريقة بعد بير بلال بأربعة أيام واستشهد فيها من أبطال الجهاد ابراهيم الفيل[4].

ومع هذه الانتصارات إلا أن الطليان استطاعوا احتلال اماكن للمجاهدين في برقة، وزحفوا على معسكر العواقير بموقع البدين وبعد معركة شديدة كبدت الطرفين خسائر فادحة انسحب المعسكر الى اجدابية واستمر الزحف الايطالي يلاحق المجاهدين حتى اشتبك مع طلائع معسكر المغاربة في الزويتينه؛ ولم يطل الدفاع عنها حتى احتلها الطليان وواصلوا زحفهم الى اجدابية حيث احتلوها في (ابريل 1923م)[5].

ثامناً: معركة بئر الغبي:

كانت عيون ايطاليا تترصد حركة عمر المختار في عودته الى برقة ولكنها فشلت في اللقاء به قبل أن يصل الى رفاقه وما كاد يصل الى بئر الغبي حتى فؤجئ بعدد من المصفحات الايطالية وإليك أحداث المعركة كما رواها عمر المختار بنفسه: (كنا لانتجاوز الخمسين شخصاً من المشايخ والعساكر وبينما تجمع هؤلاء حولنا لسؤالنا عن صحة سمو الامير، وكنا صائمين رمضان وإذا بسبعة سيارات ايطالية قادمة صوبنا فشعرنا بالقلق لأن مجيئها كان محل استغرابنا ومفاجأة لم

---

(1) رواه مسلم.

(2) انظر: صحيح سنن ابي داود للألباني.

(3) انظر: السنوسية دين ودولة، ص273.

(4) المصدر السابق نفسه، ص274،273.

(5) انظر: عمر المختار للأشهب، ص63.

نتوقعها، وكنا لم نسمع عن هجوم الطليان على المعسكرات السنوسية، واحتلالهم اجدابية، فأخذنا نستعد في هدوء والسيارات تدنوا منا في سير بطيء فأراد علي باشا العبيدي أن يطلق الرصاص من بندقيته ولكنني منعته قائلاً: لابد أن نتحقق قبلاً من الغرض ونعرف شيئاً عن مجيء هذه السيارات كي لانكون البادئين بمثل هذه الحوادث وبينما نحن في أخذ ورد وإذا بالسيارات تفترق في خطة منظمة المراد منها تطويقنا، وشاهدنا المدافع الرشاشة مصوبة نحونا فلم يبق هنا أي شك فيما يراد بنا فأمطرناهم وابلاً من رصاص بنادقنا، وإذا بالسيارات قد ولت الادبار الى منتجع قريب منا وعادت بسرعة تحمل صوفا، ولما دنت منا توزعت توزيعاً محكماً وأخذ الجنود ينزلون ويضعون الأصواف (الخام) أمامهم ليتحصنوا بها من رصاصنا[1] وبادرنا بطلق الأعيرة فأخذ علي باشا يولع سيجارة وقلت له رمضان ياعلي باشا منبهاً إياه للصوم فأجابني قائلاً: (مو يوم صيام المنشرزام)[2].

وفي أسرع مدة انجلت المعركة عن خسارة الطليان وأخذت النار تلتهم السيارات إلا واحدة فرت راجعة، وغنمنا جميع ماكان معهم من الأسلحة)[3].

ثم استمر المجاهدون في سيرهم حتى بلغوا الجبل الاخضر ووصلوا الى زاوية القطوفية (مكان معسكر المغاربة) وقابلهم صالح الاطيوش والفضيل المهشهش، ووقف عمر المختار على تفاصيل معركة البريقة وحال المجاهدين ثم واصل سيره الى جالو مقر السيد محمد الرضا ليبلغ التعليمات التي أخذها من سمو الامير.

وبعد أن تم اللقاء بين عمر المختار والسيد الرضا اتفقا على تنظيم حركة الجهاد وإنشاء المعسكرات في الجبل الاخضر واقترح عمر المختار على الرضا أن يرسل ابنه الصديق الى معسكر المغاربة عند صالح الاطيوش ومعسكر العواقير بقيادة قجة عبدالله السوداني، وهي معسكرات قريبة من بعضها ثم غادر عمر جالو الى الجبل الاخضر وشرع في تشكيل المعسكرات للمجاهدين ، وأنشئت معسكرات البراعصة والعبيد والحاسة، فاختار الرضا حسين الجويفي البرعصي لقيادة البراعصة، ويوسف بورحيل المسماري لمعسكر البراغيث والفضيل بوعمر لمعسكر الحاسة وأصبح عمر المختار القائد الأعلى لتلك المعسكرات.

وبدأ الجهاد الشاق والطويل واستمر متصلاً ومن غير هوداة حوالي ثمانية اعوام.

وكانت عامي 1924م، 1925م قد شاهدت مناوشات عدة ومعارك دامية، ووسع المجاهدون نشاطهم العسكري في الجبل الاخضر ولمع اسم عمر المختار نجمه كقائد بارع يتقن اساليب الكر والفر ويتمتع بنفوذ عظيم بين القبائل وأخذ العرب من أبناء القبائل ينضمون الى صفوف المجاهدين وبادرت القبائل بإمداد المجاهدين بما يحتاجون من مؤن وعتاد وأسلحة، وكان لقبائل العبيد، والبراعصة، والحاسة والدرسة والعواقير وأولاد الشيخ والعوامة، والشهيبات والمنفا والمسامير أكبر نصيب في حركة الجهاد.

كان معسكر البراغيث هو مركز الرياسة العامة ومقر القائد العام عمر المختار: وهو النواة الاولى وحجر الاساس لمعسكرات الجبل الاخضر الثلاثة وكان عمر المختار يلقب بنائب الوكيل العام، وكان السيد يوسف بورحيل يعرف بوكيل النائب وهكذا فقد تنظم الجهاز الحكومي في هذه المنطقة

---

(1) كان الصوف الخام الكثيف يستعمل ضد الرصاص.

(2) هذا المثل باللهجة البدوية ومعناه لم يكن اليوم من ايام الصيام حيث أن صوت البنادق آخذ يدوي وكلمة المنشر هي اسم لنوع من البنادق وكلمة زام دوى من الأدوية.

(3) انظر : عمر المختار، ص64.

الواسعة بتشكيل المحاكم الشرعية والصلحية وإدارة المالية (المحاسبة، والارزاق وجباية الزكاة الشرعية والخمس من الغنائم) واستمر التعاون بين هذه المعسكرات الثلاثة وفروعها في السراء والضراء وأخذت تقوم بحركات عظيمة ضد العدو وشن الغرة عليه في معاقله؛ كما كانت تتصدى لزحفه عليها، فتهجم حيناً ، وتنسحب حيناً آخر حسب ظروف الحرب[1].

أصبح تفكير إيطاليا محصوراً في برقة التي لم يتمكن الطليان منذ زحفهم على اجدابية سنة 1923م من احتلال مواقع تذكر عدا مدينة اجدابية ولذلك اهتمت ايطاليا ببرقة وانحصرت مجهوداتها في الفترة الواقعة بين سنة 1923م وبين 1927م على معسكرات عمر المختار الذي لم يخرج يوماً من معركة إلا ليدخل في معركة أخرى.

وفي عام 1927م وقع الوكيل العام السيد رضا المهدي السنوسي في الأسر بطريق الخديعة والخيانة والغدر وسقطت مناطق برقة الحمراء والبيضاء تدريجياً.

كانت قيادة الجيش الايطالي في برقة قد بدلت وتولى أمرها لتنفيذ الخطة الجديدة التي تستهدف ضرب الحصار على حركة الجهاد في الجبل الاخضر (ميزتي) كما استبدل والي بنغازي الايطالي (مومبيلي) بخلفه الجنرال (تيروتس) وهو من زعماء الحزب الفاشيستين وزود الجنرال ميزتي بعدد كبير من الجنرالات وكبار الضباط وأركان الحرب لمساعدته وفي نفس السنة تقدمت القوات الايطالية من طرابلس بقيادة الجنرال غرسياني فاحتلت واحة الجفرة والقسم الاكبر من فزان واشتبكت قبائل المغاربة بزعامة صالح الاطيوش وقبائل اولاد سليمان بزعامة عبدالجليل سيف النصر، ودور حمد بك سيف النصر، وبعض اللاجئين الى تلك الجهات من قبائل العواقير بزعامتي عبدالسلام باشا الكزة، والشيخ سليمان رقرق، ودخلت هذه القبائل في معارك بجهات الخشة وكان الغلبة فيها للجيش الايطالي الزاحف فالتجأ المجاهدون الى منطقة الهاروج من الصحراء ومن ثم اشتركوا مع العدو في معارك عنيفة منها معركة الهاروج، ومعركة جبل السوداء، ومعركة قارة عافية وكان من بين من حضروا هذه المعركة الاخيرة السيد محمود بوقويطين أمير اللواء وقائد عام قوة دفاع برقة في زمن المملكة الليبية المتحدة، والسيد السنوسي الاشهب[2].

كانت القيادة الايطالية حريصة على الاستيلاء على فزان فخرجت في اواخر يناير 1928م قوتان .. احدهما من غدامس والاخرى من الجبل الاخضر، وكان الجيش بقيادة غراسياني والتحم المجاهدون مع ذلك الجيش في معركة دامية استمرت خمسة أيام بتمامها، انهزم فيها الطليان شر هزيمة فتقهقروا تاركين مالديهم من مؤن وذخائر ثم مالبث أن خرجت قوة اخرى قصدت فزان مباشرة، فعلم المجاهدون بامرها بعد خروجها بثلاث أيام وانسحبوا الى الداخل، حتى اذا وصل هذا الجيش الجديد الى مكان يقع بين جبلين يعرفان بالجبال السود انقض المجاهدون على الطليان وأرغموهم على التقهقر، فعمل قواد الحملة الى الفرار بسياراتهم تاركين وراءهم الجيش ، الذي وقع أكثره في قبضة المجاهدين، فأستأصلوهم عن آخرهم، وعندئذ لم يجد الطليان مناصا من أن يجددوا محاولتهم ، فخرجت هذه المرة قوات عظيمة من جهات متعددة غير أن الطليان ما لبثوا ان انهزموا في هذه المعارك وتركوا وراءهم غنائم وأسلابا كثيرة[3] ، وجدد الطليان المسعى وخرجوا من الجفرة في 30 فبراير 1928م بجيش كبير وزحفوا على زله واحتلتها في 22 فبراير وواصلت القوات الايطالية سيرها واحتلت آبار تقرفت في 25 فبراير واستمرت العمليات وانتهت باحتلال

(1) انظر: عمر المختار، ص70.

(2) انظر: عمر المختار للاشهب، ص73.

(3) انظر: حياة عمر المختار، محمود شلبي، ص114، 115.

مراده، واصبحت زلة وجالو، واوجله ومراده تحت سيطرتهم، ومما ساعد الطليان على احتلالهم لتلك الواحات سقوط الجغبوب قبل ذلك في ايديهم، وسياستهم الرامية لتفتيت الصف بواسطة بعض عملائهم وكان الطليان يبذلون الأموال والوعود لزعماء القبائل، لوقف القتال وقد نجحوا في ذلك نجاحاً كبيراً.
كان احتلال الجغبوب ، جالو، اوجلو، وفزان وغيرها من الواحات قد جعل عمر المختار في عزلة تامة في الجبل الاخضر ومع هذا ظل عمر المختار يشن الغارات على درنة وماحولها حتى أرغم الطليان على الخروج بجيوشهم لمقابلته ، فاشتبك معهم في معركة شديدة استمرت يومين كان النصر فيها حليفه وفرّ الطليان تاركين عدداً من السيارات والمدافع الجبلية وصناديق الذخيرة والجمال، ودواب النقل[1].
وكانت القبائل تتعاون مع قائد حركة الجهاد تمده بالرجال، والمؤن والمعلومات وعلى سبيل المثال كان حامد عبدالقادر المبروك من شيوخ قبيلة المسامير يمد المختار بالمعلومات المهمة دون تأخر، ويشارك في عمليات الجهاد مع أبناء قبيلته بدون علم الطليان ويرجع من كتبت له الحياة إلى موطنه ويستشهد من يستشهد وكان زعماء القبائل التابعة للحركة السنوسية يجمعون الاعشار والزكاة ويمدون بها حركة الجهاد بالرغم من وجود الكثير منهم تحت السلطات الإيطالية، وخصوصاً من كان في المدن كبنغازي، والمرج، ودرنة، وطبرق وغيرها، وكانت وسائل مد المجاهدين بأموال الزكاة والأعشار تتم في غاية السرية وعجزت المخابرات الإيطالية عن اكتشاف اللجان الخاصة بالدعم المالي للمجاهدين، ومن وقع في أيدي السلطات الإيطالية كانت عقوبة الإعدام وكانت الغنائم تمثل مصدراً مهماً لتمويل حركة الجهاد في فترة عمر المختار، ومعظم الغنائم تم الحصول عليها في المعارك التي تمكن فيها المجاهدون من هزيمة الإيطاليين مثل معركة الرحيبة في مارس 1927م[2] وقد وصف حافظ إبراهيم هذا المصدر في أبياته الشعرية فقال:

حاتم الطليان قد قلدتنا
منة نذكرها عاماً فعاما
أنت أهديت إلينا عدة
ولباساً وشراباً وطعاماً
وسلاحاً كان في أيديكم
ذا ملال فغدا يفري العظاما
أكثروا النزهة في أحيائنا
وربانا إنها تشفى السقاما
لست أدري بت ترعى أمة
من بني الطليان أم ترعى سواما[3]

وقال الأستاذ أحمد كاشف ذو الفقار:

يآل رومة تطلبون أمانياً
ختالة أم تطلبون منونا
جئتم تجرون الحديد ورحتم

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص114.

(2) انظر: عمر المختار نشأته وجهاده، عقيل البربار، ص83،82.

(3) انظر: عمر المختار للأشهب، ص91.

بحديدكم في اليم مغلولينا

ورقصتم فيه سكارى فارقصوا

في الليلة السوداء مذبوحينا

لكن استفزكم صليل سيوفكم

فلقد تبدل زفرة وأنينا

إلى أن قال:

هاتوا الذئاب إلى الليوث فخمسة

منهم أبادوا منكم خمسينا

واستجمعوا حيتانكم ونسوركم

فالصائدون هناك مرتقبون

واستكثروا الزاد الشهي فإنكم

وسلاحكم والزاد مأخوذينا

لم يبق منهم معسر أو أعزل

بعد الذي غنموه منتصرينا

واستكملوا المدد الكبير بفتية

سيقوا إلى الهيجاء هيابينا

أحسبتم بطحاء برقة حانة

لكم وغزو القيروان مجونا[1]

وكانت كل عائلة قد أخذت على عاتقها تزويد مجاهديها بما يلزم من شؤون وملابس، ترسله شهرياً إلى الدور (المعسكر).

وكان الأمير ادريس يتحين الفرص لتزويد المجاهدين فقد ذكر الأشهب بأن قافلة وصلت للمجاهدين قادمة من مصر وكان فيها سليمان العميري (من قبيلة أولاد علي) وبو منيقر المنفى (من رفاق عمر المختار) يحملان رسائل من سمو الأمير وكانت القافلة محملة بالأرز والدقيق والسكر والشاي وبعض الملابس، وكان الطبيب الأشهب موجوداً في معسكر المجاهدين وقت وصول القافلة[2] وقد ذكر صاحب كتاب حياة عمر المختار بأن قافلة استطاعت أن تخرج من السلوم محملة بمختلف العتاد والمؤن قاصدة معسكر المجاهدين في الجبل الأخضر، فعلم الطليان بذلك وأرسلوا سياراتهم المسلحة لتعقبها، ولكن المجاهدين صمدوا لهم، وأطلقوا رصاص بنادقهم على العجلات فتعطلت السيارات، وعندئذ انقض المجاهدون على القوة الإيطالية فأبادوها عن آخرها وكان ذلك في عام 1928م[3]. وكان المجاهدون يستفيدون من تلك المصادر ويقومون بشراء حاجيات المجاهدين من الأسواق في المدن والقرى، ويشترون مايلزمهم من المؤن، والأسلحة ويجمعون المعلومات عن تحركات العدو العسكرية، كل هذه الأعمال يقوم بها أتباع عمر المختار وبمساعدة سكان المدن والقرى الذين يخفون المجاهدين في بيوتهم ومخيماتهم، وكان المتطوعون يتدفقون على معسكرات الجهاد، وكانوا يعتمدون على أنفسهم في توفير السلاح ووسيلة الركوب والتموين، وكان نظام الأدوار (المعسكرات) يتميز بالآتي:

---

(1) انظر: عمر المختار للاشهب، ص95.

(2) المصدر السابق نفسه، ص79.

(3) انظر: حياة عمر المختار، لشلبي، ص118،117.

1- يلتزم كل دور بتوفير التموين اللازم لأفراده، فهم بالإضافة إلى اشتراكهم في عمل واحد هم أبناء عشيرة واحدة مترابطة، ويوجد بالدور أشخاص، مكلفون بجباية الزكاة وجمع الأعشار، وهؤلاء يقومون بعملهم بناء على تكليف كتابي من عمر المختار وهم بدورهم يجرون اتصالات (كوشان) بقيمة المبالغ والأشياء التي استلموها.
وقد عين لكل دور رئيس إدارة يشرف على تموين الدور من حيث التوزيع والتخزين والتدبير وتسلم الأموال والتبرعات التي تصل لقيادة الدور، فقد عين عمران راشد القطعاني رئيساً لإدارة دور البراعصة والدرسة وعين التواتي العرابي رئيساً لإدارة دور العبيدات والحاسة، وعين الصديق بو هزاوي مأموراً للأعشار ويتبع عمر المختار مباشرة وعين داود الفسي رئيساً لإدارة دور العواقير[1].
2- يقوم كل دور بتعويض الشهداء من المقاتلين بآخرين من قبائلهم وهكذا لايتأثر الدور كثيراً لفقد الشهداء، فبعد كل معركة يتم حصر الشهداء وإلى أي القبائل ينتمون ثم يرسل إلى كل قبيلة العدد الذي يجب أن تعوضه عن شهدائها، وإذا لم تجد العدد المطلوب تدفع لقيادة الجهاد 1000 فرنك عن كل شهيد لكي يجند بها العدد اللازم.
3- تتبارى مجموعات القبائل في تقديم البطولات والتضحيات حتى لاتكون موضع سخرية واستهزاء أمام بقية القبائل، وكان المجاهد الليبي يغضب غضباً شديداً ويحزن إذا فاته الإشتراك في إحدى المعارك أو تخلف عنها لسبب من الأسباب، وابراهيم الفيل العريبي نموذج لهؤلاء فقد فاته أن يشارك في معركة بلال فحزن حزناً شديداً، إلا أن قادة الجهاد طمأنوه وقالوا له: إن أيام الجهاد كثيرة، وفي اليوم التالي جرت معركة البريقة فاشترك فيها وهجم بفرسه على سيارات الأعداء وصار يقاتل حتى أكرمه الله بالشهادة.
4- يسهل على كل دور توفير الحماية اللازمة لذويه عن طريق الدوريات، والرباطات التي تراقب تحركات القوات الإيطالية أو أية تحركات غير عادية لمعرفتهم بمسالك المنطقة ودروبها وأماكن المياه بها، فعندما يحل الدور بمنطقة ما يضع دورية في كل اتجاه لتراقب وضع القوات الإيطالية في تلك المنطقة وتغطى أخبار تحركاتها للمجاهدين أولاً بأول حتى يكونوا على علم باتجاه وتحركات العدو، وحين يلتقي أفراد الدورية بالأعداء يطلقون ثلاث اطلاقات وعند سماع تلك الإطلاقات يستعد الجميع لملاقاة الأعداء في الجهة التي سمع منها اطلاق الرصاص.
كما تقوم دوريات أخرى تعرف باسم (الرباط) بمراقبة الإيطاليين في مراكزهم التي يحتلونها للحصول على معلومات عن تحركاتهم عن طريق الأهالي الموجودين داخل تلك المدن، وكثيراً مايتعرض بعض هؤلاء الأهالي بسبب تعاونهم مع المجاهدين لعقوبة الإعدام، كما حدث مع سليمان بن سعيد العرفي الذي أدانته المحاكم الإيطالية بالتعاون مع المجاهدين وحكمت عليه بالإعدام، فأعدم شنقاً[2].
كان نظام الأدوار يقوم على أساس قبلي ويعتبر الدور وحدة عسكرية وإدارية، واجتماعية يرأسها قائمقام، وتتمثل فيه السلطة الإدارية والعسكرية يساعده قوماندان (قائد) أو أكثر حسب حجم الدور والقبائل المنضوية تحته.
وقد استخدم عمر المختار النظام العسكري العثماني، فبالإضافة إلى القائمقام والقوماندان هناك الرتب الآتية:- بكباشي - يوزباشي - ملازم أول - ملازم ثاني - كوجك ضابط (ضابط صغير)

---

(1) انظر: عمر المختار نشأته وحياته، ص105.

(2) انظر: عمر المختار نشأته وحياته، ص106.

باش شاوش - شاوش - أمباشي.
وكانت الترقيات تتم على أسس ميدانية بناء على مايقدمه الشخص من أعمال وبطولات في ميادين المعارك والمواقف الدقيقة، إذ يرفع إلى عمر المختار تقرير من الرئيس المباشر بشرح الحالة التي استحق عليها المعني الترقية، ويصدر بذلك أمر كتابي من عمر المختار على بقية المجاهدين[1].
وكان هناك مجلس أعلى يرأسه المختار يتكون من: يوسف بورحيل، حسين الجويفي، الفضيل بوعمر، محمد السركسي، موسى غيضان، محمد مازق، محمد العلواني، جربوع سويكر، قطيط الحاسي، رواق درمان وفي حالة غياب عمر المختار يرأس المجلس يوسف بورحيل[2].
وكان لكل من الأدوار مجلس يتكون من مشائخ القبائل وأعيانها من المعروفين بالحكمة وسداد الرأي: ومهمة هذا المجلس استشارية وهو في حالة انعقاد دائم لمواجهة الطوارئ والاسهام في حل المشاكل التي قد تحدث بالدور[3].

تاسعاً: معركة أم الشافتير (عقيرة الدم):

استمر المجاهدون في الجبل الأخضر يشنون الهجمات على القوات الإيطالية وحققوا انتصارات رائعة من أشهرها موقعة يوم الرحيبة بتاريخ 28 مارس 1927م[4] جنوب شرقي المرج قرب جردس العبيد ووقعت بعد معركة الرحيبة معارك ضارية في بئر الزيتون 10 محرم 1335هـ، 10 يوليو 1927م، وراس الجلاز 13 محرم 1335هـ، 13 أكتوبر 1927م.
أراد الإيطاليون أن ينتقمون لقتلاهم في معركة الرحيبة، فشرعت تعد العدة للانتقام لقتلاها الضباط الستة وأعوانهم المرتزقة البالغ عددهم (312) في محاولة لإعادة معنوياتهم المنهارة نتيجة لتلك الهزيمة الساحقة تمّ اعداد الجيوش الجرارة، لتتخذ من الجبل الأخضر قاعدة لها على النحو التالي[5]:
1- الجنرال مازيتي القائد العام للقوات الإيطالية قائداً لإحدى الفرق فوق الجبل الأخضر 8 يوليو من مراوة:
أربع فرق أرترية - فرقة ليبية - أربع فرق - خيالة - بطارية ارترية.
2- الكورنيل اسبيرا إنذائي: 8 يوليو من الجراري (جردس الجراري) أوجردس البراعصة أربع فرق أرترية - فرقة ليبية - بطارية ليبية - فرقة غيرنظامية.
3- الكورنيل منتاري: 8 يوليو من خولان - فرقة أرتريا- فرقة غير نظامية.
4- الماجور بولي: 9 يوليو غوط الجمل - فرقة مهما ريستا - فرقة سيارات مصفحة - نصف فرقة ليبلير - فصيلين قناصة على الدبابات.
ويضاف الى تلك الاستعدادت سلاح الطيران الذي انطلق من قواعده بالمرج ومراوه وسلنطة.
لقد كانت قوات الايطاليين ضخمة مما تدلنا على خوفهم ورهبتهم من قوات المجاهدين.
كان عدد المجاهدين مابين 1500 الى 2000 مجاهداً[6] منهم حوالي 25% من سلاح الفرسان

---

(1) انظر : عمر المختار نشأته وجهاده، ندوة علمية، ص100.

(2) انظر : برقة العربية للأشهب، ص425.

(3) انظر: عمر المختار نشأته وجهاده، ص102.

(4) انظر: معجم معارك الجهاد، خليفة التليسي، ص79.

(5) انظر: جذور النضال العربي، محمد عبدالرزاق مناع، ص130.

(6) انظر: جذور النضال العربي، ص137.

ويرفقهم حوالي 12 ألف جمل[1] ومايثقل تحركاتهم من النساء والاطفال والشيوخ والأثاث علمت ايطاليا بواسطة جواسيسها بموقع المجاهدين في عقيرة ام الشفاتير فارادت أن تحكم الطوق على المجاهدين فزحفت القوات الايطالية نحو العقيرة بعد مسيرة دامت يومين كاملين واستطاعت أن تضرب حصاراً حول المجاهدين من ثلاث جهات، وبقوات جرارة تكونت من حوالي (2000) بغل و5000 جندي، 1000 جمل بالاضافة الى السيارات المصفحة والناقلة.

علم المجاهدون بذلك وأخذوا يعدون العدة لملاقاة العدو فأعدوا خطة حربية وقاموا بحفر الخنادق حول أطراف المنخفض ليستتر بها المجاهدون وخنادق اخرى لتحتمي بها الأسر من نساء وأطفال وشيوخ، وتم ترتيب المجاهدين على شكل مجموعات حسب انتمائهم القبلي ووضعت أسر كل قبيلة خلف رجالها المقاتلين، وكان قائد تلك المعركة التقي الزاهد الورع الشيخ حسين الجويفي البرعصي وكان عمر المختار من ضمن الموجودين في تلك المعركة.

كان الشيخ حسين الجويفي ممن تجرد للجهاد في سبيل الله وطلب رحمة الله تعالى وكان يقول: (أنا لا أريد قيادة ولا منصباً بل أريد جهاداً رغبة في ثواب الله تعالى)[2].

كان ذلك الصنديد محل تقدير من قبل إخوانه قال في حقه قائده الأعلى عمر المختار عقب استشهاده: أتذكر حسين الجويفي عند اللقاء مع العدو أو عند قراءة القرآن الكريم وقت الورد[3].

كما عرف عنه انه لم يبرح فرسه يوماً أثناء المعركة لينال من اسلاب العدو، بل يتركها للمجاهدين لعفته وقناعته بما يملك من أموال ومواشي.

لقد أسندت إليه قيادة المعركة لمعرفته بشعاب ودروب المنطقة التي كان يسكنها مع كونه احد قادة الجهاد، وأحد المستشارين لعمر المختار، وقائمقام البراعصة والدرسة في فترة سابقة، فكان في تلك المعركة فوق جواده يجوب الميمنة والميسرة والقلب وهو عاري الرأس لايخشى الموت يوزع صناديق الذخيرة على المقاتلين تارة ويطلق عبارات التشجيع مرة أخرى، ويقوم بتحريك جبهات القتال، وتنظيم هجومات المجاهدين، وترتيب صفوفهم.

وسقط الشهداء واشتدت المعركة ، وارتفعت درجة حرارة البنادق بسبب استمرار اطلاق العيارات النارية واستعمل المجاهدون الخرق البالية لتقيهم حرارة مواسير البنادق التي لا تطيقها يد المجاهد.

وكان بعض المجاهدين يملك بندقيتين يستعمل الواحد مدة ثم يتركها حتى تبرد ويتناول الاخرى، .

وخصص القائد حسين فرقة من المجاهدين للتصدي للمصفحات المهاجمة من الجنوب وعددها ثلاثون مصفحة ولعب كومندار طابور المعية المجاهد سعد العبد السوداني دوراً بارزاً وأظهر شجاعة نادرة بأن قاد تلك الفرقة المواجهة للمصفحات الايطالية وتمكن من تدمير أغلبها مع رجاله وانتزع المجاهد رمضان العبيدي العلم الايطالي من على أحد المصفحات ، وبدأ الجيش الايطالي في التقهقر ودخل الرعب نفوس ضباطه وجنوده الذين وجدوا فرصة الحياة في الهروب وبالرغم من قصف الطائرات إلا أن الايمان القوي ، واحتساب الأجر عند الله كان دافعاً مهماً لدى المجاهدين.

كانت خسائر المجاهدين في الارواح 200 شهيد من بينهم القائمقام محمد بونجوى المسماري الذي استشهد في اليوم الثالث أثر اصابته بجرح مميت، وكانت له مكانة عظيمة في نفوس المجاهدين ووالد زوجة عمر المختار الذي بكاءه بكاءً حاراً وقال بعد أن سمع باسشهاده (راحو الكل ياعين

---

(1) انظر: مجلة البحوث التاريخية، العدد الاول، السنة السادسة، عام 1984م، ص9.

(2) انظر: مجلة البحوث، السنة السادسة، 1984م العدد الاول، ص10.

(3) المصدر السابق نفسه، ص11،10.

الجيران وأصحاب الغلا)[1].

واستشهد كل من جبريل العوامي، وستة من قبيلة العوامة، ومحمد بو معير الدرسي والشلحي الدرسي، ومحمد الصغير البرعصي وفقد المجاهدون في تلك المعركة عدداً كبيراً من الابل والمواشي وتم حرق بعض الخيام من جراء الغارات الجوية.

ومكث المجاهدون طيلة الليل يدفنون الشهداء وينقلون الجرحى، وقبل بزوغ الفجر رحلوا عن ذلك الموقع، بهدف الاعداد والاستعداد للقاء العدو في موقع جديد من مواقع القتال[2] واصبحت القوات الإيطالية كما يقول تيروتسي : (أصبحت الآن منهوكة القوى تخور إعياء من شدة المعارك المستمرة منذ فترة طويلة دون توقف...)[3].

وكانت نتائج تلك المعركة فيما يلي:

كانت معركة ام الشفاتير بداية نقطة فاصلة في اتباع استراتيجية جديدة عند عمر المختار، وهي ضرورة إعادة تنظيم المجاهدين على هيئة فرق صغيرة[4]، تلتحم مع العدو عند الضرورة، وتشغله في أغلب الأوقات مما يقلل في عدد الشهداء أثناء المعارك ويلحق الخسائر الفادحة بالأعداء وفق التكتيك الجديد لحرب العصابات (اهجم في الوقت المناسب وانسحب عند الضرروة).

لمح عمر المختار بنظره الثاقب ملامح السياسة الفاشستية الجديدة وهي الابادة والتدمير (للمصالح والرجال)، فاتخذ اجراءات ترحيل النساء والاطفال والشيوخ الى السلوم لحمايتهم من الغارات الجوية الايطالية ، وتيسيراً لسهولة تحرك المجاهدين وفق مايتطلبه الموقف الجديد.

كما سُمَحَ لأحد الاخوين بالهجرة للمحافظة على وريث لهما فيما بعد حتى يكون دائماً هناك من يطالب بحقوقه ويزعج المستعمرين الطليان، وللتعريف بالقضية الليبية بتلك البلدان ونتج عنه فيما بعد تشكيل الجاليات الليبية في الخارج[5].

أيقن الايطاليون أنه لاجدوى من الاستمرار في العمليات العسكرية ضد المجاهدين، مما كان سبباً في توقفها طلية سنة 1928م[6]. لقد تحققت لموسليني ماقله من قبل : (اننا لانحارب ذئاباً كما يقول غراتسياني بل نحارب أسوداً يدافعون بشجاعة عن بلادهم ..إن أمد الحرب سيكون طويلاً)[7].

عاشراً: استشهاد حسين الجويفي والمختار بن محمد في معركة ابيار الزوزات 1927/8/13م :

استشهد الشيخ حسين الجويفي رئيس دور البراعصة، وكان صاحب مكانة عظيمة عند المختار[8]، كان حسين الجويفي سباقاً للخيرات، حريصاً على الشهادة في سبيل الله، وكان يحرص على

---

(1) انظر: برقة العربية، ص440.

(2) انظر: مجلة البحوث، السنة السادسة، 1984م، العدد الاول، ص16.

(3) المصدر السابق نفسه، ص16.

(4) انظر: تاريخ ليبيا، جون رأيت، ص153.

(5) انظر: كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام (192-1950) تيسير بن موسى.

(6) انظر: مجلة البحوث، السنة السادسة، العدد الاول، ص17.

(7) انظر: عمر المختار نشأته وجهاده، ص14.

(8) انظر: السنوسية دين ودولة، ص284.

الخروج للمعارك مع مرضه حتى أن عمر المختار في احدى المعارك طلب منه أن يبقي حفاظاً على صحته وقال له (الجايات اكثر من الفايتات) والطليان لايبطلوا لمحاربتنا ونحن لانبطل الهجوم عليهم وستشبع من القتال فأيامه كثيرة[1].

لقد تأثر عمر المختار لاستشهاد القائد العظيم الجويفي ووقف عند قبره وقال:

شهير لَسَم وَافِ الدين

تمَّا غفير في فاهق خلا

لقد فقد عمر المختار عدداً كبيراً من رفاقه الابطال الذين وقعوا شهداء في ساحة الوغى وكان من بينهم المختار ابن شقيقه محمد فشق عليه فقده رغم انه لا يزيد مكانة عند عمه السيد عمر المختار أكثر من إخوانه المجاهدين، لقد كان ابن أخيه عائلاً له يهتم بشؤون أسرة عمر المختار ويشرف على شؤونه الخاصة وخدمته الشخصية وكان بمثابة الابن حيث لم يكن لعمر ابن يتولى شؤون العائلة لأن ابنه الوحيد محمد صالح كان لايزال طفلاً، ثم إن السيد عمر المختار تعود مصاحبة الفقيد منذ سنة 1916م والى جانب كل ذلك فإنه من أبطال الجهاد ومن الابناء البررة. لقد احتسب المختار وأظهر التجلد وصبر صبراً جميلاً وكان يقول لكل من جاء لتعزيته:

إن كل فرد من رفاقي المجاهدين هو عندي بمنزلة المختار. إنني فقدت مختاراً واحداً ، ولكنني أعيش بين عدداً من المختارين كل منهم يملأ مكان ابن اخي وردد قول الشاعر الشعبي:

الدنيا أمفيت الله من واليها

وين الصحابا قبلنا أو نبيها

ويـــن بـــون يـــادم

وين الشيوخ اللي كبار مقاوم

اللّي يندهوا للعبد هو والخادم

وَنْ جاهم الطالب حاجتا يقضيها

ومعنى الابيات:

أن الله سبحانه وتعالى ولي الدنيا ووارثها وكل مافي هذه الدنيا مصيره الفناء، فأين رسول الله وصحابته وهم أكرم خلق الله عليه، وأين السادة الكبار الذين سبقونا وكان من شمائلهم المناداة للخدم من أجل خدمة الضيف وكل من جاء يطلب حاجة تقضي له، ومما قاله عمر المختار من الشعر:

ياعين كفى راه يومك قادم

صيور البنا دم حفرتا ماليها

ومعنى البيت أنه يخاطب نفسه بأن تكفى عن البكاء لأن أجله في طريقه إليه ومصير بني آدم هو تلك الحفرة (القبر) التي يملؤها رفاته بعد الموت[2].

المبحث الثاني
استمرار العمليات والدخول في المفاوضة

في سبتمبر عام 1927م غزت جموع الزوية الجخرة ومرسى بريقة وجالو وأوجلة، وأنزلوا

---

(1) انظر: عمر المختار للاشهب، ص81.

(2) انظر: عمر المختار للاشهب، ص100، 101.

بالطليان خسائر فادحة، واشتدت مقاومة المجاهدين في الجبل الأخضر على الرغم من احتلال الطليان للواحات ومراكز السنوسية الهامة، فلم يعد هناك مناصا من أن يعيد الطليان النظر في خططهم، مما أدى إلى وقوع أزمة كبيرة في روما، وبدأت الحكومة تبحث بصورة جدية وسائل إخماد المقاومة وترسم الخطط السياسية الجديدة التي ترأى ضرورة التقيد بها في كل من برقة وطرابلس، وقد اضطر فيدرزوني وزير المستعمرات، وديبونو والي طرابلس وتيروتزي والي برقة للاستقالة في ديسمبر 1928م، فعين ديبونو وزيراً للمستعمرات وأعلن موسوليني توحيد الإدارة في القطرين الليبيين، وعين الماريشال بادوليو حاكماً على طرابلس وبرقة.

كان مجئ بادوليو إلى ليبيا بداية مرحلة الجهاد الحاسمة بالنسبة للمجاهدين وكان تاريخ تعيينه في شهر يناير من عام 1929م وكان برنامجه الجديد يتلخص في تخفيض الجيش إلى القدر الذي يكفي للقيام (بحرب العصابات) والمحافظة على على هيبة الحكومة مع انفاق الأموال المتوفرة في مد الطرق في الجبل الأخضر مما يسهل عليه التنقلات العسكرية، فإذا ما أتم له ذلك قام بهجوم شامل كاسح على المجاهدين يقضي على المقاومة نهائياً، ومن أجل ذلك سعت إيطاليا إلى مفاوضة السيد عمر المختار لتهدئة الأحوال[1]، فكان برنامج بادوليو مبنياً على كسب الوقت أولاً ثم العمل رويداً رويداً من أجل تقوية المراكز المحتلة.

واهتم بادوليو بكسب الرأي العام وتخويفه، فأعلن العفو عن الأفراد الذين يسلمون أنفسهم وسلاحهم مختارين للحكومة، ويتوعد كل معاند بالعقوبة الصارمة وقد اسقطت الطائرات هذا المنشور من الجو على البلدان والقرى والنواجع في أنحاء ليبيا جميعها وكان لهذا المنشور آثار مباشرة، فظن بعض زعماء ليبيا بمدينة طرابلس الضعف ووهن العزيمة في الحكومة وقام أحمد سيف النصر ومحمد بن الحاج حسن (من قبيلة المشاشة) بالزحف على منطقة القبلة لجمع البدو المحاربين وإرسالهم إلى الجبل الأخضر حتى يعززوا قوات المجاهدين في الجبل ويرغموا الحكومة على اتخاذ لهجة متواضعة عند بدء المفاوضات مع عمر المختار وصحبه، وشرع صالح الأطيوش ينظم في جبل الهروج جماعات من المحاربين للاشتباك مع الطليان في برقة أو في طرابلس وفي منتصف فبراير 1929م نزلت قوات المجاهدين من الهروج الأسود للانقضاض على النوفلية من جانب وعلى إجدابية من جانب آخر، فاجتمعت من الجيفة ثم انقسمت ثلاث فرق التحمت إحداها مع الطليان في معركة عند قارة سويد في 5 مارس، واشتبكت الثانية معهم في معركة كبيرة عن النوفلية في 14 مارس واتجهت الثالثة بقيادة عبدالقادر الأطيوش من الجيفة صوب منطقة العقيلة في 23 مارس، ثم استقر المجاهدون في جبل سلطان واضطر المجاهدون إلى الانسحاب أمام قوات العدو العظيمة صوب وادي الفارغ[2].

كانت لتلك الأعمال أكبر الأثر في إقناع بادوليو بضرورة العمل فوراً من أجل استمالة المجاهدين إلى المفاوضة إذا أراد أن يضع برنامجه الواسع موضع التنفيذ فبدأ من ثم متصرف المرج الكولونيل باريلا من أوائل مارس 1929م يطلب الاجتماع بالسيد عمر المختار للمفاوضة في شروط الصلح، وحدد باريلا موعداً للاجتماع غير أن باريلا لم ينتظر جواب المختار وأراد أن ينتهز فرصة اطمئنان المجاهدين لقرب بداية المفاوضات وانشغالهم بعيد الفطر المبارك، فانقض الطليان على المجاهدين وهم يقومون بصلاة العيد (1347هـ) وردهم المجاهدون على أعقابهم، ولكن مناوشات صالح الأطيوش وجماعته ونشوب المعارك المستمرة اضطرت بادوليو إلى تحديد

---

(1) انظر: حياة عمر المختار، ص119.

(2) انظر: السنوسية دين ودولة، ص321.

المسعى، فكلف متصرف درنة دودياشي لتمهيد المفاوضة مع عمر المختار وصحبه، فاتصل بالمجاهدين واقترح على السيد عمر أن يكون الاجتماع يوم 2 مارس في منزل علي باشا العبيدي للبحث في موضوع الصلح وأصر عمر المختار على أن تظهر الحكومة الإيطالية حسن نواياها ويكون ذلك بإطلاق السيد محمد الرضا وإعادته إلى برقة واضطرت الحكومة الإيطالية للرضوخ واحضرت السيد محمد الرضا من جزيرة أوستيكا إلى بنغازي واجتمع بعد ذلك عمر المختار مع مندوب الحكومة دودياشي في منزل على العبيدي في 20 مارس، وحضر الاجتماع عدد كبير من مشايخ البلاد وأعيانها ثم أجلت المفاوضة إلى أسبوع وانعقد اجتماع آخر في سانية القبقب ولم يستطيع المتفاوضون الوصول إلى نتيجة مجدية، واجتمع المختار مع باريلا في الشليوني في الجبل الأخضر في يوم 6 إبريل ولم يصل المتفاوضون إلى نتيجة وفي 20 إبريل عادت المباحثات في بئر المغارة (في وادي القصور)، وقد حضر هذا الإجتماع محمد الرضا والشارف الغرياني، وخالد الحمري، وعبدالله فركاش ورويفع فركاش وعلي باشا العبيدي وعبدالله بلعون مدير المرج، وحضر كل هؤلاء اجتماع المختار بالسيد رضا، ثم خير مندوب الحكومة عمر بين ثلاثة أمور: الذهاب إلى الحجاز، أو إلى مصر، أو البقاء في برقة، فإذا رضي بالبقاء في برقة أجرت عليه الحكومة مرتباً ضخماً وعاملته بكل احترام ولكن المختار رفض هذه الشروط وكان السيد رضا يخضع لرقابة صارمة منعته من تبادل الرأي مع عمر المختار.

واستؤنفت المفاوضات في هذه المرة في مكان يسمى قندولة بالقرب من سيدي رويفع وحضر اجتماع قندولة باريلا، وكمباني وعدد من الضباط والأعيان وكان سيشلياني قد بيت النية على الإيقاع بالمختار وأسره، ولكن عمر المختار احتاط للأمر ولم يسفر هذا الإجتماع عن شيء.

وفي 26 مايو بدأت المفاوضات من جديد، فحضر المختار إلى مكان قريب من القبقب. وفي هذا الإجتماع دارت المباحثات على أساس ماجاء في منشور بادوليو فعرض دودياشي شروط الحكومة وهي (أولاً) عودة السيد إدريس، وأحمد الشريف والسيد صفي الدين وسائر أعضاء الأسرة السنوسية إلى البلاد على أن يكونوا تحت إشراف الحكومة وأن يتم رجوعهم بترخيص من الحكومة بوصفهم مهاجرين يبغون العودة إلى أوطانهم وتعهدت الحكومة بعاملتهم المعاملة اللائقة بهم على غرار ماتفعله مع السيد الرضا.

ثانياً: احترام الزوايا وأوقافها ودفع المرتبات لشيوخها.

ثالثاً: إرجاع أملاك الأسرة السنوسية.

رابعاً: إعفاء الزوايا وأملاك السنوسية من الضرائب.

خامساً: تسليم المجاهدين نصف مامعهم من أسلحة لقاء ألف ليرة إيطالية تدفع ثمناً لكل بندقية يسلمونها، وعلى أن ينضم بقية المجاهدين المسلحين إلى المنظمات التي تنشئها الحكومة تحت إشرافها وإدارتها وذلك لمدة معينة تحددها الحكومة فيما بعد في نظير أن تعد أماكن لإقامتهم يسهل على الحكومة إمدادهم فيها بالمؤن فضلا عن إحكام الرقابة عليهم.

سادساً: إبعاد كل الإخوان السنوسيين من الأدوار وتتعهد الحكومة بإعطائهم المرتبات التي تناسب مراكزهم، فاعترض المختار على تسليم الأسلحة وحل الأدوار، وأصر على بقاء الأدوار تحت قيادة السيد حسن الرضا على أن يكون للحكومة نوع من الإشراف العام فحسب وأيد رأي المختار عبدالحميد العبار، ورفض دودياشي عروض المختار وانفض الإجتماع على أن يعرض دودياشي هذا الحل ـ كما طلب المختار من نائب الوالي في برقة حتى يفصل فيه سيشلياني بنفسه[1].

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص296،392.

وبعد أربعة أيام فقط طلب دودياشي مقابلة المختار في قندولة (30مايو) فجاء المختار إلى نجع علي العبيدي شيخ العبيدات بالقرب من القبقب، وحضر معه السيد حسن الرضا والفضيل بو عمر وعبدالحميد العبار وحامد القماص وآخرون ومعهم حرس يتألف من مائة وخمسين فارساً وجاء من طرف الحكومة دودياشي وباريلا كما حضر هذا الاجتماع علي العبيدي وخالد الحمري ورويفع فركاش، وأظهر فيها المختار استعداده للتفاهم طالما أنه يؤدي إلى المحافظة على كرامة السنوسية. وفضلاً عن ذلك فقد أصر المختار على عدم حدوث أي اتفاق بينه وبين الحكومة الإيطالية إلا إذا حضر مندوب عن الحكومة المصرية وآخر عن الحكومة السنوسية كدليل على رغبة الطرفين الصادقة في الاتفاق بصورة قاطعة ولكن دودياشي اعترض على هذا الطلب، وقال بأن الطليان معروفين بوفائهم للعهود وحفظهم للمواثيق، فرد عليه عمر المختار وذكر مافعله الجنرال متزتي بقبيلة العبيدات، وهي من القبائل التي سالمت الطليان، عندما اغتصب هؤلاء كل ماتمتلكه هذه القبيلة حتى انهم نزعوا حلي النساء من آذانهن، وذكر مافعله لويللو مع أسرة إبراهيم من قبيلة العواقير، وقد سالم هؤلاء الطليان كذلك، فأخذ لويللو منهم أربعين رجلاً قتلهم رمياً بالرصاص ثم جعل السيارات تمر على جثثهم (فما زالت السيارات تدهسهم ذهاباً وإياباً حتى اختلطوا بالتراب وتدخل بعض الحاضرون لتهدئة الموقف وتمسك المختار بحقوق الحركة السنوسية وزعامتها وأصر على أن يكون للقطر البرقاوي الطرابلسي نفس الامتيازات التي تتمتع بها جاراته مصر وتونس وكان عمر المختار وحده هو الذي يتحدث، وأما سائر المجاهدين فقد صمتوا ثم قرر الذهاب إلى معسكره وقال إذا أراد المتصرف دودياشي الحديث فإن موعد ذلك جلسة أخرى، وبعد أيام اتصل علي العبيدي بالسيد عمر، وقبل عمر المختار استئناف المفاوضة، فعقد اجتماع آخر في يوم 7 يونيه حضره دودياشي وباريلا ثم سيشلياني الذي جاء الاجتماع موفد من قبل الماريشال بادوليو بغية الوصول إلى اتفاق حاسم مع العرب، وجدد الطليان عروضهم القديمة وتمسك المختار بمطالبه، وأصر على حضور مندوبين من قبل الحكومتين المصرية والتونسية ووعد سيشلياني بأن يحمل مطالب المختار إلى بادوليو. وفي 13 يونيه اجتمع نائب الوالي سيشلياني بالسيد عمر في قلعة شليوتي، وأظهر المختار رغبته الصادقة في الاتفاق إذا أقرت الحكومة الإيطالية مطالبه، وهي نفس المطالب السابقة وتأجل الاجتماع إلى يوم آخر حتى يتم الاتفاق النهائي بحضور والي طرابلس وبرقة نفسه وفي يوم 19 يونيه حصل الاجتماع سيدي رحومه المشهور بحضور بادوليو وسيشلياني وعدد من الطليان والأعيان كالشارف الغرياني، وعلي باشا العبيدي، وظل عمر المختار متمسكاً بضرورة حضور مندوبين عن الحكومتين المصرية والتونسية وعرض شروطه النهائية بحضور والي ليبيا، فقرأ الفضيل بو عمر هذه الشروط ووافق الطليان عليها، ثم تسلمها بادوليو ووعد بأن يعمل على حضور مندوبي الحكومتين المصرية والتونسية في اجتماع يحدد فيما بعد قريباً، واتفق الفريقان على عقد هدنة لمدة شهرين حتى يتسنى لكل منهما مراسلة مرجعه[1].
وقال بادوليو إنه على استعداد تام لقبول عودة أمير البلاد السيد محمد إدريس إلى برقة مادام المختار والمجاهدون يصرون على ذلك.
وكانت الشروط التي عرضها المختار تكفل المحافظة على هوية الشعب وعقيدته ودينه ولغته، وتحفظ أوقاف الزوايا وتعطي عمر المختار الحق في أخذ الزكاة الشرعية من القبائل ومن أهم هذه الشروط:
1- أن لاتتدخل الحكومة في أمور ديننا، وأن تكون اللغة العربية لغة رسمية معترفاً بها في دواوين

---
(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص298.

الحكومة الإيطالية.
2- أن تفتح مدارس خاصة يدرس فيها التوحيد، والتفسير، والحديث، والفقه، وسائر العلوم.
3- وأن يلغى القانون الذي وضعته إيطاليا والذي ينص على عدم المساواة في الحقوق بين الوطني والإيطالي إلا إذا تجنس الأول بالجنسية الإيطالية[1] كما كانت شروط المجاهدين تنص على إرجاع جميع الممتلكات التي اغتصبتها الحكومة من الأهالي وإعطائهم مطلق الحرية في حمل السلاح وجلبه من الخارج إذا امتنعت الحكومة عن بيع السلاح لهم، كما نصت هذه الشروط على أن يكون للأمة رئيس منها تختاره بنفسها ويكون لهذا الرئيس مجلس من كبار الأمة له حق الإشراف على مصالحها، كما يكون للقاضي الإسلامي وحده الفصل بين المسلمين وطالب عمر المختار بإعلان العفو الشامل عن جميع من عدتهم إيطاليا مجرمين سياسيين سواء كانوا داخل ليبيا أم خارجها، وإطلاق سراح المسجونين، وسحب كل المراكز التي استحدثها الطليان في أثناء الحرب بما في ذلك مراكزهم في الجغبوب وجالو[2] كما اشترط بأن لزعماء المسلمين الحق في تأديب من يخرج عن الدين أو يهزأ بتعاليمه أو يتهاون في القيام بواجباته[3]. إن حرص عمر المختار على رفض الخضوع لأي إرادة أو سلطة غير سلطة الله واضح في حياته، ويظهر ذلك جلياً في شروطه، فقد كان دائماً مصراً على شرط تطبيق الشريعة الإسلامية بين المسلمين ورفض كل ماعداه من قوانين وضعية في مفاوضاته[4]. أظهر بادوليو قبول الشروط ولكنه نكث بوعوده وأخذ يستعد للقضاء على المجاهدين، وشرع الطليان يبذرون بذور الشقاق في صفوف المجاهدين على أمل أن يضعفوا من قوتهم، وفي اجتماع سيدي رويفع ادعى سيشلياني أنه لايمكن إبرام الاتفاق النهائي إلا في بنغازي[5].
أراد المجاهدون أن يقطعوا حجة الطليان فاتفقوا على أن يحضر اجتماع بنغازي السيد الحسن رضا السنوسي، وكان عمر المختار مقتنعاً بعدم جدوى الاجتماع ولكنه اضطر مكرهاً، وعاد الحسن يحمل شروطاً إيطالية مجحفة فرفضها عمر المختار والمجاهدون، وكتب المختار إلى نائب الوالي يخبره برفض الشروط الإيطالية جملة وتفصيلاً، ويلفت في هذه الرسالة نظر الحكومة الإيطالية إلى الشروط السابقة التي تسلمها المارشال بادوليو من السيد عمر نفسه وقطع على نفسه عهداً بالإجابة عنها بعد دراستها إذ لايوجد سبيل لحل المشكلة بدونها، وطلب عمر في نفس الرسالة تحديد موعد لمقابلة الجنرال سيشلياني نائب الوالي، وفي حالة الرفض أو عدم الإجابة يكون السيد عمر المختار في حل مما قيدته به آداب المجاملة في انتظار نتيجة المفاوضات وسوف تعود الأمور لما كانت عليه، وكان جواب إيطاليا هو أنها على استعداد ولاداعي للإنذار بإعادة الحرب[6].
لما ذهب الحسن بن الرضا إلى بنغازي تأثر ببعض أقوال الليبيين التابعين للحكومة الإيطالية وقبل أن يوقع على شروط الصلح التي خالفت ماطلبه المجاهدون، فلما رفض عمر المختار تلك الشروط

---

(1) انظر: شروط عمر المختار في قضية ليبيا، ص111-114.

(2) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص298.

(3) انظر: عمر المختار نشأته وحياته، ص62.

(4) المصدر السابق نفسه، ص62.

(5) انظر: السنوسية دين ودولة، 299.

(6) انظر: عمر المختار للأشهب، ص111، 112.

عز على الحسن أن ينقض المختار كلمته وانفصل بجماعته من البراعصة والدرسة، وكانوا يبلغون حوالي الثلاثمائة واتخذ مكانه في غوط الجبل وهو مكان قريب من مراكز الطليان في مراوة[1].

كان عمر المختار بجانب إيمانه الراسخ واسع الأفق عالماً بواقعه مدركاً لما يجري حوله متابعاً له وقد كان ذلك أكبر عون له بعد الله على صحة مواقفه وقوتها التي فرضت الاحترام على اعدائه قبل أصدقائه، وما أعظم أن يجتمع الإيمان والفقه بالواقع، وما أقبح أن يتفرقا، ولئن كان هذا واضحاً جلياً في كل المواقف التي خاضها عمر المختار رحمه الله وآرائه التي قالها إلا إنه يتجلى كأوضح مايكون في إدراكه لعدم جدوى المفاوضات السياسية[2].

أولاً: النداء الأخير :

خاطب السيد عمر المختار المجاهدين وأبناء شعبه قائلا: فليعلم إذاً كل مجاهد أن غرض الحكومة الإيطالية إنما بث الفتن والدسائس بيننا لتمزيق شملنا وتفكيك أواصر اتحادنا ليتم لهم الغلبة علينا واغتصاب كل حق مشروع لنا كما حدث كثير من هذا خلال الهدنة، ولكن بحمد الله لم توفق إلى شيء من ذلك. وليشهد العالم أجمع أن نوايانا نحو الحكومة الإيطالية شريفة، وما مقاصدنا إلا المطالبة بالحرية وإن مقاصد إيطاليا وأغراضها ترمي إلى القضاء على كل حركة قومية تدعو إلى نهوض الشعب الطرابلسي وتقدمه ... فهيهات أن يصل الطليان إلى غرضهم مادامت لنا قلوب تعرف أن في سبيل الحرية يجب بذل كل مرتخص وغال، ثم ختم المختار هذا النداء بقوله: (لهذا نحن غير مسؤولين عن بقاء هذه الحالة الحاضرة على ماهي عليه حتى يتوب أولئك الأفراد النزاعون إلى القضاء علينا إلى رشدهم ويسلكوا السبيل القويم ويستعملوا معنا الصراحة بعد المداهنة والخداع[3]. وقد نشرت بعض الصحف المصرية هذا النداء في 2 يناير 1929م. من كان عبداً لله يستحيل أن يرضى بأن يكون عبداً لحكومة ظالمة كافرة أو لدنيا أو مال أو لهوى، فأكثر الناس أحراراً وتحقيقاً للحرية على مفهومها الصحيح ذلك العبد الذي رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

ثانياً: غدر وخيانة :

لقد نقضت الحكومة عهودها وغدرت بالمجاهدين وكان السيد حسن الرضا أول من ذاق مرارة غدرهم، فقد غادر المعسكر في غوط الجبل جماعة من عائلة عريف وانتهز الطليان هذه الفرصة فطلبوا من الحسن أن يتقدم بالدور إلى ناحية مراوة وأجاب الحسن رغبتهم وعندئذ سيرت الحكومة قوة كبيرة على الدور لجمع الأسلحة من أتباعه بدعوى أن رجاله قد (غزوا) بعض الأهلين في مراوة. وأبدى الحسن ورجاله معارضة شديدة، ولكن معارضتهم هذه سرعان ما أكدت للطليان - على حد قول هؤلاء - أن الدور كان مركزاً لدعاية سنوسية خطيرة، وأن حل الدور قد بات لذلك أمراً لامناص منه ولامحيد عنه، وكان مما جعل الطليان ينقلبون على الحسن أن امتنع في المدة الأخيرة عن إجابة رغبتهم عندما طلبوا منه الانتقال إلى بنغازي، وعلى ذلك فقد اشتبكت القوات الإيطالية مع الدور في قتال عنيف ذهب ضحيته كثير من المجاهدين ووقع الباقون في أسر هذه القوات وفي 10 يناير 1930م قبض الطليان على الحسن نفسه وساقوه أسيراً إلى بنغازي ثم مالبثوا

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص300.

(2) مجلة البيان العدد الخامس عشر ، ربيع الثاني، 1988، ص87.

(3) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص303.

حتى نفوه إلى جزيرة اوستيكا ثم إلى فلورنسه بعد ذلك. وقد بقى الحسن منفياً بهذه المدينة الأخيرة حتى وفاته في عام 1936، وبعد ذلك اندلعت المعارك بين المجاهدين والطليان في الجبل الأخضر وكانت الطائرات الإيطالية تلقي قذائفها على معسكرات المجاهدين ونشطت عمليات الطليان العسكرية بعد أن غدروا بالحسن وهاجموا دور المجاهدين في وادي مهجة (28 يناير 1930) وألقت الطائرات قذائفها على العرب، وانتشرت المعارك في منطقة الجبل حتى أقفلت جميع الطرق[1].

ثالثاً: تعيين الجنرال غراسياني حاكماً لبرقة ونائباً للمرشال بادوليو الحاكم العام

كان الجنرال غراسياني عند قومه معظماً ومقدماً وقد قام بأعمال عسكرية في فزان شنيعة للغاية واستطاع أن يقضي على حركة الجهاد في فزان بدخوله غات في 25 فبراير 1930م وكان نصرانياً حقوداً على الإسلام والمسلمين لم يرقب في مؤمن إلاً ولا ذمة.

بعد بقائه في ليبيا لمدة تسع سنوات متتالية وبعد احتلاله الغاشم لفزان، دعى إلى إيطاليا لتشريفه وتكليفه.

ذكر في مذكراته وداعه لطرابلس فقال: (وداعاً طرابلس أرض آلامي وعذابي، غير انه تبقى في روحي، وداخل نفسي ذكريات كل حجر مرتفع في جبالك، وفي صحرائك الواسعة، ولكن لن ينطفئ أبداً ألمي وعذابي من أجل افريقيا وأنت ياطرابلس.

وفي روما كانت تنتظرني الاحتفالات التي يطمع كل جندي مخلص أمين يحظى برضا وتصفيق الزعيم الدوتشي (موسليني) .. وقد نلت هذا وصفق الزعيم ومجلس الأمة الإيطالي لي في جلسة بتاريخ 1930/3/21م، هذا الاحتفاء وهذا الرضا، كان أعظم مكافأة في حياتي، فلقد جددت في نفسي حب العمل والتضحية في سبيل الواجب الكبير الذي ينتظرني في ليبيا بجسم متعب في الأعمال التي تحملها في الماضي، ولكن بالروح والقلب الحريص والحاضر للعمل.. وبعد أن استلمت التعليمات العليا سافرت على السفينة إلى برقة .. ويوم 1930/3/27م وصلت بنغازي التي غادرتها سنة 1914م خلال الحرب العالمية الأولى وكانت رتبتي ملازم أول في الجيش الإيطالي.

إن التعليمات التي صدرت عن رغبة الزعيم الدوتشي، وقسمت ونظمت من قبل صاحب السيادة دي بونو (والفريق) الماريشال بادوليو، بيتوا فيها تصميم الحكومة الفاشستية القضاء المبرم على الحركة الوطنية (الثورة) مهما كلف ذلك وبكل الطرق والوسائل لأنها القضية البرقاوية[2].

والتعليمات هي:

1- تصفية حقيقية لكل العلاقات بين الخاضعين وغير الخاضعين من الثوار سواء في قاعدة العلاقات الشخصية أو الأعمال والحركات التجارية.

2- إعطاء الخاضعين أمناً وحماية ولكن مراقبة لكل نشاطاتهم.

3- عزل الخاضعين عن أي تأثير سنوسي ومنع أي كائن منعاً باتاً من قبض أي مبالغ من الأعشار والزكاة.

4- مراقبة مستمرة ودقيقة في الأسواق وقفل الحدود المصرية بكل صرامة بحيث تمنع أي محاولة تموين لقوافل العدو (أي المجاهدين).

5- تنقية الأوساط المحلية التي توجد بها عناصر تدعي الوطنية ابتداءً بالمدن الكبيرة وخاصة بنغازي.

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص34.

(2) انظر: برقة الهادئة ، للجنرال غراسياني، ص83،82، 84.

6- تعيين عناصر غير نظامية من الطرابلسيين لكي يكونوا قوة مضادة للمجاهدين وتعني بتطهير الأقليم من كل تمرد أو ثورة.
7- حركة دقيقة وخفية لكل قواتنا (الطليان) المسلحة في المنطقة لخلق جو مذبذب ضد كل (الأدوار)، والمعسكرات، والضغط عليها حتى تتكبد الخسائر وتشعر بأن قواتنا موجودة دائماً وفي كل مكان مستعدة للهجوم.
8- الاتجاه السريع للاحتلال الكامل لكل أراضي مستعمرة الكفرة[1].
هذا هو جزار ليبيا غرسياني الذي جاء محملاً لتنفيذ الأوامر السالفة الذكر من أسياده في روما الكاثوليكية الفاشستية الميكيافلية.
ومنذ عودة غراسياني إلى بنغازي، بدأ نائب الوالي الجديد يضع هذا البرنامج موضع التنفيذ من غير إبطاء معلناً إنه سوف : (يتبع بكل إخلاص تعاليم الدولة الفاشستية ويسير على مبادئها، لأنه وإن كان قائد من قواد الجيش وأحد الرجال العسكريين إلا أنه يدين بمبادئ فاشستية محضة ويعلن هذه الحقيقة بكل وضوح وصراحة تامة)[2].
كان الجنرال غراسياني معروفاً بالعجرفة والطيش وبالجبروت الوهمي، وكان أول عمل قام به في الدوائر المدنية بعد وصوله هو إستبدال غالب الموظفين الإيطاليين بآخرين ممن يتمتعون بثقته عندما كان يعمل في طرابلس، كما جاء بقائد جديد للكربنير (الضابطية) هو الكولونيل كاستريوتا، وبالجنرال نازي ليكون مساعده الأول في القيادة العسكرية، واستعان بعصابة من المدنيين قد أخذوا ينفذون أهدافه الشريرة وأفكاره الشاذة بكل الوسائل ومن هذه العصابة الكمندتور موريتي (السكرتير العام) الكمندتور أجيدي متصرف لواء بنغازي، ثم بدأ زيارته للمناطق الخاضعة لنفوذ إيطاليا وكانت السلطات تجمع لاستقباله جميع الأهالي بما في ذلك النساء والأطفال والعجزة، فيخطب فيهم متوعداً ومهدداً[3]، وكان يستفتح خطاباته الطائشة بقوله (صموا أفواهكم وافتحوا آذانكم) ليلقى الرعب في نفوس المستضعفين الذين استسلموا وخضعوا لإيطاليا وكان قد ألقى كلمة تهديدية في جموع حشدتها السلطات في موقع (البريقة) إستهلها بقوله (ما أنتم إلا مثل سيجارة موقودة من الجانبين تلتهمها النار من هنا ومن هناك حتى تصبح رماداً وهاهو ذا أنا أولع السيجارة من جانبي ويوقدها عمر المختار من جانبه حتى يؤتى عليكم)[4].
وقال في خطاب ألقاه من شرفة قصره في بنغازي (تحت يدي وتصرفي باخرة تقف في الميناء وبأقل إشارة مني تنقل كل من أرى من الصواب نقله إلى إيطاليا وهذا أخف مانعاقب به)[5] وفي خطاب تهديدي آخر قال: (عندي لكم ثلاثة حالات، الباخرة الموجودة في الميناء، وأربعة أمتار فوق الأرض - مشيراً إلى أعمدة المشنقة - ورصاص بنادق جندنا - مشيراً إلى القتل رمياً بالرصاص)[6]، لقد قام غرسياني وحكومته بحشد المجهودات الضخمة للقضاء على عمر المختار بالصورة التي كلفت الخزانة الإيطالية في سنة واحدة مالا يقل عن النفقات التي تتكبدها دولة

---

(1) انظر: برقة الهادئة ، ص84، 85.

(2) انظر: عمر المختار ، محمود شلبي، ص126.

(3) انظر: عمر المختار للاشهب، ص124.

(4) المصدر السابق نفسه، ص124.

(5) المصدر السابق نفسه، ص124.

(6) المصدر السابق نفسه، ص125.

عظيمة لمجابهة دولة تماثلها في عدة سنوات.
فقد قال السنيور فيتيتي وكيل وزارة الخارجية في حديث له مع سماحة مفتي فلسطين الأكبر الأستاذ محمد أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين، وقد أورد سماحته هذا الحديث في مذكراته التي أخذت تنشرها جريدة أخبار اليوم، قال وكيل وزارة الخارجية المذكور: حقاً أن ماوقع في ليبيا سبب لنا متاعب كثيرة فعندما كانت السياسة الايطالية تتأثر في الماضي كثيراً بالسياسة البريطانية قبل عهد الفاشيست خدعتنا انكلترا وفرنسا فاستولت على أغنى وأغلى أقطار أفريقيا، وأغرتنا باقتحام ليبيا عام 1911م، فلم نجد فيها رغم الجهود المضنية والخسائر الفادحة في الأنفس والأموال غير الرصاص والرمال، ولم نجن من ذلك إلا بغض العرب ومقت المسلمين لنا[1].

رابعاً: المحكمة الطائرة:

لم يمض على وصول غراسياني سوى ايام قلائل حتى أنشاء ماعرف في تاريخ الاستعمار الايطالي الاسود باسم المحكمة الطائرة (ابريل 1930م) ، كانت تلك المحكمة تقطع البلاد على متون الطيارات وتحكم على الأهالي بالموت ومصادرة الأملاك لأقل شبهة وتمنحها للمرتزقة الفاشست وكانت تلك المحاكم تنعقد بصورة سريعة وتصدر احكامها وتنفذ في دقائق وبحضور المحكمة نفسها لتتأكد من التنفيذ قبل أن تغادر الموقع الذي انعقدت فيه لتنعقد في نفس اليوم بموقع آخر، وفتحت أبواب السجون في كل مدينة وقرية ببرقة وانتزعت الأموال من المسلمين بدون مبرر، ونصبت أعواد المشانق في كل من العقيلة، وجدابية، وبنغازي، وسلوق، والمرج، وشحات ودرنة، وعين الغزالة، وطبرق، ولأتفه شبهة وأقل فرية يصدر حكم الاعدام وينفذ في حينه شنقاً أو رمياً بالرصاص، وكان مما قتل شنقاً او رمياً بالرصاص في مدة لا تزيد عن شهرين من استلام غرسياني مقاليد الحكم في برقة؛ المشايخ بحيح الصبحي، على بويس العربي وابنه عبدربه بوموصاخ، خيرالله هليل، محمد يونس بوقادم، علي حميد ابوضفيرة، إثنان من قبيلة سعيد أشقاء حمد الرقيق، وهؤلاء من منطقة جدابية، ثم محمد الحداد وابنه بنغازي، وعبدالسلام محبوب من الاخوان السنوسين، سليمان سعيد العرفي (المرج) ، وخمسة عشر شخص بينهم الشيخ سعيد الرفادي (عين الغزالة وغيرهم كثير)[2].

خامساً: عزل المجاهدين ووضع القبائل في معسكرات الاعتقال الجماعية:

بدأ غراسياني ينفذ سياسة عزل الاهالي الخاضعين عن المجاهدين ، وشرع في جمع الاخوان السنوسيين من شيوخ الزوايا وأئمة المساجد ومعلمي القرآن بها مع ذويهم جميعاً، وكل من تربطه بأحد هؤلاء أية صلة، وكذلك بمشايخ وأعيان القبائل، وبكل من يربطه أي نوع من أنواع الصلات بأحد المجاهدين او المهاجرين، جيء بهذه المجموعات يساقون الى مراكز التعذيب ثم الى السجون ولم يشفع في أحدهم سن الشيخوخة الطاعنة، او الطفولة البريئة أو المرض المقعد، او الضرر الملازم، وانشئت معتقلات جديدة في بنينه والرجمة، وبرج توبليك وخصص غراسياني مواقع العقيلة والبريقة من صحراء غرب برقة البيضاء، والمقرون وسلوق في أواسط برقة الحمراء لتكون مواقع الاعتقال والنفي والتشريد والتعذيب لجميع سكان منطقتي الجبل الاخضر والبطنان بصورة جماعية، وبغير سكان هذين المنطقتين ممن تحوم حولهم أية شبهة، او تلفق ضدهم اقل فرية، وأمر بنقل قبائل هاتين المنطقتين المذكورتين الى هذه المعتقلات الخاصة بهم ثمانين ألفاً،

---

(1) انظر: عمر المختار للأشهب، ص126.

(2) انظر: عمر المختار للأشهب، ص127،126.

وماهي في الحقيقة إلا مقابر يدفن فيها الاحياء وأداً ، فخصص معتقل العقيلة والبريقة لقبائل العبيدات والمنفا، والقطعان ، والشواعر، والمسامير،... ولبعض عائلات الاخوان السنوسيين بما في ذلك سكان الجغبوب، ولبعض من سكان مدينتي بنغازي ودرنه، واسند حكم هذين المعتقلين لممثلي الظلم والجبروت والوحشية الفظيعة لكل من كسوني، باريلا (غير باريلا متصرف المرج).

وخصص معتقلاً المقرون وسلوق لكل من قبائل البراعصة والدرسا والعرفا والعبيد وأتباعهم وشطر كبير من عائلات الاخوان السنوسيين الذين سبق أن أبعد غرسياني رجالاتهم الى ايطاليا أو فرقهم بين السجون المختلفة، جيء بهذه القبائل التي بلغ تعدادها الثمانين ألف نسمة يساقون زمراً الى المعتقلات المذكورة، فمنهم من جاءها عن طريق البحر حيث حشروا بالمراكب حشراً ومنهم من جاءها عن طريق البر بعد أن أتت إيطاليا على جميع المنقولات حرقاً بالنار، كما أحرقت الزراعة ومحصولاتها، وأهلكت الحيوانات فيما عدا ما استعملته للنقل، وأحيط القسم المساق عن طريق البر بجنود من الصوماليين والاريتريين ليتعقبوا كل من يتخلف عن المساقين الى حتفهم، ويرمى المتخلف بالرصاص ، وكان الرامي غير مسؤول عن عمله هذا، وأصبحت جميع مناطق الجبل والبطنان هلاكاً تلعب فيه الرياح(1).

لقد اراد غراسياني الانتقام من القبائل التي اثبتت الايام انها نعم العون للمجاهدين بعد الله، فجمع النواجع المنتشرة في منطقة الجبل الاخضر في أماكن احاطها بالاسلاك وحدث في تلك المعتقلات الجماعية مالم يصدقه بشر ولا خطر على بال انسان يعقل، لقد اشتدت المحنة واعتدى الايطاليون على الابدان والاموال والاعراض في تلك المعتقلات ولقد قام الباحث يوسف سالم البرغثي بدراسة متميزة سماها المعتقلات والاضرار الناجمة عن الغزو الايطالي وذكر فيها تفصيلاً محزناً، ووثائق تاريخية من أفواه من عاش تلك المرحلة العصيبة التي مربها شعبنا المظلوم(2).

لقد وصف مراسل جريدة ألمانية زار معسكرات الموت التي جمع فيها غراسياني أكثر من 80 ألف نسمة فقال: إن الانتقادات التي يوجهها الآن الفرنسيين والانكليز الى خطة الفاشيست في برقة، موجهة في الدرجة الاولى الى التدابير التي اتخذها الجنرال غراسياني لإجلاء 80 ألف بدوي عن اراضيهم ، دون أن يرعوا حالة هؤلاء البدو الروحية، أو يلاحظوا تأثير مثل هذا القيد والحصار فيهم، ولا يجوز لأحد أن يخرج من نطاق الحصار إلا في النهار، بشرط أن يرجع الى مكانه قبل أن يخيم الظلام وكل واحد من رؤساء القبائل مسؤول عن اتباعه فرداً فرداً.

يجب أن نقول أن الحالة السيئة للغاية تفوق كل تصور ، فان معدل الاموات من الأطفال يبلغ 90% وأمراض العيون التي ينتهي اكثرها بالعمى كثيرة جداً ومنتشرة ويكاد لا ينجو احد من الامراض، أما غذاء هؤلاء المساكين، فالأحسن أن لا نتكلم عنه بالمرة، ومن الطبيعي أن نرى هؤلاء يتألمون أشد الألم، وفي الدرجة الاولى من هذه الاسلاك الشائكة ، رمز الاسر، ورغم تلاصق الخيام ، وشدة تقاربها ببعضها، فإن حصرها ضمن اسلاك شائكة ، يجب ان نعتبره من المتناقضات الغريبة التي لايتصورها العقل(3).

إن مارتكب في العقيلة والبريقة وغيرها من المعتقلات من جرائم جعل المناضلين في العالم يصرخون ويندون بالاستعمار الفاشيستي في ليبيا فقال عبدالرحمن عزام يصف حالة المعتقلين

---

(1) انظر: عمر المختار نشأته وجهاده، ص113 الى 149.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) انظر: عمر المختار ، شلبي، ص188.

ويلفت الأنظار إليهم: (يبحثون عن اخبار الاندلس وكيف اجرى الاسبانيون بالمسلمين هناك ومالهم والاندلس والامور جرت في القرون الوسطى فأمام أعينهم طرابلس الغرب فليذهبوا ويشاهدوا باعينهم في هذه الايام فضائح لاتقل عما جرى بالاندلس)[1].
وعبرّ غراسياني نفسه عن المأساة التي كانت اكبر من قلبه القاس فقال: (لقد نتج عن هذا كله ان اكثر الناس هاجرت ونزحت الى مصر وتونس والسودان تاركة وراءها اهلها وذويها..فاني حاسبت نفسي وضميري.. الامر الذي جعلني لم أنم هادئاً اكثر الليالي)[2] ويقول مبرراً جرائمه البشعة لانستطيع انشاء حاضر جديد اذا لم نقض على الماضي القديم)[3].

سادساً: عمر المختار يغير استراتيجية الحرب:

كانت معسكرات المجاهدين قريبة من نواجع الاهالي حتى يسهل على المختار وصحبه أخذ العشور والحصول على الذخائر والأسلحة والمؤن ولكن بعد حشر القبائل في المعتقلات الجماعية تغيرت خطة عمر المختار وطور اساليبه القتالية لما يتماشى مع المرحلة واعتمد على عنصر المباغتة وركن الى مفاجأة القوات الايطالية بعد كشفها والاستطلاع عليها في اماكن متفرقة[4].
يقول غراسياني: (بالرغم من ابعاد النواجع والسكان الخاضعين لحكمنا يستمر عمر المختار في المقاومة بشدة ويلاحق قواتنا في كل مكان)[5].
وقال عنه ايضاً: (عمر المختار قبل كل شيء لن يسلم أبداً لان طريقته في القتال ليست كالقادة الاخرين فهو بطل في إفساد الخطط وسرعة التنقل بحيث لايمكن تحديد موقعه لتسديد الضربات له ولجنوده، أما غيره من الرؤساء ... فإنهم أسرع من البرق عند الخطر، فيهربون الى القطر المصري تاركين جنودهم على كفة القدر معرضين لخطر الفناء، عمر المختار عكس هذا فهو يكافح الى أبعد حد لدرجة العجز ثم يغير خطته ويسعى دائماً للحصول على أي تقدم مهما كان ضئيلاً بحيث يتمكن من رفع الروح العسكرية مادياً ومعنوياً حتى يقضي الله امراً كان مفعولاً وهنا يسلم امره لله كمسلم مخلص لدينه)[6].
كان عمر المختار قطب تدور عليه رحى الاعمال، والتف المجاهدون حوله التفاف السوار بالمعصم واستمر العمل بقيادته ومساعدة معاونيه كيوسف بورحيل، والفضيل بوعمر، وعصمان الشامي، عوض العبيدي، وعيسى الوكواك العرفي، عبدالله بوسلوم، وعبدالحميد العبار وكانت مواقف عمر المختار تدل على شخصيته القيادية البارعة في أحلك الظروف واثناء المحن، ففي احد الايام وعقب انتقام الايطاليين من احد المنتجعات التي كانت تقدم مساعدات للمجاهدين تقدم بعض زعماء القبائل باحتجاج الى عمر المختار وطلبوا منه اما ان يسلم الى الايطاليين او أن يرحل عن مواطنهم أو انهم سوف يحاربونه لكي يتجنبوا انتقام الايطاليين، وعلى اثر تسلم هذا الانذار دعا عمر المختار الى عقد اجتماع في منطقة قصر المجاهير وقد ساد هذا اللقاء حالة من التوتر وشدة في النقاش في محاولة لتجنب حرب اهلية بين المجاهدين والليبيين الواقعين في المناطق الخاضعة

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص346.

(2) انظر: عمر المختار نشأته وجهاده، ص145.

(3) المصدر السابق نفسه، ص145.

(4) انظر: عمر المختار لمحمود شلبي، ص128،127.

(5) انظر: برقة الهادئة، ص227.

(6) انظر: برقة الهادئة، ص129.

للاحتلال ، فرأى بعض المجاهدين تجنباً لهذا الوضع الحرج أن يهاجروا الى مصر لكي لا يتعرض الأهالي الى الانتقام وبعد حوار طويل، اظهر المختار مصحفه واقسم عليه بأنه لن يتوقف عن مجاهدة الايطاليين، وانه لن يترك الجبل الاخضر حتى يتحقق النصر او الشهادة، وفي نفس الوقت أعلن للمجاهدين انه من يريد الهجرة الى مصر فله مطلق الحرية في السفر او التسليم للايطاليين وعندما رأى المجاهدون موقف قائدهم عدلوا عن رأيهم واطاعوه وانفض الاجتماع على وحدة صف المجاهدين[1].

استمر غرسياني في تدابيره العسكرية، فلم يأت يوم 14 يونيو حتى كان الطليان قد استولوا على منطقة الفايدية، بأجمعها واحتلوها ونزعوا من الاهالي الخاضعين لهم 3175 بندقية ، 60.000 خرطوش.

نقل عمر المختار دائرة عملياته الى الناحية الشرقية في الدفنا نظراً لقربها من الحدود المصرية وذلك حتى يتمكن من إرسال المواشي التي يأتيه بها الأهالي الى الاسواق المصرية في نظير أخذ حاجته من هذه الاسواق ، مما جعل غراسياني يقرر إقامة الاسلاك الشائكة على طول الحدود الشرقية. قال: ... أن أطمأن على خطوط تمونيه البعيدة أصدر أمره الى قواته الموزعة في كل مكان ألا تزعج بعد الآن الليبيين الخاضعين لسلطاتنا حتى لايكونوا سلاحاً آخر ضده وألا يغضبوا من حركته، وهكذا يصبح أمام ضميره بأنه مسلم حقيقي، ونظيف أن مد الاسلاك الشائكة المكهربة على حدود مصر كادت أن تنتهي وستضيق الخناق عليه تدريجياً حتى يقع في الفخ الذي سننصبه له إن مصر هي المأوى الآمين لعدد كبير من الآلاف المؤلفة من البرقاويين الذين ينتمون الى القبائل العمامة والتي لها امكانياتها البشرية والمادية، وكذلك لها التأثير الكبير على كثير من النفوس التي يسهل تجنيدها وتوجيهها نحو القتال مقتنعين بأنهم يدافعون عن الدين الاسلامي وعن كيانهم معتبرين أننا مغتصبين ومعتدين على حقوقهم ... هؤلاء الخارجين عن القانون ومن بينهم اعداؤنا يكونون المخازن الثانية لتمويل الثورة بالاسلحة والمؤن والرجال لكل الادوار رغم كل الاحتياطات التي اتخذتها سلطاتنا الحاكمة، زد على ذلك الاموال التي تجمع من لجان التبرعات من الاقطار العربية لمساعدة الثوار القائمين بالحرب المقدسة فوق الجبل الاخضر في برقة وحتى أن اتخذنا كل الاحتياطات ضد الخاضعين لسلطاتنا وابعادهم فالثوار لايزالون اقوياء يهاجموننا في كل مكان[2].

عزم غراسياني على مد الاسلاك الشائكة في الحدود الليبية المصرية المصطنعة من قبل الاستعمار مايزيد على 300كم من البحر المتوسط الى مابعد الجغبوب وقد كلف الدولة الايطالية عشرين مليوناً فرنكاً ايطالياً. وقد حقق لهم ذلك العمل أمور عدة ذكرها غراسياني في كتابه منها:

1- قضى على الثوار.

2- قضى على التهريب وأصبح دخل الدولة الايطالية في ازدياد من ناحية الضرائب الجمركية.

3- قضى على حركة الامدادات التي كانت تأتي للثوار المجاهدين من مصر عن طريق المهاجرين[3].

سابعاً: استشهاد الفضيل بوعمر:

---

(1) انظر: عمر المختار نشأته وجهاده، ص71.

(2) انظر: برقة الهادئة ، ص229.

(3) المصدر السابق نفسه، ص233،232.

استمرت المعارك بين الايطاليين والمجاهدين ومن اشهر تلك المعارك (كرسة) التي وقعت في يوم 20 ديسمبر وقد استشهد في هذه المعركة الساعد الايمن لعمر المختار الشيخ الجليل والمجاهد الفذ الفضيل بوعمر الذي شارك في مسيرة الجهاد منذ دخول الغزو الايطالي في 1911م وشهد له بالشجاعة والاخلاص في جهاده وقد ذكر عمر المختار تفاصيل هذه المعركة في رسالة له جاء فيها ان العدو هاجم المعسكر، وكان رئيسه السيد فضيل بوعمر وقد استشهد في هذه المعركة الى جانب الفضيل اربعون شهيداً وقد وجدنا في ميدان القتال مايزيد عن 500 من العدو وبينهم ماجور وثلاثة ضباط، وشدد الطليان عملياتهم العسكرية في منطقة الجبل الاخضر بعد هذه الواقعة، واستمرت جموعهم تناوش المجاهدين مدة اسبوعين، ولكن دون الوصول الى نتيجة.
وفي اكتوبر 1930م تمكن الطليان من الاشتباك مع المجاهدين في معركة كبيرة عثر الطليان عقب انتهائها على (نظارات) السيد المختار، كما عثروا على جواده المعروف مجندلا في ميدان المعركة؛ فثبت لهم أن المختار مازال على قيد الحياة، وأصدر غراسياني منشوراً ضمنه هذا الحادث حاول فيه أن يقضي على (اسطورة المختار الذي لايقهر أبداً) وقال متوعداً : (لقد أخذنا اليوم نظارات المختار وغداً نأتي برأسه)[1].
ومع شدة قبضة الاستعمار الايطالي على المدن إلا أن ذلك لم يمنع الاهالي من القيام بواجبهم المقدس ، واستطاعت المخابرات الايطالية ان تقبض على عدد من الليبيين الذين يزودون حركة الجهاد بالمؤن والمعلومات وتم اعدامهم وقد ذكر غراسياني بعض الاشخاص في كتابه فقال: وهنا اعرض بعض الاحوال الهامة لبعض الاشخاص الليبيين الذين نفذت فيهم المحكمة الخاصة حكم الاعدام في 14 يونيو 1930م عقدت المحكمة الخاصة في شحات لمحاكمة المواطن حمد بوعبد ربه الدرسي في الميدان العام، باعتباره خائناً للدولة الايطالية، لأنه كان شيخاً لبيت من بيوت قبيلته الدرسة، وكان محترماً من سلطاتنا ولكن اتضح لدى قسم المخابرات إنه يتعاون مع الثوار في امدادهم بالمؤن والسلاح، وكانت مخياماته تعتبر شبه استراحة لجنود الثوار (المجاهدين) وعدد هذه الخيام يزيد عن عشرين خيمة بمنطقة (قصر بن قدين) المكان الذي يتزود منه الثوار بالمؤن والسلاح، وقد حكم عليه بالاعدام رمياً بالرصاص في الميدان بشحات وأمام الجماهير ، وبعد اسبوع من هذا الحادث حصلت حركة انتقامية من الثوار (المجاهدين). هجموا على نفس الميدان ، وفي وضح النهار قتل فيه عدد كبير من جنودنا... وكذلك تاجر من تجار المنطقة.
وفي شهر سبتمبر 1930م اكتشفت قوة الامن بمنطقة البركة ببنغازي أن المواطن محمد الحداد احد اعيان بنغازي ومن تجارها يتعاون مع الثوار وعن طريقه تتم حركة الامدادات من المؤن والاسلحة وكان يستضيف في بيته الثوار ويمدهم بما يلزمهم وفي الوقت والحين حضرت المحكمة الخاصة وحكمت على الأب والابن بالاعدام شنقاً أمام الجماهير التي ارادت السلطات الايطالية إحضارهم خصيصاً لمشاهدة تنفيذ الحكم، وهذا مثال آخر سليمان سيد شيخ قبيلة الطرش، كان عضواً في مجلس النواب، حاملاً لوسام النجمة الايطالية للمستعمرات برتبة ضابط، وكان يرتدي برنوس الشرف الخاص بالنواب الليبيين كنا نعتمد على آرائه ولم نفكر في يوم من الايام أن يكون ضدنا حكمت عليه المحكمة بالاعدام ، لأنه كان يستغل نفوذه ويتعاون مع الثوار...ومن هذا النوع الكثير من المشاهد التي لايمكن حصرها وقد نفذ مع مجيء المحكمة الطائرة 250 حكماً بالاعدام، ونفذ فيهم الحكم في مدة وجيزة ورغم ذلك لازال الشعب الليبي يتعاون مع الثوار الى درجة

---

(1) انظر: حياة عمر المختار ، ص130 الى 133.

الضياع التام[1].

إن هذه الحقائق والمواقف التاريخية تشير الى فاعلية أهل المدن في جمع المعلومات والأموال والمؤن والأسلحة، وتهريبها الى قادة حركة الجهاد المبارك، وحرصهم على استمرارية جذوة الجهاد.

لقد وجد الايطاليون أنفسهم في حرب مع شعب دفع بكافة طاقاته نحو ساحات الوغى والفداء، وشارك معظم ابنائه بكافة مايملكون في حركة الجهاد المقدس.

ثامناً: احتلال الكفرة:

بعد ان استطاعت القوات الايطالية أن تعتقل قبائل برقة في معسكرات واسعة، واخذ غراسياني في مد الاسلاك الشائكة على طول الطريق على البحر المتوسط الى مابعد الجغبوب ليفصل برقة عن مصر وكان قد شرع في جمع قواته الضخمة من مختلف وحدات الجيش الايطالي والجيوش الملونة من المرتزقة ومن المعدات الحربية لإحتلال الكفرة.

كانت نقاط الاحتشاد هي العقيلة، ومرادة وجدابية وجالوا، وحشدت ايطاليا عدداً كبيراً من الابل استعداداً لنقل المؤن الى جانب سيارات النقل الكثيرة، هذا ماكان عن استعداد القيادة الايطالية ببرقة، أما عن القيادة الايطالية بطرابلس فقد جهزت هي الاخرى حملةمماثلة بقيادة الكونيل قالينا وكانت نقطة ارتكاز هذه الحملة واحة زلة وكانت القيادة العامة للحملة الموحدة تتمثل في شخص الجنرال رونكيتي تحت اشراف الجنرال غرسياني مباشرة وتحركت الجيوش الايطالية من طرابلس وبرقة في وقت واحد وبنظام موحد تسلك طريق الصحراء الى الكفرة، وتجمعت يوم 29 شعبان سنة 1349هـ بموقع الهواري، وهناك اشتبكت قواتهم مع المجاهدين في اولى المعارك وكانت معركة غير متكافئة، وقد اشترك قسم من الطائرات الايطالية مكون من عشرين طائرة، واستمرت المعركة ثلاثة ساعات قتل اثناؤها العدد الكثير من الايطاليين ومن المدافعين الذين ماكانوا يفكرون في صد العدوان طويلاً ولكنهم يحاولون إيقافه بعض الوقت ريثما يتمكن من يستطيع الفرار ليأخذ طريقه الى السودان أو مصر[2]، لقد قاتل المجاهدون جميعاً بشجاعة وبسالة نادرة ، فلم يكفوا عن القتال، واستشهد العشرات ووقع في أسر الطليان ثلاثة عشر فقط، وغنم الطليان مائة بندقية، واحتلوا الكفرة، وهتكوا الاعراضن وفعلوا مالم يفعله انسان.

لقد كتب غراسياني عن اهتمامه بإحتلال الكفرة، وعن الاستعدادات التي اتخذتها الحكومة الايطالية اكثر من خمسة واربعين صفحة، لقد اعترف غراسياني بقوة وشجاعة المجاهدين الذين تعرضوا لقتال الايطاليين عبر الصحراء الكبرى. قال غراسياني : لقد حملتنا خسائر فادحة وكنا حريصين على تحقيق النصر بأي ثمن لكون قوات المجاهدين غير متكافئة، رغم هذا كله كانوا اشداء اقوياء صامدين ، صابرين لايتقهقرون ابداً حتى ولو ادى ذلك لفنائهم جميعاً مؤمنين بأنهم اصحاب حق وشجاعة[3].

لقد اعترف العدو بهم كان زادهم التمر والشعير ومع ذلك دوخوا ايطاليا، وكان من بين القادة الذين اثخنوا في الاعداء عبدالحميد بومطاري الذي تزعم قيادة الزوية والمغاربة في تلك المرحلة في جهادها ضد ايطاليا، وصالح الاطيوش وسيف النصر الذي قال فيهم غراسياني: (لقد وصل سيف

---

(1) انظر: برقة الهادئة، ص154،153.

(2) انظر: عمر المختار للاشهب، ص130،129.

(3) انظر: برقة الهادئة، ص211.

النصر، وصالح الاطيوش الى المنطقة وبصحبتهم الذين هاجروا من القطر الطرابلسي فأصبح الموضوع دقيقاً وبالاخص صالح الاطيوش فهو مكابر وشديد المراس[1].
إن المجاهد صالح الاطيوش من المجاهدين العظام الذين ساهموا في الذود عن حياض المسلمين لقد شهد له عدوه غراسياني بشدة مراسه، فله منا الدعاء بالمغفرة والرحمة والرضوان وله ولجميع اخوانه الذين سطروا لنا صفحات من البطولة والرجولة للذود عن ديننا العظيم.
إن عائلة آل الاطيوش تعرضت لبلاء عظيم ، ولقد اعطى السنوسي الاطيوش صورة حية عن ذلك البلاء الذي كابده الفارون من جحيم الكفرة في ذلك الوقت.
إن اسرة عائلة الاطيوش أسرة مشيخة أصيلة في قبيلة المغاربة، تعد نموذجاً لما قاسته مختلف العائلات الليبية البارزة عبر فترة الكفاح الطويل ضد الايطاليين، فمن المعلوم أن الكيلاني الأطيوش، الذي عينه الوالي التركي في منصب القائمقام الكفرة سنة 1910م ، توفي في العام التالي مباشرة وهو في طريقه الى جالوا للالتحاق بقوات المقاومة التركية ضد الغزو الايطالي، وأخوه سعيد قضى نحبه خلف اسوار معتقل ايطالي في العقيلة ومن بني أخيه واحد شنقه الطليان في سرت، وعبدالله استشهد في معركة النوفلية، كما قتل في البريقة اثنان آخران هما علي واحمد عبد عبدالقادر الذي قتل في سرت سنة 1918م والآخر استشهد في معركة سرت بالقرب من اجدابية، وكذلك فقدت هذه العائلة مالايقل عن اربعة آخرين ماتوا في أثناء محاولة النجاة بأرواحهم من الكفرة.
فعندما هاجم الايطاليون الكفرة رحل صالح باشا الاطيوش بأهل بيته، وكان من بينهم السنوسي ابن أخيه، وبضعة اشخاص آخرين ، في قافلة من الابل اتجهوا بها أولاً صوب العوينات على حدود السودان، فبلغوها بعد ستة ايام، وهناك ملأو قربهم بالماء وانقسموا الى فريقين، توجه أحدهما الى الشمال نحو وادي النيل، بينما عمد الفريق الآخر الى مرقة وهي واحة صغير غير مأهولة تقع في ناحية الجنوب الشرقي بالسودان. ويبلغ طول هاتين المسافتين 500 ميل و 300 ميل على التوالي، أي مسيرة 25 يوماً و15 يوماً بمعدل سير الابل العادي، ولم يكن ثمة أي أثر يمكن للمسافر اقتفاؤه ولا مورد ماء في الطريق، ولا احد يستطيع ان يتصور مدى خطورة رحلة كهذه مالم يكن قد جرب اجتياز تلك الصحارى على ظهر جمل وقد حكى السنوسي الاطيوش قصة تلك الرحلة فقال: (بعد مسيرة عدة أيام اخفقنا في الوصول الى مرقة وعرفنا أننا تائهون في الصحراء ، فرجعنا ادراجنا نقصد العوينات. لما كنا استنفذنا مؤنتنا من المياه، أصبحنا مضطرين الى نحر ناقة أو جمل كل يوم لشرب الماء المخزون في بطون الابل، وكان كل منا يحمل في مخلاته بعض لحم الذبيحة ويأكل اثناء السير ومع ان المسافة التي قطعناها منذ خروجنا من العوينات كانت قد استغرقت منا ثمانية ايام كاملة، فقد بلغت بنا شدة المحنة اننا في طريق العودة قطعنا نفس المسافة خلال أربعة ايام فقط، راكبين او ماشين ليل ونهار وفي العوينات ملأنا قرب الماء من جديد، وبعد استراحة قصيرة واصلنا السفر عامدين نهر النيل رأساً، باقتفاء آثار الفريق الآخر من جماعتنا، وعثرنا في الطرق على جثث البعض، ومن بينهم امي وأختي واثنين من اخوتي قصفتهم طائرات الطليان، او ماتوا عطشا. وكنا نغذ السير ليل نهار حتى وصلنا آبار كريم بعد تسعة ايام ونحن اقرب الى الموت منا الى الحياة، وهناك اسعفنا الحظ بلقاء بعثة استكشافية كان قد نظمها الامير عمر طوسون بقيادة ضابط بريطاني ، فحملتنا معها الى واحة الخارجة ثم الى الداخلة. ومنها انتقلنا الى المنيا حيث استقر بنا المقام مع ناس من قبيلة الجوازي التي تربطنا بها صلة القرابة. ومكثنا هناك حتى عام

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص198.

1940م وعندها التحقنا بالقوات الليبية تلبية لنداء الامير)[1].

إن هذه القصة الحزينة تعطينا صورة واضحة عن ماكابده الليبيون الذين استطاعوا الهروب من هجمة غراسياني الوحشية على الكفرة، وتلك الغارة الهمجية، ولقد تأثر العالم الاسلامي من الأخبار التي سمعوها من العوائل الليبية التي كتب الله لها النجاة، وقد قام الامير شكيب ارسلان بدور مشكور في توضيح تلك الاعمال، وكتب مقالات صادقة أصبحت وثائق مهمة للمؤرخ لتلك المحنة العظيمة التي مرّ بها الشعب الليبي المسلم فقد قال: (....إنهم لما احتلوا واحة الكفرة في 13 يناير من سنة 1931م استباحوا قراها ثلاث أيام فقتلوا ماصادفوه من الأهالي وكان من جملة القتلى بعض الشيوخ الاجلاء مثل محمد عمر الفضيل، والسيد حميد الفضيل، والشيخ فضيل الديفار وغيرهم ممن قتلوه صبراً غير داخل في ذلك من قتلوا من المعركة التي جرت بين الاهالي وجيش الحملة الطليانية وهم 200 شخص ثم ان الطليان انتشروا في القرى والبساتين ونهبوا كل ماوقع في ايديهم ولم يرحموا الشيوخ ولا الاطفال ولا النساء وصادفوا الشيخ مختار الغدامسي وهو شيخ فان بلغ ثلاثاً وتسعين سنة، ومن جلة علماء السنوسية فحملوه مقيداً بالحبال على جمل ونفوه من الكفرة فمات في الطريق. ثم اغتصبوا النساء في اعراضهن وقتلوا منهن كثيراً ممن دافعن الى الآخر عن اعراضهن. وكان نحو من 200 امرأة من نساء الاشراف قد فررن الى الصحراء قبل وصول الجيش الايطالي، فأرسلوا قوة في أثرهن حتى قبضوا عليهن وسحبوهن الى الكفرة حين خلا بهن ضباط الجيش الطلياني واغتصبوهن وهكذا نزلوا المعرات بسبعين اسرة شريفة من أشراف الكفرة الذين كانت الشمس تقريباً لاترى وجههن من الصون، والعفاف، وقد أشارت الصحف الطليانية الى هذه الحادثة وصرحت في باب الافتخار قائلة: (إن الجيش قبض على 200 امرأة من نساء الزعماء) وقرأنا ذلك باعيننا ولحضنا ان مقصود البلاغ العسكري الايطالي التبجح بكون حلائل زعماء الكفرة صرن الى الضباط إلا اننا انتظرنا جلاء الاخبار من الجهة الثانية حتى نعلم ماذا جرى بعد التثبت ، فمضى شهر حتى وردت الاخبار من المهاجرين الذين دخلوا حدود مصر بأن هؤلاء السيدات المقصورات الناشئات في اكرم بيوت الطهارة والصون قد قبضوا عليهن في الصحراء وصرن الى أولئك الفجرة الذين لايعرفون لصيانة العرض معنى ولايقيمون للشرف وزنا. وعلمنا أن بعض شيوخ الكفرة الذين احتجوا على هتك اعراض السيدات المذكورات قد أمر القائد بقتلهم ثم لما هج هائج العالم الاسلامي من جراء هذا الخبر واشباهه اذاعت الحكومة الايطالية تمويهاً ظاهراً زعمت فيه أن الجيش تأثر للنسوة المائتين المذكورات شفقة عليهن ولأجل أن يرجعن الى بيوتهن آمنات وغير ذلك من الاقاويل التي قصدت ايطاليا بها تخدير اعصاب المسلمين الذين بلغهم ماكان جرى بالكفرة من هذه الفضائع من هتك اعراض مخدرات المسلمين ومن استباحة الزاوية السنوسية المسماة (التاج) وأراقة الخمور فيها، ودوس المصاحف الشريفة بالاقدام هذا منظماً الى ماكن بلغهم من قبل من اجلاء 80 ألفاً من عرب الجبل الاخضر عن اوطانهم واماتتهم بالجوع والعطش، واخذ اطفالهم قهراً الى ايطاليا لأجل تنصيرهم الى ماكان بلغهم من فظائع كثيرة مثل حمل الشيخ سعد شيخ قبيلة (الفوائد) وخمسة عشر شيخاً من رفاقه بالطائرات وقذفهم بهم من الجو على مشهد من أهلهم حتى إذا وصل احدهم الى الارض وتقطع ارباً صفق الطليان طرباً ونادوا العرب قائلين (ليأت محمد هذا نبيكم البدوي الذي أمركم بالجهاد وينقذكم من أيدينا) هذه حادثة وغيره من الأمور في هذا الشأن كثيرة جرحت قلوب المسلمين، فجرت مظاهرات بالشام، وحلب ، وطرابلس الشام، وبيروت، وفلسطين ، وانعقدت اجتماعات في كل

(1) انظر: الملك ادريس عاهل ليبيا، ص58،59.

مكان للاحتجاج على أعمال إيطاليا، وأبرق المسلمون بالاحتجاجات الشديدة الى جمعية الامم بجنيف والى نفس موسيلني بالعبارات القاسية وقامت قيامة الجرائد العربية وحملت على توحش الفاشيت من كل جانب وامتلأت جرائد مصر بالاحتجاج والطعن في ايطاليا الى أن عطلتها الحكومة المصرية اجابة لطلب الحكومة الايطالية ووصل الصريخ الى الهند والجاوى وأضج المسلمون لهذه الاخبار وانعقد في الجاوى اجتماع كبير حضره ألوف مؤلفة من المسلمين وخطبوا خطباً شديدة ودعوا الى مقاطعة البضائع الايطالية ، وتدخلت الحكومة الهندية في الأمر وانتصرت لايطاليا بمقتضى قاعدة التكامل الاوروبي بوجه المسلمين ، وقاعدة التكافل الاستعماري بوجه الامم المقهورة واشاع قناصل ايطاليا ان كل هذه الاخبار عمّا حل بمسلمي طرابلس ملفقة لا أصل لها وبلغت بهم الوقاحة أنهم كانوا يخاطرون الناس مخاطرة على أن يذهبوا الى طرابلس بأنفسهم ليشهدوا كذب هذه الاقاويل وبلغ بهم البهتان أنهم اشاعوا ايضاً أن ايطاليا اقترحت على جمعية الامم ان ترسل الى طرابلس لجنة من عندهم للتحقيق عما ينسب الى رجالها من الأعمال الشنيعة التي هم أبرياء منها، وكل هذا اختلاق محض قصدت به ايطاليا التمويه وتخدير الاعصاب وصرف المسلمين عن مقاطعة بضائعها، وقد سكن كثير من المسلمين الى هذه التكذيبات وهدأ بالهم والحق خلاف ذلك، وكل ماشاع من الاخبار عن اعمال الطليان لاسيما بعد مجيء دول الفاشيست هو دون الواقع، ولو تأمل المسلمون فيما يأتيه الفاشيست في نفس ايطاليا من الموبقات ومن اغتيال اعدائهم السياسيين ، ومن حجر كل حرية ومن منع تأليف كل حزب يخالف حزبهم وأمام هذا الانتقام الرهيب من المسلمين في قتلهم وتغريبهم عن ديارهم، فلا تسأل ، فقد أصبحت في حكم المتواتر الذي لايصح فيه المراء بالاتفاق عشرات الالوف من الاهلين على روايته فقد نزح عن طرابلس وبرقة نحو من مائتي ألف نسمة وقيل من 300 الف نسمة منهم 20 ألف دخلوا تونس والجزائر، ومنهم 60 الفاً دخلوا مصر، ومنهم من شردوا الى السودان، ومنهم من تفرقوا في الصحارى وقد اطبقوا بأجمعهم على صحة هذه الاخبار ومشاهدتهم تلك الافعال بالعيان، وانه ليستحيل اتفاق الألوف المؤلفة على الكذب هذا فضلاً كون هذه المظالم حقيقة راهنة ماكان هذا العدد الكبير من الاهالي يترك وطنه ويهيم على وجهه في البراري او يلتمس الرزق عاملاً في أرض غيره بعد ان كان سيداً في أرضه، ومن أغرب المتناقضات والتناقض من عادة كل كاذب، أنه بينما ممثلوا ايطاليا في بلاد الاسلام يذيعون أن من شاء أن يذهب الى طرابلس بنفسه ليتحقق من كذب تلك الاخبار عن فظائع الطليان فيها فإن ابواب طرابلس مفتوحة لمن شاء الذهاب الى هناك وبينما قنصلهم في بيروت يشيع ذلك في بيروت، وبينما الحكومة الايطالية تقول هذا القول لشوكت علي الزعيم المسلم الهندي أذا بقيت ايطاليا مدة طويلة بعد احتلال الكفرة وحوادثها المؤلمة تمنع كل دخول وخروج بين الحدود المصرية والحدود البرقاوية لئلا يقف اهل مصر على الحقائق والاخبار فيزدادوا هياجاً. ولكن الحقائق لابد أن تظهر ولايمكن ايطاليا اخفاء كل ماتأتيه من الاعمال الوحشية في طرابلس وليس المسلمون وحدهم هم الذين شاهدوا أعمال الطليان وضجوا منها بل ثمة كثير من الافرنج شاهدوها وأنكروها[1].

لقد قام الامير شكيب ارسلان بدور مشكور في الدفاع عن الليبيين واظهار وحشية الايطاليين ، ولقد كتب في صحف ذلك الزمان مقالات حزينة، بيّن فيها الاعمال الوحشية التي قام بها الايطاليون ضد الشعب الليبي المظلوم وهذه وثيقة تاريخية اخرى لمقال كتبه الامير شكيب في مجلة الدولة العربية ولقد انتشر هذا المقال شرقاً وغرباً ونص هذا المقال:

---

(1) انظر: حاضر العالم الاسلامي (69،70،71،72/2).

تاسعاً: دور الصحافة الاسلامية:

التعذيب الايطالي في طرابلس

تحرير الامير شكيب ارسلان

كانت الحركة الاسلامية تائهة عن كل مايحدث في طرابلس من تعذيب وهمجية من البرابرة الايطاليين الذين مأتوا الى هذه الأرض إلا ليؤخروها عن التقدم والمدنية، بعكس ماكانوا يقولون ويكتبون .. نعم ان الناس علمت بأن الحكومة ايطاليا الفاشيستية نقلت مايزيد عن 80 ألف عربي من الجبل الاخضر ووضعتهم في الصحراء (سرت) ... نزعت منهم اراضيهم بحجة التعمير وان المعمرمين الايطاليين هم احق من أي أحد آخر، لانهم يتقنون هذا العمل أكثر وأحسن من العرب.
إن العالم علم بأن الجيش الايطالي احتل الكفرة وواحاتها بعد قتل السكان العزل والثوار الذين دافعوا عن وطنهم الى النهاية، وان الصحافة الايطالية تتبجح وتنشر بأن جيشها اسر مائة امرأة وهن زوجات الشيوخ هناك.
وفي مجلتنا (الدولة العربية) وجهنا سؤالنا الى الايطاليين الفاشستيين عن معنى هذا التبجح باسر مائة امرأة.
مع العلم بان التقاليد والعادات العالمية وبالاخص البيئة العربية التي تنفي اضطهاد المرأة أو النساء خصوصاً اثناء قيام الحرب. ولكن ماكنا نعتقد أن دولة تعتبر نفسها من دول البحر الابيض المتوسط مهد الحضارة الاوروبية ان تصل الى هذه الدرجة من الانحراف والخروج عن جادة التمدن والرقي. لم يسبق في تاريخ البشرية بل في تاريخ البربرية ، أن معاملة الجيش الايطالي الفاشيستي للنساء هي معاملة وحشية بدرجة تتقزز منها النفوس، فهي معاملة سيئة سواء في طرابلس أو في برقة.
ان هذه الاخبار لم تكن نسيجاً من خيال اوفكرة طارئة وانما هي حقائق يرويها من اسعده الحظ بالنجاة من المذابح التي قام بها الجيش الايطالي الفاشيستي.
شرحوا لنا مايلي:
1- عندما اتجهت القوات الايطالية لاحتلال الكفرة كانت معززة بالطائرات التي تلقي قنابلها على السكان العزل من شيوخ ونساء واطفال وخلاف هذا سمحوا لجنودهم ان يعبثوا بالسكان لمدة ثلاثة أيام مطلقي الايادي في البيوت والأسواق والمساجد وفي كل النواحي تصرفات وحشية لم تخطر علىبال احد نهبوا وقتلوا واحرقوا كل مامروا به ولم يتركوا أي جريمة تخطر ببالهم إلا وارتكبوها، قتلوا العلماء والمشائخ، هتكوا حرمات البيوت وبقروا بطون النساء وان عدد العائلات التي قضي عليها عند احتلال الكفرة يزيد عن 70 عائلة من علية القوم، وعلاوة على هذا فقد اتخذوا زاوية السنوسي (التاج) كحانة شربوا فيها الخمر حتى ثمالة الجنون وشربوا نخب القضاء على المسلمين واحتلال طرابلس وبرقة .. ألقوا بالمصاحف القرآنية في الاصطبلات تحت سنابك الخيل وبالكتب العلمية اوقدوا بها النار تحت قدورهم لطهي طعامهم. وقد استشهد من الثوار في احتلال الكفرة مايزيد عن (200) شهيد من بينهم المشايخ الآتية أسماؤهم:
الشيخ صالح العبادية، الحاج سليمان بومطاوي، الشيخ غيث بوقنديل ، الشيخ سليمان الشريف، الشيخ محمد يونس، الشيخ احمد بو اشناك وحفيده الشيخ عمر، الشيخ حمد الحامي ، الشيخ عبدالسلام بوسريويل، الشيخ محمد المسحوق وحفيده على بن حسين ، الشيخ محمد العربي، الشيخ محمد بوسجادة الشيخ محمد الفايدي الجلولي ، الشيخ خليفة الدلال. أما الرواية الثانية هي كيف تم احتلال الكفرة من اولئك الغاشمين المتوحشين من مشاهدين حقيقيين لتلك الاحداث، قبل دخول

الايطاليين الى الكفرة قامت طائراتهم بقصف واحات الكفرة بقنابلهم الفتاكة فوق السكان العزل حيث قتل عدد كبير من النساء والشيوخ والاطفال ، وبعد أن دخلوا الكفرة اطلقوا أيدي جنودهم لمدة ثلاثة أيام للعبث والتخريب في الكفرة فقد اطلقوا بغالهم وخيولهم حيث دوت كل المزروعات فاستولوا على كل المواد الغذائية وقطعان الاغنام والبقر لتموين جنودهم المحتلين دون مقابل وعلاوة على هذا نهبوا اثاث السكان وقسموها على ادارات الجيش الزاحف كذلك ملابس النساء وحليها، هذا قليل من كثير زد على ذلك اعتداءاتهم على حرمات الناس العزل دون وازع من ضمير، وعندما اتجه بعض المشايخ الى قائد الحملة راجين منه اصدار امره الى الجنود بالكف عن هذه الاعتداءات على الناس كان مصيرهم القتل رمياً بالرصاص باعتبارهم خونة، وبالاختصار ان الايطاليين عندما احتلوا الكفرة قاموا بأعمال وحشية لم يسبق ان حدثت في التاريخ حتى في القرون الوسطى عهد الهمجية.
ان قضية الـ 80.000 عربي الذين نقلتهم القوات الغاشمة من اراضيهم الخصبة في الجبل الاخضر الى مناطق جدبة صحراوية لا ماء فيها ولا كلأ، هي منطقة (سرت) كي تموت المواشي جوعاً، وعطشاً . أما البقية فقد استولى عليها الجنود الايطاليون واصبحوا فقراء تدفع لهم الحكومة الايطالية فرنكين عن كل يوم لكل شخص مهما كان عدد عائلته. اما بالنسبة لحلي النساء وملابسها فقد نهبها الجنود الايطاليون، واصبحت العائلات في هوة الفقر سواسية. وفي اثناء مرافقة هذا العدد الضخم من رجال ونساء وأطفال، كان الجنود يسومونهم سوء العذاب وكل من يعجز عن المسير مصيره الموت فيقتلونه ويتركونه يتخبط في دمه.
ان الرجال والشبان الذين تتروح اعمارهم من 15 الى 40 سنة اجبروا على الانخراط في قوات الجيش. واما الصغار الذين تتروح اعمارهم من 14 سنة فقد اخذوا بالقوة من أهليهم وارسلوا الى ايطاليابحجة تعليمهم، ولكن في الحقيقة من اجل تنصيرهم.
وهذا ماكان يتحدث به سكان (روما) وهو تنصير الليبيين بصورة عامة والطرابلسيين بصورة خاصة. ورغبة الايطاليين الفاشستيين هي القضاء المبرم على العنصر الاسلامي في ليبيا، فاذا ليبيا تصير ايطالية وبجوارها مصر، سوف تتعرض الى أكبر خطر. وان مصر لن تسكت عن هذا الاجراء لان الايطاليين في اعتقادهم المريض ان مصر ليست دولة عربية، وانما هي خليط من عدة اجناس.. الأمر الذي يجعل ايطاليا تحكم بأن تغزو مصر وتتمكن من اراضها وشعبها كما تمكنت من طرابلس . ان الوعود المعسولة التي كانت تصرح بها السلطات الايطالية. وتمنياتها الطيبة التي كانت تعرضها على الشعب الليبي وانها -يعني ايطاليا- ما أتت إلا لتخلص الشعب الليبي من الاستبداد التركي. ولأجل ان تذر الرماد في أعين الناس، أتت بادريس وقلدته لقب الامارة ووعدته بالحكم الذاتي، ولكن كانت دائماً وعوداً فقط. وهاهي ايطاليا تلغي كل شيء وتبدأ في سفك الدماء وتطرد السكان من اراضيهم وأموالهم وأخذت اولادهم وبناتهم الى ايطاليا من أجل تعليمهم، وفي الواقع من أجل تنصيرهم.. اني اقل على المسلمين ان يتذكروا هذه كله وان يتفهموه ..فان هناك من يتفلسف ويتشدق بالقول بأن في اوروبا تسود العدالة والحرية، وان الدول الاوروبية لا تتعرض للقضايا الدينية، وان السبب في سقوط المسلمين هو التعصب الاعمى: ان هذه الالفاظ وهذه المغالطات تنذر المسلمين جميعاً بأنهم إذا لم يتحدوا ويذودوا عن حياضهم سوف يتعرضون الى القضاء ويفقدون قواتهم المسلحة وحرياتهم السياسية، سوف يحدث لهم كما حدث لطرابلس إذا لم يحافظوا على حريتهم واستقلالهم ان موقف ايطاليا من حضارة القرن العشرين موقف غير مشرف فقد رجعت الى معاملات القرون الوسطى.
ان الايطاليين المتوحشين لم يتحرجوا لا كبيراً ولا صغيراً فقد اعتدوا على الحريات اغتصبوا النساء وهتكوا الاعراض. كل هذه الاعمال من أجل اضطهاد المسلمين وروحهم الانتقامية.

لقد زجّ الايطاليون في السجون الكثير من الاهالي ومشايخ القبائل وقد عارضهم ونَدد بأعمالهم الشيخ سعد الفايدي شيخ قبيلة الفوايد فما كان منهم إلا أن قتلوه ومعه 15 من ابناء قبيلته البعض منهم ألقي من الطائرة من علو 400 متر وكلما كانت الطائرة تلقي بواحد منهم هناك كان الهتاف يعلو وصياح الجنود يزداد.
إن الصحفي الدانماركي الشهير (كنود هولمبوي) الذي اعتنق الاسلام وقام بجولة سياحية أثناء هذه الفترة في ليبيا، قد شاهد بنفسه وعينيه كل التعذيب والاضطهاد الذي يقوم به الجنود الايطاليون الفاشيست يقول:
شاهدت 20 عربياً مسلسلين .. شنقهم الجنود بأمر من ضابطهم دون محاكمة ولم تكن هناك محكمة.. هذا المنظر البشع أثر في نفسي ولم يكن في اعتقاده ان دول مثل ايطاليا الفاشستية وهي احدى دول البحر الابيض المتوسط تقوم بمثل هذه القسوة وهذه الوحشية. إنها جرائم سيسجلها التاريخ في صفحة سوداء ، وسيبقى وصمة عار في جبين الدولة الايطالية على مدى الدهر والازمان.
إن ايطاليا ارادت ان تحذو حذو فرنسا في تنصير المسلمين إبان حكمها في المغرب فقد عملت ووزعت المبشرين في طول البلاد وعرضها وبنت العديد من المعابد والكنائس في كل المدن والقرى لتقضي على الدين الاسلامي وهكذا عملت ايطاليا فقد بنت المعابد في طرابلس وبنغازي وكل القرى وأمرت المبشرين بأن يسعوا بكل الوسائل لتنصير العرب مهما كان الثمن. وقد فاقت على فرنسا بطريقة اخرى فأخذت الاطفال من حجور امهاتهم وبعثت بهم الى ايطاليا الى تلك المعاهد المسيحية لتعليم هؤلاء الاطفال الدين المسيحي.. وعزلهم عزلاً كلياً عن وطنهم وبيئتهم ...بحيث يشبون ويترعرعون في الجو الفاشستي والكنيسة المسيحية.
ان سياسة ايطاليا الفاشستية هي القضاء على الدين والعقيدة وابعاد المسلمين عن معابدهم ومساجدهم وكم من مرة صرح موسوليني رئيس الحكومة والحزب الفاشستي في خطاباته بعد احتلال (الكفرة) بأنه عازم على تثبيت ثلاثة ملايين من السكان الايطاليين في الاراضي الليبية الخصبة. وقد ايد هذا الرأي الكثير من السياسيين وأبرزها الكثير من الصحفيين على صفحات جرائدهم ومجلاتهم.
منذ أيام قرأت بالجريدة الرسمية المرسوم الملكي القاضي بمصادرة أملاك المواطنين وأوقاف المسلمين والزوايا السنوسية وأوقافها. وبهذه الطريقة الجهنمية عملت ايطاليا الفاشستية على تملك الايطاليين كل الممتلكات الليبية وبالتدريج وابعاد الليبيين من كل المجالات حتى تصبح ليبيا خالية من كل العناصر ولا يبقى بها إلا الايطالي المسيحي الكاثوليكي.
إذ الكلام الصادر من الجنرال او المارشال لم يكن إلا ذوداً وبهتاناً وتضليلاً لتهدئة المسلمين ؟ حتى تستطيع السلطات الايطالية الفاشستية تنفيذ أغراضها الاستعمارية. وهي ان استحوذت على الملايين من هكتارات الاراضي الزراعية وغيرها (من أين لها هذه الاراضي) فالجواب معروف. استحوذت عليها بطرد أهلها الحقيقين ونقلهم الى المناطق الهلاك هم ومواشيهم على السواء امام أعين العالم المتمدن.
وأمام عصبة الامم. وبالاختصار تبجح الايطاليون بقولهم ان طرابلس وبرقة كانتا رومانيتين .. فلابد أن ترجعا رومانيتين كما كانتا - هذا هو هدف الفاشيست بدون تردد.
إننا لانصدق مايقولون لقد خالفوا القواعد الدولية والانسانية، ولم ينفذوا حرفاً واحداً من تعهداتهم الى الطرابلسيين والبرقاويين، حتى التعهدات الكتابية والاتفاقات المبرمة بينهم وبين ادريس السنوسي، فكانت عبارة عن اكاذيب وكسب للوقت. نحن مقتنعون بأن كل ماكتبناه وأعلناه على الملأ أجمع ستكذبه السلطات الفاشيستية، وستوجد لنا مضابط لكي تدحض أقوالنا ولكن كل ماكتبناه

ثابت وصحيح ومصدره من جهة عاصرت الاحداث وهي هيئة التحرير الليبية في دمشق فقد أثبتت الحوادث والاعتداءات بالوثائق الرسمية، وبالاخص في احتلال الكفرة فقد ارتكب الجنود الايطاليون الفاشيست أبشع الجرائم باعتداءاتهم على النساء وقتلهم الشيوخ والاطفال. واعتدوا على حرمات المساجد والمقدسات. وقد ادعت ايطاليا بأن كل الاعمال العسكرية التي قامت بها ماهي إلا تأديب لاناس أعلنوا العصيان على دولتهم، وهذه حجة واهية لايقبلها العقل ولا تقوم بها دولة متمدنة كما تدعيه ايطاليا الفاشيستية. وان الثوار في العرف الدولي لم يكونوا من العصاة على الدولة وإنما هم أصحاب حق يدافعون عنه ، اغتصبه عدو دخيل.

بقي علي أن اختتم مقالي هذا الذي كتبته لا أريد منه تحريض المسلمين على أن ينتقموا من الايطاليين الذين يعيشون معهم حاشا لله نحن لسنا من الانتقاميين ولا في الجهل مثل الايطاليين الفاشيست وليس من شيم أخلاقنا أن نستعمل القوة على من هو أضعف منا.

وان المسلمين لن يغيروا أبداً تراثهم الخلقي الذي ورثوه أباً عن جد. ولكني أقترح ماهو آت:

1- جمعية الشبان المسلمين في كل بلد عليها أن تحتج على كل أساليب الاعتداء والاجرام التي ارتكبتها ايطاليا الفاشيستية في ليبيا. وان ترسل برقية احتجاج شديدة اللهجة الى عصبة الامم وتنشر على الصحف العالمية.

2- كل المدن والمقاطعات الاسلامية التي تتقد حماساً والدم الساخن الذي يجري في عروقهم، عليهم أن يقدموا احتجاجاتهم الى عصبة الامم برقياً مستعجلاً ونشرها جميعاً على صفحات مجلاتهم وجرائدهم المحلية .

3- ان مجموعة الدول الشرقية بالقاهرة هي كذلك عليها ان تحتج وتندد بأعمال القمع والعنف التي تقوم بها ايطاليا الفاشيستية وتقدمه الى عصبة الامم مثل الهيئات الاخرى.

4- كل الهيئات الاسلامية والعربية والشرقية بالقاهرة وسوريا والعراق والعربية السعودية والهند وجاوا وغيرها لابد وان يقوموا بواجبهم نحو القضية الليبية.

5- عقد اجتماعات شعبية في المدن الاسلامية وإلقاء الخطب الحماسية لشرح ظلم واستبداد السلطات الايطالية الفاشيستية وهتافات بسقوط العدو الغاصب.

6- يجب على كل المسلمين أن يقاطعوا كل البضائع الايطالية والسفن وكل الوسائل والاعمال وكل شيء يحمل اسم ايطاليا، وقطع كل العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وكذلك تكوين لجان شعبية خاصة بمراقبة البضائع الايطالية.

7- طبع المنشورات وكتيبات تبين فيها تصرفات ايطاليا الفاشيستية واضطهادها للشعب الليبي، ويكون طبعها كذلك باللغة الانكليزية والفرنسية والالمانية والايطالية ويكون توزيعها بالآلاف في اوروبا وفي كل العالم ومن واجب كل مسلم ان يقوم بالصاق هذه المنشورات في كل الشوارع والميادين، وتوزيع الكتيبات في كل مكان من العالم. كذلك على كل مسلم أن يعلق في بيته بعضاً من هذه المنشورات حتى لاينسى مايعانيه الشعب الليبي من اضطهاد وتعذيب.

أيها المسلمون:

لا تقولوا بأن هذا الحديث في طرابلس وليبيا فقط وإنما الليبيون الشرفاء طعنوا في شرفهم.. في دمائهم.. في دينهم وفي أموالهم وممتلكاتهم وكذلك سيحدث لكم أنتم مثل هذه المأساة وسيحل بكم العذاب كما حل بالليبيين الشرفاء إذا لم تدافعوا عن أنفسكم ، إذا لم تبينوا أنفسكم أنكم أحياء.

أيها المسلمون:

في الوقت الحالي لن تستطيعوا الدفاع عن انفسكم وبسلاحكم فقط بل سخروا أقلامكم وكذلك باجتهادكم وبصبركم على المكائد، لتدافعوا عن كيانكم وعن ارضكم وعن مقدساتكم وتثبتوا للعالم بأنكم شعب يعرف كيف يقاوم .

لوزان 12 ذو القعدة
7 ابريل 1931م
شكيب ارسلان

قال شكيب ارسلان ولما حررت المقالة التي نشرتها عن فجائع طرابلس وبرقة سنة 1931م على أثر دخول الطليان الى الكفرة وارتجف لها العالم الاسلامي غضباً وعلا الصراخ من كل جهة جاءني من الشيهد الاكبر بطل الجبل الاخضر السيد عمر المختار الكتاب الآتي:

عاشراً: رسالة من عمر المختار إلى شكيب أرسلان:

كانت تلك الجهود التي قام بها الأمير شكيب أرسلان وصلت أخبارها للمجاهدين، فأرسل قائد حركة الجهاد رسالة شكر واحترام وتقدير لتلك الأعمال وهذا نص الرسالة (إنه من خادم المسلمين عمر المختار إلى المجاهد الأمير الخطير أخينا في الله وزميلنا في سبيل الله الأمير شكيب أرسلان حفظه الله بعد السلام الأتم والرضوان الشامل الأعم ورحمة الله وبركاته قد قرأنا مادبجه قلمكم السيال عن فظائع الطليان وما اقترفته الأيدي الأثيمة من الظلم والعدوان بهذه الديار فإني وعموم إخواني المجاهدين نقدم لسامي مقامكم خالص الشكر، وعظيم الممنونية. كل ماذكرتموه عما اقترفته أيدي الإيطاليين هو قليل من كثير وقد اقتصدتم واحتطتم كثيراً ولو يذكر للعالم كل مايقع من الإيطاليين لاتوجد اذن تصغي لما يروى من استحالة وقوعه، والحقيقة والله وملائكته شهود أنه صحيح وأننا في الدفاع عن ديننا ووطننا صامدون، وعلى الله في نصرنا متوكلون وقد قال الله تعالى: (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته في 20 ذي الحجة 1349هـ)[1].

وقد علق شكيب أرسلان على تلك الرسالة فقال: ومالاحظه الشهيد المشار إليه هو عين الحقيقة فإن الناس يصعب عليهم أن يصدقوا الشناعات والدناءات والنذالات التي أقدم عليها الطليان في طرابلس ولاسيما الفاشيست منهم[2].

إن رسالة عمر المختار للأمير شكيب أرسلان نستخلص منها فوائد جمّة، ففي قوله من خادم المسلمين دليل على تواضعه وافتخاره بكونه من خدّام المسلمين وهذا المعنى له مدلول عند الشيخ عمر المختار، فهو يتقرب إلى الله تعالى بخدمة المسلمين وهي من أعظم القربات عند الله تعالى، وفي قوله إلى المجاهد الأمير الخطير: وصف الأمير شكيب بالمجاهد وهو بالفعل جاهد مع الليبيين بجانب جنود الأتراك ضد الطليان، وفيه دلالة على اهتمام عمر المختار بالمصطلحات الشرعية فلم يقل مناضل، أو مكافح، أو ثائر .. وإنما تقيد بوصفه مجاهد لدلالة هذه الكلمة وعمقها في أوساط المسلمين، ووصفه بالخطير كيف لا وقد كانت مقالاته أنفذ من الرصاص في قلوب الإيطاليين، وساهمت في تشكيل تعاطف إسلامي وعربي كبير مع القضية الليبية العادلة، وفي قوله أخينا في الله فيه دلالة رابطة العقيدة التي جعلت المسلمين أخوة، فهي فوق كل الروابط الأرضية، وفي قوله بعد السلام الأتم والرضوان الشامل الأعم: فيها قوة العبارة، وبلاغة الأسلوب، وروعة المدخل، وفي قوله: قد قرأنا مادبجه قلمكم السيال عن فظائع الطليان، دليل على متابعة المجاهدين لما يجري خارج البلاد وله علاقة بقضية شعبنا، وأما بقية الرسالة ففيها تأكيد للأمير شكيب عن المعلومات التي وصلت إليه وقام بنشرها، وفيها إصرار قوي على مواصلة الجهاد والدفاع عن الدين والوطن، وفيها توكل على الله عظيم هذا وقد قامت جمعية الشبان المسلمين بمصر بنشر بيان عن سياسة

---

(1) انظر: حاضر العالم الاسلامي (84/2).

(2) المصدر السابق نفسه (84/2).

الإبادة والاستئصال التي تبعتها ايطاليا في طرابلس الغرب وألقي ذلك البيان في اجتماع عظيم في نادي جمعية الشبان المسلمين ووقع عليه أهل الرأي، والمكانة في مصر ليرسل إلى جمعية الأمم، ويذاع في العالم الإسلامي وجاء في ذلك البيان الحديث عن:

1- سياسة التهجير:

لقد شهدت مصر مشهداً لاتستطيع الإنسانية أن تعرض عنه متجاهلة ما انطوى عليه من الآلام وذلك أن مئات من بني الإنسان بين رجال ونساء وأطفال وشيوخ اضطروا تحت ضغط الجور إلى أن يتركوا أوطانهم تخلصاً من الظلم، وأن يهيموا على وجوههم في القفار، ولولا مروءة مأجور الواحات المصري الذي خرج هو ورجاله للبحث عنهم حتى لقيهم وأنقذهم لهلكوا عطشاً وجوعاً أولئك هم فريق من إخواننا الطرابلسيين الذين خرجوا من قسوة الحكم الإيطالي الذي لايطاق.

2- سياسة القتل والرمي في البحر:

ولم تكد أعيننا تكفكف الدموع على هذا المشهد الذي شهدته على اليابسة حتى حملت إلينا أمواج البحر في السلوم مشهداً آخر أفظع من هذا وأشنع، فرمى البحر إلى هذا الساحل المصري أربع عشرة جثة من جثث هؤلاء الطرابلسيين مغلولة في سلسلة واحدة.

3- عمل الإيطاليين في الكفرة:

ثم توالت الأخبار بأن زاوية الكفرة المنقطع أهلها للعبادة قد أمطرتها طائرات الإيطاليين بالقنابل وفتكت بأهلها فتكاً ذريعاً، وبعد ذلك هاجمها الجيش، وكاد يأتي على البقية من أهلها ولم يتعفف عن هتك الأعراض وسلب الأموال وبقر بطون الحوامل.

4- قتلهم لأهل العلم:

وقد قتل من أهل الكفرة في هذه النازلة كثيرون منهم الشيخ أبو شنة، وابن أخيه الشيخ عمر والشيخ حامد الهامة، والشيخ عبدالسلام أبو سريويل، والشيخ محمد المنشوف، وابن أخيه على بن حسين، والشيخ محمد العربي، والشيخ محمد أبو سجادة، والشيخ أحمد الفاندي الجلولي، والشيخ خليفة الدلاية.

5- قتلهم لكبار شيوخ الكفرة:

ولما ذهب كبار شيوخ زاوية الكفرة إلى القائد الكبير يرجونه وضع حد لهذه المذابح أمر بذبحهم فذبحوا أمامه كما تذبح الشياه.

6- قتل الأبرياء برميهم من الطائرات:

ومن الفظائع التي ارتكبها الإيطاليون في برقة، ونقلها الرواة الصادقون أنهم وضعوا أحد مشايخ عائلة الفوائد المدعو الشيخ سعد وخمسة عشر شخصاً من العرب في الطائرات وارتفعوا بهم عن سطح الأرض ثم جعلوا يلقونهم واحد بعد الآخر ليموتوا موتة لم يسبق لها مثيل.

7- انتزاع الأراضي من أهاليها وتجويعهم:

ومن الفظائع التي ارتكبوها في الجبل الأخضر إخراج أهله منه وهم لايقل عددهم عن ثمانين ألف عربي إلى بادية سرت القاحلة، ثم أذاعوا بواسطة قنصليتهم في بلاد الأرجنتين أن حكومة طرابلس و برقة تعطي الأراضي الخصبة فيها لكل إيطالي يريد النقلة إليها، وبلغت مساحة الأراضي التي أخذت غصباً نحو من مائتي ألف هكتار ولاتزال الحكومة الإيطالية تحث الإيطاليين على استعمار هذه الأراضي وقبل انتزاع أراضي الجبل الأخضر من أهله في هذه السنة انتزعت في سنة 1924م ما مساحته 420 ألف هكتار بدون مقابل، وفي بعض الأحيان كان المقابل عن المائة ألف هكتار ستة آلاف فرنك إيطالي - أي خمسين جنيها تقريباً، وقد خرج أهالي الجبل الأخضر عند انجلائهم منه وهم لايملكون مايقتاتون به فرتبوا لكل عائلة فرنكين في اليوم وهم الآن يعيشون بهذا

المرتب عيشة بؤس تفتت الأكباد، وفي أثناء نقلهم إلى صحراء سرت كان كلما عجز واحد منهم عن مواصلة المشي يرمى بالرصاص.

8- ترحيل الأطفال إلى إيطاليا لتنصيرهم:
وفضلاً عن كل ذلك فقد جمع الإيطاليون الأطفال الوطنيين من 3 إلى 14 وأخذوهم من أهلهم وأرسلوهم إلى إيطاليا بزعم تعليمهم فيها، وجمعوا الشبان من سن 15 إلى 40 وألحقوهم بالجيش واستخدموهم في محاربة أهلهم وبلادهم.

9- أرساليات التبشير بين الأهالي:
وبلغ الاستهتار بالشعور الإسلامي مبلغاً عظيماً بين إرساليات التبشير المنبثة الآن بين الأهالي، ومن صدور الأوامر المشددة على الخطباء في الجوامع بالدعاء لملك إيطاليا على المنابر.

10- خداعها للأهالي[1]:
وقد حدث مراراً أن الحكومة تعلن عن العفو والأمان، فإذا وقع العفو عنهم وغدو في قبضتهم غدرت بهم، وممن ذهبوا ضحية هذا الغدر من رؤساء القبائل خليفة بن عسكر، والشيخ عبيدة الصرماني، وأحمد الباشا، وابراهيم بن عباد، والهادي كعبار وابنه محمد كعبار، والشيخ أحمد أحمد الحجاوي، والشيخ علي الشويخ، والشيخ عبدالسلام بن عامر، والشيخ محمد التريكي، والشيخ شرف الدين العمامي، والشيخ أحمد بن حسن بن المنتصر، والشيخ عمر العوراني، والشيخ محمد عبدالعال، ومن الضحايا لايعرف لهم ذنب، الشيخ صالح العوامي وهو شيخ يبلغ التسعين عاماً من أهل العلم والصلاح قبضت عليه إيطاليا سنة 1923 وزجته في سجن بنغازي إلى أن مات فدفن بمحل مجهول، فأرواح هؤلاء الضحايا تصيح بالإنسانية جميعها، وبجمعية الأمم بنوع خاص أن هلمي إلى انقاذ البقية الباقية من أبناء الإنسانية المعذبة في هذه الربوع من سياسة الفتك والاستئصال والإبادة التي تتبعها إيطاليا في طرابلس المنكودة وأن العالم الإسلامي يعتبر ماوقع ويقع في طرابلس الغرب عدواناً مباشراً على كل مسلم مهما كانت جنسيته ووطنه، وسيبقى عار هذه الأعمال لاصقاً لإجراء تحقيق دولي حر دقيق في نفس بلاد برقة وطرابلس عن كل ماجرى فيها وإعلان نتيجته كما تقتضيه العدالة والحق، والموقعون على هذا يطلبون من جمعية الأمم اجراء هذا التحقيق تنزيهاً للإنسانية عن لحوق هذا العار بها إلى الأبد ويرجون بالحاح أن يكون لهم مندوب يختارونه مع لجنة التحقيق، وهم ينتظرون ماتقرره العصبة في هذا الشأن بفارغ الصبر.
التوقيعات:
1- محمد الشرقاوي.
2- خليل الخالدي رئيس الاستئناف الشرعي بفلسطين.
3- محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار الإسلامية.
4- محمد عبداللطيف دراز من العلماء وعضو مجلس إدارة.
5- جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة.
6- محمد عبدالرحمن قراعة من العلماء ومدرس بالأزهر الشريف.
7- عبدالوهاب النجار، وكيل جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة.
8- محمد كامل القصاب.
9- محمد تقي الدين الهلالي، الأستاذ الأول للآداب العربية بندوة العلماء بالهند.
10- علي سرور الزنكلوني، المدرس بقسم التخصص بالأزهر.

---

(1) انظر: مجلة المنار (ج9م3، ص714،715،716).

لقد عبث الجنود الإيطاليين بالمكتبة السنوسية، التي كانت ثروة علمية ضخمة فأخذت أيدي الجنود تبددها ذات اليمين وذات الشمال وتقد بها النيران للطعام، وأخيراً صدرت الأوامر بجمع ماتبقى منها ونقله إلى بنغازي فنقلته أربعون سيارة شحن كبيرة وعدد كبير من الإبل، ولم تنج هذه المكتبة بعد وصولها إلى بنغازي من العبث فقد تسرب الكثير منها إلى أيدي الأفراد، ونقل قسم كبير منه إلى إيطاليا، وهكذا وصلت يد الفساد الإيطالية إلى كل شيء في ليبيا[1].

عندما تم اعتقال جميع أهالي برقة وحصرهم، وتم احتلال واحة الكفرة لم يعد إذن أمام سفاح برقة إلا شيء واحد هو اتمام وضعية مد الأسلاك الشائكة التي ستفصل بين برقة ومصر فصلاً نهائياً، فأخذ في سرعة تتميمها مجنداً لذلك كل مالديه من إمكانيات، وكان قد استدعى شركات المقاولات الخاصة من إيطاليا، فتعهدت كل شركة منها بإتمام الجزء المخصص لها تحت إشراف القيادة العسكرية التي وضعت مهندسيها تحت تصرف هذه الشركات، وقد استوردت الحكومة الإيطالية معدات خاصة من ألمانيا فضلا عما جاءت به من إيطاليا لهذا الغرض المطلوب، ووضعت تحت تصرف هذه الشركات عشرات الآلاف من العمال الذين جندتهم من المعتقلات تلهب ظهورهم السياط، وهكذا امتد خط الأسلاك الشائكة من البحر المتوسط إلى مابعد الجغبوب فكان طوله حوالي ثلاثمائة كيلومتر، ثم وضع غرسياني نقاط عسكرية مزودة بجميع المعدات الحربية، وربط بعضها ببعض من حيث الاتصال فيما إذا احتاجت نقطة لمساعدة الأخرى تهب بسرعة، ومن هذه النقاط: مساعد، والشقة وبئر الغبي، وقبر صالح، وسيدي عمر، وبئر حكيم، ثم زوّد غرسياني هذا السياج المحكم بمولدات كهربائية لمده بالنور حتى لايستطاع الافلات منه مهما تكن الأحوال، وإذا ماقدر لأي إنسان أن يصل إليه فسيواجه معركتين عسيرتين لاسبيل لإفلاته من إحداهما إذا ماتيسر له الإفلات من الأخرى، وتتمثل المعركتان في محاولة تقطيع الأسلاك، وفي الدفاع عن النفس، وتقطيع الأسلاك يحتاج إلى معدات فنية وإلى وقت من الزمن فكيف إذن لمن يتمكن من الوصول إلى هذا السياج إجراء عملية التقطيع وعملية الدفاع في آن واحد[2].

كان المجاهدون مستمرين في جهادهم والقوات الإيطالية تشتبك معهم وهي مجهزة بالمصفحات والطائرات والمدفعية وكان القتال لايتوقف وقد أورد الجنرال غرسياني في كتابه أنه التقى مع عمر المختار في مائتين وستين معركة خلال الثمانية عشر شهراً ابتداء من حكمه في برقة إلى أن وقع عمر المختار أسيراً وقد ثبت المجاهدون في حالتي الدفاع والهجوم.

كان المجاهدون يقضون معظم أوقاتهم في حالة استعداد قصوى ويوجهون الضربات المحكمة للطليان وحار سفاح برقة في أمر المجاهدين، ورغم الإجراءات التي اتخذها والتي كان يثق في فائدتها إلا أنه أصيب بالقنوط واليأس وأصبح كل أمله في موت عمر المختار الطبيعي قائلاً لكبار مرؤسيه في أكثر من مناسبة: إن عمر المختار شيخ كبير ولابد من موته عاجلاً أو آجلاً فعلينا أن ننتظر تلك الساعة ولعلها لاتكون بعيدة، وفكر غرسياني ذات مرة تفكيراً غريباً وإن كان لايستغرب على تفكيره أي شيء، فكر في إحراق جميع غابات الجبل الأخضر، ودرس هذا الموضوع جدياً مع مستشاريه السياسيين والعسكريين[3]. إلا أن السيد صالح بك المهدوي أحد زعماء بنغازي استطاع أن يثني غرسياني عن هدفه بعد أن اجتمع به وشرع غرسياني يتكلم عن عمر المختار محملاً مسؤولية ذلك إلى جميع أهل البلاد، وقال عنهم لو أنهم صدقوا معنا لما استمر

---

(1) انظر: عمر المختار، ص134.

(2) انظر: عمر المختار ، ص135.

(3) المصدر السابق نفسه، ص137.

عمر المختار في موقفه اليائس يقاتل جنودنا، ثم انتقل فجأة ليتحدث عن موضع حرق غابات الجبل الأخضر وقال: إن الحكومة الإيطالية يهمها أن تنهض بهذه البلاد، وإن عمر المختار وقف عقبة في سبيل النهوض، وحاولت الحكومة أكثر من مرة أن تنصحه للإقلاع عن محاربتنا ولكنه رفض الانصياع إلى نصائح الحكومة معتمداً على إختفائه في مغارات الجبل وغاباته، ولقد صممت أن أزيل هذه الغابة التي يحتمي وراءها ساخراً بقوة الحكومة، وسكت الجنرال قليلاً، ثم طلب من صالح بك المهدوي أن يشاركه البحث في هذا الموضوع فأجابه بقول:

إن عمر المختار سينتهي بلاشك فقاطعني عند كلمتي هذه بقوله (إكُّو إكُّو ... كويستا لفيريتا .. يانوتا يانوتا ... سينتا ... سينتا ... ديري .. ديري .. أوانتي ... أوانتي ..) ومعنى هذه الكلمات الإيطالية هو: هكذا .. هكذا .. هذه هي الحقيقة (... إسمع يايانوتا (الترجمان) إسمع ... إسمع ... قل ... قل ... استمر .... استمر) إنكم يادولة الوالي اتخذتم بحزم جميع الإحتياطات التي من شأنها القضاء عليه، والمسألة مسألة وقت لا أقل ولا أكثر وهنا تحمس الجنرال لكلماتي هذه كأنها صادفت هوى في نفسه، أو كأنني قلت له شيئاً كان يريد أن يسمعه.

وقلت له مواصلاً الحديث: إن الدولة الإيطالية في حاجة لاستثمار كل شجرة في هذه البلاد، وسوف يكون فضل هذا الاستثمار المنتظر على أيديكم فإذا ما أقدمتم على حرق الغابات والكلمة الأخيرة لدولتكم فسوف يمر زمن طويل وطويل جداً دون إعادتها من جديد لما كانت عليه، هذا إذا لم يكن إعادتها مستحيلاً، وإليكم يادولة الوالي نذكر مسألة لها وجه الشبه برأيكم هذا. في عهد الدولة العثمانية قامت قبيلة البراعصة بعصيان ضد الحكومة وتعذر على الحكومة انهاء العصيان، واعتبرت أن غابات الجبل الأخضر كانت أكبر مشجع للقبائل على العصيان فتتخذ منه مخابئ لايقوى الجنود العثمانيون على إكتشافها فأرادت الحكومة أن تقوم بحرق جميع الغابات وسمع السلطان بذلك فاعترض على هذه الفكرة قائلاً: إذا كان الموجب لعصيان الأهالي هو تمنعهم عن دفع العشور والعوائد الحكومية فإنني أدفعها عنهم من جيبي الخاص حماية للغابات في الجبل الأخضر، ولا أوافق على حرقها. وعندما إنتهيت من الحديث معه ودعني شاكراً)(1).

لقد حرص صالح بك المهدوي على حماية الجبل الأخضر من عبث غرسياني الذي كانت في يده إمكانات إيطاليا للقضاء على حركة الجهاد ولذلك جادل وناقش وحاول أن يقنع غرسياني بالإقلاع عن تلك الفكرة الجهنمية لقد قال صالح بك عندما سئل عن صحة ما إذا كانت الحكومة العثمانية فكرت في إحراق غابات الجبل الأخضر، فأجاب بقوله: إن المسألة التي ضربت بها المثل للجنرال غرسياني كانت لها أثر في عهد قديم والحديث عنها يطول، والطليان لايريدون ذكرها من وجهة سياسية محضة وعلى كل حال كنت أرمي بذكرها للجنرال غرسياني إلى حماية جبلنا من عبث هذا المجنون الذي وضعوا في يده سيفاً حاداً.

كان غرسياني يملك القوات الضخمة في البر والبحر والجو، والسلطة الغاشمة المستبدة في برقة، والخزائن المرصوفة بالأموال، والسجون والمعتقلات والمشانق، ومع هذا يضعف ويسيطر عليه العجز أمام المجاهدين وقائدهم العظيم حتى دفعه تفكيره إلى حرق الغابات بعد أن تمكن من حرق الأكباد، والأفئدة والأجسام لقد وقع تحت تأثير عصبي حاد من جراء ما أصابه من الفشل الذريع وكان في طريقه إلى الإستقالة أو الإقالة لولا تقدير الله بوقوع عمر المختار في الأسر(2).

---

(1) انظر: عمر المختار للاشهب، ص139.

(2) انظر: عمر المختار للاشهب، ص141.

المبحث الثالث
الأيام الأخيرة من حياة المختار
ووقوعه في الأسر ثم إعدامه

أولاً: أحمد الشريف يحترق على بلاده ويرسل محمد أسد لمعرفة أخبار المجاهدين:

كان محمد أسد صاحب كتاب الطريق إلى الإسلام قد تعرف على أحمد الشريف أثناء إقامته في الحجاز وقد تأثر به غاية التأثر، وأحبه حباً عظيماً، يقول محمد أسد: (ليس في الجزيرة العربية كلها شخص أحببته كما أحببت السيد أحمد، ذلك أنه مامن رجل ضحى بنفسه تضحية كاملة مجردة عن كل غاية في سبيل مثل أعلى، كما فعل هو. لقد وقف حياته كلها، عالماً ومحارباً، على بعث المجتمع الإسلامي بعثاً روحياً، وعلى نضاله في سبيل الاستقلال السياسي ذلك أنه كان يعرف جيداً أن الواحد لايمكن أن يتحقق من دون الآخر)[1].

لقد تعرف محمد أسد على أحمد الشريف بواسطة المجاهد الأندونيسي حاجي آغوس سالم الذي كان يمثل مركز القيادة في جهاد اندونيسيا ضد أعدائها، وكان قد جاء معه بقصد الحج وعندما عرف السيد أحمد الشريف أن محمد أسد حديث عهد بالإسلام، مد إليه يده وقال: (مرحباً بك بين إخوانك، يا أخي الشاب ..)[2]. لقد أحب محمد أسد أحمد الشريف وتفاعل مع قضية ليبيا وكان يمضي معه وبصحبة السيد محمد الزوي الساعات الطوال للبحث في وضع المجاهدين في ليبيا واستمرت الإجتماعات في مساء كل يوم طيلة أسبوع تقريباً لبحث ماكان بالإمكان صنعه، وقد رأى الشيخ محمد الزوي أن إمداد المجاهدين بين الفينة والأخرى لم يكن من شأنه أن يحل المشكلة، فقد كان يعتقد أن واحة الكفرة، في الجنوب من صحراء ليبيا يجب أن تكون ثاني محور لكل العمليات الحربية في المستقبل وكان يظن أن الكفرة كانت ماتزال بعيدة عن تناول الجيوش الإيطالية، وفوق ذلك فقد كانت تقع على طريق القوافل (ولو كان طويلاً وشاقاً) إلى واحتي بحرية وفرفرة المصريتين، ولذا كان يمكن تموينها بصورة جادة أكثر من أي موقع آخر في ليبيا، كما كان يمكن أن يتحول كثير من المهاجرين إلى مصر إليها لتكون مستودعاً دائماً لإمداد عمر المختار في

---

(1) انظر: الطريق الى الاسلام، ص331.

(2) انظر: الطريق الى الاسلام، ص446.

الشمال، وكان أحمد الشريف مستعداً للذهاب بنفسه، لو أمكن إعادة تنظيم القتال على تلك الصورة، للإشراف على العمليات الجهادية بنفسه[1].
لقد تحدث محمد أسد عن سبب اهتمامه بالقضية السنوسية فقال: لم يكن اهتمامي البالغ بمصير السنوسيين ناشئاً عن إعجابي ببطولتهم المتناهية في قضية عادلة مقسطة فحسب، بل ان ماكان يهمني أكثر من ذلك هو ماكان يمكن أن يحدثه انتصار السنوسيين من تأثير على العالم العربي بأكمله إذ أنني لم استطع أن أرى في العالم الإسلامي كله إلا حركة واحدة كانت تسعى صادقة إلى تحقيق المجتمع الإسلامي المثالي: الحركة السنوسية، التي كانت تحارب الآن معركتها الأخيرة في سبيل الحياة وبسبب أن السيد أحمد كان يعرف مبلغ عطفي الشديد على القضية السنوسية، فقد التفت إلي وسدد نظره إلى عيني وسألني قائلاً: (هل تذهب، يامحمد إلى برقة بالنيابة عنا، فتقف على مايمكن صنعه للمجاهدين؟ لعلك تستطيع أن ترى الأمور بأجلى مما يراها بنو قومي ...)[2].
وبعد أن وافق محمد أسد على تلك المهمة الصعبة تناول أحمد الشريف من على أحد الرفوف نسخة من القرآن الكريم ملفوفة بغلاف من الحرير، وبعد أن وضعها على ركبتيه أمسك بيدي اليمنى بين يديه ووضعها على الكتاب:
(أقسم يامحمد، بالله الذي يعلم مافي القلوب، على أنك ستبقى أميناً للمجاهدين ...).
قال محمد أسد: فأقسمت ولم أشعر في حياتي يوماً أنني كنت أكثر وثوقاً بوعدي مما كنت في تلك اللحظة[3].
قام أحمد الشريف بترتيب أمور هذه الرحلة واتصل باتباع الحركة في مصر ووصل الخبر إلى عمر المختار واستعد محمد أسد لهذه الرحلة المثيرة مع رفيقه زيد من قبيلة شمّر، وشرع في تنفيذ خطواته وكان رجال الحركة السنوسية يقودونه بمهارة بارعة حتى وجد نفسه أمام عمر المختار في الجبل الأخضر وقد فصل الأستاذ محمد أسد تلك الرحلة في كتابه المشهور[4].

لقاءه بعمر المختار :

بعد دخول محمد أسد إلى الجبل الأخضر من جهة الصحراء الغربية المصرية بواسطة المجاهدين الذين أرسلهم عمر المختار لاستقباله وجد محمد أسد نفسه أمام قائد حركة الجهاد ويصف لنا محمد أسد ذلك اللقاء فيقول: كان يحيط به رجلان من كل جانب، ويتبعه كذلك عدد آخر، وعندما وصل إلى الصخور التي كنا ننتظر عندها، ساعده أحد رجاله على النزول، ورأيت انه كان يمشي بصعوبة (عرفت بعدئذ أنه قد جرح إبان إحدى المناوشات قبل ذلك بعشرة أيام) وعلى ضوء القمر المشرق استطعت الآن أن أراه بوضوح: كان رجلاً معتدل القامة قوي البنية ذا لحية قصيرة بيضاء كالثلج تحيط بوجهه الكئيب ذي الخطوط العميقة. وكانت عيناه عميقتين، ومن الغضون المحيطة بهما كان باستطاعة المرء أن يعرف انهما كانتا ضاحكتين براقتين في غير هذه الظروف، إلا انهما لم يكن فيهما الآن شيء غير الظلمة والألم والشجاعة.
واقتربت منه لأحييه، وشعرت بالقوة التي ضغطت بها يده على يدي (مرحباًبك، يا ابني) قال ذلك وأخذ يجيل عينيه في متفحصاً: لقد كانت عيني رجل كان الخطر خبزه اليومي.

---

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) انظر: الطريق الى الاسلام، ص347.

(3) المصدر السابق نفسه، ص348.

(4) انظر: الطريق الى الاسلام، ص348 الى 360.

وفرش أحد رجاله حراماً على الأرض فجلس سيدي عمر عليه متثاقلاً. وانحنى عبدالرحمن[1] ليقبل يده ثم شرع بعد استئذانه، يوقد ناراً خفيفة تحت الصخرة التي كنا محتمين بها وعلى ضوء النار الخافت، قرأ سيدي عمر الكتاب الذي حملنيه السيد أحمد إليه. لقد قرأه باهتمام وعناية، ثم طواه ووضعه لحظة فوق رأسه - وهي إمارة الإحترام والحب لايكاد المرء يراها في جزيرة العرب ولكنه كثيراً مايراها في شمالي افريقيا - ثم التفت إلي مبتسماًوقال: (لقد أطراك السيد أحمد، أطال الله عمره، في كتابه. أنت على استعداد لمساعدتنا، ولكنني لا أعلم من أين يمكن أن تأتينا النجدة، إلا من الله العلي الكريم. إننا حقاً على وشك أن نبلغ نهاية أجلنا ..).

فقلت: (ولكن .. هذه الخطة التي وضعها السيد أحمد، ألا يمكن أن تكون بداية جديدة؟ وإذا أمكن تدبير الحصول على المؤن والذخائر من الكفرة بصورة ثابتة، أفلا يمكن صد الإيطاليين؟)[2].

لم أرى في حياتي ابتسامة تدل على ذلك القدر من المرارة واليأس كتلك الابتسامة التي رافقت جواب سيدي عمر: (الكفرة ...؟ لقد خسرنا الكفرة، فالإيطاليون قد احتلوها منذ أسبوعين تقريباً ...)[3].

وأذهلني الخبر، ذلك إنني والسيد أحمد، طوال تلك الأشهر الماضية، كنا نبني خططنا على افتراض أن الكفرة يمكن أن تكون نقطة تجمع لتقوية المقاومة، أما وقد ضاعت كفرة فإنه لم يبق للسنوسيين سوى نجد الجبل الأخضر لاشيء سوى كماشة الإيطاليين التي كانوا يضيقونها بثبات واستمرار .. وخسارة نقطة بعد نقطة .. واختناق بطئ).

- وكيف سقطت الكفرة؟

فأومأ سيدي عمر إيماءة متعبة إلى أحد رجاله أن يقترب: (دع هذا الرجل يقص عليك الخبر .. إنه واحد من أولئك القلائل الذين هربوا من الكفرة، ولم يصل عندي إلا بالأمس).

وجلس الكفري على ردفيه أمامي وجذب برنسه البالي حوله وتكلم ببطء دون أن يبدو في صوته أي أثر للانفعال، ولكن وجهه الناحل كان يعكس جميع الأهوال التي شهدها.

- (لقد خرجوا علينا في ثلاث فرق من ثلاث جهات، وكان معهم سيارات مصفحة ومدافع ثقيلة كثيرة. أما طائراتهم فقد حلقت على علو منخفض ورمت بالقنابل البيوت والمساجد وغياض النخيل. لم يكن لدينا سوى بضع مئات من الرجال يستطيعون حمل السلاح، أما الباقون فقد كانوا نساء وأطفالاً وشيوخاً. لقد دافعنا عن أنفسنا بيتاً بيتاً، ولكنهم كانوا أقوى كثيراً منا، وفي النهاية لم يبق إلا قرية الهواري. لم تنفع بنادقنا في سياراتهم المصفحة فطغوا علينا، وتمكن عدد قليل جداً من الهرب. أما أنا فقد اختبأت في حدائق النخيل، مترقباً الفرصة لشق طريقي خلال الخطوط الإيطالية، وكنت طوال الليل أسمع ولولة النساء اللواتي كان الجنود الإيطاليون والعساكر الاريتريون يغتصبونهن وفي اليوم التالي احضرت لي امرأة عجوز بعض الماء والخبز، واخبرتني أن الجنرال الإيطالي قد حشد كل ماتبقى على قيد الحياة أمام قبر السيد محمد المهدي وأمام أعينهم مزق نسخة من القرآن الكريم ثم رماها الى الارض وداس عليها بحذائه صائحاً: (دعوا نبيكم البدوي يساعدكم الآن، اذا استطاع!) ثم أمر بقطع اشجار النخيل في الواحة وهدم آبارها، واحرق كل ماكان في مكتبة السيد احمد البدوي من كتب وفي اليوم التالي اصدر امره بوضع بعض شيوخنا وعلمائنا في طائرة حلقت بهم ورمتهم من علو شاهق، وطوال الليلة التالية كنت اسمع من مخبئي

---

(1) هذا من المجاهدين الذين استلموا محمد اسد ورفيقه عند الحدود المصرية.

(2) انظر: الطريق الى الاسلام، ص361،360.

(3) المصدر السابق نفسه، ص361.

صرخات النساء وضحكات الجنود وطلقات بنادقهم ... واخيراً زحفت الى الصحراء في ظلام الليل فوجدت جملاً شارداً امتطيته ووليت فراراً...)[1].
وعندما انهى الرجل قصته المروعة قربني سيدي عمر إليه بلطف وكرر قوله: (انك تستطيع ان ترى، يابني، اننا قد اقتربنا فعلاً من نهاية أجلنا) ثم اضاف: (اننا نقاتل لأن علينا ان نقاتل في سبيل ديننا وحريتنا حتى نطرد الغزاة او نموت نحن وليس لنا ان نختار غير ذلك. إنا لله وإنا إليه راجعون - لقد ارسلنا نساءنا واولادنا الى مصر كيما نطمئن على سلامتهم متى شاء الله لنا أن نموت).
قلت: (ولكن ياسيدي عمر، اليس من الافضل لك وللمجاهدين ان تنسحبوا الى مصر بينما لايزال هناك طريق مفتوح امامكم؟ فلقد يكون من الممكن في مصر جمع المهاجرين الكثيرين من برقة وتنظيم قوة اكثر فعالية وجدوى. ان القتال هناك يجب ان يوقف بعض الوقت حتى يستعد الرجال شيئاً من قوتهم ... انا اعرف ان البريطانيين في مصر لاينظرون بعين الرضى الى وجود قوات ايطالية راسخة الاقدام على خاصرتهم، فقد يغضون الطرف، والله اعلم، عن استعداداتكم فيما اذا اقنعتموهم بانكم لا تعتبرونهم اعداء...).
فأجاب : (كلا يابني، لم يعد هذا يجدي الآن. ان ماتقوله كان ممكناً منذ خمس عشرة او ست عشرة سنة، قبل ان يقوم السيد احمد، اطال الله عمره، بمهاجمة البريطانيين كي يساعد الاتراك - الذين لم يساعدونا ... أما الآن فلم يعد في الامر مايجدي.. ان البريطانيين لن يحركوا اصبعاً لكي يسهلوا علينا امرنا، والايطاليون مصممون على ان يقاتلونا حتى النهاية، وعلى سحق كل إمكانية للمقاومة في المستقبل، فاذا ذهبت واتباعي الآن الى مصر، فاننا لن نتمكن مطلقاً من العودة ثانية، وكيف نستطيع ان نتخلى عن قومنا ونتركهم ولا زعيم لهم، لاعداء الله يفترسونهم؟).
- وما قول السيد ادريس؟ هل يشاركك الرأي ياسيد عمر ؟
- (إن السيد ادريس رجل طيب. انه ولد طيب لوالد عظيم، ولكن الله لم يعطه قلباً يمكنه من تحمل مثل هذا الصراع...)[2].
كان زيد الشمّري رفيق محمد اسد في رحلته بصحبة خليل احد المجاهدين لأحضار قرب الماء، وبعدما رجع وقع بصر خليل على سيدي عمر هجم لتقبيل يده، وبعد ذلك قدم محمد اسد زيداً الى عمر المختار فوضع المختار يده على كتفه وقال:
- (مرحباً بك، ياأخي، من أرض اجدادي. من أي العرب انت؟" وعندما اخبره زيد انه من قبيلة شمر، أومأ عمر برأسه مبتسماً : (آه ، اذن انت من قبيلة حاتم الطائي، اكرم الناس يداً...).
وقدم لهم رجال المختار بعض التمر ودعاهم المختار الى ذلك الطعام البسيط فأكلوا، ونهض قائد المجاهدين وقال: (آن لنا أن نتحرك من هنا. اننا على مقرب من المركز الايطالي في بوصفية، ولذا لا نستطيع ان نتأخر حتى الفجر..).
وتحرك محمد اسد مع قائد حركة الجهاد ووصل الى معسكر المجاهدين ووقعت عيناه على امرأتين احدهما مسنة والاخرى شابة - في المعسكر كانتا جالستين بالقرب من احد النيران، مستغرقتين في اصلاح سرج ممزق بمخرز غليظ.
وعندما لحظ الشيخ عمر المختار دهشة محمد اسد قال: (إن اختينا هاتين تذهبان معنا حيثما نذهب. لقد رفضتا ان تسعيا الى امن مصر مع سائر نسائنا واولادنا. انهما ام وابنتها، وقد فقدتا جميع

---

(1) انظر: الطريق الى الاسلام، ص362.

(2) انظر:الطريق الى الاسلام، ص363.

رجالهما في الحرب...)[1].

اتفق عمر المختار مع محمد اسد على طريقة امداد المجاهدين بالمؤن والعتاد والسلاح عن طريق الطريق التي جاء منها محمد اسد، مع انشاء مستودعات سرية في واحات بحرية وفرفرة وسيوه ، وكان عمر المختار يشك في امكانية الافلات من مراقبة الايطاليين بهذه الطريقة مدة طويلة.

وقد تبين بعد ذلك ان ظنونه ومخاوفه كانت في محلها، ذلك انه بعد بضعة اشهر تمكنت قافلة تحمل المؤمن والذخائر من الوصول فعلاً الى المجاهدين ، إلا ان الايطاليين اكتشفوها بينما كانت تجتاز الفجوة بين الجغبوب وجالو، وسريعاً ما انشأوا بعد ذلك مركزاً محصناً في بير طرفاوي على نصف المسافة تقريباً بين الواحتين، مما جعل، بالاضافة الى الدوريات الجوية المستمرة، كل مسعى آخر من هذا النوع خطراً الى أبعد الحدود[2].

وكان قد تقرر رجوع محمد اسد وزيد الشمرّي الى الحجاز ورجوع من حيث أتوا بواسطة المجاهدين البواسل الذي رتبوا الامور، وأخذوا بالاسباب، وحافظوا على ضيوفهم الكرام.

يقول محمد اسد: وودعت وزيد عمر المختار، ولم نره بعد ذلك اطلاقاً، ذلك انه بعد ثمانية أشهر، قبض عليه الايطاليون واعدموه.

وقدوصف لنا محمد اسد آخر لقاء مع السيد احمد الشريف فقال: ومرة اخرى وقفت امام إمام السنوسية ونظرت الى وجه ذلك المحارب القديم المرهق ، ومرة اخرى قبلت اليد التي حملت السيف طويلاً جداً حتى انها لم تعد تستطيع بعد ان تحمله.

- (بارك الله فيك، يابني.. لقد مضت سنة منذ ان التقينا اول مرة، وهذه السنة قد شهدت نهاية آمالنا ولكن الحمدلله على كل حال...).

والحق انها كانت سنة مفعمة بالهموم والاكدار بالنسبة الى احمد: لقد اصبحت الاخاديد حول فمه اكثر عمقاً، واصبح صوته اكثر انخفاضاً من أي وقت مضى.

لقد هوى النسر. انه يجلس منكمشاً على السجادة، وقد لف نفسه ببرنسه الابيض كأنما يطلب الدفء، ويحدق بصمت في الفراغ وهمس: (لو اننا استطعنا فقط ان ننقذ عمر المختار. لو اننا تمكنا من اقناعه بالهرب الى مصر بينما كان هناك متسع من الوقت...).

فقلت له : (لم يكن باستطاعة احد ان ينقذ سيدي عمر. انه لم يرد ان ينقذ. لقد فضل ان يموت اذا لم يستطع ان ينتصر. لقد عرفت ذلك عندما فارقته ياسيدي احمد ....)[3].

إن احمد الشريف اهتم ببلاده بمجرد هجرته منها وكان على إتصال بالمجاهدين وقد حدثني السيد عبدالقادر بن علي أن احمد الشريف قام بكتابة رسائل الى قبائل برقة يحثهم فيها على السمع والطاعة للشيخ عمر المختار رحمهم الله.

ثانياً: الاسد يقع اسيراً:

ظل المختار في الجبل الاخضر يقاوم الطليان على الرغم من هذه الصعوبات الجسيمة التي كانت تحيط به وبرجاله وكانت من عادة عمر المختار الانتقال في كل سنة من مركز اقامته الى المراكز الاخرى التي يقيم فيها إخوانه المجاهدون لتفقد احوالهم، وكان إذا ذهب لهذا الغرض يستعد للطوارئ ، ويأخذ معه قوة كافية تحرسه من العدو الذي يتربص به الدوائر في كل زمان ومكان،

---

(1) انظر: الطريق الى الاسلام، ص365.

(2) انظر: الطريق الى الاسلام، ص366.

(3) انظر: الطريق الى الاسلام، ص370.

ولما أراد الله أن يختم له بالشهادة ذهب في هذه السنة كعادته في نفر قليل يقدر بمائة فارس، ولكنه عاد فرد من هذا العدد ستين فارساً وذهب في اربعين فقط. ويوجد في الجبل الأخضر واد عظيم معترض بين المجاهدين اسمه وادي الجريب (بالتصغير) وهو صعب المسالك كثير الغابات، كان لابد من اجتيازه ، فمر به عمر المختار ومن معه ، وباتوا فيه ليلتين ، وعلمت بهذا ايطاليا بواسطة جواسيسها في كل مكان ، فأمرت بتطويق الوادي على عجل من جميع الجهات بعد أن جمعت كل ماعندها من قوة قريبة وبعيدة، فما شعر عمر المختار ومن معه إلا وهم وسط العدو[1]؛ وقرر منازلة الاعداء وجهاً لوجه فأما أن يشق طريقاً يمكنه من النجاة أو يلقى ربه شهيداً في الميدان الذي ألف فيه مصارعة الأعداء، والتحمت المعركة داخل الوادي، وحصد رصاص المجاهدين عدداً كبيراً من الأعداء، وسقط الشهداء، وأصيب عمر المختار بجراح في يده، وأصيب فرسه بضربة قاتلة، وحصلت يده السليمة تحت الفرس فلم يتمكن من سحبها ، ولم تسعفه يده الجريحة وأصبح لسان حاله يقول:

أسرت وماصحبي بعزل لدى الوغى
وكم من صدى صوتي ليوث الشرى فروا
وما أحد في الحرب يجهل سطوتي ولا
فرسي مهر ولا ربه غمر
ولكن إذا حم القضاء على أمرئ
يكون ولا يغني من القدر الحذر
ومن رام من أمر الاله وقايه
فليس له بر يقيه ولا بحر[2]

والتفت المجاهد بن قويرش فرأى الموقف المحزن وصاح في إخوانه الذين شقوا الطريق للخروج من الحصار قائلاً: (الحاجة التي تنفع عقبت أي تخلفت) ، فعادوا لتخليص قائدهم ولكن رصاص الطليان حصد أغلبهم، وكان ابن قويرش اول من قتل وهو يحاول انقاذ الشيخ الجليل ، وهجم جنود الطليان على الاسد الجريح دون ان يعرفوا شخصيته في البداية، وتم القبض عليه وتعرف عليه احد الخونة، وجاء الكمندتور داود باتشي متصرف درنة ليتعرف على الاسير وبمثل سرعة البرق نقل عمر المختار الى ميناء سوسة محاطاً بعدد كبير من الضباط والجنود الايطاليين، وأخذت كافة الاحتياطات لحراسة جميع الطرق والمواقع القريبة لتأمين وصول المجاهد العظيم الى سوسة ومن ثم نقل فوراً الى بنغازي عن طريق البحر[3].

يقول غراسياني في مذكراته: في صباح يوم 11 سبتمبر 1931م وصل الخبر برقياً الى الحكومة من متصرفية الجبل هذا نصها: (بالقرب من (سلطنة) فرقة الفرسان (الصواري) قبضت على وطني وقع من على جواده اثناء المعركة وقد تعرف عليه عساكرنا بأنه عمر المختار ونظراً للخبر المهم ومن اجل التأكد والتحقق أمرت الحكومة متصرف الجبل الحكومندتور (الوجيه داود ياتشي) فجهزت طائرة خاصة لنقله الى (سلطنة) على الفور للتعرف على شخصية الاسير وتثبت هويته ان كان هو زعيم المجاهدين عمر المختار وتأكد متصرف الجبل من انه عمر المختار وسرى الخبر سريان البرق وصدرت الاوامر بنقله الى سلطنة ومنها الى سوسة تحت حراسة شديدة حيث

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص313.

(2) انظر: عمر المختار للأشهب، ص145.

(3) انظر: عمر المختار للأشهب ، ص146.

وصلها عند السابعة عشر من مساء نفس اليوم سبتمر 1931م دون أي عائق ، او حادث اثناء الطريق من سلطنة الى سوسة مكث هناك في انتظار الطراد الحربي (اورسيني) الذي تحرك من بنغازي خصيصاً ليعود بالاسير الى بنغازي وفي اثناء الرحلة تحدث معه بعض السياسيين التابعين لادارتنا ووجهوا إليه الاسئلة، فكان يجيب بكل هدوء وبصوت ثابت وقوي دون أي تأثر بالموقف الذي هو فيه وفي يوم 12 سبتمر 1931م عند الساعة السابعة عشر وصل الطراد اورسيني الى ميناء بنغازي حاملاً معه الاسير عمر المختار...)[1] وقال أيضاً هذا الرجل اسطورة الزمان الذي نجا آلاف المرات من الموت ومن الاسر واشتهر عند الجنود بالقداسة والاحترام لأنه الرأس المفكر والقلب النابض للثورة العربية (الاسلامية) في برقة وكذلك كان المنظم للقتال بصبر ومهارة فريدة لا مثيل لها سنين طويلة والآن وقع اسيراً في ايدينا[2].

وهذا الاعتراف من غراسياني الخسيس في كتابه بأن عمر المختار قاد المعارك سنين طويلة واعترف بانه محترم من اتباعه الى مكانة عالية جداً ثم بأنه الرأس المفكر والقلب النابض للجهاد الاسلامي المقدس في برقة ثم الصبر والمهارة التي لا مثيل لها فهذا اعتراف من الجنرال غراسياني خريج الكليات الحربية والاكاديمية العسكرية وله تجارب طويلة في حرب الاحتلال الى حرب العالمية الاولى وحروبه الصحراوية حتى لقبه بنو قومه بلقب اسد الصحراء والفضل ما شهدت به الاعداء.

ويقول الجنرال غراسياني عن عمر المختار ايضاً: (كان عمر المختار كرئيس عربي مؤمن بقضية وطنه وله تأثير كبير على اتباعه مثل الرؤساء الطرابلسيين يحاربون بكل صدق واخلاص اقول ذلك عن تجارب مرت بي اثناء الحروب الليبية وكان عمر المختار من المجاهدين الكبار لما له من مكانة مقدسة بين اتباعه ومحبيه، ان عمر المختار يختلف عن الآخرين فهو شيخ متدين بدون شك، قاسي وشديد التعصب للدين ورحيم عند المقدرة ذنبه الوحيد يكرهنا كثيراً وفي بعض الاوقات يسلط علينا لسانه ويعاملنا بغلظة ، مثل الجبليين كان دائماً مضاداً لنا ولسياستنا في كل الأحوال لا يلين ابداً ولا يهادن إلا اذا كان الموضوع في صالح الوطن العربي الليبي، ولم يخن ابداً مبادئه فهو دائماً موضع الاحترام رغم التصرفات التي تحدث منه في غير صالحنا ان خيانة موقعة (قصر بنقدين) ضيعت على عمر المختار كل الفرص التي يمكن للدولة الايطالية ان ترحمه فيها[3].

وقال غراسياني في مذكراته: (أما وصف عمر المختار فهو معتدل الجسم عريض المنكبين شعر رأسه ولحيته وشواربه بيضاء ناصعة، يتمتع بذكاء حاضر وحاد، كان مثقفاً ثقافة علمية دينية له طبع حاد ومندفع يتمتع بنزاهة خارقة لم يحسب للمادة أي حساب متصلب ومتعصب لدينه، واخيراً كان فقيراً لا يملك شيئاً من حطام الدنيا إلا حبه لدينه ووطنه رغم انه وصل الى أعلى الدرجات حتى اصبح ممثلاً كبيراً للسنوسية كلها)[4] وهذا وصف دقيق يدل بوضوح على عظمة المختار وامكانياته الذاتية التي وهبه الله اياها فتقلد بسببها اكبر المناصب وخاض اكثر المعارك وصفه عدوه بصفات الورع والتدين ومثقف ثقافة دينية وعلمية وصفه بشدة المراس والصبر على الشدائد وهكذا ياأخي المسلم الكريم يصنع الاسلام من اتباعه.

---

(1) انظر: برقة الهادئة، ص274.

(2) المصدر السابق نفسه، ص267،266.

(3) انظر: برقة الهادئة، ص268.

(4) المصدر السابق نفسه، ص271.

ثالثاً: دخول المختار في سجن بنغازي:

وعندما وصل الاسير الى بنغازي لم يسمح لأي مراسل جريدة او مجلة بنشر اخبار او مقابلات وكان على الرصيف مئات من المشاهدين عند نزوله في الميناء ولم يتمكن أي شخص مهما كان مركزه ان يقترب من الموكب المحاط بالجنود المدججين بالسلاح ونقل فوق سيارة السجن تصحبه قوة مسلحة بالمدافع الرشاشة حيث اودع في زنزانة صغيرة خاصة منعزلة عن كافة السجناء السياسيين وتحت حراسة شديدة وجديدة ويقول مترجم كتاب برقة الهادئة الاستاذ ابراهيم سالم عامر كنت من الذين أسعدهم الحظ على ان يتكلموا مع بطل الجهاد عمر المختار اثناء قيامه في السجن فقد أوقفوا كل الاهالي المعتبرين في مراكز الامن والسجون وكان نصيبي في سجن بنغازي المركزي وعندماأتى بعمر المختار غيروا الحراس المحليين بحراس أريتريين والموظفين بالايطاليين من الحزب الفاشيستي وبعد ان اودعوه في الزنزانة كان هناك سرير من خشب وقماش وعلى الارض قطعة من السجاد البالي لأجل وقع الرجلين عليه فسحبها الشهيد بقرب الجدران وجلس عليها واستند على الجدران ومد رجليه الى الامام وعندما كان مدير السجن يتجول على زنزانات السجناء رأى الشهيد جالساً على الارض ولم يستطيع ان يساله لماذا هو جالس على الارض. ولأن المدير لايعرف العربية فناداني من بين السجناء السياسيين وطلب مني ان اترجم سؤاله فسألت الشهيد، فاجاب بصوت هادر كالأسد الهصور: قل له أنا اعرف اين اجلس لا يحمل هماً فهذا ليس من شأنه فترجمت الكلام فانصعق المدير واصفر وجهه وقال هيا ارجع الى مكانك بلهجة الامر غير ان قلبي كاد يطير من صدري فرحاً عندما سمعت هذه الاجابة القاطعة رحم الله عمر المختار كم كان عظيماً وهو قائم واعظم وهو اسير(1).

ويقول غراسياني الجنرال الايطالي السفاك الجلاد: (واثناء الرحلة من سوسة الى بنغازي أعطى لنا معلومات هامة عن كيفية سقوطه في الأسر والقبض عليه قائلاً عندما ضرب جواده وسقط على الارض فجرحت يده اليمنى مما سببت له بعض التشقق في عظام ذراعه ورغم هذا الآلم حاول جر نفسه ليبتعد ويختفي في احد الشجرات التي في الغابة ولكن فرقة الفرسان حالت بينه وبين غرضه وقد تعرف عليه احد الصواري من فرقة الفرسان وسرعان ما أحاطت به قوتنا وقد تأسف كثيراً اثناء حديثه بأن رفاقه حاولوا انقاذه بكل وسيلة وقد ضاع منهم بعض الرفاق ولكن الكثرة حالت دون بغيتهم كذلك قلة الذخيرة لها عاملها الاصلي في عدم انقاذي واثبت كذلك ان وقوعه في الاسر لا يعني توقف الثورة والجهاد بل هناك اربعة من القادة يحلون محلي وهم الشيخ حمد بوموسى، عثمان الشامي وعبدالحميد العبار ويوسف بورحيل المسماري وهذا الاخير هو أقربهم إليه لانه كان دائماً بجانبه ، ولقد بالغ كثيراً بالنسبة لعدد الجنود فقد قال ان دوره يتكون من 500 مقاتل عادي، 400 فارس. واستطرد قائلاً شارحاً ان وقوعه في الأسر لا يؤثر ولا يغير سير القتال او وضع الدور بل سيزداد قساوة ثم اضاف اني احارب الايطاليين الفاشيستيين لا لأني اكره الشعب الايطالي ولكن ديني أمرني بالجهاد فيكم لأنكم أعداء الوطن(2).

قلت ما أعلم احد من المسلمين الصادقين يجد في نفسه وداً للنصارى على العموم فكيف بالذين يقولون الله ثالث ثلاثة ويقولون عيسى ابن الله، لكن قول غراسياني ان عمر المختار لا يبغض الشعب الايطالي فهذا ادعاء منه واما قول عمر المختار ديني امرني بقتالكم فهذا الذي يليق بحاله وبغض المسلم للنصارى الكفرة يدينون بها خالقهم ورازقهم ، ومالكهم ومتولي أمورهم سبحانه

---

(1) انظر: برقة الهادئة، ص275،274.

(2) انظر: برقة الهادئة، ص276.

وتعالى عما يقولون الظالمون علواً كبيراً.
قال تعالى: {لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ومامن إله إلا اله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب إليم ۞ أفلا يتوبون الى الله ويستغفورنه والله غفور رحيم}. (سورة المائدة ، الآيات:74،73،72).
وقال تعالى : { وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إدّ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً ان دعو للرحمن ولداً} (سورة مريم: الآيات 88 الى 91).
فالآيات السابقة الواضحة البينة تمنع العالم الرباني والشيخ الجليل ان يقول بأنه لا يبغض اعداء الله حمات الصليب.
واستطرد غراسياني في كتابه برقة الهادئة قال : (لقد قال عمر المختار كلمات تاريخية : إن وقوعي في الأسر تأكيد بأمر الله وسابق في علمه سبحانه وتعالى والآن أنا بين يدي الحكومة الايطالية الفاشيستية وأصبحت أسيراً عندها والله يفعل بي مايشاء. أخذتموني أسيراً ولكم القدرة أن تفعلوا بي ماتشاؤون والذي اريد أن أقوله بكل تأكيد لم أفكر في يوم من الايام أن أسلم نفسي لكم مهما كان الضغط شديداً ولكن مشيئة الله ارادت هذا فلا راد لقضاء الله)[1].
وهذه بعينها عقيدة القضاء والقدر وهي من اركان الايمان التي جاء بها الاسلام وقد تجسدت في حياة عمر المختار فهذه الآيات الكريمة تبين ماوقع للانسان قد كتب فعليه ألاّ يحزن ولاييأس لان الأمور بقضائه وقدره قال تعالى: {ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكي لاتأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال فخور}(سورة الحديد، آية 22).
وقد تربى المختار رحمه الله تعالى على الايات القرآنية واحاديث المصطفى ﷺ فعن ابن عباس عن رسول الله ﷺ : واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف[2].
وهذه العقيدة الصحيحة كانت مستقرة في قلب الشيخ الجليل رحمه الله وتحولت الى عمل في حياته جسدته مواقف عقدية ومشاهد بطولية ولا نكون مخطيئن ان قلنا كانت مواقفه وسيرته العطرة تدل على أنه رجل عقيدة.

رابعاً: من مواقف العزة داخل السجن:

اراد الكمندتور رينسي (السكرتير العام لحكومة برقة) في أمسية الرابع عشر من سبتمبر أن يقحم الشارف الغرياني في موقف حرج مع عمر المختار وهو في السجن وابلغ الشارف الغرياني بأن المختار طلب مقابلتك والحكومة الايطالية لاترى مانعاً من تلبية طلبه، وذهب الشارف الغرياني الى السجن لمقابلة الشيخ الجليل وعندما ألتقيا خيم السكوت الرهيب ولم يتكلم المختار فقال الشارف الغرياني هذا المثل الشعبي مخاطباً به السيد عمر (الحاصلة سقيمة والصقر مايتخبل) وماكاد المختار يسمع المثل المذكور حتى رفع رأسه ونظر بحدة الى الشارف الغرياني وقال له: الحمد لله الذي لايحمد على مكروه سواه وسكت هنيئة ثم اردف قائلاً: رب هب لي من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا، أنني لم أكن في حاجة الى وعظ او تلقين، أنني أومن بالقضاء والقدر، وأعرف

---

(1) انظر: برقة الهادئة، ص276.

(2) انظر: اصول اهل السنة والجماعة اللالكاني (2/ح 1095).

فضائل الصبر والتسليم لإرادة الله ، أنني متعب من الجلوس هنا فقل لي ماذا تريد، وهنا أيقن الشارف الغرياني بأنه غرّر به فزاد تأثره وقال للمختار: ماوددت أن أراك هكذا ولقد أرغمت نفسي للمجيء بناءً على طلبك... فقال الشيخ الجليل، والجبل الشامخ أنا لم أطلبك ولن أطلب أحداً ولا حاجة لي عند أحد، ووقف دون أن ينتظر جواباً من الشارف الغرياني، وعاد الاخير الى منزله وهو مهموم حزين وقد صرّح بأنه شعر في ذلك اليوم بشيء ثقيل في نفسه ما شعر به طيلة حياته، ولما سئل الشارف الغرياني عن نوع الثياب التي كان يرتديها عمر المختار أهي ثياب السجن ام ثيابه التي وقع بها في الاسر كان جوابه هو البيتان الآتيان مستشهداً بهما:

عليه ثياب لو تقاس جميعها

بفلسٍ لكان الفلس منهن اكثرا

وفيهن نفس لو تقاس ببعضها

نفوس الورى كانت أجل وأكبرا[1]

خامساً: عمر المختار أمام غراسياني السفاح:

اراد المولى عز وجل لحكمة يريدها أن يقف البطل الأشم والطود الشامخ الذي حير ايطاليا الكافرة النصرانية الكاثوليكية واشاع الرعب في قلوب جيوشها، أمام الرجل التافه الحقير المدعو غراسياني هذا حقير النفسية ، وضيع الاخلاق ، من أولئك الذين يرتفعون في كل عهد، ويأكلون على كل مائدة وكان من قادة الجيش الايطالي فلما جاء موسوليني ذلك الطبل الاجوف، وادّعى الزعامة على ايطاليا وحشر نفسه حشراً في صفوف الزعامات العالمية، كان غراسياني اول من صفق وقرع الطبول للزعامة الجديدة، وصار فاشيستياً أكثر من الفاشيستيين أنفسهم، امام هذا الرجل الحقير الذليل الخسيس التافة وقف البطل الأشم والطود المنيف شيخنا عمر المختار رحمه الله وتستطيع أن تفكر في هذا الموقف وتطيل التفكير، فإن النفوس الحقيرة الوضيعة ، لاتعرف الشرف، ولا الرجولة ولا الكرامة ولا الاخلاق إذا خاصمت، فما يكاد عدوها يقع في يدها حتى تفعل به الافاعيل ، وتصب عليه أصنافاً وألواناً من العذاب!! يدفعها الى ذلك ، شدة إحساسها بحقدها وعظمة عدوها، وشدة شعورها بنقصها وكمال اسيرها[2].

من اجل ذلك دفعت الشماتة هذا الرجل الحقير أن يقطع رحلته الى باريس وان يعود فوراً الى بنغازي، وأن يدعوا المحكمة الطائرة الى الانعقاد ودفعت غريزة الشماته غراسياني أن يستدعي البطل في صبيحة اليوم نفسه، وقبل المحاكمة بقليل[3].

يقول غراسياني في مذكراته : (وعندما حضر امام مدخل مكتبي تهيأ لي أني ارى فيه شخصية آلاف المرابطين الذين التقيت بهم اثناء قيامي بالحروب الصحراوية، يداه مكبلتان بالسلاسل، رغم الكسور والجروح التي أصيب بها أثناء المعركة وجهه مضغوطاً لأنه كان مغطياً رأسه (بالجرد) ويجر نفسه بصعوبة نظراً لتعبه أثناء السفر بالبحر، وبالاجمال يخيل لي أن الذي يقف أمامي رجل ليس كالرجال منظره وهيبته رغم إنه يشعر بمرارة الاسر. هاهو واقف أمام مكتبي نسأله ويجيب بصوت هادئ، وواضح وكان ترجماني المخلص النقيب (كابتن) خليفة خالد الغرياني الذي احضرته معي خصيصاً من طرابلس ووجهت له اول سؤال : لماذا حاربت بشدة متواصلة

---

(1) انظر: عمر المختار للاشهب ، ص167،166.

(2) انظر: عمر المختار، محمود شلبي بتصرف، ص142.

(3) انظر: عمر المختار لشلبي، ص142.

الحكومة الفاشيستية؟[1]

ج- لأن ديني يأمرني بذلك[2].

س- هل كنت تأمل في يوم من الايام أن تطردنا من برقة بامكانياتك الضئيلة وعددك القليل.

ج- لا هذا كان مستحيلاً.

س- إذاً ماالذي كان في اعتقادك الوصول إليه؟

ج- لا شيء إلا طردكم من بلادي لأنكم مغتصبون ، أما الحرب فهو فرض علينا وماالنصر إلا من عند الله.

س- لكن كتابك يقول: {ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة} بمعنى لاتجلبوا الضرر لأنفسكم ولا لغيركم من الناس، القرآن يقول هذا.

ج- نعم.

س- إذاً لماذا تحارب؟

ج- كما قلت من أجل وطني وديني[3].

قال غراسياني : فما كان مني إلا أن قلت له أنت تحارب من أجل السنوسية تلك المنظمة التي كانت السبب في تدمير الشعب والبلاد على السواء وفي الوقت نفسه كانت المنظمة تستغل أموال الناس بدون حق هذا هو الحافز الذي جعلك تحاربنا لا الدين والوطن كما قلت .

عمر المختار: نظر اليّ نظرة حادة كالوحش المفترس: لست على حق فيما تقول ولك أن تظن ماظننت ولكن الحقيقة الساطعة التي لا غبار عليها أنني أحاربكم من أجل ديني ووطني لا كما قلت بان عليّ وجهه بعد أن زال الجرد من على رأسه واستطردت في توجيه الاسئلة إليه:

س- لماذا قطعت المهادنة السارية وامرت بالهجوم على (قصر بن قدين) .

ج- لأنه منذ شهر ارسلت الى المارشال (بادوليو) ولم يجيبني عنها وبقيت بدون رد حتى الآن.

يقول الجنرال لا أنت أردت قطع المهادنة لحاجة في نفسك وهاك الدليل وقرأت له البيان الذي نشره فوق الجرائد المصرية بتوقيعه؟ولم يرد في بادئ الأمر وحنى رأسه مفكراً ثم قال:

عمر المختار - نعم نشرت البيان في مصر بتوقيعي ولكن ليس هذا هو الدليل وإنما هو عدم تجاوبكم معنا في تنفيذ شروط الهدنة، ولم يزد شيئاً بل حنى راسه اعياء.

س- هل أمرت بقتل الطيارين هوبر وبياتي.

ج- نعم: كل الاخطاء والتهم في الواقع هي مسؤولية الرئيس والحرب هي الحرب.

الجنرال : قلت له هذا صحيح لو كان حرباً حقيقية لا قتل وسلب مثل حروبك.

عمر المختار: هذا رأي، فيه إعادة نظر وانت الذي تقول هذا الكلام ولازلت أكرر لك الحرب هي الحرب.

الجنرال: بموقفك في موقعة (قصربن قدين) ضيعت كل أمل وكل حق في الحصول على رحمة وعفو الحكومة الايطالية الفاشيستية.

عمر المختار: مكتوب (كلمة لتفسير معنى القضاء والقدر في العقيدة الاسلامية) وعلى كل عندما

---

(1) انظر: برقة الهادئة، ص279.

(2) انظر: عمر المختار، ص143.

(3) انظر: برقة الهادئة ، ص280.

وقع جوادي وألقي القبض عليّ كانت معي ست طلقات وكان في استطاعتي أن أدافع عن نفسي وأقتل كل من يقترب مني حتى الذي قبض عليّ وهو أحد الجنود من فرقة الصواري المتطوعين معكم وكان في إمكاني كذلك أن أقتل نفسي.

الجنرال: ولماذا لم تفعل؟

عمر المختار: لأنه كان مقدراً أن يكون.

الجنرال: ولكن قد تحقق فيما بعد إلقاء القبض عليه كانت بندقيته فوق ظهره وبسقوطه على الأرض لم يستطيع نزعها وبالتالي لم يتمكن من استعمالها بسرعة وكذلك من أثر الجروح والكسر الذي بيده اليمنى وهذا في الحقيقة جدير بالاعتبار والتقدير[1].

وهذا اعتراف من السفاح إبان تجبره وطغيانه ونشوة انتصاره يعترف بقوة عمر المختار ويقدر فيه بطولته وجهاده التي لم يرلها مثيل وقال شوقي رحمه الله في رثاء عمر المختار مايجسد هذا الموقف:

جرح يصيح على المدى وضحيه

تلتمس الحرية الحمراء[2]

عمر المختار: كما ترى أنا طاعن في السن على الاقل اتركني بأن أجلس .

الجنرال: أشرت له فجلس على كرسيه أمام مكتبي وفي هذه الاثناء ظهر لي وجهه بوضوح وقد زالت رهبة الموقف وقد تأملته جانبياً فرأيت بعض الاحمرار في وجهه وبدأت أفكر كيف كان يحكم ويقود المعارك. وبينما هو يتكلم كانت نظراته ثابتة الى الامام وصوته نابع من أعماقه ويخرج من بين شفتيه بكلمات ثابتة وبكل هدوء وفكرت ثانية هذا هو القديس، لان كلامه عن الدين والجهاد يدل بكل تأكيد أنه مؤمن صادق يتكلم عن الدين بكل حماس وتأثر . ثم قلت له فجأة: بمالك من نفوذ وجاه كم يوم يمكنك أن تأمر العصاة (يعني المجاهدين) بأن يخضعوا لحكمنا ويسلموا اسلحتنا وينهوا الحرب.

عمر المختار: مجيباً أبداً كأسير لايمكنني أن أعمل أي شيء واستطرد قائلاً: وبدون جدوى نحن الثوار سبق أن أقسمنا أن نموت كلنا الواحد بعد الآخر ولانسلّم أو نلقى السلاح وأنا هنا لم يسبق لي أن استسلمت هنا على ماأظن حقيقي وثابت عندكم.

الجنرال: قلت له وانا متماسك يمكن ذلك لو تم تعارفنا في وقت سابق والخبرة طويلة التي أخذتها عليكم لكان علينا ان نصل الى احسن حال في سبيل تهدئة البلاد وازدهارها.

(عمر المختار) : رفع حاجبيه بكل عمق وبصوت جهوري، وثابت قال: ولم لا يكن اليوم هو ذلك اليوم الذي تقول عنه.

الجنرال: فأجبته: لقد فات الأوان.

وعند هذا الحد رأيت ان نوقف المحادثة فيما بيننا ربما عمر المختار فكر في تلك اللحظة أن الحكومة الايطالية ستبعثه الى الجبل من أجل أن يسلّم أتباعه السلاح ويخضعوا الى سلطتنا ولكن لا

---

(1) انظر: برقة الهادئة، ص282،281،280.

(2) انظر: تعليق المترجم، ابراهيم بن عامر ، ص282.

: لقد قالها منذ لحظات بأنهم يموتون جميعاً ولن يستسلموا وعليه لقد فات الأوان وقلتها بنفسك لا فائدة من المحاولة إن الامل الذي لاح منذ قليل قد انهار ولم يعد . ثم قلت له: هل تعرف هذه وعرضت عليه نظاراته في إطارها الفضي.
عمر المختار: نعم إنها لي وقد وقعت مني اثناء احدى المعارك وهي معركة (وادي السانية).
(الجنرال) فأجبته: منذ ذلك اليوم اقتنعت بأنك ستقع أسيراً بين يدي.
عمر المختار: مكتوب : هل ترجعها لي لأني لم أعد أبصر جيداً بدونها.
واستطرد يقول ولكن ما الفائدة منها الآن هي وصاحبها بين يديك.
(الجنرال) قلت له: مرة اخرى أنت تعتبر نفسك محمياً من الله تحارب من أجل قضية مقدسة وعادلة؟
(عمر المختار) نعم وليس هناك أي شك في ذلك. قال الله تعالى: { قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا} صدق الله العظيم.

إذاً استمع الى مأقوله لك. أمام قواتي المسلحة من نالوت الى الجبل الاخضر في برقة كل مشايخ ورؤساء العصاة (يعني رؤساء المجاهدين) منهم من هرب ومنهم من قتل في ميدان القتال ولم يقع منهم أي احد حياً في يدي أليس من العجيب أن يقع أسيراً بين يدي حياً من كان يعتبر اسطورة الزمن الذي لم يغلب ابداً المحمي من الله دون سواه؟؟

(عمر المختار) تلك مشيئة الله ... قالها بصوت يدل على قوة وعزم.

(الجنرال) قلت له: الحياة وتجاربها تجعلني أعتقد وأؤمن بأنك كنت دائماً قوياً ولهذا فإني أتمنى أن تكون كذلك مهما يحدث لك ومهما تكن الظروف.

(عمر المختار) عندما وقف ليتهيأ للانصراف ، كان جبينه وضاء كأن هالة من نور تحيط به فارتعش قلبي من جلالة الموقف أنا الذي خاض المعارك والحروب العالمية ، والصحراوية ، ولقبت باسد الصحراء، ورغم هذا فقط كانت شفتاي ترتعشان ولم استطع أن أنبس بحرف واحد فأنتهت المقابلة وأمرت بإرجاعه الى السجن لتقديمه للمحاكمة في المساء وعند وقوفه حاول أن يمد يده لمصافحتي ولكنه لم يتمكن لأن يديه كانت مكبلة بالحديد.
لقد خرج من مكتبي كما دخل عليّ وأنا أنظر إليه بكل إعجاب وتقدير [1].

قال شوقي رحمه الله:

واتى الامير يجر ثقل حديده

أسد يجرجر حية رقطاء

سادساً: محاكمة عمر المختار رحمه الله :

في الساعة الخامسة مساءً في 15 سبتمبر 1931م جرت تلك المحاكمة التي أعد لها الطليان مكان

---

(1) انظر: برقة الهادئة، ص285.

بناء (برلمان برقة) القديم وكانت محاكمة صورية شكلاً وموضوعاً.
ودليل ذلك أن الطليان قبحهم الله كانوا قبل بدء المحاكمة بيوم واحد قد أعدوا (المشنقة) وانتهوا من ترتيبات الإعدام وتنفيذ الحكم قبل صدوره، وإنك لتلمس ذلك في نهاية الحديث الذي دار بين البطل وبين غراسياني حيث قال له (إني لأرجو أن تظل شجاعاً مهما حدث لك أو نزل بك).
وإنها لكلمات تفوح بالخبث والدناءة والشماتة، ومعناها إنك يامختار سوف تعدم شنقاً، فلا تجبن أمام المشنقة ولاشك عندي لو كان غراسياني في موقف شيخنا لمات من الجبن قبل أن يساق للمشنقة ولكن شيخنا الجليل وأستاذنا الكريم وقائد الجهاد يزداد سمواً بعد سمو ثم يقول (إن شاء الله).
ويصف الدكتور العنيزي ذلك فيقول (جاء الطليان بالسيد عمر المختار إلى قاعة الجلسة مكبلاً بالحديد، وحوله الحرس من كل جانب .. وكان مكاني في القاعة بجوار السيد عمر وأحضر الطليان أحد التراجمة الرسميين واسمه نصرت هرمس (فلما افتتحت الجلسة وبدأ استجواب السيد، بلغ التأثر بالترجمان، حداً جعله لايستطيع إخفاء تأثره وظهر عليه الارتباك، فأمر رئيس المحكمة بإستبعاده وإحضار ترجمان آخر فوقع الاختيار على أحد اليهود، وهو لمبروزو، من بين الحاضرين في الجلسة (وقام لمبروزو بدور المترجم، وكان السيد عمر رحمه الله جريئاً صريحاً، يصحح للمحكمة بعض الوقائع، خصوصاً حادث الطيارين الإيطاليين أوبر وبياتي[1].
وبعد استجواب السيد ومناقشته وقف المدعي العام بيدندو، فطلب الحكم على السيد بالإعدام.
(وعندما جاء دور المحامي المعهود إليه بالدفاع عن السيد عمر وكان ضابطاً إيطالياً يدعى الكابتن لونتانو، وقف وقال: (كجندي لا أتردد البته إذا وقعت عيناي على عمر المختار في ميدان القتال، في إطلاق الرصاص عليه وقتله وافعل ذلك كإيطالي أمقته وأكرهه، ولكنني وقد كلفت الدفاع عنه فإني اطلب حكماً، هو في نظري أشد هولاً من الإعدام نفسه، وأقصد بذلك الحكم عليه بالسجن مدى الحياة نظراً لكبر سنه وشيخوخته).
وعندئذ تدخل المدعي العمومي، وقطع الحديث على المحامي وطلب من رئيس المحكمة أن يمنعه من إتمام مرافعته مستنداً في طلبه هذا إلى أن الدفاع خرج عن الموضوع، وليس من حقه أن يتكلم عن كبر سن عمر المختار وشيخوخته ووافقت المحكمة[2]، أمر القاضي المحامي بأن لايخرج عن الموضوع ويتكلم بإيجاز، وهنا تكلم المحامي بحدة وقال: إن عمر المختار الذي هو أمامكم وليد هذه الأرض قبل وجودكم فيها ويعتبر كل من احتلها عنوة عدو له ومن حقه أن يقاومه بكل مايملك من قوة حتى يخرجه منها أو يهلك دونها هذا حق أعطته له الطبيعة والإنسانية، وهنا كثر الصياح من الحاضرين بإخراج المحامي وإصدار الحكم على المتهم الذي طالب به المدعي العام. ولكن المحامي استمر قائلاً العدالة الحقة لاتخضع لأي سلطان ولا لأية غوغاء وإنما يجب أن تنبع من ضميرنا وإنسانيتنا وهنا قامت الفوضى خارج المحكمة، وقام المدعي العام محتجاً على المحامي، ولكن المحامي استمر في دفاعه غير مبال بكل هذا بل حذر القاضي أن يحكم ضميره قائلاً: إن هذا المتهم عمر المختار الذي انتدبت من سوء حظي أن أدافع عنه شيخ هرم حنت كاهله السنون وماذا بقي له من العمر بعد ما أتم السبعين سنة وإني أطلب من عدالة المحكمة أن تكون رحيمة من (تحقيق) العقوبة عنه لأنه صاحب حق ولايضر العدالة إذا انصفته بحكم أخف وإنني أحذر عدالة محكمتكم حكم التاريخ لأنه لايرحم فهو عجلة تدور وتسجل كل مايحدث في هذا العالم المضطرب وهنا كثر الضجيج في الخارج ضد المحامي ودفاعه.

(1) انظر: حياة عمر المختار، ص155،154،153.

(2) المصدر السابق نفسه، ص155.

ولكن المحامي استمر في دفاعه قائلاً: سيدي القاضي حضرات المستشارين لقد حذرت المحكمة من مغبة العالم الإنساني والتاريخ وليس لدي ما أضيفه إلاّ طلب تخفيف الحكم على هذا الرجل صاحب الحق من الذود عن أرضه ودينه وشكراً).
وعندما قام النائب العام لمواصلة احتجاجه قاطعه القاضي برفع الجلسة للمداولة وبعد مضي فترة قصيرة من الانتظار دخل القاضي والمستشاران والمدعي العام بينما المحامي لم يحضر لتلاوة الحكم القاضي بإعدام عمر المختار شنقاً حتى الموت وعندما ترجم الحكم إلى عمر المختار قهقه بكل شجاعة قائلاً الحكم حكم الله لاحكمكم المزيف ـ إنا لله وإنا إليه راجعون[1].
وأراد رئيس المحكمة أن يعرف ماقاله السيد عمر .. فسأل الترجمان أن ينقل إليه عبارته، ففعل، وعندئذ، بدا التأثير العميق على وجوه الإيطاليين أنفسهم الذين حضروا هذه المحكمة الصورية وأظهروا إعجابهم لشجاعة شيخ المجاهدين بليبيا الحبيبة وبسالته في آن واحد.
وأما المحكمة، فقد استغرقت من بدئها إلى نهايتها ساعة واحدة وخمس عشرة دقيقة فحسب، من الساعة الخامسة مساء إلى الساعة السادسة والربع وكذلك قضت إرادة الله تعالى أن يتحكم الطليان في مصير البطل، لتتم الإرادة الإلهية وتمضي الحكمة الربانية[2].
{وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عمّا يشركون} (سورة القصص، آية 68).
{ما أصاب من مصيبة إلاّ بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم} (سورة التغابن: آية 110).

سابعاً: إعدام شيخ الجهاد في بلادنا الحبيبة:

وفي يوم 16 سبتمبر من صباح يوم الأربعاء من سنة 1931 عند الساعة التاسعة صباحاً نفذ الطليان في (سلوق) جنوب مدينة بنغازي حكم الاعدام شنقاً في شيخ الجهاد وأسد الجبل الاخضر بعد جهاد طويل ومرير .
ودفعت الخسة بالايطاليين أن يفعلوا عجباً في تاريخ الشعوب ، وذلك انهم حرصوا على ان يجمعوا حشداً عظيماً لمشاهدة التنفيذ فأرغموا أعيان بنغازي، وعدداً كبيراً من الاهالي من مختلف الجهات على حضور عملية التنفيذ فحضر مالا يقل عن عشرين الف نسمة . على حد قول غراسياني في كتاب برقة الهادئة[3].
ويقول الدكتور العنيزي (لقد ارغم الطليان الاهالي والاعيان المعتقلين في معسكرات الاعتقال والنازلين في بنغازي على حضور المحاكمة، وحضور التنفيذ وكنت احد اولئك الذين ارغمهم الطليان على المحاكمة، ولكني وقد استبد بي الحزن شأني في ذلك شأن سائر ابناء جلدتي، لم اكن استطيع رؤية البطل المجاهد على حبل المشنقة فمرضت، ولم يعفني الطليان من حضور التنفيذ في ذلك اليوم المشئوم، الا عندما تيقنوا من مرضي وعجزي عن الحضور .
ويالها من ساعة رهيبة تلك التي سار المختار فيها بقدم ثابتة وشجاعة نادرة وهو ينطق بالشهادتين الى حبل المشنقة ، وقد ضل المختار يردد الشهادتين أشهد ان لااله الا الله ، وأشهد ان محمد رسول الله.

---

(1) انظر: برقة الهادئة، ص287،286.

(2) انظر: حياة عمر المختار، ص157،156.

(3) انظر: برقة الهادئة، ص288.

لقد كان الشيخ الجليل يتهلهل وجه استبشاراً بالشهادة وارتياحاً لقضاء الله وقدره، وبمجرد وصوله الى موقع المشنقة اخذت الطائرات تحلق في الفضاء فوق ساحة الاعدام على إنخفاض، وبصوت مدوي لمنع الاهالي من الاستماع الى عمر المختار اذا ربما يتحدث اليهم او يقول كلاماً يسمعونه وصعد حبل المشنقة في ثبات وهدوء .

وهناك اعمل فيه الجلاد حبل المظالم فصعدت روحه الطاهرة الى ربها راضية مرضية ، هذا وكان الجميع من اولئك الذين جاءوا يساقون الى هذا المشهد الرهيب ينظرون الىالسيد عمر وهو يسير الى المشنقة بخطى ثابتة، وكانت يداه مكبلتين بالحديد وعلى ثغره ابتسامة راضية، تلك الابتسامة التي كانت بمثابة التحية الأخيرة لأبناء وطنه، وقد سمعه بعض المقربين منه ومنهم ليبيون أنه صعد سلالم المشنقة وهو يؤذن بصوت هادئ آذان الصلاة وكان أحد الموظفين الليبيين من أقرب الحاضرين إليه، فسمعه عندما وضع الجلاد حبل المشنقة في عنقه يقول: {يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية} (سورة الفجر: آية 27،28).

لقد استجاب الله دعاء الشيخ الجليل وجعل موته في سبيل عقيدته ودينه ووطنه لقد كان يقول اللهم اجعل موتي في سبيل هذه القضية المباركة)[1].

ويقول شاعر القطرين خليل مطران:

أبيت والسيف يعلو الرأس تسليماً

وجدت بالروح جود الحر أن ضيما

لله ياعمر المختار حكمته

في ان تلاقي مالاقيت مظلوما

ان يقتلوك فما ان عجلوا أجلا

قد كان مذ كنت مقدوراً ومحتوما

ولقد رثاه الشعراء وتكلم في تأبينه الادباء والكتاب ولو تتبعنا ذلك لوجدناها أكثر من مجلد[2].

ونختم استشهاد عمر المختار رحمه الله بقول الله تعالى : {وماكان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا ومن يريد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤتها منها وسنجزي الشاكرين وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين} (سورة آل عمران : آية 145).

ومن سيرة عمر المختار العطرة نستخلص دروساً وعبراً تفيدنا كثيراً في حياتنا المعاصرة ليس عمر المختار رحمه الله أول من جاهد ولا أول من استشهد ولكن كان حاله كما قال تعالى : {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل} (سورة آل عمران : آية172).

ومفتاح شخصيته الفذة إنه آمن بالله واستقرت معانيه في قلبه فأصبح لايخشى إلا الله وهذا الصنف من المسلمين هو اقوى ماعرفته البشرية وهو الانسان الحر في أعلى معاني الحرية.

جرد قلبه من الاوهام ومن الشركيات والضلال ومن الشبهات والشهوات وخلص قلبه من كل ظلمة تحيل بينه وبين دخول التوحيد الصحيح إليه، كان كثير المراقبة لله، ومن هنا كان شديد الخوف من الله يعلم إنه شديد العقاب وخوفه من الله جعله اهلاً لتوفيق الله ولذلك كان راسخاً كالجبل الاشم[3].

---

(1) انظر: عمر المختار للأشهب، ص160،159.

(2) انظر: ابراهيم سالم بن عامر مترجم برقة الهادئة، ص289.

(3) انظر : حياة عمر المختار، ص190.

فالفريد في سيرته ، إنه أحيا شيئاً كاد يندثر ، أحيا معاني الايمان التي كان الناس قد بدأوا ينصرفون عنها إنه بنيان اسس على التقوى فعاش مباركاً في حياته وفي مماته.
والعبرة الثانية ، إنه كان داعيا الى الله بإذنه ، تربى على ايدي دعاة السنوسية فلما اكتمل وترعرع ، ادى الرسالة وبلغ الامانة وأنذر وبشر، وخيركم من تعلم القرآن وعلمه.
والعبرة الاخرى، إنه كان على فهم صحيح لدينه، يأخذ كلاً لايتجزأ، فلا هو بالتدين المنحرف، ولا هو بالتدين البعيد عن جوهر الدين ، وإنما هو رجل مؤمن، يعلم ان الاسلام لايصح أن يؤخذ بعضه ويترك بعضه، وإنما عليه أن يعمل به كله.
وكان في حرارة الشباب وحيويتهم رغم شيخوخته وتلك طبيعية المقاتلين في سبيل الله، الذين يخشون الله ولايخشون أحداً غيره والعبرة الاخرى، انه لم يسع للشهرة ، لان المخلصين لايبحثون عن الشهرة وإنما يبحثون عن رضى الله سبحانه وتعالى[1].
ولذلك جعل الله له ذكراً في الدنيا ونسأل الله أن يتغمده برحمته في الآخرة إن اعداءه الاوروبيين اعجبتهم سيرته البطولية والكفاحية والجهادية فهذه صحيفة التايمز البريطانية في مقال نشرته في 17 سبتمبر سنة 1931م تحت عنوان نصر إيطالي: (حقق الايطاليون انتصاراً خطيراً ونجاحاً حاسماً في حملتهم على المتمردين السنوسيين في برقة، فلقد أسروا وأعدموا الرجل الرهيب عمر المختار شيخ القبيلة العنيف الضاري...) ثم تستمر الصحيفة حتى تقول: (ومن المحتمل جداً أن مصيره سيشل مقاومة بقية الثوار، والمختار الذي لم يقبل أي منحة مالية من ايطاليا، وأنفق كل ماعنده في سبيل الجهاد وعاش على ماكان يقدمه له اتباعه، واعتبر الاتفاقيات مع الكفار مجرد قصاصات ورق ، كان محل اعجاب لحماسته واخلاصه الديني ، انه كان مرموقاً لشجاعته[2].
وقد وصفه أحد الإيطاليين قائلاً (كان عمر المختار مخلصاً وذكياً، وكان عقل الثورة وقلبها ببرقة).
وقال آخر: كان انجازه رائعاً، فقد حارب إيطاليا الفاشستية تسع سنوات من حرب فدائية لم تكن ضعيفة في ذاتها وكان التحدي والتضحية والاستشهاد بالنفس عند عمر المختار واتباعه شيئاً نبيلاً[3].
ونحن نقول:

ومليحة شهدت لها ضراتها والفضل ماشهدت به الأعداء

لقد كانت حياة عمر المختار شيخ المجاهدين في الجبل الأخضر بليبيا مكرسة كلها للعلم والدعوة وتربية الناس على الإسلام والجهاد في سبيل الله وكان من رواد الحركة السنوسية فقضى حياته حين نادى منادي الجهاد معتلياً صهوة جواده ممسكاً سلاحه، لم يهادن ولم يستسلم بل قارع أعداء دينه مقارعة الند للند رغم قلة الإمكانات ورغم عدم التكافؤ في العدد والعدة ولكنه استعلاء الإيمان وقوة اليقين، الذي ازداد صلابة وعمقاً في ميادين الجهاد وساحات المعارك، إن جهاد عمر المختار رحمه الله سيظل معلماً بارزاً في تاريخ ليبيا خاصة وتاريخ الأمة الإسلامية عامة وسيظل دليلاً على أن الإسلام صنع ولايزال نماذج عظيمة من البطولات على مر العصور وعلى أن العطاء الحقيقي إنما هو عطاء الإيمان[4].
إن الشيخ الجليل عمر المختار رحمه الله مدرسة تستحق الدراسة والبحث في جوانب متعددة في

(1) المصدر السابق نفسه، ص193، 194.

(2) من مجلة البيان العدد الخامس عشر ، ربيع الثاني 1409هـ، ص82.

(3) انظر: جون رأيت تاريخ ليبيا، ص158.

(4) من مجلة البيان العدد الخامس عشر، ص83،82.

شخصيته العلمية والدعوية والتربوية والجهادية ويعلم الله ما أعطيت الشيخ حقه ولا حتى بعض حقه وأحس إحساساً عميقاً صادقاً في قرارة نفسي إنه أعظم مما كتبت وأجل مما توهمت وأفضل من عايشت من سيرة أبطال الجهاد في ليبيا الحبيبة فعليه من الله الرحمة والمغفرة والرضوان وعلى إخوانه الميامين الكرام ونفعنا الله بسيرته الزكية العطرة النقية.

وهكذا يا أخي الكريم يصنع الإسلام من اتباعه في ميادين النزال وساحات القتال وكذلك عند الوقوف أمام الطغاة والجلاودة الظلمة، لأن العقيدة تحركه ورعاية الله تحفه وإن هذه الوقفات الخالدة من سيرة شيخ الجهاد في ليبيا لحري بنا أن نكتبها بحروف من ذهب ونعلمها للأجيال ونربي عليها الأشبال لغد مشرق مجيد قد بدأت بوادره تلوح في عنان السماء ومظاهرها متجسدة في رجوع شعوب المسلمين لدينها مع مايحف هذا الرجوع من مخاطر عديدة من قبل اليهود والنصارى والملاحدة والحكام الظلمة وأنى لهم أن يطفؤا نور الله والله متم نوره ولو كره الكافرون. فما علينا إلا أن نستعين بالله في تحقيق وتطبيق دينه على نفوسنا وأسرنا ومن حولنا ثم على الناس أجمعين.

قال تعالى: {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئا} (سورة النور: آية55).

{ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز} (سورة الحج، آية40).

{من كان يريد العزة فالله العزة جميعاً} (سورة فاطر، آية10).

ثامناً: بعض ماقيل في تأبين الشيخ عمر المختار من الشعر

أ- قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

ركزوا رفاتك في الرمال لواءً   يستنهض الوادي صباح مساء

يا ويحهم نصبوا مناراً من دم   يوحي إلى جيل الغد البغضاء

ماضر لو جعلوا العلاقة في غد   بين الشعوب مودة وإخاء

جرح يصيح على المدى وضحية   تتلمس الحرية الحمراء

يا أيها السيف المجرد بالفلا   يكسو السيوف على الزمان مضاء

تلك الصحارى غمد كل مهند   أبلى فأحسن في العدو بلاء

وقبور موتى من شباب أمية   وكهولهم لم يبرحوا إحياء

لو لاذ بالجوزاء منهم معقل   دخلوا على أبراجها الجوزاء

فتحوا الشمال سهوله وجباله   وتوغلوا فاستعمروا الخضراء

وبنوا حضارتهم فطاول ركنها   دار السلام وجلق الشماء

خيرت فأخترت المبيت على ... لم تبن جاها أو تلم ثراء

إن البطولة أن تموت على ... ليس البطولة أن تعب الماء

أفريقيا مهد الأسود ولحدها ... ضجت عليك أراجلا ونساء

والمسلمون على اختلاف ... لايملكون مع المصاب عزاء

والجاهلية من وراء قبورهم ... يبكون زيد الخيل والفلحاء

في ذمة الله الكريم وحفظه ... جسد ببرقة وسد الصحراء

لم تبق منه رحى الوقائع ... تبلى، ولم تبق الرماح دماء

كرفات نسر أو بقية ضيغم ... باتا وراء السافيات هباء

بطل البداوة لم يكن يغزو ... (تنك) ولم يك يركب للاجواء

لكن أخو خيل حمى صهواتها ... وأدار من أعرافها الهيجاء

لبى قضاء الأرض أمسى ... لم تخش إلا للسماء قضاء

وفاه مرفوع الجبين كأنه ... سقراط جر إلى القضاة رداء

شيخ تمالك سنه لم ينفجر ... كالطفل من خوف العقاب بكاء

وأخو أمور عاش في سرائها ... فتغيرت فتوقع الضراء

الأسد تزأر في الحديد، ولن ... في السجن ضرغاما بكى

وأتى الأسير يجر ثقل حديده ... أسد يجرجر حية رقطاء

عضت بساقيه القيود فلم ينوء ... ومشت بهيكله السنون فناء

سبعون لو ركبت مناكب ... لترجلت هضباته أعياء

خفيت عن القاضي،وفات ... من رفق جند قادة نبلاء

والسن تعطف كل قلب مهذب ... عرف الجدود وأدرك الآباء

دفعوا إلى الجلاد أغلب ماجدا ... يأسو الجراح ويطلق الاسراء

ويشاطر الأقران ذخر سلاحه ... ويصف حول خوانه الأعداء

وتخيروا الحبل المهين منية ... لليث يلفظ حوله الحوباء

حرموا الممات على الصوارم ... من كان يعطي الطعنة النجلاء

إني رأيت يد الحضارة ... بالحق هدما تارة وبناء

شرعت حقوق الناس في ... إلا أبات الضيم والضعفاء

يا أيها الشعب القريب أسامعُ ... فأصوغ في عمر الشهيد رثاء

أم الجمت فاك الخطوب ... أذنيك حين تخُاطبُ الأصغاء

ذهب الزعيم وأنت باق خالدُ فانقد رجالك واختر الزعماء

وأرح شيوخك من تكاليف وأحمل على فتيانك الأعباء[1]

ب- قال الأستاذ نعمان عبدالوهاب ناظر مدرسة لملوم بمغاغة بمصر وذلك بمناسبة أول ذكرى للشهيد قام بها الليبيون أثناء الحرب العالمية الثانية:

ذكرى بها ألم النفوس دفين وأسى له صلد الصخور يلي

وسقام شعب في رفاة ضحية ونداء قطر بالفلاة سجين

ودموع ثكلى من دم أذراعها (سفاح برقة) والرحاب أمين

صاحت على بطل يساق إذ قال: عرضي، والحمى،

فارتاع شعب أعزل لكما في كل ركن في البلاد عرين

من واحت الجغبوب قامت بالله يربطها هدى ويقين

بيت الأمارة والمهابة والتقى والعزم ماجدت هناك شئون

فاصطفت الأبطال تحت وتجرد الهندي والمسنون

والسيد المهدي يذكى نارها بالحزم والاقدام ضل يبين

يستنهض الفرسان في والشعب منقاد له ورهين

يستعذبون الموت في في حب برقة يضحك

عشرون عاماً في الجهاد لم تكتحل فيها المنام جفون

صبر الألى فتحوا ممالك وتسوروا الأيوان وهو حصين

لو كان للإسلام سالف عهده والجار للجار الضعيف معين

مابات أبطال الجهاد على يستنجدون الشرق وهو ضنين

يالهف نفسي كيف سار بغله من كان للسرج الرهيب يزين

عمر بن مختار الشهيد ومن في كل قلب لوعة وحنين

فختامه يحكي نهاية (جعفر) حتى حلى لي فيهما التأبين

عيناه قد رأت الحصان والجو أطبق والرصاص هتون

والسيف في اليمنى وإن قطعت يلقيه حتى أن يحين الحين

من كان لله القدير جهاده والحق يعلم أنه المغبون

لاينثني عن عزمه والموت حبل المشانق جاثم مرهون

ماردَّ إلا حيث قال قضاتهم نعم، وفي الصوت الجهور

---

(1) الأعمال الشعرية الكاملة، احمد شوقي (2/19،18).

فاضت على حبل المظالم   والله قدر ما عليه تكون
دار السنوسي لقنت أشبالها   موت المعزة بالكماة قمين
فالصبر ياشعب الجهاد   يامرسل الشكوى وأنت حزين
لازال رب الدار ليثا رابضا   ان غاب عنها ليس عنك يبين
لازال ادريس الوفي بعهدكم   والحر للعهد النزيه يصون
لازال يسعى للخلاص بفتية   منكم، وقد سهرت عليه (1)

ج-وقال أحد الشعراء الليبيين الأستاذ أبو الخير الطرابلسي:

دك طود الجهاد باسم السلام   وثوى الحر في مهاوي الظلام
وأبيدت معالم الحق لما   زلزل الأمن في ربوع الأنام
وأميتت مبادئ الدين كفرا   وأزيلت منارة الإسلام
وأقيمت مجازر الأثم والبغـ   ـي، وزلت مواطئ الأقدام
وتحامت عناصر الظلم   ن، فهدت دعائم الأقدام
ليت تلك السماء تحكي   كيف حيكت مؤامرات اللئام
ليت هذا الأديم ينشق توا   فيواري مخلفات الطغام
يهذا الشهيد!. ما أنت إلا   طارف العز.. تالد المجد..
أيهذا الشهيد!. ما أنت إلا   قدوة لجيش.. في اللواء الأمامي
خصك الله بالعزيمة والصبـ   ـر، وخص الطغاة بالأحجام
خصك الله بالعقيدة والطهـ   ـر، وخص الدناة بالآثام
أمم الأرض ... طأطأت في   رأسها.. ياجلال هذا المقام
أمم الأرض... قلدتهم هوانا   وازدراء بهم أحط وسام
أيهذا الشهيد قدمت شنقا   بيد الغدر. ذقت كأس الحمام
فتوارت غزالة الصبح حزنا   واختفى البدر في ليالي التمام
خالد أنت... رغم أنف المنايا   (عمر) أنت... والردى تتعامى
ان تناسوك، فالثمانون عاما   ليس ينسى على مدى الأعوام
كللت كاهليك بالعزم تاجا   فتوثبت قاهراً في اعتصام
ماتحدوك .. إنما قد تحدا   ك القضا.. بالردى ونصل
انهم البسوك حلة فخر   ثم أعلوك فوق أسمى مقام

---

(1) انظر: عمر المختار للأشهب، ص188،187.

طوقوا جيدك الأغر وغطوا   جسمك الحر.. خيفة الايلام

سنة الغدر.. رحمة الذئب   ة، وخبث الجبان في الايهام

ارجحوا جسمك الضعيف   في الأعالي ملائك السلام

وعووا كالذئاب: هيا تعالوا   فاشهدوا مصرع الزعيم الهمام

فأبوا. ثم سيق قهرا وجلدا   من تأبى حضور ملقى الزوام

ثم دقوا الطبول للموت تدوى   صارخات على العدا كل عام

لعنة الله.. لعنة الحق صبي   بشواظ على الكوافر جامي

لعنة الكهل .. لعنة الطفل   ر ولعنة الثاكلات الدوامي

لعنات على الجناة السفالى   دائمات إلى نشور العظام

يا أخي! عبرة الخطب هاجت   فأفاضت لنا الدموع الهوامى

ولغ القوم في الدما فأثاروا   ديدن الحقد، مبعث الانتقام

ردد اللحن هائجاً مائجاً مسـ   تفيض الشعور صاخب الأنغام

ياجهاد الشيوخ يافداء الشبا   ب يا حثيث النساء للاقحام

يادعاة السلام صمتا فانا   قد شهدنا مفاصل الاعدام

قد شهدنا قذائف الموت تعوي   هاويات على رؤس الشهام

فشهيد يميل فوق شهيد   ودماء تفور فوق رغام

يارياح الفناء! هبي وذري   في المآقي قذى القنا والسهام

وارقصي ثورتي وميدي   واطربي يافتوتي! لن تضامي

وتمطى عزيمتي للعلا واستـ   زري ناطح السحب شاهق

رب شعب عن المعالي قعيد   خانه العزم بالوغى والسقام

ورمته الخطوب لما توانى   وارتضى بالقيود والألجام

فعلت من ثراه صيحات جد   داعيات إلى البنا والقيام

ونمت فيه بنتة النهضة الغضـ   ى على مصرع الأبناء المسام

وتقوت سواعد النشء لما   صقلتها يد العرمى بالنظام

أمة المجد!. انه المجد صعب   والخنى مستسر قد استضام

سائلي الأمس.. كيف أنا ولدنا   ونشأنا في أحلك الأيام

ولبثنا سنين جهلا عبيدا   واستنمنا لباطل الأحلام

وقعدنا عن النهوض ففات   ب وتهنا بمهمه الأوهام

فالمضاء المضاء يافتية النصـ ر! فقد طال. طال عهد المنام
والبدار البدار يا أمة الفخـ ر! فحسب الحصاد. نيل المرام

د- وقال الأستاذ حسين الغناي أحد شعراء الشباب الليبيين:

يبيد الزمان ومدته وتفنى الخلائق جدته
وتطوى الدهور سجل الحياة وتبقى من المرء سيرته
ومن أخلد الذكر في العالمين مضاء الفتى وعزيمته
ووقفته عند قرع السلاح تذود عن الحق مهجته
إذا عجمته شداد الخطوب تدرع بالصبر مهجته
سواء لديه اعوجاج الزمان كذا عدله واستقامته
ومن أبرز الذائدين فتى إلى أرض برقة نسبته
من العرب الشوس والفاتحين جبلته وأرومته
اذا عد (عمر) و (ابن الوليد) و (عقبة) ثم صحابته
وأمثالهم نخبة المسلمين رجال الفتوح وقادته
فـ (مختار) برقة ذاك الأبي الذي طافت الأرض شهرته
لصنو لهم في قياس الفحول وتمتاز عنهم صلابته
عقيدته في الحياة الجهاد لتحفظ للشعب حرمته
وتلقاه في اليأس والمكرمات له فضله ومهابته
إذا اتصفت بالدهاء الرجال وبانت من العدل وجهته
فقول الكتاب له مبدأ وصوت السلاح سياسته
أبى شرفا أن يفك الركاب وأن تلقى السيف راحته
ومازال في السرج شاكي توشحه بندقيته
يصادم في طلعة الهاجمين وأول طلق رصاصته
ويغزو علىالقوم في دارهم فتفضي إلى النصر غزوته
إلى أن قضى تحت حكم شهيداً فكانت نهايته
لئن مات شهم الوغى عمر ولما تحقق رسالته
فقد أوجدت في شعور نوراً يشع عقيدته
يسير بها في دروب الظلام فتهدي إلى الحق لمعته
كما علم الروم أن الجهاد منى العربي وبغيته
وعلمهم أن وكر النسور حرام على البوم وطأته

حديثك يا عمر الخيرين تغذى النفوس روايته
وذكرك باق مع الخالدين به تختم المجد صفحته[1]

تاسعاً: آخر وثيقة من أحمد الشريف وصلت للمجاهدين في ليبيا:

وكانت آخر وثيقة أرسلها أحمد الشريف رداً على رسالة المجاهد الكبير يوسف بورحيل الذي تولى الأمر مؤقتاً بعد استشهاد عمر المختار رحمه الله تعالى وقد أعلم في رسالته أحمد الشريف باستشهاد عمر المختار وطلب منه أن يعين من يقوم بهذا الدور العظيم.

نص الرسالة التي بعث بها أحمد الشريف رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

من عبد ربه سبحانه، خادم الإسلام، أحمد الشريف السنوسي،

إلى حضرة الفاضل المحترم، والجليل المفخم، المجاهد الصادق، واللبيب الحاذق، قائم مقام دور العواقير ولدنا الشيخ عبدالحميد العبار، وكافة أولادنا العواقير حفظهم الله ورعاهم وحرسهم وحماهم آمين آمين.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ومغفرته ومرضاته وتحياته ورضوانه وعميم فضله وإحسانه، وبعد، فالمرجو من الله تعالى أن تكونوا جميعاً على أيسر الأحوال محفوظين بالله ومنصورين به وإننا لن نغفل عنكم وقت من الأوقات من الدعاء لكم عند بيت الله الحرام وفي حضرة مولانا رسول الله عليه الصلاة والسلام، وعلى الله القبول، إنه أكرم مسؤول، وخير مأمول هذا وقد بلغنا ما أزعجنا وكدرنا غاية الكدر، وهو استشهاد حضرة النائب العام سيدي عمر المختار رحمه الله ورضي الله عنه وجعل جنة الفردوس مسكنه ومحله، وجزاه الله عنا وعن الإسلام أحسن الجزاء، فإنه كان عاملاً صادقاً ناصحاً، وأننا لم نتكدر على نيله للشهادة بل نحمد الله على ذلك ولانقول أنه مات، بل إنه حي لقول الله {ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتا، بل أحياء} وإنما كدرنا فقدانه من بينكم وغيابه عنكم، ولكن هذا أمر الله الذي يفعل مايشاء ويحكم مايريد، فلا يمكننا إلا تسليمنا لله ورجوعنا إليه، ولانقول إلا مايقول الصابرون، إنا لله وإنا إليه راجعون، نعم استشهد سيدي عمر المختار ولكنه أبقى العمل الطيب والذكر الحسن إلى يوم القيامة فهذا ليس بميت ولن يموت أبداً، مادامت الدنيا أنه شهيد، والشهيد ليس بميت لقوله تعالى {ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله ... الخ الآية} فالله يا أولادي في التمسك وإياكم واليأس إياكم والقنوط، إياكم وأقاويل الناس الفاسدة فجدوا واجتهدوا كما كنتم، واجعلوا أعمالكم لله لأنه لنا ولالغيرنا لأن من قاتل الله، فالله حي باقي، ومن قاتل لغير الله فعمله لايفيده شيئاً، واعلموا أن الله معكم، ولن يتركم أعمالكم، فاصبروا وصابروا واعلموا أن

(1) انظر: عمر المختار، ص191،190.

العاقبة للمتقين، وأن الله مخزي الكافرين، وماترونه من الأهوال، فإنه والله ثم والله زائل عن قريب وسترون مايسركم دنيا وأخرى، ففي الدنيا سترون بحول الله العز والنصر والفتح الذي لايخطر لكم على بال، وفي الآخرة رضاء الله ورسوله والنعيم المقيم، فأنتم في الخير أحياء وأمواتاً، وها نحن نوبنا عنا عليكم حضرة أخيكم المجاهد الغيور الصادق، ولدنا الشيخ يوسف بورحيل، فإنكم ستلقونه بعون الله وقوته، مثل السيد عمر وأكثر، ونحن ماقدمناه إلا بتقديم سيدي عمر له في حياته، وامتثلوا أمره واسمعوا كلامه، وكونوا له عوناً معيناً، ومن خالفه منكم فلا يلومن إلا نفسه، ومن تبعه وامتثل أمره، فهو الذي منا وعلينا، وولدنا الشيخ يوسف المذكور هو النائب عنا عموماً، فلا تروه إلاّ بالعين التي تروننا بها، وبذلك يتم بالله أمركم، وتجتمع كلمتكم وتقهرون عدوكم، وإياكم ثم إياكم والمخالفة والنزاع، قال الله تعالى {ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين} واعلموا يا أولادي أن العدو خيبه الله ساعي بكل جهده في القضاء عليكم في هذه المدة القريبة، لابلغه الله مناه، لأنه بعد مدة قليلة يقوم معه حرب عظيم يشغله عنكم وهو مع الفرنسيين، والدول الأخرى، فعند ذلك لايقدر على دوام القتال معكم، والحرب قريب النشوب، فجدوا في عملكم، واصبروا وأبشروا بالنصر والفتح ولاتيأسوا من روح الله، انه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون قال تعالى {حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ... الخ الآية} ولانشك يا أولادي أن الله منجز وعده لأن الله لايخلف الميعاد، وإني والله ثم والله مايمنعني من الوصول إليكم إلا عدم الطريق، ولكن بحول الله، لازلت مجتهداً بكل جهدي في وصولي إليكم وعن قريب يتم ذلك بحول الله وقوته، هذا وسلموا منا على عموم أولادنا المجاهدين والبارئ يحفظكم وينصركم ويجمعنا بكم عن قريب[1].

16 جمادى الثاني سنة 1350هـ

عاشراً: ايطاليا تحاول ان تستفيد بعد مقتل عمر المختار:

يقول غراسياني عن عمر المختار في كتابه برقة الهادئة: إن خبر القبض على عمر المختار واعدامه سرى في كل مكان وفي الاوساط المحلية بين الأهالي والخاضعين لسلطاتنا وبين الثوار الخارجين عن طاعتنا والمهاجرين في مصر وفي كل البلدان من المشرق الى المغرب. كلها تأثرت من هذا الحادث الجلل، واعدام عمر المختار ولكي ننتهز هذه الفرصة في هذا الظرف الدقيق من أجل أثارة الفوضى بين القادة الذين خلفوا عمر المختار في القيادة رأينا ان ننشر بياناً الى كافة او البقية من العصاة نعلن لهم فيه ان الحكومة الايطالية الفاشيستية مستعدة أن تقبل استسلامهم وتسليم السلاح وتضمن لهم الحياة وفي 17 سبتمبر 1931م نشرت التعليمات الآتية من أجل توزيعها وهي :

1- أن نعطي للثوار الاحساس بسخاء الدولة الايطالية الفاشيستية وكذلك للسكان المحليين.

2- افراد الحالة أمام العالم الاسلامي وغير الاسلامي بكل دقة وان تصرفاتنا لا لبس فيها فهي من

(1) انظر: مجلة الانقاذ العدد 39، 1412هـ، ديسمبر 1991م ، ص25.

اختصاصنا وكذلك من مسؤولياتنا في كل العمليات الحربية التي أجريت في برقة ولهذا فقد قامت طائرتنا بقذف المنشورات على المناطق الجبلية وعلى المدن والقرى وبها البيان الآتي:
الى ادوار عمر المختار
إن الرئيس العظيم رئيس الثوار عمر المختار يحارب منذ عشرين سنة كان يقودكم فيها الى الخراب والدمار والتأخر والانحطاط قبضت عليه قواتنا المظفرة قوات ايطاليا الفاشيستية وقد حكمت عليه المحكمة الخاصة بالاعدام وهذا انتقام من الله من اجل المساكين الذين بسببه تركوا اراضيهم ومسقط رأسهم[1].
قال مترجم كتاب برقة الهادئة ابراهيم بن عامر عن هذا المنشور سبحان الله ياجنرال من الذي شرد الناس من أراضيهم؟ ومن الذي أفنى ثمانين ألف من المواطنين في المعتقلات ألم تكن أنت الذي قضى على الناس وأموالهم؟ وفي نفس الصفحة تعترف بأن عمر المختار منذ عشرين سنة يحارب من أجل من ؟ من أجل أن يطردك ويطرد قوات إيطاليا الغاصبة[2].
واستمر غراسياني في المنشور: ياأهل الدور إن الحكومة الايطالية الفاشيستية القوية والسخية تحذركم مرة اخرى إنه بعد وفاة واختفاء عمر المختار أنها مستعدة بأن تعفو عن كل الذين يخضعون لحكمنا ويسلمون اسلحتهم ومن غير هذا فالحكومة كما قضت على عمر المختار ستقضي على كل الذين يواصلون العصيان أما عاجلاً أو آجلاً. اسمعوا كلامي وسلموا أنفسكم وفي نفس الوقت أصدرت الأوامر الى قوات الجيش بعد أن قذفت الطائرات المنشورات بالاستمرار في القتال دون توقف بل بذل أكثر من الجهد دون تردد حتى نجعل أمام العصاة (يعني الثوار) الطريق الوحيد هو الاستسلام دون قيد او شرط وخلاف القاء البيان بالطائرات مايزيد عن 35.000 منشور وأكثر منها وزعت من الدوريات الكشافة على كل بئر وفي كل حقل ومرعى وكل هذه الاماكن التي يمر بها العصاة (يعني المجاهدون) أما (المريشال بادوليو) من جانبه وجه الى قوات الجيش البرقية التالية:
أوجه الى قوات الجيش الشجاعة ببرقة أعظم الثناء وأحر تهنئتي على كل ماقاموا به من عمل مجيد وانتصار باهر في هذه الحروب والنتيجة المرضية التي كنا نتمناها أن نهاية عمر المختار يجب أن لاتؤثر على السير فوق الطريق التي رسمناها وهي مطاردة العصاة أينما وجدوا واقتفاء أثرهم وضربهم بكل شدة ودون هوادة أو رحمة الى آخر واحد منهم وليكن شعارنا.
لاتوقف ولا ارتخاء واصلوا الزحف بكل حماس متجرد ولسوف نقضي على العصاة نهائياً[3].
انظروا اخواني الى هذا الحقد والبغض والكيد والمكر الذي ظهر من أفواهم وماتخفي صدورهم أكبر وصدق الله حيث قال: {ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا....} (سورة البقرة، آية217).

الحادي عشر: تعيين يوسف بورحيل قائد للحركة الجهادية:

وبعد سقوط عمر المختار رحمه الله في الاسر تجمع المجاهدون بين يوم وليلة واجمعوا على تنصيب الشيخ المجاهد (يوسف بورحيل) قائداً للجهاد الاسلامي ووكيلاً عاماً للجهاد وعلى أثر هذا التنصيب كلف الشيخ عبدالحميد العبار بالرحيل نحو شرق البلاد للقيام بحث الناس على الانخراط

---

(1) انظر: برقة الهادئة، ص294،295.

(2) انظر: برقة الهادئة، ص294،295.

(3) انظر: برقة الهادئة، ص296.

في جيش المجاهدين وحمل السلاح لمكافحة الجيوش والجهاد في سبيل العقيدة الاسلامية والدين.

واستقبل المجاهدون خبر استشهاد قائدهم العظيم بالعزيمة في الاستمرار ومواصلة للسير أما الشهادة أو النصر على النصارى الحاقدين.

وواصلت الحكومة الايطالية حملات الانتقام ضد أولئك الابطال وبرز في تلك المرحلة الحاسمة والتي ندر فيها وجود الرجال الشيوخ الفرسان والقادة الأبطال والميامين الكرام اجدادنا البواسل كل من عبدالحميد العبار ويوسف بورحيل وعصمان الشامي وحشدت ايطاليا قواتها وواصلت شن حملاتها بشراسة منقطعة النظير. وبعد قتال عنيف عند الحدود المصرية قرب الاسلاك الشائكة فاجتاز الاسلاك بعض المجاهدين ببطولة منقطعة النظير وفروسية عالية القياس وقتل من قتل واسر من اسر وبقي الزعماء الأربعة يقاومون فقتل حمد بوخيرا لله احد الزعماء وقتل يوسف بورحيل وجرح عصمان الشامي فأخذ أسيراً وأما الفارس المغوار عبدالحميد العبار فاستطاع ان يجتاز الاسلاك الشائكة بجواده رغم مطاردة القوات الايطالية له[1].

وبهذه النهاية المؤلمة الحزينة انكسرت شوكة المجاهدين وتعثرت خطواتهم واخمدت حركة الجهاد وذهب الاجداد تاركين خلفهم تاريخاً بطولياً كفاحياً جهادياً رائعاً من اجل العقيدة والدين والشرف والكرامة فعلى طريق الاسلام نحن سائرون ومن اجل اعزاز دين الله عاملون ورفع راية التوحيد مجاهدون ونسأل الله المغفرة والرحمة والرضوان للاجداد والابطال الكرام من أمثال رمضان السويحلي وسليمان الباروني والفضيل بوعمر واحمد الشريف السنوسي وصالح الاطيوش وابراهيم الفيل واحمد سيف النصر وسعدون وعبدالحميد العبار وغيرهم كثير.

إن عبدالحميد العبار قد امد الله في عمره وقد شاهدته مرات عديدة وأنا طفل لم اتجاوز الرابعة عشر وكنت أراه كل يوم بعد صلاة الفجر امام بيته في الحي الذي كنت أسكن فيه بمدينة بنغازي والذي يسمى مدينة الحدائق بقرب مسجد السيد بالقاسم احمد الشريف السنوسي المعروف بمسجد الأنصار وكان منظره وهو يتلو كتاب الله وقد تقدمت به السن مؤثراً في نفسي وبلادنا في تلك الفترة عمّها الفساد وماكنا نرى ونحن اطفالاً من يحافظ على تلاوة القرآن الكريم بالكيفية المذكورة وأخبرت والدي عن ذلك الذي اسر قلبي بتلاوته القرآن الكريم فقال لي يابني ذاك الشيخ عبدالحميد العبار من كبار المجاهدين وبدأت جدتي وهي من قبائل برقة من قبيلة الدرسة وقد كانت ضمن المعتقلين بمعتقل المقرون تسرد لي أموراً عجيبة عن جهاده وفروسيته وشجاعته ونجدته ولازالت صورته في ذهني الى وقت كتابتي هذه وعندما توفى رحمه الله كانت لوفاته مأتم مشهود وحضرت جموع غفيرة من شرق البلاد وغربها واستمر المأتم اياماً عديدة فرحمة الله على أولئك الأبطال.

الثاني عشر: اضطهاد الشعب:

وباستشهاد عمر المختار ويوسف بورحيل واسر عصمان الشامي بعد جرحه وهجرة عبدالحميد العبار الى مصر وقتل كثير من المجاهدين إنتهت حركة الجهاد الفعلية ومع وجود معظم السكان في معسكرات الاعتقال حكم الايطاليون البلد من الحصون المحاطة بالاسلاك الشائكة والدرويات والمصفحات والسيارات المسلحة والرشاشات والانوار الكاشفة والطائرات وفي يناير 1932م أعلن بادوليو حاكم ليبيا العسكري الايطالي أن الثورة قد انتهت كلية وتماماً واصرت ايطاليا على جعل ليبيا الشاطئ الرابع لإيطاليا. وأعلن موسليني ذلك الطبل الاجوف سنة 1934م بأن الحضارة الحقيقية هي ماتخلقها ايطاليا على الشاطئ الرابع لبحرنا، الحضارة الغربية بصفة عامة،

---

(1) انظر: برقة الهادئة، ص304.

والحضارة الفاشيستية بصفة خاصة) وأخذ الرأسماليون الايطاليون يقسمون ممتلكات الشعب المسلم على بعضهم البعض ويرحّلون الاسر الايطالية لاستيطان الكامل في ليبيا المسلمة وأصبح الليبيون عمال مستأجرين وخدام للعائلات الايطالية في مزارعهم التي نزعت من ايديهم وسلمت للايطاليين وأصدرت وسنت القوانين التي تخدم مصالح الحكومة الايطالية في مصادرة الاملاك والاستيلاء عليها ونزعها من المواطنين بمبالغ زهيدة باسم المصلحة العامة واهتمت ايطاليا بليبيا اهتماماً بالغاً من اجل جعلها قطعة ايطالية لها دورها في توسيع مستعمراتها نحو الجزائر ومالطا وجبل طارق وشجعت ايطاليا هجرة الالوف من العائلات الايطالية ضمن شروط لابد من توفرها في الراغبين بالاستيطان في ليبيا المسلمة ومن هذه الشروط: كثرة عدد افراد الاسرة بحيث تكون اكثر من سبعة ، وايضاً الصحة، والقراءة والكتابة وان تكون هذه الاسرة من اعضاء الحزب الفشيستي، او ذات الوعي السياسي، وكان معظم القادمين هم من المناطق الفقيرة في شمال ايطاليا وخرجوا من ايطاليا وسط دعاية عالمية. واستقبلوا في طرابلس وبنغازي استقبال الابطال ونقلوا في سيارات الجيش الى القرى التي كانت جاهزة لهم وكان بالبو يرافقهم من نابولي حتى القرى التي اغتصبوها من الشعب المسلم المسكين وأعطيت كل اسرة منزلاً ومزرعة جاهزة للعمل وكانت الحقول قد زرعت وفي كل اسطبل كان يوجد بقرة وبغل ، وادوات وحبوب وعلف وكذلك عربات وخشب للوقود وفي كل بيت كان هناك طعام يكفي لاسبوع[1]، حتى الكبريت والشمع كان موجوداً جاهزاً وسخر الشعب الليبي المسلم لخدمة النصارى واستعبد النصارى الحاقدون المسلمين في حربهم لليبيا واهتموا بطرابلس ولبده وصبراته وشحات لجعلها دعاية للحكومة الايطالية ودعوة انحلالية للخمور والدعارة في حوض البحر المتوسط على مستوى عالمي وكانت اهداف الامبراطورية الفاشيستية حسب تعبير الطبل الاجوف موسليني (تغييراً اقليمياً حربياً تجارياً فحسب بل تغييراً روحياً واخلاقياً ايضاً) وعمل على إنسلاخ المسلمين من اخلاقهم ودينهم ورضوا بأن يحصر دين المسلمين في الشعائر التعبدية. وقد أعلن بالبو مرة إنه (لن يكون في ليبيا حكام ومحكومون، وبدلاً من ذلك سيكون فيها ايطاليون كاثوليك، وايطاليون مسلمون، متحدين من جماعة مشتركة كعناصر بناءة في تنظيم جبار للامبراطورية الفاشيستية) وحرموا الشعب الليبي المسلم من كل حقوقه الطبيعية فلا فرصة في التعلم والتعليم والثقافة والتثقيف ولم يكن الفاشيستيون يرون نهاية لوجودهم في بلادنا العزيزة وكانت الطبقة المثقفة الصغيرة اما في المنفى ، او لاصوت لها. وقد أخمدت كل معارضة بقسوة بالغة وأضعف البناء القبلي التقليدي بتعيين زعيم لكل عدد من القبائل والفاشيستيون يأمرون والشعب المستضعف ينفذ بدون سؤال او تعليل وكان التعليل الكافي الذي ربى عليه الشعب (يجب عليك لأنه يجب عليك أن تفعل كذا وكذا) وكانت السياسة التعليمية الايطالية رسمت من اجل تخريج عدد كبير من التلاميذ الليبيين الذين يتكلمون الايطالية ويخلصون الولاء لإيطاليا[2].

وعملوا على القضاء على الاخلاق الاسلامية وبث روح الكثلكة في المدارس بين الاطفال ، والقضاء على مصارف اهل البلاد والتعليم الديني واغلقوا الكتاتيب ودور العلم الوطنية وأكثروا من إقامة دور الفحش ومنعوا الليبيين من اداء فريضة الحج وازداد امتهانهم للدين الاسلامي بدرجة شنيعة فكان من اسوء فعالهم، إن القى قائد طبرق الايطالي بالمصحف الشريف الى الارض، ثم اخذ يطأ عليه بقدمه على مشهد من جماعة من المسلمين (إنكم معشر المسلمين لايمكن أن تصيروا

---

(1) انظر: تاريخ ليبيا ، ص163،160،159،158.

(2) انظر: تاريخ ليبيا، ص170،167،164.

بشراً مادام هذا الكتاب بين ايديكم).
وسخروا المسلمين واستعبدوهم في بناء الطرق والقلاع والمزارع والقرى ونشط المبشرون الطليان في دعوتهم، وعمدت الحكومة الى تشجيعهم وارغمت النساء على التنصير والزواج من الطليان.
وزاحموا أهالي البلاد في الصناعة والتجارة وسيطروا عليها سيطرة كاملة ومنعوا الناس من التظلم ، وقيدوا حرياتهم، فمنعوهم من محادثة بعضهم بعضاً، ومن قراءة الصحف والمجلات والكتب، ومن مراسلة اقاربهم في الخارج، حتى صاروا في سجن داخل بلادهم محرومين من كل صلة تربطهم بالعالم العربي والاسلامي.
لقد كان من احلام الفاشيست اعادة الامبراطورية الرومانية الغابرة فقرروا لذلك امتلاك البلدان الاسلامية القائمة على شواطئ البحر الابيض المتوسط، ثم ابادة أهل هذه البلاد وافنائهم وتحويلها الى رقعة لاتينية ، وانها لوقاحة منقطعة النظير ان يعمل شعب على ابادة شعوب ليحل محلها بالقوة ولكن هذا هو منطق الصليبيين الحاقدين وبلغ استهتارهم، أنهم ألزموا خطباء الجمعة بالدعاء على المنابر لملك ايطاليا، عم نويل الثالث، وعندئذ امتنع المسلمون عن صلاة الجمعة فلما هاج الرأي العام الاسلامي على هذا الفعل، استكتبوا الأئمة تكذيباً بتوقيعاتهم، جاء فيه ان الدعاء كان بمحض ارادتهم، ومن تلقاء أنفسهم ، ومن غير تدخل من جانب الحكومة الفاشيستية!!
فهل رأيت وقاحة ابلغ من هذه؟
وفي عهد بادوليو صاروا يمنعون الناس من اداء الحج ويضعون العراقيل في سبيلهم، حتى يجبروا على تركه.
كان اقبح مافعل المارشال بادوليو إنه امر بأن ترصف (الصالة) في قصره بالبلاط المنقوش عليه (محمد) ﷺ وبعد انتهاء مرحلة الحرب المسلحة كما علمنا نفذ الشطر الثاني من برنامج إبادة الليبيين وإفنائهم، ونعني ذلك ما أغتصبه الطليان من الاراضي والمزارع وإعطائها للعائلات الفاشيستية بالقوة، وترك اصحاب الارض الحقيقين وابناء البلاد يتضورون جوعاً ويخدمون هؤلاء الحاقدين كخدماً وعبيداً[1].
واراد الله ان ينتقم للمجاهدين من الطليان بقدرته وجبروته وعزته وحكمته النافذة التي لا يعلمها كثير من عباده وبعد أن اطمأن النصارى الكاثوليك في ليبيا جاءت الحرب العالمية الثانية قدراً من الله وتسليطاً من الله من ظالم على ظالم {وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون} (سورة الانعام، آية129).
وبعد أن اطمأنت الامبراطورية الايطالية الى سلطانها، ودانت لها الاقطار الليبية من اقصاها الى أقصاها من بعد استشهاد المختار عام 1931م حتى عام 1942م.
احد عشر عاماً من اليأس المطلق الذي لايبشر بشيء من الامل، أهل الحل والعقد الليبيين بعيدين عن البلاد.
نصف الشعب او يزيد اهلكوا، او اخرجوا من ديارهم ظلماً وعدواناً البقية الباقية مستضعفة في بلادها لا حول ولا قوة بها.
غراسياني ينفخ اوداجه، ويختال على ارض المسلمين يمنة ويسرة حيث شاء[2].
ثم جاء من ورائه بادوليو الماريشال العجوز ليتم قصة ابادة الشعب الليبي ويسلم الاراضي الى

---

(1) انظر : حياة عمر المختار، ص172.

(2) حياة عمر المختار، ص185.

رعاع الطليان.

ليل هنا وليل هناك وظلام دامس وظلم مخيم ويأس مرير وذلة اصابت المسلمين وعزة زائفة سيطرت على النصارى الحاقدين وكانت قصة خروج الطليان من بلادنا غريبة جداً ينبغي أن يتدبر فيها ليعلم الناس وليطمئنوا الى عدل الله المنتقم الجبار ولو بعد حين وكانت قصة هزيمة ايطاليا في ليبيا بدأت في الحرب الثانية في سبتمبر وحرصت ايطاليا أول الامر على عدم دخولها حتى اذا رأت فرنسا تنهار على أثر الزحف الالماني الخاطف عليها أعلنت ايطاليا الحرب على انكلترا وفرنسا في 10 يوليو 1940م وبدأ الجبل الاخضر يضيق حول عنق الامبراطورية الجوفاء العرجاء ودخلت ايطاليا الحرب بقيادة زعيمها موسوليني الطبل الاجوف طمعاً في الغنائم ، وكانت توقن ان الارض قد دانت لحليفتها ألمانيا فأخلف الله ظنها وافضى الامر الى زوالها نهائياً من الوجود كامبراطورية صاحبة مستعمرات واندحرت ايطاليا باندحار المانيا في شمال افريقيا، ولم تغرب شمس يوم 7 ابريل عام 1943م حتى كانت جيوش المانيا وايطاليا بقيادة رومل المنهزمة قد اخلت القطر الطرابلسي بأجمعه.

وكانت فرحة عظيمة شاملة عمت قلوب الناس وعبر عنها الملك السابق بقوله: (إني احمد الله الذي جعلني أشهد خروج هؤلاء الطليان الظالمين من بلادنا) وتدفق الليبيون الى بلادهم التي ترعوعوا فيها وأُخرجوا منها ظلماً وزوراً وهكذا استدار الزمان وسلط الله الانكليز على الطليان ونزل العار بهم[1] .

لقد ارادت إيطاليا إبادة المسلمين في ليبيا فبادوا هم وبقي المسلمون في ليبيا واراد غرسياني إعدام المختار فهلك وبقي المختار علماً وقدوة لأجيال المسلمين.

---

(1) انظر: حياة عمر المختار بتصرف ، ص185 الى 188.

الفصل الثالث

الليبيون بين المهجر والاستقلال

المبحث الأول

الليبيون في المهجر

هاجر الليبيون الى تونس والجزائر، وتشاد، وسوريا، والاردن ولبنان، ومصر، والحجاز، وتركيا وتركوا أوطانهم بسبب الظلم والجور الذي وقع من الطليان، وشرعوا في جمع شتاتهم في المهجر استعداداً ليوم قريب تتاح لهم فرصة تخليص بلادهم من الاحتلال الطلياني البغيض وكانت قلوبهم تتقطع شوقاً للرجوع الى ديارهم وتفجرت ملكاتهم الشعرية وتركوا لنا بعض القصائد المعبرة عن الشوق للأوطان.

أولاً: قال الشاعر احمد رفيق في هذه المعاني:

كادت تطير باضلعي أشواقي
يوم الفراق فهل يكون تلاقي
ودعته والله يعلم انني
ودعت راحة قلبي الخفاق
لو كان قبل اليوم يوم قيامة
كان الفراق قيامة العشاق
وطني من الايمان حبك ليس لي
من عليك وأنت ذو استحقاق

ويقول ايضاً:

يا أيها الوطن المقدس عندنا
شوقاً إليك فكيف حالك بعدنا؟
كنا بأرضك لا نريد تحولا
عنها ولا نرضا سواها موطنا
في عيشة لو لم تكن ممزوجة
بالذل كانت ماألذ وأحسنا
عفنا رفاة العيش فيك مع العدا
وأبى شمم النفوس وعزنا

الى أن يقول:

جعلوك مسخرة بايدي صبية

لا يبعدون عن الحمير تمدنا

قالوا لنا جئنا نمدن أرضكم

اين التمدن والذي قالوا لنا؟

هدموا من الأخلاق في أوطاننا

أضعاف ما شادوه فيها من بنا[1]

ثانياً: وقال الاستاذ محمد الطيب قصيدة فاضت من الشعور لامن الشعر كما قال رحمه الله:

ماجنة الحسن إلا في طرابلس

عهدي به وسناها مشترق عال

يابرقة الخير يادار الاحبة ما

أقسى الفراق بقلبي يوم ترحال

وصوت ذكرك (يابرقا) يردده

قلبي فيشغلني عن كل أشغالي

نار الفراق لها في مهجتي شرر

لولا الدموع لاوهت جسمي البالي

دار الاحبة لا أبغي بها بدلاً

فلا بمصر ولا بالشام آمالي

ولا العراق ولا صنعا تغيرني

عن حب (برقة) ولا الخضراء تحلالي

ولا دمشق ولا الدنيا باجمعها

انسى بها برقة الفيحاء من بالي

فهي النعيم اذا ماجئت أذكرها

طاب المقام بها في عصري الخالي

حصباؤها ذهب والتبر تربتها

وماؤها من رحيق الشهد سيال

وأهلها عرب قعساء همتهم

شادوا المفاخر جيلاً بعد أجيال

الدهر يعرفهم أسداً غطارفة

في حالة الجد لا في القيل والقال

عرّج بها يارعاك الله في اسف

وأروى الربوع بدمع منك شتال[2]

ثالثاً: وأما المجهاد بشير بك السعداوي فقد قال:

قالوا تحن الى بلاد وأهلها

---

(1) انظر: برقة العربية ، ص532،531.

(2) انظر: برقة العربية ، ص533،532.

فاجبتهم هي بغيتي ومرادي

تالله لم أشغف بغير طلالها

ولا منيتي مالت لغير بلادي

في حب هاتيك الديار وأهلها

ذابت حشاشة مهجتي وفؤادي

بالله ياريح الصبا ونسيمه

إن زرت يوماً منزلاً لسعادي

أبسط لها شوقي وفرط صبابتي

وأهدي تحياتي لها ووادي

وأخفض جناح الذل عني وقل لها

أسرفت في هجري وفي ابعادي

حر النوى أوها فؤادي وإنني

متهتك متمزق الاكبادي

مذ غردت بالبين اغربة النوى

من بيننا ماذقت طعم رقادي

أمسى سميري في الدجى بدر السما

والبدر جسم لايجيب منادي

فلطالما ناديت في غسق الدجى

حبي فتذهب صيحتي في وادي

لهفي على تلك الديار وأهلها

قوم لهم في المكرمات اياد

لازلت أصبو بحبهم ووادهم

رغما على انف الزمان العادي(1)

وقال أيضاً:

ياحاد الركب حث السير في عجل

نحو المواطن بين السهل والجبل

وقف بذاك الحمى والاربع الدرس

وجول الطرف الاكام والقلل

الى أن يقول:

عهدي بها وأسود الليل رابضة

حول الكنائس لها غاب من الاسل

واليوم قد أصبحت والذل رائدها

وتشتكي دولة الاوغاد والسفل

قوم أحلو بها لا أصل يردعهم

---

(1) انظر: برقة العربية ،ص531.

ولا خلاق سوى الفحشاء والزلل

ظنوا بأن وعدوا أنا نصدقهم

وعندنا وعدهم كذباً بلا خجل

لا تيأس ياربوع العز وانتظري

فإن دولتهم من انقص الدول(1)

لقد ضاق المهاجرون ألوان العذاب في المهجر ومع ذلك فقد واصلوا الجهاد وهم في ديار الهجرة حتى ضاقت بهم ايطاليا ضرعاً وبرز من المجاهدين في مصر السيد ادريس السنوسي الذي قال في حقه الجنرال غراسياني : (إذا أردنا أن نقضي مرة واحدة على العصيان يجب ان يغيب ادريس من عالم الوجود فإذا مات هو مات معه التمرد والعصيان، يجب لتحقيق هذا ان نضغط على مصر حتى تسلمه لنا أو نقض المهمة وراء ستار)(2) وأما في بلاد الشام فقد ظهرت جهود بشير السعداوي واضحة العيان، فقد قام مع إخوانه الميامين بصور شتى من صور الجهاد، فقد شمروا عن ساعد الجد والعمل ، فتأسست في دمشق في عام 1928م (جمعية الدفاع الطرابلسي والبرقاوي بالشام) وانتخب بشير السعداوي رئيساً لها وكانت هذه الجمعية تضم إليها مجموعة من المجاهدين كسكرتير الجمعية عمر فائق شنيب (بك) ، وأمين الصندوق فوزي النقاش ثم عبدالغني الباجقمي، وكامل عياد، وعبدالسلام أدهم، والبمباشي طارق، ومحمد ناجي التركي، ومصطفى بن نوح، وأحمد راسم ، وابوبكر قدوره، وابو بكر التركي، وخليفة بن شعبان، وعمل هؤلاء الاخوة الابطال جميعاً على إعداد البحوث التي تكشف عن أعمال الطليان وفظائعهم في القطر الليبي، وصاروا ينشرونها في الصحف والجرائد، والمنشورات، واظهر بشير السعداوي نشاطاً واسعاً ونشر بحوثاً مقالات كثيرة، وسار عمر فائق شنيب على نفس المنوال. وفي عام 1929م وضعت الجمعية الميثاق الوطني المشهور للشعب الطرابلسي البرقاوي؛ فنصت المواد على التالي:

المادة الاولى: تأليف حكومة وطنية ذات سيادة قومية لطرابلس وبرقة يراسها زعيم مسلم تختاره الامة.

المادة الثانية: دعوة جمعية تأسيسية لسن دستور البلاد .

المادة الثالثة: انتخاب الأمة مجلساً نيابياً حائزاً على الصلاحية التي يخوله إياها الدستور.

المادة الرابعة: اعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية في دووواين الحكومة والتعليم.

المادة الخامسة: المحافظة على شعائر الدين الاسلامي وتقاليد القطر في جميع ارجائه.

المادة السادسة: العناية بالأوقاف وإدارتها من قبل لجنة اسلامية منتخبة.

المادة السابعة: العفو العام عن جميع المشتغلين بالسياسة داخل القطر وخارجه.

المادة الثامنة: تحسين العلاقات والمصالح بين الأمة الطرابلسية البرقاوية والدولة الايطالية بمعاهدة خاصة يعقدها الطرفان ويصدقها المجلس النيابي(3).

وقامت الجمعية بفتح فرع لها في تونس عام 1930م برئاسة محمد عريقيب الزليطني، وحققت الجمعية بعض النجاحات الكبيرة وكان الأمير ادريس السنوسي قد أولا عنايته الخاصة، وأمدها بالمساعدات القيمة ، فيرسل لها الاعانات المالية حيناً وبالمعلومات والاخبار الجديدة عن القطر الليبي حيناً آخر وتمكنت الجمعية من دعم مركزها ومتابعة النشر والقيام بحملة صحفية واسعة

---

(1) انظر: برقة العربية ، ص531.

(2) انظر: برقة العربية ،ص531.

(3) انظر: السنوسية دين ودولة، ص373.

تهيب بالأمة الاسلامية والعربية أن تنهض للوقوف بجانب الشعب الليبي بكل الطرق. ونشرت اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية نص الميثاق وقدمت له بنداء خاطبت فيه مواطنيها في الاقطار العربية، جاء فيه: (أيها الاخوان الاعزاء. إن الواجب يقضي عليكم أن تعملوا لخير بلادكم وذلك بتنظيم صفوفكم وجمع كلمتكم وأن توؤلفوا في كل قطر تسكنونه (جمعية) تلم شعشكم وتجمع شملكم وأن توطنوا نفوسكم على التضحية والقيام بالواجب الوطني؛ فالله لايضيع أجر من أحسن عملا؛ وارفعو أصواتكم بالشكوى مما تلاقيه أمتكم البائسة من مظالم الايطاليين واملؤا الصحف بالمقالات والفضاء بالاحتجاجات وانشروا النشرات وقفوا للحوادث بالمرصاد وانتهزوا الفرصة وفكروا فيما يعود على وطنكم بالنفع؛ فالفكرة الناضجة تكوّن الأمم وتبعث فيها روح اليقظة والانتباه؛ ثم ربوا نشأكم على حب الوطن، والحرية والاستقلال، أرضعوهم هذه المبادئ مع اللبان وانفثوها في صدروهم منذ عهد الصبا ونعومة الاظفار، علموهم مناقب السلف الصالح وأبطال التاريخ والفتح الاسلامي فإنها تبث في نفوسهم علو الهمة وروح الشهامة والمبادئ الوطنية وليكن شعاركم الاستقلال وتخليص وطنكم من الأغلال، وفكروا في الوسائل التي تقربكم من هذه الغاية الشريفة؛ فإن الدولة الايطالية مهما اشتد بها الصلف والغرور إذا رأتنا أمامها أمة ناهضة منتشرة في الآفاق واقفة لها بالمرصاد تحارب الظلم والاستبداد ولا تدين لسنن الاستعمار والاستعباد لابد أن تذعن لمطالبنا الحقة ولميثاقنا القومي الذي عاهدنا الله على تحقيقه ببذل النفس والنفيس والله مع الصابرين)[1].

لقد استطاعت الجمعية أن توسع دائرة نشاطها ، وطلبت من شكيب ارسلان في عام 1929م ان يقف معها لما كان بالحجاز، ولبى الأمير شكيب نداء الليبيين وشرع في نشر مخازي ومظالم الطليان في الصحف والمجلات العالمية والعربية وفي نشرات صغيرة حتى يسهل تداولها وحققت مقالات شكيب هدفها وانتبه العالم الاسلامي لما يفعله الطليان في ليبيا بسبب مقالاته الرائعة التي دبجها بقلمه السيال.

واستمرت الجمعية في نشاطها وتوالت نشراتها تصف فظائع الطليان وتحذر الامة من تصديق دعايتهم الكاذبة المغرضة وتسوق الحجج والبراهين والأدلة على انتهاك ابسط حقوق الانسان في ليبيا، وتفننت في ابتكار وسائل عدة لإيصال هذه النشرات الى داخل ليبيا وبذلت جهوداً عظيمة لتوزيع نشراتها في جميع انحاء العالم العربي، لقد نجحت في حرب الاقلام وشاركت في المؤتمر الاسلامي في القدس وعرضت قضيتها وهذا نص الوثيقة التاريخية التي قدمتها:

رابعاً : وثيقة تاريخية عن القضية الطرابلسية البرقاوية تقدمت بها الجمعية الطرابلسية البرقاوية للمؤتمر الاسلامي في القدس:

بسم الله الرحمن الرحيم

منذ أن أخذ الاوروبيون يشنون الغارة على البلاد الاسلامية بحجة الاستعمار لم تفجع بلاد اسلامية -بعد الاندلس- بمثل مافجعت بطرابلس -برقة، تلك البلاد التي منذ سطا عليها الايطاليون وسيوف نقمتهم لم تبرح اعناق أهلها بدون رحمة ولا شفقة ، حتى آلت الى مجزرة بشرية تمثل فيه أفظع الأدوار الهمجية.

لا نريد أن نطيل البحث في مناقشة الوسائل التي تذرعت بها الدولة الايطالية لاحتلال طرابلس-برقة التي لاترتبطها بها أية علاقة ، ونكتفي هنا بنظرة عامة في تطور القضية الطرابلسية منذ الاحتلال الايطالي الى يومنا هذا، اذ أن المجال لايسمح بسرد جميع الحوادث مفصلة:

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص374.

لقد أغارت الدولة الايطالية على القطر الطرابلسي - البرقاوي في 5 تشرين الاول سنة 1911م على حين غفلة من أهلها، وكان مع خلوه من المعدات الحربية لم يكن به من الحماية العثمانية سوى ثلاثة آلاف جندي مبعثرين في عدة مناطق. بيد أن سكان تلك البلاد الذين كلهم كتلة عربية- اسلامية واحدة قد فطروا على عزة النفس والاباء ولذلك قاموا في وجوه الغاصبين قومة رجل واحد يدافعون عن أوطانهم ويذودون عن حياتهم بقلوب ملؤها الايمان بالله والاعتماد عليه.
واستمرت الحرب سنة كاملة لم تتمكن من خلالها الجنود الايطالية من التقدم شبراً عن مرمى مدافع اسطولهم، الى أن اضطرت الدولة العثمانية الى عقد صلح مع الايطاليين منحت فيها الطرابلسيين استقلالهم الاداري وسحبت جنودها وهي مرغمة.
وعقب ذلك أخذ الايطاليون يدعون اهالي البلاد الى السكينة ويظهرون لهم حسن النية لخير تلك البلاد فوضعت الحرب اوزارها وألقى اكثر اهالي طرابلس وبرقة السلاح وعادت السيوف الى أغمادها. ولكن رجال الدولة الايطالية ماكادوا يظفرون بتجريد الاهالي من السلاح حتى قلبوا لهم ظهر المجن واخذوا يسومونهم سوء العذاب وينتقمون من كل من حرض الناس على قتالهم فيخلقون لهم تهماً واهية ويزجون بعضهم في أعماق السجون ويرمون بالبعض الى جزر ايطاليا.
فثارت ثائرة القوم من تلك الافعال المنافية للعهود والمناقضة للوعود فانقضوا على ايطاليا. وكان اول وقعة دموية جرت وقعة تسمى بوقعة (القرضابية) وهو مكان قرب خليج سرت . جرت تلك الوقعة في اوائل سنة 1914م أضاع فيها الايطاليون ماينيف على (8000) جندي. وعقب ذلك ازداد حقد الايطاليين على الأهلين فانهالوا على العرب بالقتل والتعذيب فقتلوا في يوم واحد من الاعيان ورؤساء القبائل رمياً بالرصاص 300 نسمة في فضاء سرت وأخذوا يقتلون الابرياء الشيوخ والاطفال والنساء والرجال.
وعلى أثر ذلك اشتعلت في بلادنا حرب سرى لهيبها في كل ناحية من النواحي وظلت الفتن تتقد الى أن نشبت الحرب العالمية فأرسلت الحكومة العثمانية بعض القواد العسكريين منهم نوري باشا شفيق أنور باشا الشهير. عندئذ اضطرت الجنود الايطالية أن تنسحب من كل المواقع التي أشغلتها أثناء السلم وتتحصن في مدينة طرابلس، زواره، الخمس، بنغازي ، درنة، طبرق، الى أن انتهت الحرب الكبرى فخرجت ايطاليا منها وعسكرها منهوك القوى لما لاقى من الهزيمة تلو الهزيمة في ساحات الاوروبية.
ورغم ذلك ساقت عدة فيالق من جيوشها الى طرابلس-برقة وجهزت منهم مائة ألف جندي زحفت بهم على خطوط المجاهدين في منطقة طرابلس. وماكادت تدور رحى الحرب بين الفريقين حتى انهزم ذلك الجيش العرمرم شر هزيمة وغنم المجاهدون منهم اسلحة ومعدات حربية كثيرة.
ولما باءت الدولة الايطالية في تلك التجربة بالفشل وعلمت أنها غير قادرة على اخضاع الشعب بقوة الحديد والنار عمدت الى التضليل والتمويه فسنت قانوناً سمته "القانون الاساسي" وأعلنته في سنة 1919م ومع أنه جاء غير ضامن لحقوق الاهلين قبلو به بغية حقن الدماء وراحة الفريقين وانتظروا من رجال الحكومة الايطالية تنفيذه ثم مالبث أن ظهر انهم اتخذوه غشاوة على أعين الناس واخذوا يبثون بذور الفساد من وراء الحجب ويوزعون على بعض سخفاء العقول المبالغ الطائلة من الاموال والسلاح والذخائر الحربية لايقاد نار الفتن بين الأهلين والتفريق بين الوطن وبين الاخ وأخيه.
وكادوا يصلون الى رغائبهم ويوقعون البعض في تلك الحبائل التي نسجتها اياديهم الأثيمة، لولا أن عقلاء البلاد ادركوا تلك الدسائس وتلافوا الأمر بعقد مؤتمر عام في مدينة غريان ضم نخبة من رجالات البلد في سنة 1920م فتبادلوا الآراء وفكروا فيما ينقذ البلاد من الفتن والفوضى.
وكان الجيش الايطالي وقتئذ كما ذكرنا منحصراً في بعض المدن الساحلية وبعد المداولة في

جلسات متوالية قرروا الاجماع مايلي:
(ان الحالة التي آلت إليها البلاد لا يمكن تحسنها إلا بإقامة حكومة قادرة ومؤسسة على مايحتمه الشرع الاسلامي من الأصول تحت زعامة رجل مسلم منتخب من الأمة لا يعزل إلا بحجة شرعية واقرار مجلس النواب، وتكون له السلطة الدينية والمدنية والعسكرية بأكملها بموجب دستور تقره الامة بواسطة نوابها وان يشمل حكمه جميع البلاد بحدودها المعروفة.
وقد تناقش المؤتمر في ذلك لايتنافى منافع دولة ايطاليا التي جاءت الى وطننا من أجلها مع اللزوم القطعي لراحتنا وسلامتنا وبين ثقته في ان الشعب الايطالي لا يرضى في هذا الزمن الذي تنال فيه كل الامم أكبر أمانيها، أن يقيم نفسه من أجل مطامع وأوهام فئة المستعمرين عقبة في سبيل النظام والامن والعدل في طرابلس الغرب ولذلك لاتزال للأمة ثقة في أن تسعف بضرورياتها وان لاتصادم في أمنية لاترضى ولا يستقر لها حال بغيرها.
وقد أنبنا للمطالبة بذلك وفداً من حضرات نوري بك السعداوي ومحمد خالد بك القرقني ومحمد فرحات بك ومحمد الصادق بك ابن الحاج ليراجع كل مصدر يرى ضرورة مراجعته لتحقيق الغاية المذكورة في القرار المبين أعلاه داعين المولى جل شأنه أن يوافقهم وان يحقق أماني أمتنا.
حرر في 6 ربيع الاول سنة 1339هـ.
ثم انتخب المؤتمر هيئة حكومية عهد إليها ادارة شؤون البلاد الداخلية التي عمت فيها الفوضى بسبب الفتن التي خلقها رجال الحكومة الايطالية . وذهب الوفد المشار إليه في ذلك الحين الى رومية ليبلغ حكومتها ما أجمع عليه الشعب من المطالب وأخذ يراجع المقامات الرسمية وغير الرسمية فلم يكن حظي من رجال الحكومة الايطالية سوى الاعراض والاستخفاف بمهمته.
أما هيئة الحكومة الوطنية التي عهدت إليها ادارة شؤون البلاد فإنها أخذت في اقرار دعائم الامن وتنظيم الشؤون الادارية كالدوائر المالية والقضائية وتنظيم الجيش لما سيحدث من الطوارئ فساد الامن ورجعت الطمأنينة بعد الخوف الذي استولى على النفوس وانصرف الاهلون الى معائشهم ومصالحهم.
أما منطقة بنغازي فان نوري باشا الذي اوفدته الحكومة العثمانية إليها خلال الحرب العالمية حمل الاهالي على التعرض على القطر المصري وهي خطة رسمتها وزارة الحربية العثمانية فجهز جيشاً مؤلفاً من "5000" فجاهد بالاتفاق مع السيد أحمد الشريف السنوسي وتجاوزا به الحدود المصرية وترك السيد أحمد الشريف وكيلاً عنه في برقة ابن عمه السيد ادريس السنوسي.
ولما دخل المجاهدون الحدود المصرية اصطدموا بالجيوش الانكليزية وبعد حروب بين الفريقين تراجع المجاهدون بصورة غير منظمة وخلال ذلك عمت الفاقة منطقة برقة واشتدت المجاعة.
فرأى السيد ادريس من الحكمة أن يعقد هدنة مع الإيطاليين وأوقف رحى الحرب وبعد انتهاء الحرب الكبرى بايعه الشعب البرقاوي بالامارة ووافقت على ذلك الحكومة الإيطالية بمقتضى معاهدة عقدت بين الفريقين.
بيد أن رجال الحكومة الإيطالية كعادتهم في كل عهد يعقد معهم أخذوا ينقضون العهود، فاضطر الأمير السيد أدريس أن يوحد مساعيه مع حكومة طرابلس الوطنية وعقدت الاتفاقية بين الفريقين المعروفة باتفاقية (سرت) المتضمنة توحيد القطرين الشقيقين والتضامن على المطالبة بحقوقهما معا، وتنص المادة الخامسة من هذا الاتفاق على توحيد الزعامة وتنصيب أمير واحد للقطرين.
وما كادت هذه الاتفاقية تتم حتى هاجم الإيطاليون سواحل مصراته في منطقة طرابلس سنة 1922م فأعلنت الحكومة الوطنية الحرب في كل المناطق واستمرت الحرب بشدة هائلة ثلاثة أسابيع عجز الإيطاليون خلالها عن التقدم ولو كيلومتراً وضحت البلاد بألوف الخلق في سبيل الدفاع، كما أن الإيطاليين خسروا أضعاف ذلك لأنهم كانوا المهاجمين. ولما أيقنوا بالخيبة والفشل

طلبوا توقيف القتال بغية التفاهم وانتدبوا للمذاكرة السنيور (بيلا) والسنيور (رابكس) وخرجا في الموعد المضروب الذي قررته الحكومة الوطنية في مكان يسمى (فندق الشريف) وقد كتبت الحكومة الوطنية للوالي الكتاب الآتي: (باندفاع أسلافكم مع تيار الفتنة و التفريق حدثت في البلاد حالة فوضوية وقفت الحكومة الإيطالية أمامها موقف المتفرج فاضطرت الأمة إلى عقد مؤتمر في غريان بلغت مقرراته الصائبة إلى الحكومة وأرسلت وفدها للمطالبة بما أجمع عليه المؤتمر فلم يكن حظه إلا الأعراض والاستخفاف بمهمة ذلك الوفد مع استمرارها على خطة المراوغة و التفريق.
ولما حال الحوار على وفدنا وهو يستعطف المصادر الرسمية وغير الرسمية والحكومة مصرة على تلك السياسة المنفردة. وتحقق أهل القطرين طرابلس - برقة أن حياتهما محفوفة بالخطر في الحال والاستقبال وان ماداهم أحد القطرين لابد أن يحيق بالآخر لما بينهما من العلائق المادية والمعنوية لاسيما ان ادارتهما إلى عهد الاحتلال واحدة عندئذ تبادل عقلاء الفريقين المراسلات والآراء فيما يضمن الراحة ويفسح مجال الاخاء ويسهل سير الأمتين العربية والإيطالية في سبيل الحياة الاقتصادية مع المحافظة على حق إيطاليا السياسي.
فقرر الفريقان بالاجماع في سرت اتفاقية من جملة فصولها المطالبة بتوحيد ادارة القطرين وهو الحل النهائي الذي لايبقى معه ريب لهذه القضية المعضلة التي لاتريدها سياسة المراوغة والتفريق وطول الأمد الا تحكيما في عقد الخلاف فتصبح من الأمراض المزمنة ويعسر حلها فضلاً عما تصاب به الأمتان من الخسارة ومايفوتهما من المنافع كما لايخفى. أما نحن أهل القطرين فان الأدوار المحزنة والتجارب المؤلمة أرشدتنا إلى صورة حل هذه المشكلة حلا لاحظنا فيه المنافع الإيطالية سياسية كانت أو اقتصادية وهو أن تؤسس حكومة نيابية للقطرين يرأسها رجل مسلم تنتخبه الأمة وتكون له السلطات الإدارية جميعها مع السلطة الدينية ولانظن أن الحكومة لاتستحسن هذا الحل المفيد ان تجردت عن ملاحظة الأشكال والاعتبارات ووجهت دقيق نظرها إلى الحقائق والجوهريات. كنا قررنا مهادنة للتفاهم والمفاوضة وعلمنا خلالها أن سفركم إلى روما بقصد التفاهم مع حكومة جلالة الملك والحصول على إذن وصلاحية واسعة تخول لكم المفاوضة معنا للوصول إلى مايرفع الخلاف الذي لاتتحمل البلاد دوامه ورعاية لأحكام اتفاقية سرت المذكورة فانا في انتظار مندوبي برقة الذين قرب وصولهم بالنظر لاشعار سمو الأمير السيد محمد ادريس ومتى وصلوا يتعين الزمان والمكان للمذاكرة التي لاتشك أنها ستبنى على أساس الاخلاص وحسن النية والأمل وطيد في أن دولتكم ستضم إلى تاريخ حياتكم السياسية فخراً آخر في حل المشكلات واقبلوا يادولة الوالي عاطر التحية وفائق الاحترام.
وبعد استمرار المذاكرة ثلاثة أشهر والإيطاليون يراوغون في أحاديثهم مراوغة الثعالب تبين أن الغاية من توقيف القتال وتلك المذاكرة الاستفادة من الوقت لاعداد العدة للحرب وقد تجلت فكرتهم هذه في تكليفهم الأخير وهو طلبهم تسليم السلاح الذي بيد الأهلين قبل كل حل وإلا الحرب، عندئذ لم تر الحكومة الوطنية بداً من رفض هذا الطلب وخوض غمار الحرب، واستؤنف القتال الذي لم يزل شرره يستطير من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا.
إن الحكومة الإيطالية بعد أن اتخذت كل مافي وسعها من الوسائل لتفريق كلمة أبناء البلاد ولم تنجح ورأت ذلك الشعب متضامناً مستميتاً في سبيل الشرف والمطالبة بحقوقه عمدت إلى تنفيذ سياسة الشدة والإرهاق خصوصاً بعد استلام الفاشيست زمام الحكم فإنهم أضافوا إلى تلك الشدة فكرة إبادة ذلك الشعب وامحائه لتخلو لهم الديار ويستخلفوا فيها المستعمرين من أبناء جلدتهم الذين ضاقت بهم أرضهم وهكذا أخذ الفاشيست في تنفيذ سياستهم الغاشمة ومابرحوا ينزلون بذلك الشعب العربي ضروب العذاب فلا يرحمون طفلاً صغيراً ولاشيخاً كبيراً.

فإنهم يحكمون البلاد بأحكام عسكرية وأعمدة المشانق منذ الاحتلال حتى يومنا هذا لم تزل منصوبة في كل بلد من ذلك القطر فادارة البلاد تحت حكم عسكري مطلق اليد لايسأل عما يفعل وله في كل لواء وقضاء وناحية حاكم اداري وجميع الدوائر المالية والعدلية والبلدية يديرونها بمعرفتهم وليس للأهلين مشاركة في شؤون بلادهم ولايستخدمون منهم حتى الخدم ولا الحجاب أيضاً الذين يقفون على الأبواب وجميع المعاملة باللغة الإيطالية والأغرب من هذا كله أن جباة الأموال من الفاشيست فيطرحون الضرائب ويجبونها من المكلف وهو لايدري ماعليه ولايعرف بأية نسبة تجبى منه تلك الضريبة بل انه مرغم على ادائها عن يد وهو صاغر واذا سأل سائل عن أساس الضريبة يعد خائناً ويعاقب العقاب الأليم.

وبالجملة فان السياسة المرهقة التي تتمشى عليها الحكومة الفاشيستية لم يسبق لها مثيل منذ ان عرف التاريخ، فسفك الدماء وقتل النفوس البريئة والتجاوز على الأعراض والنفي والحكم بالسجن المؤبد وسلب الأموال وغصب الأملاك والأراضي من أيدي أصحابها وقذف البشر من الطائرات وإلقاء بعضهم مكبلين بالأغلال في لجج البحر وقتل الأسرى وهتك حرمات الدين ودوس القرآن الكريم تحت الأقدام أمام جماهير من المسلمين وهدم أضرحة بعض الصحابة الكرام والأولياء واتخاذها اصطبلات للحيوانات والترنم بالأناشيد في الطعن بالدين الإسلامي فحدث عن ذلك ولاحرج، ولانريد أن نأتي في هذه العجالة على ذكر الفظائع التي كتب فيها تأليف خالص يغنينا عن التفصيل فان فيه من الفظائع ماتتفطر منه الأكباد ويذيب الفؤاد.

ومنه يعلم القارئ أن سياسة الفاشيست في ذلك القطر ترمي إلى إبادة أهله فقد كان عدد الشعب الطرابلسي - البرقاوي قبل الاحتلال الإيطالي يربو على (1.500.000) نسمة وقد صرح الجنرال غريسياني قائد الحركات العسكرية إنه بعد الاحصاء الدقيق تبين أن سكان طرابلس - برقة لم يتجاوز عددهم (700) ألف ولاريب من أنهم قد أفضوا على ذلك الشعب المسلم بين قتل وتهجير والبقية الباقية ايضاً محكومة بالفناء لأن الضغط الشديد وشد الخناق على الاعناق لابد أن يؤدي الى تلك النتيجة وعدا ذلك فان مرافق الحياة في تلك البلاد قد استولى عليها جميعاً فالمسلم لايتمكن من الاشتغال بالزراعة ولا بالتجارة و بأية حرفة تؤمن معاشة فالتاجر لايمكنه التوسع بالتجارة والتحول في البلاد لتوسيع نطاق عمله بل أنهم يحددون له المبالغ التي يمكنه أن يتاجر بها والايام التي يمكنه التي يتغيبها في الاقطار المجاورة وصنف البضاعة واذا تغيب عن الاجل المضروب له او تاجر بأصناف غير مسموح له تسحب من يده إجازة ويعاقب؛ زد على ذلك أنهم أطفأوا نور العلم وتركوا ذلك الشعب يتخبط في دياجيرالجهل فلم تكن في تلك البلاد إلا بضع مدارس ابتدائية اسست في عهد الترك يعلمون فيها الاطفال باللغة الايطالية للوصول الى اماتة اللغة العربية حتى لاتبقى ناحية من مقومات ذلك الشعب إلا ويقضى عليها القضاء المبرم.

ولما رأت الجاليات الطرابلسية البرقاوية التي تقطن مختلف الاقطار الاسلامية ما أحاط ببلادها من الاخطار فكرت في تأليف لجنة للدفاع عما حل ببلادها من الضيم الفظيع والظلم المريع وانتخبت هذه اللجنة ووضعت اساساً لعملها "الميثاق الوطني" وهذه مواده:

1- تأليف حكومة وطنية ذات سيادة قومية لطرابلس - برقة يرأسها زعيم مسلم تختاره الأمة.

2- دعوة جمعية تأسيسية لسن دستور البلاد.

3- انتخاب الامة مجلساً حائزاً على الصلاحية التي يخوله اياها الدستور.

4- اعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية في دواوين الحكومة والتعليم.

5- المحافظة على شعائر الدين الاسلامي وتقاليد القطرين في جميع أرجائه.

6- العناية بالاوقاف وادارتها من قبل لجنة اسلامية.

7- العفو العام عن جميع المشتغلين بالسياسة داخل القطر وخارجه.

8- تحسين العلاقات بين الامة الطرابلسية البرقاوية والدولة الايطالية بمعاهدة يعقدها الطرفان ويصدقها المجلس النيابي.
ومنذ تأسست هذه اللجنة أخذت على عاتقها القضية بشتى الوسائل الداخلية في حيز امكانها فأذاعت على الملأ السياسة الهوجاء التي تتمشى عليها الدولة الايطالية في تلك البلاد بواسطة الصحف والنشرات والرسائل وهي ترسل في كل موسم حج الى مكة المكرمة عشرات الآلاف من النشرات لتحيط المسلمين في جميع الاقطار علماً بما هو حادث في تلك الديار النائية ولم تكتف بذلك بل خاطبت طاغية الفاشيست وبينت له عقم سياسة الحديد والنار التي يتعقبها في طرابلس وبرقة ولكن نصحها له لم يزده إلا غروراً وعتواً كبيراً وقد اقتنعت بعدم الفائدة من مراجعة أولئك الطغاة الذين لا يرضيهم إلا تمزيق اللحوم والولوغ في دم البشر.

لذلك يتحتم على المسلمين الاهتمام باخوانهم في الدين والقومية في تلك البلاد النائية اولئك المساكين الذين تقطعت بهم الاسباب واعوزتهم الوسائل وسدت في وجوههم السبل إلا سبل الموت وفي الموت راحة البائسين ولطالما ملأنا الفضاء بأصواتنا ورفعنا شكوانا الى العالم الاسلامي ليصرخ في وجوه وحوش الفاشيست عساهم يرجعون عن غيهم ويؤوبون الى رشدهم رحمة بالانسانية وشفقة على البشرية ولكن انى للمسلمين الذين تفرقت كلمتهم وانحلت عرى جامعتهم أن يتضامنوا على القيام بمثل هذا الواجب، ولما كان المؤتمر الاسلامي الموقر من ضمن واجبه التفكير في مثل هذه الشؤون الهامة فها أننا نبسط بين يديه قضية من أهم القضايا التي يجب العناية بها فان ذلك الشعب المفجوع في وطنه ودينه اذا لم تشمله عناية المخلصين من اخوانه المسلمين الذين يهمهم أمر الدين سيصبح "لاسمح الله" أثراً بعد عين وفي ذلك مافيه من المسؤولية الكبرى والبلاء العظيم.

فيا أيها السادة الاكرام.

إن الشعب الواقف في وجوه أعدائكم منذ احدى وعشرين سنة هو منكم، والدين المهان في تلك الديار هو دينكم. وأولئك الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الله همّ شهداؤكم ، هنالك في تلك الصحارى المحرقة والفيافي المقفرة اخوان لكم {صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا}.

أجل . إن إخوانكم في تلك الديار النائية يستصرخونكم ويناشدونكم الله أن تعملوا على معالجة شؤونهم ونشلهم من براثن الاعداء قبل أن يقضى عليهم فيموتوا وبذلك تفقدون قطراً اسلامياً فتحه جدودكم الكرام ودفعوا فيه راية الاسلام منذ اربعة عشر قرناً.

وقد اصبيت اليوم تلك التربة التي خضبت بدم الشهداء تخيم عليها سحابة سوداء تمطر ظلماً وجوراً على أخوانكم البؤساء، هناك تسمعون الصراخ والعويل والبكاء والنحيب، هنالك الانسانية المعذبة ،

هناك تحار الأفكار وتزيغ الابصار، ولا منجد ، ولا مغيث، ولا معين.

فإن تلك البلاد طائفة من المسلمين لم يزالوا شاكين السلاح يذودون عن أوطانهم ويدافعون عن كيانهم وعدوهم الجائر يتربص بهم الدوائر، فنرجوا أن تفكروا فيما يخفف عنهم المصائب التي تحل قبل أن تمزقهم القوى الغاشمة ولا نخال إنها تعوزكم الوسائل لمد يد المساعدة لاولئك البؤساء وأنتم رجال الاسلام الذين يمثلون (400) مليون مسلم في الكرة الارضية والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه[1].

رئيس اللجنة التنفيذية للجاليات
الطرابلسية البرقاوية
بشيرالسعداوي
26 رجب سنة 1350هـ
6 كانون الاول سنة 1931م

لقد تزعم اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية السيد بشير السعداوي ويعتبر من الشخصيات الفريدة في التاريخ الليبي المعاصر، فقد قام بدور فعال في حركة الجهاد التي كانت تتصدى للاستعمار الايطالي في ليبيا، وبعد أن أخضعت إيطاليا منطقة طرابلس بالكامل وتوقفت حركة الجهاد من الاقليم اختار بشير السعداوي العيش في المهجر ولكن نشاطه الجهادي السياسي المعادي للاستعمار الايطالي في الخارج لم يتوقف، وظل يحرض الليبيين على الصمود في وجه الممارسات الايطالية الغاشمة وأخذ يحث الدول والشخصيات العربية والاسلامية على مساندة الشعب الليبي، وتقديم كافة صور الدعم الممكنة له، واستفاد من عمله كمستشار للملك عبدالعزيز في التعريف بالقضية الليبية.

استمرت الجمعية الطرابلسية البرقاوية في عملها وفي عام 1940م أعيد تشكيل الجمعية من جديد في دمشق برئاسة الدكتور كامل عيد يضم إليه نخبة من أفاضل المجاهدين، كالسيد عبدالغني الباجقمي أميناً للسر، وابي بكر قدورة وغيرهما، وبقيت الجمعية تعمل من ذلك الحين تحت إرشاد الامير ادريس وتوجيهاته[2].

خامساً: ايطاليا تحتل الحبشة:

كانت ايطاليا تسعى حثيثاً لتحقيق طموحاتها الجنونية الهادفة الى انشاء امبراطوريتها القديمة في افريقيا الشرقية ولذلك أغارت على الحبشة واحتلتها بالقوة، وتمت السيطرة التامة في عام 1936م وكان الليبيون المجندون من قبل ايطاليا وقوداً لتلك المعارك المحرقة حاولت عصبة الامم ان تنزل العقوبات الاقتصادية على ايطاليا ولكن بدون جدوى واصبحت الحبشة جزءاً من امبراطورية ايطاليا واتخذ ملكها لقب امبراطور اثيوبيا وكان من نتائج ذلك الاحتلال أن تغيرت العلاقات بين بريطانيا وإيطاليا لمصلحة المجاهدين في ليبيا.

وقامت بريطانيا بالاتصال بالامير ادريس عن طريق الكولونيل برملو (بك) ورتب لقاءً بين ادريس

---

(1) انظر: حاضر العالم الاسلامي (385/3).

(2) انظر: السنوسية دين ودولة، ص375.

السنوسي وادميرال الاسطول الانكليزي الرابض بالاسكندرية وتحدث الأدميرال الى الامير السنوسي عن المستقبل الطيب الذي ينتظر بلاده ولكن تلك المقابلة والأحاديث لم تؤتي ثمارها لان بريطانيا لا ترغب في إعلان الحرب على إيطاليا وكان رجال حكومتها شديدي الحرص على السلم في اوروبا باسم سياسة التسكين والتهدئة ولذلك رفعت العقوبات الاقتصادية عن ايطاليا نهائياً في عام 1937م، وترك أمر الليبيين لأهله، وهكذا منطق المصالح ينظر للاحداث.
ومع اقتراب الحرب العالمية الثانية أصبح البريطانيون يسعون لايجاد تحالف قوي مع المعارضة الليبية ومدوا خيوطهم لكافة المعارضين، وخصوصاً أقواهم الأمير ادريس السنوسي.

المبحث الثاني
الحرب العالمية الثانية

إن الحرب العالمية الثانية آية من آيات الله في تصريف أمر الدول والشعوب والأمم وفق سننه وقوانينه في المجتمعات البشرية ومن السنن الواضحة في حياة الأمم أنه عندما تتجبر أمة من الأمم وتعلو في الأرض ويصيبها البطر والكبرياء يهيأ الله لها أسباب الانهيار والزوال قال تعالى: {ألم تر كيف فعل ربك بعاد۞إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد۞وثمود الذين جابوا الصخر بالواد۞وفرعون ذي الاوتاد۞الذين طغوا في البلاد۞فأكثروا فيها الفساد۞فصب عليهم ربك سوط عذاب۞إن ربك لبامرصاد۞} (سورة الفجر، الآيات من 6-14).
وقال تعالى: {وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا} (سورة الاسراء، آية:16).
أي أمرناهم بالامر الشرعي من فعل الطاعات وترك المعاصي؛ فعصوا وفسقوا فحق عليهم العذاب والتدمير جزاء فسقهم وعصيانهم. وفي قراءة {أمرّنا}[1] بالتشديد أي جعلناهم أمراء. والترف وإن كان كثرة المال والسلطان من اسبابه إلا أنه حالة نفسية ترفض الاستقامة على منهج الله وليس كل ثراء ترف[2].
إن هلاك الأمم يكون كذلك بفشو الظلم وعدم إقامة العدل فلقد أمر سبحانه وتعالى بالعدل وحرم الظلم عن نفسه وجعله بين العباد محرماً كما في الحديث القدسي: (ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم حرماً فلا تظالمو)[3].
لقد اختلت الموازين وانعدمت القيم وتحكم الجبابرة الطغاة في المسلمين المستضعفين ووزع المجتمع بين سادة (الايطاليين) و عبيد (الليبيين) وأرادت حكمت الله ومشيئته أن يخلص الشعب المظلوم من القوى الباغية فجائت الاسباب التي قادت الامم المتجبرة الى الحرب العالمية الثانية .

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير (58/5).

(2) انظر: منهج كتابة التاريخ الاسلامي للوابل ، ص65.

(3) رواه مسلم (1994/4) رقم 2577.

بدأت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر 1939 م بالهجوم الالماني النازي على بولندة ، وحرصت ايطاليا في بداية الامر على عدم الدخول فيها حتى اذا رأت فرنسا تسقط أمام الجيوش الألمانية ؛ أعلنت الحرب على انكلترا وفرنسا في 10 يونيه 1940م فمهدت بذلك العمل الى زوال امبراطوريتها الافريقية وانهيار دولتها الفاشيستية في النهاية، وكان دخول ايطاليا الحرب الى جانب المانيا فرصة ثمينة بالنسبة لليبيين في المهاجر وفي أوطانهم ينتظرونها للتحرر والخلاص، واسترداد حقوقهم التي اغتصبها العدو في أعوام طويلة، فما دخلت ايطاليا الحرب حتى شرع الليبيون في العمل، واتصل فريق منهم بالمفوضية الفرنسية بالقاهرة وغادروا مصر فعلاً الى الجزائر حيث اتصلوا بالجنرال (نوجس) واتفقوا معه على أن يجهزوا حملة من الليبيين الموجودين في الجزائر وتونس للعمل ضد إيطاليا في ليبيا إلا أن هذا المشروع لم ينفذ بسبب استسلام فرنسا للزحف الألماني.

وكان الأمير ادريس في مصر يتحين تلك الفرصة بمجرد أن تحقق بأن الحرب العالمية لا محالة واقعة شرع بجمع زعماء الليبيين والتشاور معهم ودراسة احتمالات الموقف، ووضع الخطط المناسبة التي يجب أن يسيروا عليها وعقد الزعماء الليبيين اجتماعاً تاريخياً في منزل الامير ادريس السنوسي بالاسكندرية لبحث المستجدات واتخاد قرار نهائي وكان تاريخ ذلك الاجتماع 6 رمضان 1358هـ/20 اكتوبر 1939م اجتمع فيه حوالي اربعين شيخاً من رؤساء الليبيين وزعمائهم الموجودين بمصر في منزل الامير ادريس في جهة فكتوريا برمل الاسكندرية ، وظلوا يبحثون ثلاثة أيام بتمامها، واسفر تبادل الرأي عن اتخاذ قرار بتفويض الامير في ان يقوم بمفاوضة الحكومة المصرية او الحكومة الانكليزية بشأن تكوين جيش سنوسي مهمته الاشتراك في افتتاح الاقطار الليبية واسترجاع ارض الوطن عند دخول ايطاليا الحرب الى جانب ألمانيا ووقعوا على وثيقة تاريخية مهمة في يوم 9 رمضان 1358هـ/23 اكتوبر 1939م جاء فيها: (بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله، قد اجتمع زعماء ومشايخ الجالية الطرابلسية البرقاوية المهاجرين بالديار المصرية في اليوم السادس من شهر رمضان المعظم 1358هـ بالاسكندرية وتشاوروا في حالتهم الاستقبالية وقر قرارهم على انتخاب من يمثلهم في كل الامور ويعرب عن آرائهم وبذلك وضعوا ثقتهم في سمو السيد محمد ادريس السنوسي الذي يمثلهم تمثيلاً حقيقياً لما له من المكانة الرفيعة في نفوسهم حيث يرونه أحسن قدوة يقتدى بها. وقد قبل منهم ذلك على أن تكون هيئة منتخبة شورية مربوطة به ومربوط بها لتكون الاداة المبلغة والمعربة عن منتخبيها وهي التي تمثل جميعهم تمثيلاً صحيحاً وأن يعين وكيلاً لها يقوم مقامه في حالة الغياب ويكون من أفراد الهيئة في حالة حضوره وللهيئة الحق في تثبيت هذا الوكيل او رفضه بأغلبية الأصوات وعليه حرر هذا التوقيع رؤساء القبائل الطرابلسية البرقاوية. والمولى سبحانه وتعالى يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه)[1].

وكان عدد الذين وقعوا على هذا التفويض من ترهونة مصراته، وبنغازي، وورفلة، وغريان والقصور، والمنفة، والعواقير، والبراعصة ، والعبيد، والمغاربة، والحاسة وغير ذلك من القبائل الطرابلسية والبرقاوية واحد وخمسين شيخاً منهم من المجاهدين القدماء، عبدالسلام الكزة عن قبيلة العواقير، وصالح الاطيوش رئيس قبيلة المغاربة، عبدالحميد العبار، وعون محمد سوف، وأحمد شتيوي ، وعبدالحميد أبو مطاري، ومحمد توفيق الغرياني، وابراهيم احمد الشريف وغيرهم[2].

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص379.

(2) المصدر السابق نفسه،ص379.

وبادرت (جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي) بعقد اجتماع في دمشق في يوم 29 شوال 1358هـ واطلعت على صورة القرار الموقع عليه من زعماء ورؤساء المجاهدين في مصر بتاريخ 9 رمضان 1358هـ/ 23 اكتوبر 1939م ووافقت عليه وقالت في بيان لها: (أن جميع الزعماء ورؤساء القبائل وكبار المجاهدين بدون استثناء اتفقت كلمتهم وتعاهدوا جميعاً على أن يدينوا بالولاء والطاعة والاخلاص لسمو الامير ادريس المهدي السنوسي وأنهم عقدوا عليه الآمال في حالهم ومستقبلهم ليمثل أمام الحكومات والسلطات والهيئات آماني القطر الطرابلسي البرقاوي تمثيلاً حقيقياً صحيحاً، ويتكلم باسم الجميع على أن تكون هيئة منتخبة منهم وله نائب يقوم مقامه عند مسيس الحاجة ، وتليت التوقيعات فتبين أنها هي توقيعات من بأيديهم الحل والعقد في القطر الطرابلسي البرقاوي من الاحرار الذين عاهدوا الله على الدفاع عن الوطن وحقوق الأمة، فكان ماجاء فيه من الغاية السامية ابلغ الأثر في نفوس الجميع لأنه حقق رغباتهم الصادقة في توحيد الكلمة وبرهن على ثبات هذه الامة في المطالبة بحقوقها وولائها بالامارة أولاً وآخراً وهو محط آمال الجميع في الحاضر والمستقبل لإخلاصه للوطن ودفاعه المجيد عنه ولايوجد من يشذ عن آرائه الصائبة ولا من يخالفه في التضحية بالنفس والنفيس في سبيل سعادة الوطن والأمة واعلاء كلمة الله ، قرر الجميع تأييد قرار إخوانهم الطرابلسيين البرقاويين في القطر المصري بدون قيد ولا شرط، وكلفت الهيئة تنظيم هذا القرار الاجماعي للأعراب لسمو الأمير السيد محمد ادريس المهدي السنوسي في الثقة التامة به والولاء الكامل له مادام متمسكاً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ متخذاً التأهبات اللازمة للقيام بعمل جدي حين تدعو الظروف إليه، وهذه تواقيعنا تشهد أمام الله والوطن بعهدنا هذا، ومن ينكث فإنما ينكث على نفسه، والله ولي الجميع)[1].

وشرع ادريس السنوسي في مفاوضة الانكليز، فأسفرت مباحثاته عن السماح له بتشكيل فصائل من القبائل الليبية المهاجرة لاسترداد حريتها واستخلاص بلادها من العدو الايطالي، وإعادة الاستقلال للبلاد، ودعا الأمير ادريس مشايخ القبائل وزعماء المجاهدين الموجودين بمصر أو اولئك الذين كانوا في خارجه وذلك للاجتماع في مكان بالقاهرة في يوم الخميس 8 اغسطس سنة 1940م من اجل دراسة الأحداث والتطورات الأخيرة.

وانعقد الاجتماع قبل الموعد المعين بيوم واحد في احد أحياء القاهرة واستمر البحث طيلة يومي 7، 8 أغسطس، وفي يوم 9 أغسطس سنة 1940م وصلت الجمعية الوطنية الليبية الى القرارات التالية:

1- وضع الثقة في بريطانيا العظمى التي مدت يد المساعدة لتخليص الوطن الطرابلسي البرقاوي من براثن الاستعمار الايطالي الغاشم.

2- إعلان الامارة السنوسية والثقة التامة بالأمير السيد محمد ادريس السنوسي المهدي المبايع له بالامارة على القطرين.

3- تعيين هيئة تمثل القطرين طرابلس وبرقة تكون مجلس شورى للأمير المشار إليه.

4- خوض غمار الحرب ضد إيطاليا بجانب الجيوش البريطانية وتحت علم الامارة السنوسية.

5- تعيين حكومة سنوسية تدير الشؤون اللازمة في الوقت الحاضر مؤقتاً.

6- تعيين هيئة للتجنيد يكون مقرها ضمن مقر الحكومة السنوسية.

7- التوسل لدى الحكومة البريطانية بواسطة الامير المشار إليه بطلب المخصصات اللازمة للتجنيد وإدارة الحكومة وتعيين ميزانية خاصة ونظام مؤقت مستمد من الميثاق الوطني حسب عوائد

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص380.

وتقاليد العرب.

8- تفويض سمو الامير بمراجعة الدولة البريطانية لعقد الاتفاقيات، والمعاهدات السياسية، والمالية، والحربية التي توفي هذه الغاية وتضمن للوطن حريته واستقلاله[1].

وفي يوم 9 أغسطس حضر الجنرال ويلسن الى مكان الاجتماع فأستقبله سمو الامير وألقى الجنرال كلمة على الحاضرين قال فيها: (إن اشتراككم مع قوات صاحب الجلالة في سحق العدو المشترك هو تحرير لوطنكم واسترداد أملاككم وحريتكم واستقلالكم) ثم أضاف أنه على استعداد لتزويد الجيش بكل مايلزمه من أسلحة وعتاد[2].

وقد تحدث الأمير ادريس السنوسي بنفسه عن تلك الأحداث فقال: (عندما أعلنت ايطاليا الحرب على بريطانيا بتاريخ 10 يونيه 1940م اتصل بي في مقر اقامتي بمنطقة الحمام الجنرال ويلسون ، آمر القوات البريطانية في مصر تحت قيادة الجنرال ويفل، وطلب مني المساعدة في المجهود الحربي ضد الايطاليين، فدعوت الزعماء الليبيين الى عقد اجتماع بالقاهرة خلال شهر أغسطس، لمناقشة الاجراء الذي ينبغي لنا اتخاذه لتحديد موقفنا من الحرب، ولم يبد البرقاويون أي اعتراض على انتهاز الفرصة لاستئناف الجهاد ضد الطليان، باعتبار أنه لايمكن أن يعود علينا إلا بالكسب، فنحن لن نخسر اكثر مما خسرنا على أي حال.

ولكن موقف الطرابلسيين كان أكثر حرجاً بسبب الخوف من أن تنتهي الحرب بانتصار دول المحور، فيأخذ عليهم الطليان أنهم حاربوا في صفوف الأعداء، وكنت شخصياً على يقين كامل من أن النصر النهائي سوف يكون من نصيب الحلفاء لأيماني بحتمية انتصار الحرية على الطغيان، وعملت جهدي لاقناع الحاضرين بأن يضعوا ثقتهم في قدرة بريطانيا بحيث نوحد كلمتنا في مساندتها في الحرب.

وجاء قرار الأغلبية (باستثناء بعض الطرابلسيين) معبراً عن الثقة في الحكومة البريطانية، والاعتراف بي مفوضاً عن الليبيين في علاقتهم مع بريطانيا، والاتفاق على انشاء جيش ليبي يسمى (القوة العربية الليبية) للقتال الى جانب القوات البريطانية ضد الايطاليين، فأصدرت تعليمات فورية بالبدء في تجنيد جيش من الليبيين المقيمين بمصر، وعين قائد للجيش ضابط بريطاني برتبة كولونيل (اي عقيد) يدعى بروميلو سبق له العمل في خدمة القوات العربية العراقية، بينما أقيم مركز القيادة بفندق سميراميس في القاهرة. بينما أقيم ضابط الاتصال الكولونيل آندرسون من خيرة المتخصصين في الدراسات العربية، وقد امضى في مصر فترة من الوقت، فخبرته بالشؤون المحلية ساعدت كثيراً في تسهيل انشاء الجيش.

وكان مكتبي في شارع بركات ومحل سكني شقة بالدور الارضي في مبنى من طابقين بشارع حشمت باشا في حي الزمالك... والقوة العربية الليبية تكونت في معظمها من البرقاويين اللاجئين بمصر، ومن ضمنهم بعض المجاهدين الذين فروا بعد اشتراكهم في مقاومة الايطاليين، ولم يلبث الجيش أن وصل الى قوة قوامها أربع كتائب قتالية وكتيبة أركان. وكان مستودع السلاح والذخيرة ومعسكر التدريب يقع عند الكيلو تسعة بجوار الأهرام، استغرقني العمل في الاشراف على تجنيد المتطوعين ومعالجة المشاكل العديدة المتعلقة برفع مستوى القدرة القتالية للجيش الذي كان على أحر من الجمر لخوض المعركة وبعد أول هزيمة لحقت بجيش غراسياني قرب سيدي براني في ديسمبر 1940م وقع في الاسر آلاف الليبيين المجندين بالجيش الايطالي ونقلوا الى معسكرات

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص381.

(2) المصدر السابق نفسه، ص382.

أسرى الحرب في منطقة قتال السويس؛ فأخذت أتردد على تلك المعسكرات لمحاولة اقناعهم بالانضمام الى القوة العربية الليبية وامتنع أغلب الطرابلسيين خوفاً من تعريض عائلاتهم لانتقام الطليان من جهة ولأنهم من جهة اخرى كانوا سعداء بمجرد الخروج من خضم الحرب، وفي الوقت نفسه كانت وحدات الجيش الليبي الناشئ ترسل الى خطوط القتال أولاً بأول حالما ينتهي تدريبها، ومنها كتيبتان شاركتا في معركة الدفاع عن طبرق عام 1941م)[1].

ووجه الامير ادريس نداءً نقلته أمواج الأثير الى شعبه في ليبيا بين لهم فيه تحالفه مع بريطانيا ضد ايطاليا وحثهم على الجهد والعمل للتخلص من الاستعمار الايطالي البغيض[2].

اولاً: الليبيون في الحرب:

قدم الليبيون بقيادة السيد ادريس كل ماعندهم لدعم الحلفاء ضد المحور، وكانت كتائب المجاهدين قد قامت بدور بارز في حرب الصحراء، وكذلك الاهالي المدنيون فقد كانوا يقدمون للجيش البريطاني مساعدات جريئة بعد أن أصبحت بلادهم كلها الى ميدان قتال هائل مزروع بالألغام وكانت قبائل برقة تأوي الجنود البريطانيين الفارين من الاسر، وقامت بتوصيلهم الى مواقع وحداتهم التي ضلوا طريق العودة إليها في بعض الاوقات، وكان هذا الموقف عظيم الأهمية والفائدة للوحدات البريطانية العاملة خلف خطوط الأعداء، مثل مفرزة العمليات الصحراوية البعيدة المدى التي كانت تغير على المواقع الامامية للايطاليين في الصحراء الليبية، ومثل قوة بنياكوف لحرب العصابات التي اشتهرت باسم (جيش بوسكي الخصوصي).

وقد اعترف البريطانيون رسمياً بأهمية المساعدات التي قدمها السنوسيون أثناء الحرب، وذلك حين نوه بها وزير الخارجية ايدن في تصريح ادلى به أمام مجلس العموم البريطاني بتاريخ 8 يناير 1942م[3]، وفيما يلي نصه:

(اتصل السيد ادريس السنوسي بالسلطات البريطانية في مصر قبل مضي شهر واحد على سقوط فرنسا، بينما كان موقفنا في افريقيا متأزماً للغاية، وبعدئذ تم انشاء قوة سنوسية من بين انصاره الذين فروا من الاضطهاد الايطالي في فترات مختلفة خلال العشرين سنة الماضية، وهذه القوة ادت عدة مهام جديرة بالاعتبار أثناء المعارك الظافرة التي دارت بالصحراء الغربية شتاء عام 1940-1941م، كما أنها تقوم بدور فعال في سياق الحملة الجارية حالياً وأود أن انتهز هذه الفرصة للتعبير عن مشاعر التقدير الحار التي تحملها حكومة صاحب الجلالة للمساهمة التي قدمها ويقدمها السيد ادريس السنوسي وأنصاره دعماً للمجهود الحربي البريطاني، ونحن نرحب باشتراكهم مع قوات صاحب الجلالة في مهمة دحر العدو المشترك، وان حكومة صاحب الجلالة المصممة على ألا يعود السنوسيون في برقة بأي حال من الأحوال للوقوع تحت السيطرة الإيطالية مرة أخرى لدى انتهاء الحرب)[4].

ثانياً: وصف آثار الحرب على برقة:

كانت غرب مصر وبرقة مسرحاً لأطول حملة في الحرب العالمية الثانية وضربت المدن والموانئ والقرى والمطارات والطرق والتركيبات التي أقامها الطليان. وتحطم أمل إيطاليا في استعمار ليبيا

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص64، 65، 66.

(2) انظر: ادريس السنوسي للأشهب، ص76.

(3) انظر: الملك ادريس عاهل ليبيا، ص66، 67.

(4) انظر: الملك ادريس عاهل ليبيا، ص67.

وخلال احتلال بريطانيا برقة سنة 1940م-1941م واندحار الطليان أتيحت فرصة الليبيين للجهاد ضد الإيطاليين ومستعمراتهم فلم يقصروا في ذلك وبهجوم رومل الألماني المشهور في ربيع عام 1941م أجبر البريطانيين على التقهقر إلى مصر وبحلول شتاء 1941م-1942م عندما طردت جيوش المحور مرة أخرى من برقة كانت الديار الليبية ترزخ تحت الدمار والخراب.
وقد كتب الصحفي البريطاني مورهيد عن ذلك فقال: المدينة الجميلة (درنة) قد احترقت ونهبت وخربت المزارع الإيطالية وأما بنغازي في شتاء 1941م (فلم تعد مدينة البته) فقد حطمتها المتفجرات الثقيلة وتركتها خالية خربة ومحزنة باردة. وأغلقت المتاجر والأسواق، وتتابع الخراب بعد الخراب واستمر سلاح الطيران البريطاني مدة عام كامل بقصف المدينة ليل نهار حتى أصبحت أثراً بعد عين[1] ومرة أخرى أجبر البريطانيون على التخلي عن برقة. ولم يعودوا لاحتلالها إلا في خريف 1942م للمرة الثالثة والأخيرة. وأقلع الاستعماريون الإيطاليون الذين كانوا قبل سنوات أربع قد حاولوا أن يدفعوها بطابع الاستقرار، ولكنهم فرّوا إلى إيطاليا هاربين. أما بقية المدنيين منهم فقد رجعوا لبلدهم أو هربوا إلى طرابلس براً أو بحراً أو جواً.

تسليم طرابلس:

وفي يناير 1943م كان جيشان من جيوش الحلفاء يلتقيان حول طرابلس جيش مونتجمري الثامن وجيش فرنسي بقيادة ليكلرك الجنرال الفرنسي ويصف حاكم طرابلس الإيطالي الذي سلم المدينة للحلفاء تلك اللحظات الرهيبة بالنسبه له: (كانت تلك المقابلة أول مقابلة مع القوات البريطانية وكنا نتصور أنها ستكون لحظة مهيبة أو عنيفة وكنا نتوقع عدوان المعتدي ونعد أنفسنا لما يجري وأصبح الحاكم واحداً من الفاشيست الكثيرين الذين ذهلوا في ذلك الصباح: (لقد ذهبوا كلهم القادة الذين أقسموا اليمين على الدفاع عن المدينة حتى آخر حجر - كلهم هربوا وأقلعت آخر سفينة اسعاف من زوارة، لاتحمل الجرحى، ولكن تحمل الضفائر الذهبية والصدور المحلاة بالحرير والأوسمة. ويضيف حاكم طرابلس الإيطالي في مرارة: (إن المدنيين الذين لايحملون الأوسمة هم الذين بقوا هناك) وفي صباح 23 يناير تسلّم (مونتوجمري) عند باب بن غشير استلام المدينة بصفة رسمية بحضور الحاكم ونائبه ورئيس البلدية واحتلت بقية البلاد وانتزعت من الهيمنة الإيطالية بينما الطبل الأجوف موسوليني يحث شعبه على تحمّل خسارة طرابلس (بشجاعة ورجولة رومانية) وحينها كان وزير الدولة البريطاني لشئون الشرق الأوسط يعلن بأن قادة الفاشيست بليبيا سيعتقلون، وأن المنظمات الاجتماعية والنوادي الإيطالية ستغلق وأن المدارس الفاشستية ستنتهي.

ثالثاً: أثر الليبيين في القتال:

لعب الجيش الليبي دوراً نشيطاً في حملات 1940-1943 وساعد المدنيون الليبيون جيوش الحلفاء المقطوعة خلف خطوط المحور. وترك المجندون الجيش الإيطالي كلما واتتهم الفرصة، والتحقوا بالبريطانيين وقد انتقد بعض القادة من الليبيين سياسة إدريس في تأييد بريطانيا قبل أن يحصل على ضمانات أكيدة باستقلال ليبيا. وزاد ضغطهم لدرجة إن بعض القادة اضطر أن يهدد بالانسحاب من التعاون مع بريطانيا وكان كل ماوعد به البريطانيون علانية هو أن أعلن ايدن وزير الخارجية في مجلس العموم في 8 يناير 1942 (بأن حكومة صاحب الجلالة مصممة في نهاية الحرب على أن لايرجع السنوسيون في برقة بأي حال تحت السيطرة الإيطالية).

---

(1) انظر: تاريخ ليبيا، ص172، 173.

وإعلان (ايدن) المذكور لم يعد حتى باستقلال برقة، فضلاً عن عدم ذكره لمنطقة طرابلس.
والواقع يمكن أن يفهم منه الانذار المسبق بنية السيطرة البريطانية وقوة أخرى. ومع ذلك، وبعد الرفض البريطاني لحق ادريس في المطالبة باستقلال ليبيا في فبراير 1942م قنع ادريس بالوعود الشفوية التي أعطت له[1] ومعلوم أن الضعيف لايستطيع أن يملي شروطه في عالم السياسة والهيمنة على الشعوب ولكن الضعيف ان دخل في هذه اللعبة عليه أن يسمع ويطيع وينفذ ويرضى بالفتات على الموائد.
لقد اعترفت بريطانيا بالدور الخطير الذي قام به الليبيون في الحرب العالمية الثانية ضد المحور، وتحدثت الصحافة في تلك الفترة عن دور الليبيين في تلك الحرب، فبعنوان (صفحة جديدة في تاريخ ليبيا للمستر هـ.م فوت H.M.Foot، مساعد المعتمد البريطاني في عمان، ونائب الحاكم العسكري البريطاني في برقة سابقاً (مجلة المنتداء الفلسطينية العدد السابع (أكتوبر سنة 1943م) قال:
قليل من الناس يذكر حملة الصحراء الغربية المصرية في الحرب الماضية أيام كنا نحارب عدواً غير جيش ألمانيا الافريقي وغير الجيوش الإيطالية. نعني بهذا العدو جماعة صغيرة من الأعراب كانت تركب الإبل وليس لديها من السلاح إلا النذر اليسير، ولكنها مع ذلك شغلت جزءاً هاماً من القوى البريطانية طول الحرب الماضية تقريباً، ولم يكن بين هؤلاء الليبيين وبين بريطانيا العظمى خلاف، ولكنهم عقدوا النية على طرد الإيطاليين من بلادهم فتصدوا لمنازلة قوى الحلفاء الجبارة.
إن المقاومة التي أبداها هؤلاء العرب القلائل ضد الفرق الإيطالية تلك المقاومة الطويلة الباسلة، لهي قصة رائعة من قصص البطولة، فقد أمضوا في كفاحهم ثلاثين عاماً بين تلال برقة وصحاريها، وفي أثناء ذلك علق زعماؤهم على أعواد المشانق وصودرت أملاكهم وقتلت مواشيهم.
أما الأهالي أنفسهم فانهم سيقوا مع أطفالهم إلى معتقلات كبيرة في صحراء العقيلة ومع كل ذلك لم يدب اليأس في قلوبهم، وإنه ليتسنى للذين خالطوا هؤلاء العرب منا واستمعوا في مضاربهم إلى حديث الثورة التي أشعلوا نيرانها ضد الطليان أن يتفهموا قوة كفاحهم ومابنطوي عليه من مجد وفخار، فكثير من رجالهم مازالوا يحملون آثار جراح بليغة، ويندر أن تجد عائلة منهم لم تصب في فرد من أفرادها على يد الإيطاليين.
إن تلك الشجاعة التي اشتهر بها الليبيون عن جدارة واستحقاق وقد تبدت مرة أخرى في الحملات الأخيرة، فنحن لانزال نجهل قسطاً كبيراً من المساعدة التي قدموها لنا خلف خطوط الأعداء، كما أن مساعدتهم الفردية لكثير من الضباط البريطانيين شواهد ناطقة على الكرم العربي وحب العرب للمجازفة.
يقول هؤلاء الضباط إن كل خيمة عربية كانت بمثابة ملجأ وأن كل عربي كان بمثابة دليل. ومن طريف مايروى أن أحد المدفعيين البريطانيين أصيب بجرح فأواه عربي إلى أحد الكهوف وسهر على راحته ستة أشهر. فلما تماثل للشفاء حمله فوق جمله مسافة 400 ميل وأوصله إلى العلمين. قام العربي بكل ذلك وسلم الجندي الجريح إلى إحدى الوحدات دون أن يعلن عن اسمه أو يطلب مكافأة، وليس هذا الحادث الوحيد من نوعه، فإنه ماكان ليتسنى لمئات من جنودنا أن يعودوا الى وحداتهم دون مساعدة العرب، تلك المساعدة التي كانوا يقومون بها عن طيب خاطر والتي كانت تعرض حياتهم لخطر الموت، ولم يتطرق الوهم الى قلوب العرب حين كنا نتراجع تراجعاً كلياً

---

(1) انظر: تاريخ ليبيا، جون رايت، ص175، 176.

وحين ظن الناس أن الدائرة قد دارت علينا، بل كانوا أبداً على استعداد لتقديم المساعدة.
وقد جرى اثناء احتفال عظيم في درنة أقامه الطليان على أثر استيلاء المحور على طبرق أن كان بين النظارة ضابط بريطاني متخف، فلم يفكر واحد من الاهلين أن يكشف أمره ويفضحه.
ومن الطبيعي أن تتضاءل قوة العرب بعد كفاح دام ثلاثين سنة، فقد انتهت ثورتهم بسقوط كفرة عام 1929م ، وكانت النتيجة أن انتشر الليبيون المنفيون في أنحاء الشرق الادنى، أما الذين بقوا منهم في برقة فقد أرغموا على قبول حكم الموظفين الطليان والقانون الايطالي أيضاً. وشر من هذا أن اللغة الايطالية حلت محل اللغة العربية في المدارس وأخذ الجيل الناشئ ينسى العربية.
ولقد كنت أخشى أن نجد فيهم شعباً متخاذلاً جباناً، ولكن الأمر كان لحسن الحظ عكس ذلك، فالشيوخ والزعماء مستقيمون في معاملاتهم، عادلون في أحكامهم، يتصفون بالشجاعة والصراحة.
نعم إن وقت التخلص من الاضطهاد قد جاء وكان مجيئه في الوقت المناسب -قبيل فوات الأوان- فلو تأخر الخلاص نصف جيل لتمت عملية تحويل الشباب العربي الى خدم أذلاء لايطاليا.
ولو سئلت عن أهم ما يستلفت النظر في برقة لقلت انه النشاط العجيب والعزيمة الماضية يتحلى بها قوم يجمعهم دين واحد، وتجمعهم شجاعة يمتاز بها كل واحد منهم ومقاومة مستمرة للاضطهاد، فقد مضى عليهم ثلاثون عاماً وهم يقاسون الأهوال، وترك ذلك في نفوسهم أثراً سيئاً فهم لايتحلون باللطف الزائد والدماثة التي يتحلى بها العرب في سائر الاقطار، وتنقصهم خبرة الآخرين ومعارفهم، أما التقاليد العربية القديمة وأعني بها الكرم والشجاعة فلا ينازعهم فيها منازع[1].
وأما الاستاذ (ف.بنيكوف) فقد القى محاضرة أذيعت في محطة لندن اللاسلكية في 31 مايو 1947م بعنوان عرب ليبيا الكرام جاء فيها: اشتركت في القتال أثناء الحرب الماضية بين بلدان مختلفة مدة خمس سنوات متوالية ومازلت أستعيد ذكراها جميعاً بالغبطة والسرور لا لشيء سوى لأني رجل حرب وقتال ونزال ولكن المدة التي أحمل لها أطيب الذكريات هي تلك التي قضيتها في برقة بين الاحتلال البريطاني الثاني للجبل الاخضر وتحرير البلاد نهائياً بعد معركة العلمين ومن أسباب ذلك أنني وإن كنت إنكليزياً وربيت في انكلترا على الطريقة الانكليزية إلا أني أجد الحياة مع العرب في الجبل الاخضر أخف ظلاً واسعدها حالاً من الحياة في إحدى المدن الغربية الكبيرة، وهناك سبب آخر هو أني وثقت عرى الصداقة مع بعض رجال القبائل العربية هناك، وهم رجال يمتازون بذكاء ووقار وشجاعة عظيمة وخلال سامية وأخلاق فاضلة ولا تقل منزلتهم في نفسي عن منزلة أي شخص آخر من بنى وطني وجلدتي.
ولعلي أحمل للجبل الأخضر هذه الذكريات الطيبة لسبب ثالث وهو أن العرب هناك علموني طرقاً جديدة في فنون الحرب والقتال علمتها بدوري فيما بعد لزملائي الجنود ومارسناها على نطاق واسع في إيطاليا وغيرها بنجاح وتوفيق.
زرت الجبل الأخضر لأول مرة عندما احتللنا مدينة درنة في سنة 1941م، وهناك وثقت عرا الصداقة والمودة مع كثيرين من العرب، أخص بالذكر منهم الشيخ عبدالقادر بوبريدان والشيخ علي بو حامد وكلاهما من قبيلة العبيدات وبعد بضعة شهور منيت الجيوش البريطانية بنكسات متوالية، واحتل العدو برقة مرة اخرى حتى بلدة غزالة غربي طبرق، وكانت هيئة القيادة البريطانية العليا في القاهرة في حاجة ماسة الى معلومات عن حركات العدو، فأرسلت بناء على طلبي لجمع تلك المعلومات بمساعدة العرب في منطقة تمتد من بني غازي الى غزالة، ومن المهام الاخرى التي كلفت بها أن أنسف مستودعات العدو وطائراته.

---

(1) انظر: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، د. محمد فؤاد شكري، ص107، 108.

أنزلتني إحدى الدوريات مع جماعتي في إحدى الامسيات بالقرب من (بلدة الزلخ) ومن هناك امتطيت صهوة الخيول والجمال الى المكان الذي نقصده، وكان بين أفراد جماعتي عربيان: أحدهما الملازم سعد علي رحومه وهو من الجيش السنوسي التابع للشيخ السيد ادريس السنوسي والآخر جندي عادي، وزرت في المرحلة الاولى معظم قبائل العبيدات الغربية وبعض قبائل البراعصة والدرسة، وقوبلنا في كل مكان بالترحيب الودي وكرم الضيافة رغم أن البلاد بأسرها كانت في قبضة العدو رغم مايتعرض له العرب من أخطار محققة، إذا علم أنهم كانوا يأوون ضابطاً بريطانياً ، وآمل أن يكون كل من السيد عبدالقادر بوبريدان والسيد علي بوحامد مازالا على قيد الحياة الى ألان، وأن يذكرا مجلساً عقدناه في ذلك الوقت مع مشايخ قبيلة العبيدات الآخرين في مكان لايبعد كثيراً على درجة عظيمة من الخطورة والأهمية، بل ويمكنني أن أقول الآن أن الحرب في الصحراء ربما اتخذت شكلاً آخر بدون تلك المعلومات، ويرجع معظم الفضل في ذلك الى اخلاص العرب الذين يرقبوا بعين لا يغمض لها جفن طريق مرتوبة، وأولئك الذين أخذوا يتنقلون من بني غازي الى المرج الى القبة الى درنة الى المخيلي العزيات للحصول على المعلومات عن حركات العدو وخططه الحربية.

وكان جمع المعلومات جزءاً يسيراً من واجباتنا، فمن عملياتنا الهجومية الموفقة العديدة غزوة قمنا بها في شهر يوليو سنة 1942م بمساعدة العرب الذين وضعوا خطتها بدقة ومهارة لنسف مستودع كبير للبترول خارج بلدة العقبة مباشرة، وكانت تدور في ذلك الوقت معركة هامة في عين غزالة، وكان لخسارة العدو تلك الكمية الهائلة من البترول في هذا الوقت الحرج أكبر الأثر في عرقلة عملياته الحربية.

وأصبنا بعد ذلك بنكبات متوالية وفقدنا (طبرق) ولو لم تكن للعرب قلوب قدت من الصلب جرأة وشجاعة لاعتقدوا أننا فقدنا كل شيء ولحاولوا الفرار بأنفسهم، ولكن أصدقاءنا العرب وقفوا الى جانبنا قلباً وقالباً، ولم يخن من سكان الجبل الاخضر باسره سوى شخص واحد يجدر بي أن لا أذكر اسمه لينطوي في زوايا العار والنسيان. وقد ذهب الى الجنرال بياتي القائد الايطالي وأطلعه على أمرنا وأمر محطتنا اللاسلكية، ولكن خيانته لم تجده فتيلاً لأن القبائل ناصرتنا، وطافت بدوريات الجنرال الايطالي في كل مكان إلا المكان الذي كنا فيه فجعلت منهم أضحوكة الصحراء بأسرها.

ولقد غررنا بالعدو مرات عديدة لا يتسع بي المقام لذكرها الآن، ولكن اريد ان اتحدث عن مغامرة لنا قدر لها النجاح والتوفيق بمساعدة اخواننا العرب ، وقد ذهبت في احدى ليالي الصيف الى درنة عقب سقوط طبرق وهناك رسمنا انا والشيخ علي البرعصي خطة لتهريب عدد كبير من الاسرى البريطانيين الموجودين في قبضة الطليان وكان بعضهم في المستشفى وبعضهم الاخر في المعسكر خارج المدينة التي كانت تعج بالجنود والالمان والطليان وأنها كانت تضم بعض العناصر المعادية لبريطانيا في ذلك الوقت وكنت اثناء تلك الغارة ارتدي ملابس عسكرية كضابط محارب ، فلم يكن عقابي اذا وقعت في يد العدو يتجاوز الاعتقال حتى نهاية الحرب ، ولكن اذا قدر سؤ الطالع لأحد زملائي العرب ان يقع في قبضة العدو لكان جزاؤه الموت على حبل المشنقة .

إن انسى لن انسى مأدبة العشاء التي اقامها لي السيد علي قبل رحيلي حيث كنا على احسن ما يكون من البهجة والسرور فيمكنني اذا ان اخفي ما أشعر به من سعادة لذكريات الجبل الاخضر وأنا أعلم ان الاخطار والمشاق والاهوال لم توهن من عزائم رجاله قيد شعرة، بل أطلقت ألسنتهم بالفرح والفكاهات .

ولم اكن الشخص الوحيد الذي نعم في ظل العناية العربية الكريمة بالراحة والامن والطمأنينة فإن مئات من الطيارين والاسرى الفارين وغيرهم ممن ضلوا عن وحداتهم كانوا موضع عناية العرب

وحسن ضيافتهم الى ان اعادوهم سالمين الى صفوفهم ، وتتجلى قيمة هذه المعونة اذا عرضنا ان العرب انفسهم في ذلك الوقت كانوا يعانون نقصاً فادحاً في جميع ضروريات الحياة، فلم يكن لديهم ما يكفي من الملابس، وكان الشاي والسكر أثمن من الذهب، ومع ذلك كانوا لا يتاونون عن التضحية بالقليل الذي لديهم عن رضى وطيب خاطر .

ولعلي اكون مبالغاً اذا قلت ان جميع جنود الجيش البريطاني الذي قاتلت في الجبل الاخضر يدينون بالشكر للعرب، فكثير منا مدينون لهم بحياتهم، وسوف لاننسى كيف مهد ولاء العرب و إخلاصهم وتضحياتهم طريق النصر الاخير الحاسم .

لقد مر عرب برقة على وجه خاص بوقت عصيب حقاً، فقد خاضوا غمار حروب مستمرة متواصلة مدة ثلاثين عاماً فقدوا فيها نصف عددهم ولكن روحهم المعنوية ما زالت قوية جبارة، وما زالوا يعيشون كما عاش آبائهم وأجدادهم من قبل رجال محاربين احراراً .

لقد اتيحت لي فرصة المعيشة مع هؤلاء القوم القليلين في العدد الاقوياء بالروح ، واستطيع أن أقول إني لا أثق في شعب آخر مثل ثقتي بهم وأرجو أن تتاح لي فرصة زيارة أصدقائي في الجبل الأخضر، مرة أخرى، وآمل أن أراهم جميعاً في أحسن صحة وأسعد حال، وقد اتسعت مضارب خيامهم، وزادت أنعامهم، وأصلحت آبارهم ونشر السلام جناحيه على ربوعهم اليانعة الخضراء[1].

هذه بعض الوثائق التاريخية المهمة من بعض ضباط الجيش البريطاني من الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية ضد دول المحور تدلنا على الدور العظيم الذي قام به المجاهدون لتحرير بلادهم من إيطاليا.

رابعاً: اعلان مونتجمري بعد الاحتلال الثالث وحكم الإدارة البريطاني:

وفي أعقاب الاحتلال البريطاني الثالث لمنطقة برقة أعلن الجنرال (مونتوجمري) في 11 نوفمبر 1942م، في رسالة إلى الشعب، بأن المنطقة ستدار من قبل حكومة عسكرية بريطانية حتى نهاية الحرب العالمية، وليس حتى نهاية الحرب في شمال افريقيا. وأضاف قائلاً: (لن تتدخل الحكومة العسكرية في المسائل المتعلقة بالشئون السياسية الخاصة بالمستقبل ولكنها ستحكم بحزم وعدل وبالنظر إلى مصالح الشعب في البلد).

وفي يناير 1943م كانت ليبيا كلها قد احتلت، وأصبحت تحت الحكم العسكري لقوتين: البريطانية في منطقتي برقة وطرابلس، والفرنسية في فزان حسب اتفاق عقد بين الجنرال (الكسندر) الانكليزي والجنرال (ليكلرك) الفرنسي[2].

الطريق نحو الاستقلال:

كان طريق ليبيا نحو الاستقلال فريد من نوعه بالمقارنة مع جميع البلدان الأخرى التي استقلت بعد الحرب العالمية الثانية. ففي سنة 1943م أصبحت القوات الإيطالية، وكذلك سلطتها لا وجود لها

---

(1) انظر: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ص110، 111، 112.

(2) انظر: تاريخ ليبيا، ص176، 177، 178.

في البلد وحلت محلها القوات والسلطات البريطانية والفرنسية. وفي نهاية الحرب اشتركت كل من الولايات المتحدة وروسيا مع بريطانيا وفرنسا كقوى تريد (مصالح) لها في ليبيا، وتريد أن يكون لها دور في تقرير مصير بريطانيا وفرنسا كقوى تريد (مصالح) لها في ليبيا، وتريد أن يكون لها دور في تقرير مصير مستقبلها وكنتيجة لذلك، وجهت حركة الاستقلال، لاكما حدث في المستعمرات الأخرى ضد القوى الاستعمارية الحاكمة، بل ضد المقترحات التي ظهرت في الحوار العالمي حول مستقبل ليبيا والنقطة التي اتفق عليها في هذا الحوار وهي اعتبار الليبيين غير أكفاء لحكم انفسهم وكان الرأي الغالب ان تقسم ليبيا وتوضع تحت وصاية قوتين أو ثلاثة لمدة اربع سنوات بعد الحرب .

وفي سنة 1945م، ظهر رأي قوى ضد استقلال ليبيا وبموافقة الاتحاد السوفياتي أيضاً، وكان الضمان الوحيد الذي أعطي الليبيين حول مستقبلهم هو بيان (ايدن) ولكن لم يطبق إلاّ في منع رجوع الإيطاليين إلى برقة وكان شعبنا المنكوب في تلك الفترة خالياً من قيادة إسلامية رشيدة أو شخصيات إسلامية فعالة إذ جل القادة والدعاة استشهدوا وقتلوا وماتوا في الفترة العصيبة التي سبقت هذه الأحداث فلم تبق إلا بعض الشخصيات السياسية الوطنية الخيرة والجمعية المحلية وبعض القيادات الدينية الضعيفة وزعماء الحركة السنوسية الذين أصبحوا يعانون من ضغط الانجليز وكان تعداد شعبنا قد بلغ أكثر من مليون بقليل، وكانت تجربته السياسية بسيطة وكان مستوى التعليم بينهم منخفضاً. وكانوا فقراء للغاية. إذ كان يقدر متوسط الدخل الفردي 15 جنيهاً في العام.

وقد تلا الحرب انهيار اقتصادي وتضخم خطير وانتشرت البطالة وحطمت الحرب المدن والقرى والمنشآت والطرق وخاصة في منطقة برقة وزرعت الأراضي بالألغام لذا كانت ليبيا سنة 1945م - وهي تحت احتلال جيوش ثلاثة - ضحية حرب وفي حاجة إلى مساعدات اقتصادية وطبية واجتماعية وفنية وغيرها.

وحكمت الإدارة الحربية البريطانية في منطقتي طرابلس وبرقة والإدارة الفرنسية في فزان، حسب شروط اتفاقية (لاهاي) لسنة 1907م الخاصة بالتصرف الحربي والعسكري. واعتبرت ليبيا مقاطعة عدو محتلة. وكانت حكومتها، حسب القانون الدولي، تقوم على أساس (العناية والصيانة. وبقيت القوانين السارية المفعول زمن الاحتلال الإيطالي هي نفسها السارية المفعول بعد ذلك، مع تجريدها من العناصر الفاشيستية ومن سوء حظ بلادنا العزيزة أن تبقى هذه الإدارات الأجنبية العسكرية طيلة تلك السنين العديدة. وأصبحت السلطات البريطانية العسكرية التشريفية والإدارية والسياسية - كلها تصدر عن القائد العام لقوات الشرق الأوسط وعين سنة 1944م العميد (بلاكلي) حاكماً لطرابلس، والعميد (ويوكان كمنج) في برقة[1].

وسيطرت بريطانيا على نواحي البلاد الإدارية واستعانت بعناصر ليبية وطورتها وأعدتها اعداداً يخدم مصالحها وبالنسبة لفزان فعزلت عن طرابلس وبرقة وأصبحت تابعة لفرنسا التي جعلت من فزان قلعة لها في الدفاع عن مصالحها في افريقيا أما بريطانيا فكانت تنظر إلى منطقتي طرابلس وفزان على انهما ذواتي أهمية استراتيجية. وأصبحت طبرق أشبه بوصلة في سلسلة القواعد البريطانية من جبل طارق إلى سنغافورة، بينما صارت قاعدة العدم الجوية مركزاً مرحلياً على طريق جنوبي افريقيا والمحيط الهندي والشرق الأقصى وكانت بريطانيا تفكر في أن تصبح منطقة برقة قاعدة بديلة في الشرق الأوسط إذا ماجلت عن قناة السويس، عند انتهاء الاتفاقية الانجلو-

(1) انظر: تاريخ ليبيا، ص178، 179.

المصرية.

وقبل نهاية الحرب العالمية الثانية دخلت إلى ليبيا قوة غربية ثالثة بإقامة قاعدة (للوجود الامريكي) وهي قاعدة امعيتيقة حالياً والملاحة سابقاً شرقي مدينة طرابلس وقد ذكرت صحيفة (نيويورك تايمز) انفقت الولايات المتحدة الأمريكية حتى فبراير 1945م مبلغ مائة مليون دولار على تطوير قاعدة هويلس (سابقاً). وأصبحت القاعدة الأميركية الأولى في افريقيا التي لعبت في الخمسينات دوراً هاماً في استراتيجية الحرب الباردة، كواحدة من سلسلة القواعد الاميركية من غربي أوروبا وشمال افريقيا وجنوب شرقي آسيا التي تحيط بالكتلة الشيوعية[1].

وهذه الفوضى التي حدثت لبلادنا من أسبابها سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية التي حافظت على سلامة ديار المسلمين من نفوذ النصارى والملاحدة لقرون عديدة، وإن الأمة الإسلامية بدون خلافة رشيدة على منهج النبوة لاتملك لنفسها ضراً ولا نفعاً وتكون العوبة في أيدي الدول الإستعمارية الكبرى بأنماط وأشكال استعمارية متجددة وتصبح لشعوبنا الإسلامية تبعية عميا لغيرها في أمورها العسكرية والسياسية والاقتصادية والتعليمية وما وصل إليه شعبنا من انحدار شديد في مجالاته المتعددة إلا لبعده عن عقيدته وإسلامه ودينه.

خامساً: اعتراض الليبيين لموقف الدول الكبرى من قضيتهم العادلة:

عارض المجاهدون الليبيون موقف الدول الكبرى من قضيتهم، ووجهوا نقدهم وسهامهم إلى الدول الكبرى وخصوصاً الحكومة البريطانية التي لم تلتزم بعهودها مع الليبيين، وبرّر بعض الزعماء أسباب نخالفهم مع بريطانيا بأسلوب علمي أدبي رفيع وهذه وثيقة تاريخية تثبت ماذهبت إليه وهي عبارة عن موضوع كتبه المجاهد عمر فائق شنيب في عام 1945م بعنوان (ليبيا مهد البطولة) قال بعد أن افتتح موضوعه بالبسملة:

إذا استشفيت من داء بداء فاقتل ما أعلك ماشفاكا

كثر الأخذ والرد في قضية ليبيا الباسلة ذات الشعب المحارب في صفوف الحلفاء من سنة 1940، ليبيا التي لم ترضخ للاستعمار الإيطالي فحاربت 21 سنة بلا إنقطاع، ليبيا التي اشترك جيشها وشعبها في طرد العدو منها، ليبيا المضحية بمليون نسمة من خيرة أبنائها في سبيل عروبتها واستقلالها وحريتها، ليبيا التي رفعت رأس العروبة عالياً من سنة 1911 إلى 1945 وكثر عدد الطامعين فيها والمتزلفين اليها - بعد أن كان بعضهم علة شقاء عليها - وتعددت الدوافع فتباينت المنافع، وتضاربت الآراء فكثرت التكهنات وجلها - إن لم أقل كلها - لايخلو من غايات ومناورات ومساومات بعيدة عن محجة الصواب كل ذلك على حساب ليبيا الدامية.

وكل يدعي وصلا بليلى وليلى لاتقر لهم بذاكا

حتى أبهم الأمر لا على المنصفين الذين يهتمون بلب الحقائق ليأخذوا منها درساً وعبرة أو يجابهوا الموقف على ضوءها. بل على الليبيين أنفسهم الذين أصبحوا في حيرة من أمرهم، وبمعزل عما يراد بهم، وهم الذين اشتهروا بالأفعال في ميادين النضال، لابزخرفة الأقوال ولله در من قال:

---

(1) انظر: تاريخ ليبيا، جون رايت، ص180، 181.

إذا اشتبهت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

لذلك رأيت لزاماً علي أن أصرح بالحقيقة الناصعة ولو كانت مؤلمة جارحة من على منبر الصحافة العربية الحرة - التي أخذت في هذه الأيام تشد أزر ليبيا والليبيين - لأضع أمام الرأي العام العربي ولو صورة (مصغرة) عن حقيقة ماقدمه الشعب الليبي من تضحيات قاسية في سبيل حريته واستقلاله ومناصرته للحلفاء في هذا الصراع العالمي الذي قيل عنه إنه دفاع عن المبادئ الانسانية الحرة للتخلص من الوحشية الغادرة. والاستعمار البغيض ليكون على بصيرة من قضية ليبيا العتيدة التي استهتر بها القريب وطمع فيها البعيد والتي لاتنفصل عن قضية العروبة المقدسة بأي حال من الأحوال.

1- أقول لإخواني الليبيين عامة - على اختلاف نزعاتهم وأهدافهم في الطرق الموصلة لوحدتهم واستقلالهم :- احذروا ولاتنخدعوا، ووحدوا صفوفكم تحت راية أميركم، وأن ماترونه الآن في جو السياسة هو الدعاية، وأن ماتتصورونه منها هو الظن، وأن الظن لايغني عن الحق شيئا، فاعتمدوا على أنفسكم وأعدوا العدة لمستقبلكم واشكروا كل من يناصركم لمبدأ العروبة الصادق الذي يحمي الجار ولايرضى العار.

2- وتيقنوا أن كان هناك ثمة عتاب أو لوم أو مايسمى بمسؤولية عما يقع في ليبيا في الحال أو ما يقع لها في الاستقبال فكل ذلك يقع بالدرجة الأولى على عاتق الدولة البريطانية بل وعلى بعض رجالها الذين ائتمناهم على وطننا وأرواحنا، وسلمنا إليهم مقدراتنا وذلك أمام التاريخ والإنسانية والوجدان، وبالدرجة الثانية على أنفسكم أنتم فيما إذا تخاذلتم وتفرقتم وغرتكم الأقوال المعسولة فسبحتم في بحر الأماني المجهولة:

إن الاستقلال يؤخذ ولا يعطى فشجرة الحرية رويتموها بدمائكم وستثمر بمجهوداتكم وتضامنكم: فالدولة البريطانية هي الدولة الوحيدة التي اشتهرت ببعد النظر وتقدير العواقب، ولكنها مع ذلك في هذه القضية الهامة إن لم أقل أضرت بمصالحها الخاصة وبمصالح الليبيين عامة أقول بصراحة إنها نسيت أو تناست لسوء حالها أو لسوء حظنا موقفها في سنة 1940 عندما كانت واقفة في الميدان تجاه القوة الغازية الفاشستية وحدها بلا حليف ولامعين، مصيرها معلق في كفة القدر، والعدو في إبان منعته وسطوته يتقدم في الأراضي المصرية بعد أن احتل موقع (سيدي براني) وقد طعنت يومذاك فرنسا الذي يقول عنها زعيمها المحنك الجنرال ديجول اليوم: (يجب أن تعاد مستعمرات إيطاليا إليها)! طعنت من الخلف فركعت على ركبتيها مسلمة للعدو، ولكن صدق من قال:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام

ففي تلك الساعة العصيبة القاسية - على بريطانيا العظمى - كما قال عنها وزير خارجيتها المستر ايدن في تصريحه لمجلس النواب البريطاني يوم 7 يناير 1942 ماندرجه بالحرف الواحد: (إني أصرح بأن السيد ادريس السنوسي اتصل بالهيئات المسؤولة بمصر خلال شهر من انهيار فرنسا في وقت لم يكن الموقف العسكري في افريقيا ملائماً لنا على الإطلاق، فتألف جيش سنوسي يضم الذين تخلصوا من نير الظلم الإيطالي بين حين وآخر في خلال العشرين سنة الماضية وقام هذا الجيش بمساعدات قيمة أثناء القيام بتلك العمليات الحربية الموفقة في الصحراء الغربية في شتائي 1940م و 1941م. وهو الآن يقوم أيضاً بنصيب قيم في الحملة العسكرية الحالية فانتهز هذه الفرصة لأعبر عن التقدير العام الذي تحمله حكومة صاحب الجلالة البريطانية للنصيب الذي قام به وما زال يقوم به السيد إدريس السنوسي وأتباعه في المجهود الحربي البريطاني وإننا نرحب بتعاونهم مع قوات صاحب الجلالة البريطانية في مهمة سحق العدو المشترك. وقد وطدت حكومة صاحب الجلالة البريطانية عزمها على أنه متى انتهت الحرب لن تسمح بوقوع السنوسيين في برقة

تحت النير الإيطالي مرة أخرى بأي حال من الأحوال).
قلنا في تلك الساعة العصيبة التي كانت فيها أعظم الدول ومنها فرنسا - لا الشعوب الصغيرة - ترتعد فرقاً وتنهار سراعاً تحت ضربات النازية الفاشستية الخاطفة، نعم في تلك الساعة الرهيبة التي اقتنعت فيها الدول والشعوب بأن زوال بريطانيا من الوجود شيء مقدور، بل وأصبحت تحدد لانهيارها الأيام لا الشهور تقدم أمير ليبيا الشجاع غير هياب ولا وجل وعقد مجلساً حربياً ضم ممثلي البلاد من قادة الحركة الوطنية قديماً وحديثاً - وهم بقايا السيوف الأماجد ولم ينفض اجتماعهم التاريخي الذي حضره الجنرال ولسن يوم 9 أغسطس 1940 وخطب فيهم قائلاً: (إن اشتراككم مع قوات صاحب الجلالة في سحق العدو المشترك هو لتحرير وطنكم واسترداد أملاككم وحريتكم واستقلالكم) ثم أعلن الحرب على إيطاليا وانضم إلى الحليفة البريطانية في إبان محنتها وقدم لفخامة الجنرال ولسن قرار الجمعية الوطنية الليبية الذي رفعه بدوره إلى لندن، وبعد أن استعرض ما اتفق عليه زعماء المهاجرين بقيادة زعيمهم الأكبر ادريس السنوسي قال.
على هذا الأساس الواضح بني جهاد ليبيا لحريتها واستقلالها، وعلى هذا الأساس سلمت ليبيا بأرواح أبنائها وثروتها ومدنها لبريطانيا العظمى، ولم يمض على هذا القرار برهة وجيزة حتى تكون الجيش الليبي بضباطه وجنوده تحت علمه الوطني الذي استعرضه الجنرال ولسون في احتفال عسكري رسمياً، حيا فيه العلمين: الإنجليزي والليبي فأعجب به، وقد اشترك هذا الجيش فعلياً في كل المعارك الدامية في سيدي براني وفي حصار طبرق، وفي طرد العدو من الوطن، وفي كل موقعة رأت القيادة العامة البريطانية وجوده فيها ضرورياً خلف خطوط الأعداء وخارجها وفي الجبهة نفسها وعلى قناة السويس وفي فلسطين وغيرها - بكل شجاعة وبسالة وحزم.
وهل اكتفى أمير البلاد المطاع بذلك؟ كلا. بل أرسل الرسل إلى المدن والقرى ومواطن البادية ونشر في طول البلاد وعرضها أوامر كانت موفقة. ووقع النشرات التي كانت تلقى على الشعب من الطيارات واستصرخ الشعب لمناصرة بريطانيا من محطات الاذاعة وزود ضباط الاستعلامات البريطانية الذين يعملون خلف خطوط الاعداء سراً بالرجال الامناء والتوصيات للزعماء وأهل الوطن لاخفائهم وارشادهم ومدهم بالمساعدات والمؤن.
فهب الشعب الليبي على بكرة أبيه رجالاً ونساءً شيباً وشبانا كل يعمل على قدر إستطاعه خلف خطوط الاعداء في إخفاء ضباط الاستعلامات وتموينها وإنقاذ الجرحى وتمريضهم واخفائهم وتهريب الاسرى من الضباط والجنود البريطانيين والطيارين الذين وقعوا في قبضة الاعداء وإبلاغهم مأمنهم وإظهار عورات الاعداء بواسطة الأدلاء على محال قواتهم واستحكاماتهم وطيرانهم ووقودهم. وتدمير ادوات حربهم ومؤنهم، حتى اضطر العدو أن يجعل في ليبيا قوة عظيمة خاصة لمراقبة السكان والتنكيل بهم حيث ثبت لديه أن ضباط الاستعلامات البريطانيين كانوا يحضرون اجتماعات الاعداء سراً بدون أن يعرفوا بينهم وذلك بفضل تدابير زعماء الوطن.
وقد استسلمماينوف عن 17.000 جندي ليبي -كان قد جندهم العدو قسراً- وذلك عندما شاهدوا أعلام وطنهم المقدسة تخفق على الدبابات ومزينة بها المصفحات وفي طلائع الجيوش؛ ثم اشترك معظم هؤلاء مع إخوانهم في الدفاع عن أوطانهم وقد استشهد الكثير من جنود وضباط الجيش ، كما أسر البعض منهم أثناء هذه الحرب براً وبحراً، ولم يزل بعضهم مفقوداً والبعض لا يعلم عنه شيء منذ وقع في معتقلات الاعداء.
واستهدفت المدن للخراب الأبدي والدمار الذي لايعوض كطبرق الذي اصبحت اثراً بعد عين ، وبنغازي عاصمة برقة التي دمر ثلاثة أرباعها وقسماً من درنة وسرت وطرابلس وغيرها، وتعرض الكثير من المدنيين العزل للقتل والشنق والنهب، حتى أن الفاشيست شنقوا في يوم واحد في مدينة واحدة وهي المرج (300) رجلاً، وغير هذا كثير، حتى أنه في ذلك اليوم صادر

الفاشيست جميع مافي الأسواق عنوة واقتداراً وهدما مايقدر بنصف ثروة التجار، وتبددت ثروة البلاد وتشتت الأهلون سنين في البراري والقفار بعد أن دمرت مدنهم وهدمت أملاكهم وقتلت نساؤهم وأطفالهم وضاعت ثروتهم ولا مجال الآن لايضاح موقف الليبيين في انتصار العلمين، ذلك الانتصار الذي غير وجهة الحرب، وماقدموه من مجهودات كادت أن تقضي على البقية الباقية من الليبيين حيث نسفوا مخازن البنزين ودمروا معدات الحرب التي أعدها الألمان والطليان كأحتياطي لهم في برقة يعتمدون عليها في تقدمهم على مصر، وهو مايقدر بمئات الملايين ، وسيخصص لذلك فصل مدعم بالارقام والبراهين في الكتاب الأبيض الذي ينشر عن العالم قريباً عن موقف ليبيا المشرف في هذه الحرب وعن معاملة أصدقائها الانكليز لها، كما سيبين فيه عملهم ضد الطيارين الألمان الذين أنزلوا بعد الفتح بالبارشوات، افبعد هذا كله، وبعد فتح ليبيا باشتراك أهلها وتضحياتهم هذه يجوز أن تكون ليبيا الباسلة موضع مساومة؟ أو يجوز أن تطبق فيها أحكام عسكرية جائرة وغير ملائمة لطبيعة أهلها ؟ أو يطبق على شعبها المحارب في صفوف الحلفاء مايسمونه بالقانون الدولي؟ ذلك القانون الذي لم يطبق منه حرف واحد في الحبشة لا، ولا حتى في بلاد العدو المحتلة التي سلمت إدارتها لأهلها تحت أشراف الحلفاء مع أن وضع الحبشة لايختلف عن وضع ليبيا دولياً من حيث دخولها تحت الحكم الايطالي واعتراف الدول بضمها إليه، وخروجها منه باشتراكها في هذه الحرب؟ أو يبدل في ليبيا استعمار باستعمار؟ أو تفكر إيطاليا الغادرة ناكثة العهود التي جربت حظها في ليبيا وخبرت ذلك الشعب العربي الأبي في حروب متواصلة معه 21 سنة أن تعود إليه؟
اللهم إن هذا بعيد عن العدل، بعيد عن الانصاف ، وحتى عن احكام القانون الدولي الذي قبر من يوم احتلال الحبشة فشيعت جنازته عصبة الامم التي التحقت به سنة 1935م وعن كافة الوعود والعهود وعن الغايات السامية التي قيل إن الدول الحليفة حاربت من أجلها ، وعن الشرف البريطاني الذي لايقر مثل هذا العمل فيما أظن بوجه من الوجوه.
فلو كانت الدولة البريطانية أقامت الحق والعدل والعهود أقل وزناً أو قدرت هذه الجهود والتضحيات حق قدرها أو أعادة النظر في موقفها سنة 1940م -لأننا عند اشتراكنا معها لم تكن هناك روسيا ولا أمريكا ولا فرنسا- لما كانت في هذا المأزق الحرج الدولي من جهة. ولكانت ليبيا اليوم تتمتع بحكومة وطنية تحت إدارة أميرها، مندمجة في الجامعة العربية، ولما كان اختلف وضعها عن وضع الحبشة من يوم طرد العدو منهما.
ولكن الدولة البريطانية بجحود بعض رجالها لهذه التضحيات وبميلهم للأعداء -لأنهم إفرنج- وتخليهم عن الاصدقاء -لأنهم عرب- أضروا بهذه القضية التي لها مساس بالسلم العالمي، وأساءوا لأهل ليبيا وهم الذين أخلصوا لهم في إبان محنتهم بل وعاملوهم معاملة لاتمت للانصاف والمروءة بصلة في كل مرافق الحياة الاقتصادية والسياسية والكرامة والعزة القومية. وفي نفس الوقت واجهوا وسيواجهون مشكلات عديدة كانوا في غنى عنها لأن امتلاك القلوب أهم بكثير من استعبادها والسيطرة على الشعوب بدون إرادتها معناه الحقيقي تكوين عداوتها.
3- بتر ليبيا بل والشمال الأفريقي من جسم الجامعة العربية يوم انعقادها في القاهرة كان أكبر محك دقيق للجامعة (فيما إذا كانت هي الجامعة) ولغاياتها أهدافها المقدسة عند الدول التي تهتم بمعرفة قوة الاتحاد العربي وضعفه بودنا يومئذ أن ألقينا أنفسنا في أحضانها بصفتنا أمة عربية مجاهدة أن تقف موقف المدافع عن الجميع والمطالب بحقوق الجميع وتضمنا إليها شاءت السياسية الغامضة -الفرقة الجامعة- أم ابت فتكون بذلك أحيت عضوا منها تشد أزره في الملمات، لأن ليبيا هي القنطرة الوحيدة التي تعبر منها العروبة الى الشمال الافريقي، أما اليوم فلا ادرى على الوجه الاصح هل يسمع صوتها بشأن ليبيا أم يصبح صرخة في واد بعد أن تقاربت السياسات الاستعمارية التي كانت متباعدة يوم انعقادها، واخشى ما أخشاه أن العرب رغم يقظتهم ووحدتهم المبتورة سيواجهون

تضحيات جديدة ومصاعب شديدة وسيلعب بهم دور آخر يكونون فيه هم كبش الفداء - لاسمح الله- لأن الغرب لايرتد والشرق لايتعظ.
4- مع استنكارنا الشديد واحتجاجنا القطعي الذي ليس عليه مزيد للضربة التي كانت ذكرتها جريدة التايمس وبعض الصحف الاستعمارية الاخرى والتقولات التي تقع أحياناً من بعض المغرضين بأن الليبيين يكرهون المصريين نقول بكل صراحة مادمنا نقر الحقائق: انها وقعت بعض غلطات مؤلمة من بعض رجال الادارة في الحدود الغربية المصريةولم تزل تقع احياناً منهم ومن غيرهم، وربما كانت تلك الغلطات مدبرة بعلة خفيت عنهم لا يعلمها إلا الله والراسخون في تفرقة الشعوب وهي انه بعد ان كان المصريون هم الذين آووا وايدوا اخوانهم الليبيين من سنة 1911م الى يومنا هذا ولهم عليهم الايادي البيضاء في جهادهم وهجرتهم، فعندما تقرر رحيل المهاجرين الى وطنهم بعد فتحه كان الواجب يتحتم ان يودعوا بما هو لائق في كرم وسخاء وتسامح وصلة رحم وحق جوار بل ومساعدات قيمة أدبية ومادية لمن هم منهم وإليهم شان المصريين الذين جبلوا على هذه المزايا العالية في كل أدوار حياتهم ولكن انعكست الآية فتصدى للمهاجرين بعض الموظفين الذين لا يقدرون العواقب فجردوهم من أمتعتهم واقواتهم وفتشوا نساءهم -بصورة مخجلة- وصادروا حليهن ومامعهم من نقود جنوها في هجرتهم او جلبوها معهم عند التجائهم واضطروهم بهذا العمل لتهريب مايسدون به الرمق او مايسترون به العورة لأن الحالة وقتئذ في ليبيا بلغت درجة الى أن دفن أهالي ليبيا أمواتهم بدون اكفان وأصبحت نساؤهم لايجدون مايسترن به العورات بسبب منع التجارة عنهم والتضييق عليهم ومازالت أموالهم وأشياؤهم محجوزة عند السلطات المصرية بحجة التهريب ومخالفة القوانيين، نعم وإن كان للموظفين بعض العذر وعلى الليبيين بعض الوزر للأسباب الآنفة الذكر إلا أن هذا العمل الذي وقع بين شعب واحد ووطن واحد -كما يعتقد الليبيون وأبناء مصر- جرأ الغير على الاستخفاف بالعلائق الحسنة بين الشعبين، وأن ماوقع من الليبيين من تضحيات وما عانوه من مشقات وأزمات هي بين سمع إخوانهم المصريين وبصرهم في وطنهم دفاعاً عن بلادهم التي هي الحصن الحصين لمصر العزيزة حيث كانت أرواحهم فداء لها لو تدبروا الأمر بعين المصلحة والأخوة ربما كانت تلك الغلطات مدبرة من الغير لتتخذ منها جريدة مثل التايمس والجرائد الاستعمارية مادة للحط من قيمة الروابط الودية بين الشعبين المتجاورين لغاية بعيدة المرمى ستظهر نتائجها الأيام المقبلة.
وأني اعتقد عقيدة ثابتة أن الليبيين عامة والسنوسيين خاصة لم ينسوا ولن ينسوا فضل مصر ولا عطف مصر وزعماء مصر مهما حدث أو يحدث لأن الشعب المصري الكريم برئ من تلك الغلطات المدبرة ومصر هي الملجأ الوحيد ليس لليبيين فحسب بل للعرب والعروبة لاسيما وتربط مصر وليبيا روابط لا انفصام لها من جهة الدين والجوار واللغة والنسب ولا نريد أن نوضح اكثر من ذلك فعظماء مصر وأكابرها يعلمون اكثر من هذه الحقائق ويعلمون مايكنه الليبيون من اخلاص ومحبة للتاج المصري وصاحبه المفدى، وسيأتي يوم يتضح فيه كل شيء بالوثائق لأننا متنا هذه الروابط وأدلينا بما فيه المصلحة للطرفين في بدء الحركة سنة 1940م وفي أثناء الحرب 1942م قبل غيرنا ممن تبنى هذه المشاريع اليوم، ومع ذلك يشكر كل من يسعى لتوحيد الشعوب العربية ويعمل على اسعادها ولكل مجتهد نصيب:
كان بودنا أن لاتهمل الصحافة العربية الحرة ماقدمه الليبيون في هذه الحرب من تضحيات قاسية من سنة 1940م حتى لاتفقد مادة قيمة تساعدها في الدفاع اليوم عن الحق المهضوم وتستعين بها على ماتسجله للتاريخ والأجيال المقبلة، ولكن السياسات التي كمت أفواه الصحف وكسرت أقلام الصحافيين حتى حضرت عليهم ذكر كلمة ليبيا كان جائرة عليها وعلينا وعلى التاريخ والانسانية وها أننا نستبشر اليوم بتعويض مافقدته الصحافة فلها خالص الشكر وعاطر الثناء.

وأخيراً بصفتي -احد قادة الحركة الوطنية وعضو الجمعية الوطنية التي ارتبطت مع بريطانيا يوم 9 أغسطس 1940م - اصرح بأن الوضع الحالي في ليبيا شاذ لايتناسب في شيء مع العدل والانصاف ولا مع وعود الحلفاء بأي وجه كان، بل أن مايعانيه الشعب الليبي اليوم لايختلف عن الاستعمار البغيض وان الشعب الليبي يتطلب إقامة حكومة وطنية شرعية تحت إدارة أميره المطاع (إدريس السنوسي) بأسرع مايمكن ليحقق لها اختيار الجهة التي ترغب في الارتباط بها.
اقول هذا لدول الحلفاء عامة ولدولة بريطانيا العظمى خاصة قبل أن يعم الاستياء الذي أخذ يتسرب الى النفوس وتتبدل وجهات النظر من الاخلاص والمحبة والتعاون النزيه الى المقت البغيض والمشاكسة ويطغي اليأس فتنعكس الآية ولا ينفع الندم، وإن ليبيا رغم قلة عددها وفقدان عددها ومعرفتها بأنها لاتقوى على مقاومة الدول المعظمة مع أنها جربت في حرب إيطاليا تفضل أن تضرب يومياً بالف بل بمليون قنبلة ذرية حتى ينقطع فيها النسل والذرية على أن يطأ ارضها ايطالي أو أن تمس كرامتها أو ينقص شيء من حريتها واستقلالها وحقها في الحياة او يقرر مصيرها الغير بدون ارادتها، وهي علمت الشعوب معنى التضحية في سبيل الحرية والاستقلال من سنة 1911م الى يومنا هذا والتاريخ شاهد عدل، وقد قلنا في بعض مذكراتنا لرؤساء الوفود في المؤتمر الذي كان منعقداً في سان فرانسيسكو - بعد أن شرحنا لهم الحالة يومئذ بوجه التفصيل- هذه العبارات:(هذا إذا كان هناك مايسمى عدل أو مايسمىحق، أما إذا كانت الوعود والعهود المقطوعة للشعوب الضعيفة هي بمثابة الطابور الخامس عند الحلفاء فلا حق لهذه الشعوب في المطالبة بالحق وليس لها إلا أن تموت) وسنعود للموضوع مرة أخرى: ومن لم يعرف ليبيا على حقيقتها فعليه بالاختبار فلا زال اشبال عمر المختار يعملون على ذلك الغرار؛

ألا لايجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

هذا بعض ماكتبه ونشره السيد عمر فائق شنيب وهو كما قدم نفسه أحد قادة الحركة الوطنية فبالاضافة الى ذلك نقول أنه كان من خيرة اولئك القادة وقد لازم الحركة الوطنية الأخيرة منذ 9 أغسطس 1940م الى أن توفاه الله سنة 1953م، فقد عين أميناً عاماً لمكتب سمو الامير ، وكان ضمن أعضا المؤتمر الوطني البرقاوي، وذهب الى هيئة الامم المتحدة عضواً ورئيساً للوفد الوطني مرتين ثم وقع الاختيار عليه ليكون عضواً بالجمعية الوطنية التأسيسة الليبية وانتخب نائباً لرئيسها كما انتخب رئيساً للجنة الدستورية وعين وزيراً للدفاع بالحكومة الليبية المؤقتة التي عهد إليها أن تتسلم السلطات من الادارتين (البريطانية والفرنسية) وأخيراً عين رئيساً للديوان الملكي، وكان قد وضع بحثاً مفصلاً عن القضية الليبية كان صريحاً في التفاصيل التي تناولها في ذلك البحث، وقد أجاب فيه عن الكثير من الامور الغامضة وقد لفت فيه نظر جهات معينة كان الكثير من حسنى الظن قد تأثر بتصرفاتها وأراد طبعه سنة 1949م في مصر إلا أن الرقابة المفروضة يومذاك قد حذفت الكثير منه ووافقت على طبع ماوافقت عليه فرفض شنيب الطبع إلا إذا كان كاملاً، ولا يزال ذلك البحث مفقوداً نأمل أن تتكاثف الجهود ليرى النور وتستفيد منه الأجيال الصاعدة(1).

سادساً: الجمعيات التي أسست خارج ليبيا:

وأسست جمعية في مصر بزعامة احمد السويحلي وقامت بنشاط كبير وفتح عام 1943م نادي طرابلس الغرب الثقافي وشكلت الجاليات الليبية التي تقطن مختلف أرجاء العالم الاسلامي لجنة للدفاع عن حقوق بلدها بزعامة بشير السعداوي واتخذت ميثاقاً وطنياً بها قدمته الى المؤتمر

(1) انظر: ادريس السنوسي للأشهب، ص101 الى 111.

الاسلامي الذي انعقد في القدس عام 1931م وطالبت اللجنة المسلمين في أقطار الأرض لتقديم المساعدة لإخوانهم المنكوبين في ليبيا.
وتحرك الامير ادريس سياسياً مع بداية الحرب العالمية الثانية ومن الشخصيات التي كان لها أثر سياسي في مصر في تلك الفترة بالنسبة للجالية الليبية احمد السويحلي واحمد المريض وعون سوف وتوفيق الغرياني ومحمد العيساوي وعبدالسلام الكزة وعبدالحميد العبار.
وشكل الامير ادريس السنوسي جيشاً وفوض أمره الى صفي الدين السنوسي الذي جند 14.000 من المهاجرين الليبيين و 120 ضابطاً وشكلت الجمعية الوطنية الليبية التي قررت اعلان بيعة السنوسي. وتفويضه بدون قيد او شرط وخوض الحرب الى جانب بريطانيا ورفض بعض زعماء الليبين ذلك. وفي معركة العلمين حققت بريطانيا نصراً حازماً على ألمانيا بقيادة رومل. وشارك السنوسيون مع الانكليز رافعين العلم السنوسي وكانت المعارك السياسية مستمرة ومستعرة بين الليبيين ولكن الكفة رجحت لصالح السنوسيين .
وظهرت بعض الزعامات الوطنية المتناثرة في بلادنا وعادت الى الظهور الأحزاب التي أسست أثناء المفاوضات الليبية الايطالية ، في نهاية الحرب العالمية الاولى، وأسست احزاب جديدة على أيدي القادمين من المهجر وكانت الاحزاب بليبيا امتداداً لتأثير الحركات الحزبية في مصر وسوريا وغيرها ولبنان بواسطة العائدين من المهجر وكانت سرعة نموها كبيرة، لدرجة أن الليبيين وخاصة في منطقة طرابلس اصبحوا بعد ست سنوات يقومون بالمظاهرات مما يدل على نمو الوعي السياسي .
وظهر في عام 1942م (نادي عمر المختار الرياضي) الذي كان له نشاط سياسي يهدف الى توحيد برقة وطرابلس يقوده الشباب في تلك الفترة الحرجة من تاريخ بلادنا.
وفي مطلع عام 1944م أصبح النادي يعلن بصراحة انتقاده للادارة البريطانية ويظهر اتجاهاً وحدوياً مع الاتجاه الطرابلسي من أجل اتحاد وطني.
ولم يكن الاتجاه الاسلامي في هذه المرحلة المظلمة ممثلاً إلا في شخصية الأمير السنوسي بكونه الوريث الشرعي للحركة السنوسية، وبعض الأفراد القلائل؛ والشيوخ التقليديين.
وفي سنة 1947م أصبح البريطانيون يرون الحاجة الى منح برقة نوعاً من الحكومة الذاتية تحت زعامة ادريس وأوصت لجنة بريطانية ببرنامج استقلال على ثلاث مراحل، وتحت الاشراف البريطاني أما في طرابلس ، فكان الوضع يختلف، وظهر الخوف هناك من عودة الحكم الايطالي للمنطقة، وخاصة وجود الجالية الايطالية الكبيرة بمطامعها وتطلعاتها.
واقتصرت غالبية الاحزاب والجماعات في منطقتي برقة وطرابلس على حاجتهم لدولة متحدة واصبح (نادي عمر المختار) يشدد انتقاده ضد البريطانيين وضد سياسة ادريس المتحالف مع بريطانيا[1].

سابعاً: حل الاحزاب وانشاء المؤتمر الوطني في برقة واضطراب الاحزاب في طرابلس:

وقام ادريس بإيقاف نشاط نادي عمر المختار ومنع جميع الاحزاب السياسية عن العمل في ديسمبر 1947م وألف الأمير ادريس المؤتمر الوطني بحجة التحدث باسم أهالي برقة جميعاً. إلا أن المؤتمر كان يتكون من الجيل القديم من قادة القبائل الموالين له وكان المؤتمر برئاسة أخيه محمد رضا السنوسي وفي طرابلس كانت الأحزاب السياسية في اضطراب وبلبلة. ووجد في المنطقة

---

(1) انظر: تاريخ ليبيا، ص181، 182، 183.

أكثر من عشرة أحزاب وجماعات ونوادي ذات اهداف مختلفة تسعى كلها للاستقلال وتوحيد مناطق طرابلس وبرقة وفزان. ولكن الاختلاف كان على من يقود هذا الاتحاد. وهل هو ملكي او جمهوري وقد تكونت من الحزب الوطني الكتلة الوطنية بقيادة احمد الفقي حسن لمناهضة السنوسية والدعوة لإقامة جمهورية. وكان يوجد حزب الاستقلال ولجنة تحرير الليبية المتعاونة مع الجامعة العربية ، ويرأسها بشير السعداوي.
وبقي في ليبيا 48000 إيطالي، ظهر بينهم حزب فاشيستي بدعم من روما، وحزب معاكس له ايطالي.
وارسلت الدول الكبرى لجنة لتقصي وضع ليبيا فوجدوا رغبة عارمة في الاستقلال التام واوضح تقرير اللجنة الرغبة الليبية الاجماعية للاستقلال التام واضافت اللجنة ان ليبيا لم تكن في وضع اقتصادي يمكنها من الاعتماد على نفسها، وإيضاً غير مؤهلة للاستقلال... وقالت اللجنة في تقريرها بأن حوالي 94% من السكان أميوّن، ولا يوجد بها مايزيد عن 15 ليبياً متخرجاً دون أن يكون فيهم طبيب واحد، وأن متوسط الدخل الفردي 15 جنيهاً في السنة، وأن نسبة الوفيات بين الاطفال 40% ورأت بريطانيا أن تكون برقة تحت الرعاية البريطانية. وأن تكون منطقة طرابلس تحت الوصاية الايطالية ، وفزان تحت الوصاية الفرنسية.
أما الولايات المتحدة فقد اتخذت موقفاً مغايراً ، إذ اقترحت ان توضع ليبيا كلها تحت وصاية الامم المتحدة لمدة عشر سنوات ، على أن تحتفظ امريكا بقاعدة هويلس (الملاحة) الجوية والتسهيلات الحربية الاخرى وكانت بريطانيا مستعدة للموافقة على اقتراح الولايات المتحدة؛ إلا أن فرنسا عارضت ذلك.
أما الاتحاد السوفياتي، فقد حبذ في البداية الخطة الاميركية، بوصاية الامم المتحدة، لكنه عارض فيما بعد الوصاية على منطقة طرابلس لمدة عشر سنوات ، بحجة أنه لو حدث ذلك، فإن (النظام السوفياتي) لن يصل الى منطقة طرابلس ولم تقبل بريطانيا او فرنسا هذا العرض بارتياح.
وهكذا ياأخي القارئ كانت بلادك منذ خمسين عاماً لا تملك لنفسها خيراً ولا نفعاً ولا حلاً ولا عقداً.
ومع نمو الوعي الوطني والحس السياسي قامت مظاهرات جماعية لم تدع شكاً في الشعور العام المعادي للخطة. وسارت الجماهير الكبيرة المنظمة عبر شوارع طرابلس محتجة ضد الوصاية الايطالية على طرابلس، وقدّر عدد الذين اشتركوا في المظاهرة بستين ألفاً، بما في ذلك مظاهرات جاءت من مدن اخرى، وكانت منظمة تنظيماً محلياً. وصاحب المظاهرات دعاية واسعة جلبت رأي عالمي وعربي للقضية الليبية.
وفي خلال هذه المظاهرات اتحد الحزب الوطني والجبهة الوطنية المتعددة وغيرهما في حزب المؤتمر الطرابلسي تحت قيادة بشير السعداوي واستمر حزب المؤتمر في تنظيم المظاهرات والاحتجاجات حتى رفضت نهائياً خطة (بيفن- سفورزا) من قبل الامم المتحدة . وكان هذا سبباً في بروز الحزب على أنه القوة السياسية الرائدة في منطقة طرابلس وفي الجمعية العمومية في 18 مايو 1949م كانت كل الدلائل تشير الى أن قرار الخطة سوف يحصل على أغلبية الثلثين في منع استقلال ليبيا ولكن مندوب هايتي (اميل لوت) عارض الوصاية الايطالية على منطقة طرابلس وكانت النتيجة أن فشلت الخطة عند الاقتراع عليها، وذلك بسبب نقص صوت واحد كان مطلوباً لتأمين الأغلبية التي أعطت اصواتها لقرار الخطة (33 مقابل 17 وغياب 8) وكان الذي اقنع (اميل لوت) بالوقوف مع الشعب الليبي الدكتور علي العنيزي -رحمه الله تعالى-.
واستطاعت الوفود العربية في الأمم المتحدة أن تقنع بسهولة الوفد السوفياتي وبعض الوفود الاخرى المعارضة لمصلحة استقلال ليبيا وبفشل التصويت على وضع الوصاية الايطالية لم يعد هناك سبب يدعو كتلة امريكا اللاتينية لدعم بقية القرار واقترعت ضده بالفعل مما سبب له هزيمته

بأغلبية 37 صوتاً ضد 14 وغياب 7 أصوات وقد دعم استقلال ليبيا دول اسلامية وعربية مثل باكستان وسوريا ولبنان وكذلك الهند لمصالحها.
وقد تغير موقف الروس بشكل ملفت للنظر، فبعد أن كانوا في وقت ما يريدون الوصاية السوفياتية على منطقة طرابلس، ثم ارجاع ليبيا لإيطاليا أصبحوا سنة 1949م ينادون باستقلالها خلال ثلاثة أشهر وجلاء جميع القوات الاجنبية عنها.
واصبحت بريطانيا ترى لمصلحتها استقلال ليبيا كلها، وخاصة اذا امكن الحفاظ على القواعد البريطانية في منطقتي طرابلس وبرقة.
ورفضت خطة بيفن-سفورزا وأعلن ادريس، استقلال برقة بتأيد بريطاينا ونصب نفسه اميراً عليها وأصبحت الحكومة المحلية مسؤولة عن الشؤون الداخلية. أما الشؤون القضائية والمالية فبقيت تحت مسؤولية المستشارين البريطانيين، وكذلك ظلت الأمور الخارجية والدفاعية والاملاك الايطالية تحت السيطرة البريطانية.
وأصبح استقلال ليبيا شيئاً لابد منه بالنسبة للامم المتحدة وأعيدت قضية ليبيا الى اللجنة السياسية في صيف عام 1949م وسمح لإيطاليا بالاشتراك بالنقاش، وكذلك لممثلين من المؤتمر الوطني البرقاوي، وحزب المؤتمر الوطني الطرابلسي، وممثلين من الجالية اليهودية بطرابلس وفي اكتوبر بدأت لجنة فرعية في وضع قرار يتضمن جميع النقاط الرئيسية الواردة في مقترحات وفود الهند والعراق وباكستان والولايات المتحدة، واتفق على القرار بأغلبية ساحقة في الجمعية السياسية في 12نوفمبر ، ثم قدم بعد اسبوع الى الجمعية العامة(1).

المبحث الثالث
قرار الامم المتحدة بشأن ليبيا

وفي 21 نوفمبر 1949م تبنت الجمعية العامة القرار الذي اقترحته وفود الهند والعراق وباكستان والولايات المتحدة وتبنته الجمعية بأغلبية 48 صوتاً ضد صوت واحد (الحبشة) وغياب تسعة فيها فرنسا وخمس دول شيوعية.
ويتضمن القرار مايلي:
1- أن تصبح ليبيا المكونة من مناطق برقة وطرابلس وفزان دولة مستقلة ذات سيادة.
2- أن يصبح هذا الاستقلال ساري المفعول في أسرع وقت ممكن وألا يتأخر باي حال من الأحوال عن أول يناير 1952م.
3- أن يقرر دستور ليبيا، يضم شكل الحكومة من قبل ممثلين عن سكان مناطق برقة وطرابلس وفزان يجتمعون ويتشاورون معاً في جمعية وطنية .
4- ومن أجل مساعدة شعب ليبيا على وضع دستور وإقامة حكومة مستقلة يرسل مندوب من الأمم المتحدة الى ليبيا، تعينه الجمعية العامة، ومعه مجلس لمساعدته ونصيحته.

(1) انظر: تاريخ ليبيا ، ص188، 189، 190.

5- أن يقدم مندوب الامم المتحدة، بالمشاورة مع المجلس، تقريراً سنوياً مع التقارير التي يعتبرها ضرورية ، ويضاف الى هذه التقارير الى مذكرة او وثائق يرغب مندوب الامم المتحدة او أي عضو في مجلس في أن يضعها أمام انتباه الامم المتحدة.
6- أن يتكون المجلس من عشرة أعضاء ، وبالتحديد:
أ- ممثل ترشحه حكومة كل من البلدان التالية: مصر وفرنسا وإيطاليا وباكستان والمملكة المتحدة والولايات المتحدة.
ب- ممثل عن شعب كل من المناطق الثلاثة في ليبيا، وممثل عن الاقليات.
7- أن يعيين مندوب الامم المتحدة الممثلين المذكورين في الفقرة 6-ب بعد التشاور مع القوى الادارية ومع ممثلي الحكومات المذكورين في الفقرة 6-أ ومع الشخصيات القيادية وممثلي الاحزاب السياسية والمنظمات في المناطق المعينة.
8- وإنجاز لمهامه، يشاور مندوب الامم المتحدة ويسترشد بمشورة أعضاء مجلسه، ويجب أن يكون معلوماً أن بمكانه أن يقابل أشخاصاً مختلفين لسماع النصيحة بخصوص المناطق المختلفة او المواضع المختلفة.
9- يمكن لمندوب الامم المتحدة أن يقدم المقترحات الى الجمعية العام، والى المجلس الاقتصادي والاجتماعي والى السكرتير العام فيما يخص الاجراءات التي يمكن أن تتبناها الامم المتحدة خلال الفترة الانتقالية بخصوص المشاكل الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا.
10- أن تقوم القوى الادارية بالتعاون مع مندوب الامم المتحدة:
أ- باتخاذ جميع الخطوات اللازمة حالاً لنقل السلطة الى الحكومة دستورية مستقلة.
ب- إدارة المناطق بهدف مساعدة إقسامه الوحدة الليبية والاستقلال والتعاون في تكوين الادارات الحكومية وتنسيق نشاطاتها من اجل هذه الغاية.
ج- تقديم تقرير سنوي للجمعية العامة حول الخطوات المتحدة لتطبيق هذه التوصيات.
11- أن تدخل ليبيا الامم المتحدة حسب المادة (4) من الميثاق، بعد أن تصبح دولة مستقلة.
وبعد اسبوعين عينت الجمعية العامة مساعد السكرتير العام (ادريان بلت، مندوبا للامم المتحدة في ليبيا).
إن الخطوات المذكورة نحو الاستقلال على حسب تقديري وفهمي للحقيقة لا نعتبره استقلال بمفهومه الذي وضع له هذا المصطلح ان الامة التي تحكم شرع ربها من ذاتيتها وشخصيتها وعقلها وقلبها وعقيدتها هي تلك الامة الحرة المستقلة التي رضيت بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمداً نبياً ورسولاً بل انتقلت بلادنا من الاستعمار الايطالي النصراني الحاقد الى استعمار من نوع آخر في أموره الدستورية والسياسية والاقتصادية والتعليمية فأن إذن الاستقلال ولازال أمر الله وحكمه مغيباً في واقع شعبنا وحياته الى كتابة هذه السطور ولذلك فهو يأن من وطئة الظالمين الذين حكموا شعبنا بقوانين ارضية طينية وغيبوا شرع الله عنه ظلماً وبهتاناً وزوراً، وعلى الاحرار من ابناء شعبنا ان يعملوا ليلاً ونهاراً سراً واعلاناً من اجل الاستقلال الحقيقي وكسر القيود المكبل بها شعبنا. ولا يتحقق ذلك إلا عندما يحكم شرع الله ودستور الاسلام الخالد على شعبنا المسلم الذي عان ولايزال يعاني من تكبيل حريته واستقلاله واتخاذ قراره وماذلك على الله بعزيز.
وكان موعد استقلال ليبيا سيحل بعد 700 يوم من وصول مبعوث الامم المتحدة لبدء مهمته. وعندما وصل المبعوث (أدريان بلت) الى ليبيا في رحلة استطلاعية لمدة اسبوعين في 18 يناير

1950م ، لخص مهمته على أنها لمساعدة شعب ليبيا على وضع دستوره واقامة حكومة مستقلة[1].
وكان أول واجب عليه هو أن يكمل عضوية المجلس المنصوص عليه في قرار الجمعية المكلف باستشارته وقد عين ممثلو مصر وفرنسا وإيطاليا وباكستان والمملكة المتحدة والولايات المتحدة من قبل حكوماتهم المعنية وطلب (بلت) مرشحاً متفق عليه من كل المناطق الليبية الثلاثة وممثلاً للجاليات الايطالية واليهودية واليونانية بمنطقة طرابلس وقدمت فزان مرشحاً واحداً ، إلا أن برقة قدمت ثمانية وطرابلس سبعة، والاقليات اربعة. وبعد التشاور مع القوى الحاكمة الاجانب، عين (بلت) أسد الجربي ممثلاً لبرقة ومصطفى مزران عن منطقة طرابلس. وأحمد الحاج السنوسي عن فزان وجياكو مو مارشينو الايطالي للاقليات وأنشئ مجلس ليبيا (المشهور بمجلس العشرة) في 15 ابريل 1950م. وكان يضم ثلاثة ليبيين وممثلين عن دولتين اسلاميتين مستقلتين (مصر وباكستان) وإيطاليين (واحد يمثل إيطاليا والآخر يمثل الاقليات الاجنبية بليبيا) وثلاثة يمثلون ثلاثة قوى غربية هي : بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، ولذلك يعتبر تكوين عضويته - أي المجلس- تحيزاً للغرب بمعدل سبعة مقابل ثلاثة، على اعتبار ان ممثلي برقة وفزان كانا خاضعين لتأثير بريطانيا وفرنسا، وان الثلاثة هم ممثلوا مصر وباكستان وطرابلس ايضاً تابعة للقوى الاجنبية المسيطرة.
وكانت معارضة قوية جداً محتجة على دخول الايطاليين والاقليات الاخرى في تقرير مصير الشعب المسلم في ليبيا ولوجود تخوف من تدخل الادارة البريطانية في الانتخابات وبذلك ألغيت خطط بليت.
إلا أنه لم يأيس واستطاع استدراج بعض الشخصيات الدينية والوطنية وشكل جميعة وطنية من طرابلس وفزان وبرقة والغيت كثيراً من الاقتراحات واخمدت الاصوات المعارضة[2] وبعد ان حازت الجمعية الوطنية السلطات كي تقرر الشكل التنظيمي والدستوري لمستقبل الدولة، وتختار من اعضائها لجنة لوضع الدستور عقدت الجمعية اول اجتماع لها في طرابلس في 25 يناير نوفمبر سنة 1950م وانتخب مفتي طرابلس رئيساً لها واتفقت خلال اسبوع على أن تكون ليبيا دولة ديمقراطية فدرالية ذات سيادة ، وأن تكون الدولة ملكية دستورية ودعم ممثلوا برقة وفزان الاتحاد بقوة وقبل الطرابلسيون ذلك.
وظهر بشير السعداوي كشخصية وطنية فذة وكان من أكبر المتحمسين للوحدة وكان له شعبية ومساندة معظم الوطنيين في تطلعاته نحو وحدة البلاد ووقف ضد الجمعية الوطنية وقاد حملات ضدها وتسائل بشير السعداوي رحمه الله عن اهلية الجمعية الوطنية في نداء وجهه الى الامم المتحدة والجامعة العربية واستمر بشير السعداوي يهاجم عدم اهلية الجمعية الوطنية طيلة النصف الاول من عام 1951م وكسب تأييد عبدالرحمن عزام وقام عزام ايضاً بالهجوم على الجمعية الوطنية وان قراراتها غير قانونية ومخالفة لرغبات الشعب الليبي وقررت اللجنة الدستورية للجامعة العربية بأنه لاحاجة للاتحاد في بلد يوحده الجنس واللغة والعادات والدين وأكثر من ذلك فإن الجمعية لم ينتخبها الشعب ليس لها سلطة البث في أمور تؤثر على مستقبل البلاد وقام بلت بإرسال مفتي طرابلس وهو عضو من الجمعية الوطنية الى مصر ليخطب ود الجامعة العربية وتلاشت عداوة الجامعة العربية بالتدريج.
وفي الرابع من ديسمبر 1950م أقرت الجمعية الوطنية العلم الليبي وانتخبت لجنة الدستور على

---

(1) انظر: تاريخ ليبيا، ص193.

(2) انظر: تاريخ ليبيا، ص198، 199.

اساس ستة اعضاء من كل منطقة لتحضير وتقديم مسودة دستور، وقامت اللجنة بدورها بتشكيل مجموعة عاملة من ستة اعضاء لكتابة المسودة وتقديمها فصلاً بعد آخر للجنة وكان (بلت) وخبراء آخرون من الامم المتحدة مستعدين لتقديم المشورة عند اول اجتماع للمجموعة العاملة في 11 ديسمبر . ودرست دساتير احد عشر اتحاداً منها الهند، وسويسرا وفنزويلا وقورنت ببعضها وأخذت دساتير مصر والعراق والاردن ولبنان وسوريا، وكذلك حقوق الانسان كنماذج لفعل الحريات الاساسية وغيبت عن المسلمين في ليبيا قواعد النظام الاسياسي في الاسلام ومن هذه القواعد التي غيبت عن المسلمين مفهوم الحاكمية فمدلول لا إله إلا الله يعني إنه لاخالق ولا رازق ولا محي ولا مميت ولا نافع ولا ضار إلا الله ، ويعني أيضاً لا مشرع ولا محلل ولا محرم إلا الله، وغاب عن المسلمين في ليبيا أن التحاكم الى الدساتير الوضعية ووضع القوانين البشرية يتنافى مع بديهيات التصور الاسلامي والعقيدة الاسلامية ، إن الله الذي جعل الاسلام ديناً هو الذي جعله عقيدة ونظاماً وإن الله ليأبى على الناس أن يبتغوا لأنفسهم ديناً غير هذا الدين {ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين} (سورة آل عمران، آية85).

ان الذين ارادوا الفصل بين العقيدة الاسلامية والنظام والاسلامي إنما هم اعداء الاسلام ونحن نقول أن الاسلام عقيدة وشريعة، فإن العقيدة والشريعة أمران متلازمان، لا ينفك احدهما عن الآخر، وان الفصل بينهما ضلال وكفر وردة فإن الايمان بالعقيدة وترك الشريعة كفر، وان الاخذ بالشريعة وترك العقيدة كفر.

وهذه الفعلة الشنيعة في الجري خلف الدساتير الارضية وقوانين الدول الغربية العلمانية وغيرها يدل دلالة قاطعة على خطورة الامر الذي وصلت إليه بلادنا من الضعف العقدي والشرعي.

قال تعالى: {ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلال بعيد} (سورة النساء، آية 60).

وقال تعالى: {أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم ، وأن الظالمين لهم عذاب أليم} (سورة الشورى، آية 21).

وليس لاحد من خلق الله أن يشرع غير ماشرع الله واذن به كائناً من كان والله وحده هو الذي يشرع لعباده بما انه -سبحانه- هو مبدع هذا الكون ومدبره بالنواميس، ولا يتحقق هذا إلا حين يشرع الله المحيط بتلك النواميس. وكل ماعدا الله قاصر عن تلك الاحاطة بلا جدال فلا يؤتمن على التشريع لحياة البشر مع ذلك القصور.

ومع وضوح هذه الحقيقة الى حد البداهة، فإن الكثيرين يجادلون فيها، أو لايقتنعون بها وهم يجرؤون على استمداد التشريع من غير ما شرع الله، زاعمين انهم يختارون الخير لشعوبهم، ويوائمون بين ظروفهم والتشريع الذي ينشؤونه من عند انفسهم. كأنما هم أعلم من الله وأحكم من الله. أو كأنما لهم شركاء من دون الله يشرعون لهم مالم يأذن به الله. وليس أخيب من ذلك وأجرأ على الله[1].

والذي دفعني الى الوقوف عند هذه النقطة المظلمة من تاريخ بلادنا وهي اختيار دستورها من دساتير ارضية وتركهم لتشريع رب البرية هو كون شعبنا مسلماً مؤمناً وإنما فرض عليه ذلك من أعداءه اعداء دينه وإلا موقف المسلم من ذلك بيّن وواضح وإليك موقف المسلم كما بينه القرآن

(1) انظر: سيد قطب في ظلال القرآن، دار الشروق، 3512/2.

الكريم قال تعالى: {اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ماتذكرون} (سورة الاعراف، آية3).

فالمسلم يهرع الى شرع ربه ودستوره برضى وطواعية ورغبة وتسليم.

وقال تعالى: {إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون} (سورة النور، آية51).

فشريعتنا الاسلامية ربانية شاملة شمول العلم الالهي، محيطة بمشاكلهم احاطة العليم الخبير، لا تدع صغيرة ولا كبيرة إلا وقد أوجدت لها حلاً، وهي يسيرة سهلة تحقق اليسر والسهولة وترفع الحرج عن الناس لأنها لا تكلفهم إلا وسعهم[1].

وتدخل الامم المتحدة في مصيرالشعوب باسم مصلحة الشعوب واسعادها والأخذ بيدها نحو الحرية والاستقلال والنور والديمقراطية يعلم الله إنهم لكاذبون {أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون} (سورة المائدة، آية50).

والتاريخ البشري يشهد أن اسعد الفترات التي كانت تعيشها البشرية على الاطلاق، تلك الفترة التي تحكم فيها بشريعة الله سبحانه وتعالى حيث كانت تنعم بالامن والايمان والسلامة والسلام، وكان العدل والرخاء والاستقرار يسود المجتمعات التي حكمت بشرع الله[2].

والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والاصول لا من الفقهيات والفروع، فالاسلام حكم وتنفيذ ، كما هو تشريع وتعليم ، كما هو قانون وقضاء ، لاينفك واحد منها عن الآخر.

لقد كان الضغط على البلاد عظيماً ولذلك لم يستطع الامير ادريس وكذلك القوى الوطنية المسلمة من جعل دستور البلاد ربانياً نابعاً من الكتاب والسنّة وفهم السلف الصالح وبحيث يكون الاسلام هو المصدر الرئيسي والوحيد الذي يستمد الشعب منه قوانينه ودستوره كيف لا والله تعالى يقول: {ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين} (سورة النحل، آية:79) ومعلوم أن الاسلام دين ودولة وصالح لكل زمان ومكان.

والمصلح الاسلامي إن رضي لنفسه أن يكون فقيهاً مرشداً يقرر الاحكام ويرتل التعاليم ، ويسرد الفروع والاصول، وترك أهل التنفيذ يشرعون للأمة مالم يأذن به الله، ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامره فإن النتيجة الطبيعية أن يكون صوت هذا المصلح صرخة في وادي ونفخة في رماد قد يكون مفهوماً أن يقنع المصلحون الاسلاميون برتبة الوعظ والارشاد اذا وجدوا من أهل التنفيذ اصغاء لاوامر الله. وتنفيذاً لاحكامه، وايصالاً لآياته وآحاديث نبيه ﷺ وأما الحال كما نرى التشريع الاسلامي في وادي والتنفيذ في وادي آخر. فإن قعود المصلحين الاسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة اسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من الذين لايدينون الاسلام الحنيف[3].

ومضت المجموعة العاملة والمختصة من الجمعية الوطنية لمناقشة الجنسية الليبية واللغة وسلطات الملك، والمسؤليات الوزارية والبرلمان وتشكيل مجلس الشيوخ وقانون الانتخابات . وقد أجريت تعديلات عند تقديم الفصول الى اللجنة وقدمت مسودة الى الجمعية الوطنية في سبتمبر 1951م واستمرت المناقشات ثلاثة اسابيع وكان هناك عدة خلافات فكان البرقاويون يصرون على أن تكون

---

(1) انظر: النظام السياسي في الاسلام، ابوفارس، ص30.

(2) المصدر السابق نفسه، ص31.

(3) انظر: رسائل حسن البنا، ص272.

بنغازي هي العاصمة واصر الطرابلسيون بتأييد الفزانيين على أن تكون طرابلس هي العاصمة واستقر الرأي على أ ن تكون طرابلس وبنغازي عاصمتين مشتركتين منعاً للنزاع وأقر الدستور كله من 213 مادة بإشراف (بلت) مبعوث الامم المتحدة.
وأشاد (بلت) بإنجاز الليبيين للدستور في مدى عشرة أشهر، وتزايدت قوة الشعور بالوعي الوطني الليبي واتحاد جميع الممثلين في قراراتهم لإنشاء ليبيا المتحدة التي سماها الدستور (المملكة الليبية) وسميت المناطق الولايات بدل من دول. وكانت السلطة التشريعية مخولة للملك ومجلس الشيوخ والبرلمان على أن يكون أعضاء مجلس الشيوخ 24 عضواً ثمانية من كل ولاية نصفهم معين من قبل الملك والنصف الآخر منتخب. أما النواب فينتخبون من الذكور البالغين بمعدل واحد عن كل عشرين ألف من السكان، ويختار أعضاء الوزارة المركزية من البرلمان الاتحادي، ويعين الملك رئيس الوزراء ووالي كل ولاية.
وبدأ تخطيط نقل السلطات من الادارات البريطانية والفرنسية للاتحاد الليبي في مطلع سنة 1951م وقسمت لجنة بلت نقل السلطات على أربع مراحل من سبتمبر الى نهاية السنة. وفي فبراير سنة 1951م أصدرت الجمعية الوطنية قرار بتشكيل حكومات محلية لاستلام السلطة من السلطات الادارية وفي 3 مارس أصدرت الادارة البريطانية بموافقة ادريس بياناً بتأليف حكومة محلية في طرابلس ولم يكن حزب المؤتمر الوطني الطرابلسي راضٍ عن سير الامور بتحكم بريطانيا في إجراءات نقل الوضع الى السلطات المحلية[1].
وكان (بلت) قد دعا الامم المتحدة منذ اول تقرير سنوي له الى مساعدة ليبيا مالياً بسبب فقرها وحاجتها. قال : (مالم توجد الوسائل لتحسين الزراعة وخلق رأسمال استثماري جديد، فهناك خطر كبير في انهيار الاقتصاد الليبي وتحوله الى اقتصاد رعوي، مع مايترتب على ذلك من نتائج اجتماعية وسياسية ربما تعرض وجود الدولة الجديدة للخطر) وقدمت الامم المتحدة مساعدات للدولة الجديدة وقامت منظمة اليونسكو ومنظمة الصحة بمساعدة محدودة واستطاعت المنظمة الدولية تقرير كيفية حصول ليبيا على الوسائل الادارية والاجتماعية والاقتصادية لصيانة استقلالها المزيف وتعهدت بريطانيا بتقديم مايسد العجز في المزانية للسنة المالية 1953/52 لولايتي طرابلس وبرقة، وكذلك فرنسا لفزان وكان التعليم من أهم حاجات البلاد وحاول (بلت) أن يقدم مافي وسعه من أجل النهوض المطلوب للدولة الجديدة.
وأعلن استقلال بلادنا في 24 ديسمبر سنة 1951م قبل اسبوع من الموعد النهائي الذي حددته الامم المتحدة وأصبح الدستور معداً للتنفيذ وتولت الحكومة المؤقتة البلاد وأصبح لها صلاحيات كاملة.
وكان أول رئيس للحكومة المؤقتة محمود المنتصر وفتحي الكيخيا نائباً له ووزيراً للعدل والمعارف وأصبح عمر شنيب مديراً للديوان الملكي وعين الملك ادريس حكام الولايات الثلاثة. وتقدم بطلب انضمام ليبيا للامم المتحدة واليونسكو وغيرها من المنظمات الدولية.
وأصبح المستر (بلت) صديقاً حميماً لليبيين الذين اقتنعوا بالاستقلال وسميت باسم ادريان بلت شارعان مطلان على البحر في كل من طرابلس وبنغازي ، وكان حصول ليبيا على استقلالها تحت اشراف الامم المتحدة دعاية ممتازة للمنظمة الدولية وغاب في وقع الحياة في ليبيا دستورها الرباني المستمد من عقيدة الشعب ودينه[2].

اولاً: أعضاء اللجنة التحضيرية المختصة بالاعداد للجمعية الوطنية:

---

(1) تاريخ ليبيا، ص202، 203.

(2) انظر: تاريخ ليبيا بتصرف وزيادة وحذف، ص206، 207، 208.

الشيخ محمد ابو الاسعاد العالم
ابو الربيع الباروني
السيد سالم القاضي
السيد ابراهيم بن شعبان
السيد سالم المريض
السيد احمد عون سوف
السيد علي رجب
السيد علي المخطوف
9. السيد طاهر الحريري
10. الحاج علي بدوي
11. السيد ابو القاسم بوقيعة
12. السيد احمد الطبولي
13. السيد محمد بن عثمان الصيد
14. السيد المهدي (قاضي غدامس)
15. السيد خليل القلال
16. السيد عمر فائق شنيب
17. السيد احمد عقيلة الكزة
18. الحاج عبدالكافي السمين
19. السيد الطايع البيجو
20. السيد محمود بوهدمة
21. الحاج رشيد الكيخيا[1]

ثانياً: الجمعية الوطنية التأسيسية (لجنة الستين ، كل من السادة):

عمر فائق شنيب
محمد السيفاط بوفروة
عبدالحميد دلاف
رافع بوغيطاس
احميده المحجوب
سالم الأطرش
خليل القلال
الطايع البيجو
احمد عقيلة الكزة
محمود بوهدمه
عبدالكافي السمين

---

(1) انظر: مجلة الجبهة الوطنية لانقاذ ليبيا، جماد الآخرة 1412هـ، ديسمبر 1991م، السنة العاشرة ، العدد 39.

سليمان الجربي
محمد بورحيم
عبدالجواد الفريطيس
المبروك الجيباني
الكيلاني لطيوش
طاهر العسبلي
عبدالله عبدالجليل سويكر
حسين جربوع
ابوبكر بوذان
احمد عون سوف
عبدالعزيز الزقلعي
منير برشان
علي تامر
احمد السري
مختار المنتصر
سالم المريض
محمد المنصوري
محمد الهنقاوي
محمد بوالأسعاد العالم
علي الكالوش
عبدالمجيد كعبار
عبدالله بن معتوق
محمد الهمالي
ابراهيم بن شعبان
يحيى مسعود بن عيسى
ابوبكر بونعامة
محمود المنتصر
الطاهر القرمانلي
علي بن سليم
السنوسي حمادي
علي بدوي
الفيتوري بن محمد
الشريف علي بن محمد
طاهر القذافي بريدح
منصور بن محمد
المبروك بن علي
طاهر بن محمد

محمد بن عثمان الصيد[1]
محمد الامير
علي عبدالله القطروني
ابوالقاسم بوقيلة
احمد الطبولي
علي السعداوي
ابوبكر بن احمد
السيد سعد
الأزهر بن علي
عبدالهادي بن رمضان
علي المقطوف
السيد العكرمي[2]

ثالثاً: مبايعة الجمعية الوطنية التأسيسية للأمير محمد ادريس السنوسي ملكاً دستورياً للمملكة الليبية المتحدة عام 1950م:

بسم الله الرحمن الرحيم

{إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً}.

نحن ممثلي شعب ليبيا من برقة وطرابلس وفزان، المجتمعين في طرابلس الغرب من جمعية وطنية تأسيسية بإرادة الله، والمزودين بالصلاحيات الكاملة المعترف بصحتها واستيفائها الشكل القانوني، والعازمين على تأليف اتحاد بيننا وتكوين دولة اتحادية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة، نظام الحكم فيها ملكي دستوري نستهل عملنا بحمد الله وشكره على ماقد منّ علينا من نعمة في تحرير بلادنا واستقلالها وإننا اعترافاً بإخلاص صاحب السمو محمد إدريس السنوسي أمير برقة المعظم وجهاده الطويل المثمر لخير ليبيا وشعبها، وتحقيقاً لرغبة الشعب العامة وإقراراً للبيعات الشرعية السابقة التي صدرت من ممثلي الشعب الشرعيين لسموه، وحرصاً على سعادة بلادنا واتحادها تحت تاج ملك نجد فيه المثل الأعلى للصفات التي يتطلبها هذا المنصب السامي.

فإننا، ننادي بسمو الأمير السيد محمد إدريس السنوسي أمير برقة العظيم ونبايعه ملكاً دستورياً للمملكة الليبية المتحدة، نرجو من جلالته أن يتفضل ويقبل ذلك.

وإننا قررنا انتقال الجمعية الوطنية التأسيسية بكامل هيئتها إلى بنغازي لرفع هذا القرار التاريخي لجلالة الملك المعظم، وتلقى قبول جلالته لهذه البيعة طرابلس الغرب، في يوم السبت 22 صفر الخير سنة 1370 هجرية الموافق 2 ديسمبر سنة 1950م[3].

رابعاً: خطاب الملك إدريس بإعلان استقلال ليبيا يوم 24 ديسمبر 1951م

---

(1) مجلة الانقاذ الوطني، العدد 39 ، جماد الاخر 1412هـ ، ديسمبر 1991م ، ص24،25.

(2) المصدر السابق نفسه، ص26.

(3) انظر: الملك ادريس عاهل ليبيا حياته وعصره، ص155.

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى شعبنا الكريم:

يسرنا أن نعلن للأمة الليبية الكريمة أنه نتيجة لجهادها وتنفيذاً لقرار هيئة الأمم المتحدة الصادر في 21 نوفمبر 1949م قد تحقق بعون الله استقلال بلادنا العزيزة وإنا لنبتهل إلى المولى بأخلص الشكر وأجمل الحمد على نعمائه ونوجه إلى الأمة الليبية أخلص التهاني بمناسبة هذا الحادث التاريخي السعيد ونعلن رسمياً أن ليبيا منذ اليوم أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة، ونتخذ لنفسنا من الآن فصاعداً لقب صاحب الجلالة ملك المملكة الليبية المتحدة، ونشعر أيضاً بأعظم الإغتباط لبداية العمل منذ الآن بدستور البلاد كما وضعته وأصدرته الجمعية الوطنية في 6 محرم سنة 1371هجرية الموافق 7 من أكتوبر 1951م وإنه لمن أعز أمانينا كما تعرفون أن تحيا البلاد حياة دستورية صحيحة، وسنمارس من اليوم سلطاتنا وفقاً لهذا الدستور. ونحن نعاهد الله في هذه الفترة الخطيرة التي تجتازها البلاد أن نبذل كل جهدنا حتى تحتل بلادنا العزيزة المكان اللائق بها بين الأمم الحرة. وعلينا جميعاً أن نحتفظ بما اكتسبناه بثمن غال وأن ننقله بكل حرص وأمانة إلى أجيالنا القادمة. وإننا في هذه الساعة المباركة نذكر أبطالنا ونستمطر شآبيب الرحمة والرضوان على أرواح شهدائنا الأبرار ونحييّ العلم المقدس رمز الجهاد والإتحاد وتراث الأجداد راجين أن يكون العهد خير وسلام للبلاد ونطلب من الله أن يعيننا على ذلك ويمنحنا التوفيق والسداد. إنه خير معين[1].

وإن من أهم المراجع التي تكلمت عن المملكة الليبية ومعركة الدستور والاستقلال هي:

1- ليبيا في العصور الحديثة — د.نيقولا زيادة

2- ليبيا الحديثة — د. مجيد خدوري ترجمة نيقولا زيادة

3- السنوسية دين ودولة — د. محمد فؤاد شكري

4- صفحات من المذكرات السرية لعبد الرحمن عزام.

5- ادريس السنوسي للأشهب.

خامساً: قصيدة بمناسبة الاستقلال للشاعر الكبير أحمد رفيق المهدوي:

عيد عليه مهابة وجلال	عيد وحسبك أنه استقلال
يوم عليه من السعادة بهجة	وعليه من نور السرور جمال
يوم سعيد فيه نالت أمة	ملكاً تمجد ذكره الأجيال
واستقبل التاريخ مظهر	فأهل برج السعود هلال
وبدا يسير إلى التكامل	فتحققت بظهوره الآمال
وتحررت أعناقنا فتنفست	أرواحنا وتبسم الإقبال
وتحطمت تلك القيود	تلك الكبول وفكت الأغلال
وإلى حياة حرة في عيدنا	هذا تكلل بالنجاح نضال
أعظم بعيد السماء تهللت	فرحاً به شهداؤنا الأبطال
وزها بتاج النصر شعب	ملك أغر كأنه الرئبال

(1) انظر: الانقاذ العدد 39، جماد الاخر 1412هـ، ديسمبر 1991م.

يا أيها الشعب الكريم إلى ... سر لايعوقك في المسير كلال
سر كالزمان مع الزمان ... إن الزمان مسيرة استعجال
قد أصبح الطيار لايرضى ... عصره لعلم الضوء فيه مجال
أضحى جناح العلم قاب ... من قمر السماء ودونه أميال
فابنوا على العلم البناء ... بالعدل ملكاً لايليه زوال
قوموا بأمر الملك شورى ... إن التحكم والخلاف وبال
ومصائب الأوطان من ... إن قام بين المفسدين جدال
وتخيروا النواب عنكم ... من أن تقوم بأمركم جُهّال
الملك محتاج إلى تدبيره ... بعقول من عركتهم الأحوال
بالمخلصين وهم قليل ... فيهم ولاتغرركم الأشكال
وإلى الشباب الحي خير ... فهم الرجاء.. وفيهم الآمال
وعلى كواهلهم وفي أعناقهم ... عهد على أن يحفظوا مانالوا
ما بالقليل ولا الصغير فإنه ... فضل عظيم إنه استقلال
نصر عزيز جل مانحه له ... من روحنا التكبير والإجلال
عاش المليك وشعبه وبلاده ... في عز دستور زهاه كمال[1]

---

(1) انظر: ادريس السنوسي للأشهب، ص203، 204، 205.

المبحث الرابع
الملك ادريس رحمه الله وشيء من سيرته

أولاً : اهتمامه بالدين والعلم والأخلاق:

كان الملك محمد ادريس رحمه الله تعالى يرى أن الحياة السعيدة لا تقوم إلا على الدين والعلم والاخلاق ولنستمع إليه وهو يقول:
(إن سنن الاسلام السياسية تعتمد على دعائم متينة محكمة، فلو حفظت هذه السنن وسيست بها الحكومة الاسلامية لما أصاب دولة الاسلام ما أصابها. لاريب أن ضعف المسلمين يرجع الى اهمال هذا النظام وتركه، واذا ما أراد المسلمون أن ينالوا مجدهم فليرجعوا الى قواعد حكومتهم الاولى ولا يظنوا أن ذلك رجوعاً الى الوراء بل على العكس فهو التقدم والتكامل)(1).
وقال أيضاً: (إن بعث الروح الاسلامية أمر يحدث قوة لايستهان بها، ولا سبيل الى بعث هذه الروح إلا إذا فرقنا بين المدنيتين الحقيقية والصناعية وأخذنا الاولى باليمين والاخرى بالشمال وفتحنا باب الاجتهاد ورجعنا الى قواعد السياسة الاسلامية)(2).
وقال أيضاً: (فمن تخلق منا بغير الأخلاق الاسلامية نجده فاسد التربية منحطاً في مستواه الاخلاقي ، معطل الاستعداد الفكري الحر؛ مشوش العقل والاعتقاد، مقلداً تقليداً أعمى)(3).
وقال أيضاً: (إذا ماأراد المسلمون أن يصلحوا مافسد من أحوالهم فليرجعوا الى روح الاسلام لأنه أكثر موافقة لرقي الامم وسعادة الحياة ومدنيتها ولن تتبدد هذه الغياهب المظلمة إلا بنور العلم؛ فالاسلام هو الدين الانساني الطبيعي المسالم لكل من أحب السلام)(4).
لقد كان الملك ادريس رحمه الله تعالى نصيراً للدين والعلم والاخلاق ولذلك قام بتوجيه شعبه منذ تحرير بلادنا من الاستعمار الايطالي الى التعليم والاكثار من المدارس، والاهتمام بالاطفال ولما تولى أمر المملكة الليبية وجه المسؤولين الى وجوب العناية بالتعليم وتعميمه واهتم بوزارة المعارف، وتبرع بقصر المنار لوزارة المعارف ليكون نواة للجامعة الليبية.
وفي عام 1954م من شهر نوفمبر أصدر الملك ادريس توجيهاته الى حكام الولايات الثلاث برقة، وطرابلس، وفزان لاتخاذ السبل الكفيلة بضرورة تدريس العلوم الدينية على الطلبة في جميع المدارس كمادة أولية مفروضة، وفرض الصلاة في أوقاتها (الخمس) على طلاب المدارس من بنين وبنات في كافة انحاء المملكة لإعداد هذا الجيل إعداداً اسلامياً رشيداً.
واهتم بتطوير معهد السيد محمد بن علي السنوسي حتى أصبح جامعة متميزة من حيث التعليم، والنظام والاستعداد ، وكان يحث شعبه على الصلوات الخمس ويحذرهم من المعاصي والذنوب وقام بتوجيه رئيس الوزراء ورئيس الديوان والولاة الليبيين وحملهم مسؤولية تهاون موظفي الدولة

---

(1) انظر: ادريس السنوسي، ص241.

(2) المصدر السابق نفسه، ص241.

(3) انظر: ادريس السنوسي، ص241.

(4) المصدر السابق نفسه، ص241.

في أداء الصلوات الخمس ومسؤولية شرب الخمر، وحملهم المسؤولية العظمى أمام الله ثم أمام الملك، وكانت حيثيات هذا التوجيه مدعمة بالأحاديث النبوية الشريفة، وكان الانذار الذي يحمله هذا التوجيه شديداً[1].
وكان يرى أن أركان النصر للشعوب في ثلاثة ركائز بالتمسك بالدين الكامل، والخلق الفاضل والاتحاد الشامل ولذلك قال: (أنصح العرب الاشقاء بالتمسك بالدين الكامل والخلق الفاضل، والاتحاد الشامل؛ فلن يغلب شعب يحرص على هذه الأركان)[2].
وقال: (الاتحاد العربي ضروري، والعصبية العربية مشروعة ومعقولة شريطة أن لاتتعارض مع الأخوة الاسلامية وأن لا تعتدي على حقوق الآخرين)[3].
وقال: (يجب على العرب والمسلمين أن يحرروا الفكر من قيود التقليد وأن يعتبروا الدين صديقاً للعلم)[4].
وقال أيضاً: (لقد نبغ في العرب رجال لو انهم تماسكوا وتضافروا لأوجدوا في البلاد العربية حركة فكرية)[5] وقال: (إن كل شيء يمكن نيله إذا ماانتصرت حرية الفكر فبدونها لايحصل أي تقدم ولا أي رقي ولا أي صلاح، لايمكننا الوقوف الى جانب القوى التقدمية إلا إذا عممنا التربية والتعليم كما ينبغي وبذلك ننشئ نشأً جديداً يكون أهلاً للنظر وللفكر والعمل)[6].
إن الاهتمام بالدين والعلم والأخلاق عند الملك ادريس رحمه الله نابع من عقيدة الاسلام، ومن فهمه لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويرى أن الحضارة الصحيحة هي التي تقوم على الدين والعلم والاخلاق وبهذه المقومات قامت الحركة السنوسية ؛ فعندما سأله كاتب دنمراكي أجرى معه مقابلة صحفية اثناء وجوده بالمنفى عن موقفه اتجاه الاحتلال الايطالي لليبيا آنذاك، فجاء رده مؤكداً لنظرته للحياة الروحية باعتبارها أهم من الوجود المادي، إذ قال في معرض حديثه إن الحضارة التي يريد الايطاليون إدخالها الى بلادنا تجعل منا عبيداً للظروف، ولذا وجب علينا أن نحاربهم، فهي تبالغ في إضفاء الأهمية على قشرة الحياة الخارجية، كالتقدم الفني والآلي مثلاً -وتعتبر مظاهر الابهة والسلطان معياراً للحكم على قيمة الفرد أو الأمة في حين تستهين بالنمو الداخلي للانسان، وأستطيع أن اقول لك شيئاً واحداً وهو أنه حيث تسود الدعوة السنوسية يستتب السلام والرضا من كل جانب[7].

ثانياً : حبه للشعب وحب الشعب له:

عندما عينت الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية حكومة مؤقتة في شهر ابريل عام 1951م برئاسة محمود المنتصر رأت الحكومة أهمية زيارة الملك ادريس لمنطقة طرابلس تلبية لرغبة الشعب

---

(1) انظر: ادريس السنوسي، ص243.

(2) المصدر السابق نفسه، ص246.

(3) المصدر السابق نفسه، ص246.

(4) المصدر السابق نفسه، ص246.

(5) انظر: ادريس السنوسي، ص246.

(6) المصدر السابق نفسه، ص246.

(7) انظر: مجلة الانقاذ ، 29 جمادى الآخر 1412هـ ديسمبر 1991، ص66.

الطرابلسي لهذه الزيارة ولبى الملك تلك الرغبة وابتهجت المدن الليبية في الغرب بهذه الزيارة واستقبلته الوفود من الرجال ، والنساء والشيوخ والشباب وعندما وصل موكبه الى طرابلس واخترق شارع عمر المختار كان بعض العملاء المندسين يتربصون بالملك الدوائر وقذف موكبه ببعض القنابل ولكن الله سلّم، وظهرت من الملك شجاعة نادرة، وثبات عجيب فلم يهتز من بدنه شعرة واحدة، وماكاد يذاع نبأ هذه المحاولة الفاشلة في ليبيا حتى اجتمعت جموع الشعب في أسرع من لمح البصر من شدة حبها لزعيمها وقائدها وشرعة تهنئ بعضها بسلامة قائدها وبهذه المناسبة قال احمد رفيق المهدوي:

وقاك الله من شر الاعادي

ودام علاك يا أمل البلاد

وعشت لامة جعلتك رمزاً

لوحدتها وروحاً للجهاد

حياتك بيننا لله نور

أيطفئ نوره أهل الفساد

أتم الله نعمته علينا

بحفظك واهتدائك للسداد

فدم ملكاً على عرش متين

محاطاً بالمحبة والوداد[1]

وقد أجاب الملك ادريس عن هذه الحادثة فقال: إن هذه الحادثة لم تكن أبداً من ليبي ولن يقدم عليها أحد من أبناء ليبيا، وإنني أحمد الله جلت قدرته الذي وقى هذه البلاد شر المصائب الى أن قال: والضرر الذي يلحق بقضية البلاد أخطر من الضرر الذي يلحق بشخصنا أو بأي شخص آخر، وقال: إننا لسنا من أي حزب ولن نتحزب لحزب دون آخر، وإنما نحن للجميع ونسعى لخير الكل ولصالحهم، هذا هو مبدؤنا الذي فطرنا عليه وعملنا من أجله زهاء ثلاثين سنة، ونحن لانعتبر أنفسنا إلا فرد من أفراد هذا الشعب لايهمه غير مصلحة الشعب ومستقبل البلاد[2].

وقام بزيارة ترهونة والزاوية وغريان، ويفرن ومصراته وزليطن والخمس، وكان يستقبل من الشعب بالحب والود والوفاء وقام الشعراء بنظم القصائد تعبيراً عن فرحتهم بهذه المناسبة فقد قال عبدالغني البشتُي:

اليوم يوم المجد والعلياء

اليوم يوم العزة القعساء

اليوم يوم القطر من سلومه

للبحر للسودان للخضراء

اليوم يومك ليبيا بل إنه

يوم العروبة ساطع الأضواء

يوم قد انبعث له من يثرب

---

(1) انظر: ادريس السنوسي، ص191.

(2) المصدر السابق نفسه، ص192.

الروضة الفيحياء باللألاء

يوم قد أمتدت له من (مكة)

أنوار طه من بني الزهراء

يوم المليك ومرحباً بك يومه

يوم أغر بليبيا الفيحاء

إدريس يانسل النبي محمد

أهنأ بملكك في سنى وعلاء

ملك قد اختار الاله مليكه

من أشرف الآباء والأبناء

تاج على هام القلوب منصب

ولواؤه في الشرق خير لواء

إني أرى الأملاك في عليائهم

يتباشرون بسيد البطحاء

يتباشرون بملكه في رفرف

عال من الأضواء واللألاء

لم لا؟ وأنت سليل احمد من له

مايبتغيه المجد من علياء

الله اكبر عشت يافخر العلا

للعرب، بل للشرق خير وفاء

تحمي حمى الاسلام ترفع صرحه

وتعيد فيه بسيرة الخلفاء

مولاي شعبك روعت ألبابه

يد أرعن يبغيك بالضراء

نفديك بالارواح إن شئت الغداة

ونجود بالأموال والأبناء

مولاي: أبقاك الاله لليبيا

دهراً سعيداً في أعز علاء[1]

لقد كانت اعمال الملك من اسباب محبة الليبيين له فقد اصدر اوامره بأن لا يعفى من الضريبة الجمركية كل ما يرد الى الديوان الملكي، وبأن لا يلقب بصاحب الجلالة تقدساً بذات الله جل جلاله وقال : إن الجلالة لله وحده، وما انا الا عبد من عباد الله[2].

ويعتبر هذا الحدث سابقة تاريخية من أروع ما شهد في دنيا الملوك ولقد تأثر ريفلي رئيس جريدة بريد طرابلس التي كانت تصدر باللغة الايطالية لهذا الحدث وكتب مقالاً جاء فيه : إن الرغبة التي ابداها الملك ادريس ليست في حاجة الى تعليق ، لأنه عندما تبوأ العرش كان تواضعه معروفاً، وسهره المتواصل وعطفه ورعايته لشعبه فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على الديمقراطية التي تجلت في اسما معانيها ، ولقد اتاح الحظ لليبيا - وهي لاتزال في بداية حياتها - أن تكون على

---

(1) انظر: ادريس السنوسي، ص193،192.

(2) المصدر السابق نفسه، ص232.

رأسها شخصية صالحة مختارة تخاف الله العلي الاجل، وعندما قبل مهمته الصعبة الخطيرة بأن يقود شعبه الى ما كتبه له القدر من مصير ، فإن ذلك كان استجابة لأمر ربه الذي يمده بنوره فيما يتخذ من قرارات وفي اعماله وقد تبين له ان لقب (الجلالة) هو لقب ضخم لا يتفق مع اساسه الديني الذي يرى ان المولى وحده صاحب الجلالة العظمى وهو وحده الخالد العلي الأعلى... ولم يكن هذا التصرف بغريب على الملك محمد ادريس المهدي السنوسي الذي ينحدر من سلالة شريفة اراد الله تعالى أن يمكن في قلبها الايمان والثقة به، وفي عالمنا هذا الذي يسير سيراً حثيثاً نحو المادية فإن تصرفاً مثل هذا يتعدى أي احتمال ويدل دلالة قاطعة على أن أي مسبب حتى وإن كان ذلك المسبب سامياً يمكنه أن يكون وسيلة لإظهار تواضع منبثق عن عقيدة راسخة في عظمة الله)[1].

وقد حدثني السيد احمد العرفي عندما كنا معاً في السجن السياسي بطرابلس عن حادثة تدل على تعظيم الملك ادريس للمولى عز وجل وهي أنه كان هناك مسجداً جديداً في مدينة البيضاء وجاء الملك لافتتاحه ومع مجيئه ودخوله المسجد شرع الناس في الهتاف بحياة الملك ادريس، فغضب وأمر الناس بالصمت وقال لهم هذا المكان لاينبغي أن يذكر فيه غير اسم الله واستشهد بقول الله تعالى : {وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحد} ولذلك أحبه شعبه وأحب شعبه المسلم كانت الارادات السامية تصدر من الملك لتجسد هذه المعاني الرفيعة من التواضع والبساطة والبعد عن المظاهر وتحاشي الشبهات، فقد اصدر إرادة سامية بأن لايطلق اسمه على الشوارع، والمؤسسات بقصد التمجيد والتخليد محتسباً عند الله ماعمله لصالح أمته وشعبه، وأصدر إرادة سامية بأن لا تنشر صور ذاته على العملة او على طوابع البريد ابتعاداً عن المظاهر الدنيوية الزائلة، واصدر إرادة سامية بأن لايتخذ من ذكرى ميلاده عيداً رسمياً وأن لاتقام الاحتفالات بهذه المناسبة، وذلك لأنه ليست مما جرى به العمل في السلف الصالح رضوان الله عليهم[2].

واصدر امراً بتعديل قانون البيت المالك، وألغى بموجب ذلك الأمر حصانات وامتيازات الأسرة، كما ألغى ألقاب الامارة والنبل من أعضاء البيت السنوسي وأمر أيضاً بأن لايقبل أية هدية يرى الشعب فرادى او جماعات أن يقدمها له في اية مناسبة تتعلق بذاته او غيرها من المناسبات وبهذه المناسة صدر بلاغاً من الديوان الملكي يتعلق بأحد المواضيع التي نحن بصددها: (بالنظر لما أشيع من أن هناك هيئات حكومية وشعبية ستقوم بتقديم هدايا ثمينة الى حضرة مولانا الملك المعظم وذلك بمناسبة قرانه السعيد فقد أمر حفظه الله بأنه لن يقبل هذه الهدايا بدون استثناء، ويطلب من الذين يرغبون في تقديمها الى مقامه السامي أن يوزعوا المبالغ التي جمعت او خصصت لهذا الغرض على الفقراء والمعوزين والله يجزي أجر من أحسن عملا)[3].

كان الملك ادريس رحمه الله يقوم صباح كل يوم مبكراً لأداء صلاة الفجر في وقتها ويشرع في قراءة القرآن الكريم وأوراده اليومية ويتناول إفطاره حوالي الساعة التاسعة ثم يخرج الى مكتبه حوالي الساعة العاشرة فيستقبل موظفي الديوان والخاصة الملكية لتصريف الاعمال اليومية ويستقبل زورواره من الضيوف ورجال الحكومة وأصحاب الحاجات من الحادية عشر الى الواحدة ثم يتناول طعام الغذاء بعد تأدية صلاة الظهر مباشرة، وكانت الجولة البرية من أحب الرياضات عنده وكان يستقبل بعض زواره قبل صلاة المغرب وبعد صلاة العشاء يتناول الشاي عادة مع

---

(1) انظر: ادريس السنوسي، ص233،232.

(2) انظر: مجلة الانقاذ العدد 29، ص76.

(3) انظر: ادريس السنوسي، ص234.

موظفي القصر وضيوفه وينام عادة حوالي الحادية عشر مساءً.
وكان يحب المطالعة في مكتبته الخاصة ويعكف عليها طويلاً وأحب ماعنده قراءة القرآن ، ودراسة كتب الحديث، ومطالعة كتب التاريخ العام، وكان يحرص في غالب الاحيان على استماع نشرات الاخبار من المذياع.
وكان لايهتم بالمظاهر في تحركاته وقد ذكر السيد عمر فائق شنيب قصة طريفة عندما كان رئيس الديوان الملكي. كان مولانا الملك يريد أن يتوجه من بنغازي الى البيضاء وحضرت سيارات الحرس ولما شاهدنا قبل التحرك قال لي: لا داعي لأن تكن معنا هذه السيارات ونكتفي بسيارة واحدة تحمل بعض الضروريات، وكان قد فاتني أن أصدر هذا الامر الى قائد الحرس وبينما نحن في الطريق لفت نظري الملك الى أمره السابق وقال: لماذا يكون معنا هذا الحرس فقلت له يامولاي إن هذا لم يكن حرس لكم ولكنه محروساً بكم[1].
كان الملك رحمه الله في يوم ربيع 1953م راجعاً من جولته التقليدية ورأى سيارة واقفة بسبب خلل فيها، وكان صاحبها الاستاذ محمد بن عامر، فأمر الملك سائق سيارته أن تقف حتى تلحق به سيارة الحرس وأمر هذه السيارة بأن تعود الى الاستاذ ابن عامر لتحمله حيث شاء[2].
وخرج الملك ادريس ذات مرة في جولته المسائية المعتادة ولم يصحب معه حرساً ودخل الى بعض المزارع في منطقة البيضاء، وعندما دخل الى احدى البساتين وجد صاحب البستان منهمكاً في سقايته فحياه بتحية الاسلام، وكان البستاني لايعرف الملك شخصياً ولم يخطر بباله أن الملك يصل الى ذلك الموقع بمفرده كأي شخص ترمي به الطريق، وبدأ الملك يسأل البستاني عن أنواع الشجر والمحصول وما الى ذلك، وكان صاحبنا يجيب عن كل سؤال في حين أنه منهمك في عمله، وعندما فرغ الملك من الأسئلة وأراد الانصراف سأله البستاني قائلاً: (من حضرتك من غيار صغاره) وهذا هو سؤال كل شخص في برقة لمن لايعرفه، فأجابه الملك بقوله: (أنا ادريس) ولشدة ماكانت دهشة الرجل عندما سمع الاجابة قفز مسرعاً وعانق الملك قائلاً: مرحباً ، مرحباً، أنت سيدي ادريس ولد سيدي المهدي، مرحباً مرحباً، وأخذ يرد الترحاب والتساؤل في استغراب[3].
إن هذه الصفات الرائعة تدلنا على جوانب مضيئة في شخصية الملك ادريس الاسلامية وحبه لمعالي الأمور، واهتمامه بالتواضع والبساطة كما تدلنا على أنه تحصل على قسط من التربية الايمانية من حركة اجداده الميامين الطيبين الطاهرين.

ثالثاً: نصحه لزعماء العرب، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

كان كثير الاتصال بجميع إخوانه ملوك ورؤساء العرب والمسلمين مسترشداً مستعيناً او ناصحاً أميناً، وقد بذل جهوداً كبيرة ومساعي جليلة لدى كل من الملك عبدالعزيز آل سعود والامام يحيى حميد الدين أثناء الظروف العصيبة التي مرت بالسعودية واليمن وكان بينهما سوء التفاهم ماكاد أن يكون ثغرة يتسرب منها التدخل الاجنبي، فكتب للمك عبدالعزيز ، والامام يحيى ناصحاً أميناً، وأظهر كل من الزعيمين تقديره لشعور ادريس السنوسي، وقد تبودل بينه وبينهما عدد من الرسائل في هذا الصدد وهذه صورة من رسالة ارسلها الى الملك عبدالعزيز رحمه الله: قال بعد البسملة : (الى عين الملوك الكرماء وحامي حوزة الحنفية السمحاء صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز آل

---

(1) انظر: ادريس السنوسي، ص237.

(2) المصدر السابق نفسه، ص237.

(3) المصدر السابق نفسه، ص238.

سعود أدام الله بدور سعوده، ولازال يعمر الأنام بعدله العمري وجوده وبعد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لقد بلغنا عن حكمة جلالتكم البالغة ماشرح صدر كل ودود، وكمد كل معاند حسود، وجعل كل موحد يرقص لصنعكم طرباً، مفتخراً بجلالكم بين الملوك عجماً وعرباً فقد جاء حكم جلالتكم العادل في تلك القضية التي كانت بين حكومة جلالتكم وبين حكومة جلالة ملك اليمن كالصاعقة على رؤس الذي يصطادون في الماء العكر، وهم من بدت البغضاء من أفواههم وماتخفي صدورهم أكبر، فسقط بحمد الله في أيديهم ورد كيدهم في نحرهم، بعدما كانوا يعتقدون أن الدولتين واقعتان لامحالة في حرب، وكانت في نظرهم على قاب قوسين أو أقرب، ولكن الله سلم وكفى الله المؤمنين القتال، بما أوتيتموه من حكمة وروية فضربتم للناس خير مثال، وحمدنا الله كثيراً على أن الدسائس لاتجد منفذاً لجانبكم الحصين، وذلك ليقظتكم وسهركم على مصالح الإسلام والمسلمين، فقد تداركتم الأمر بحكمتكم قبل الفوات، وحزتم بذلك من العالم العربي والإسلامي أصدق الدعوات، وإني أتقدم إليكم أيها الأخ الكريم بخالص شكري القلبي على عدم تفضيلكم المصلحة الخاصة دون المصلحة العامة مما جعل الألسنة تلهج بالدعاء لجلالتكم أبقاكم الله للإسلام ذخراً وعضداً، وللدين الحنيف ركناً وسنداً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الإمضاء (محمد إدريس السنوسي)(1)

ب- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

بذل الملك إدريس رحمه الله مافي وسعه في القضايا التي تتنامى إلى سمعه، فيغضب لله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإن كانت هناك أمور لم يتدخل فيها لكونها خارجة عن إرادته وقدرته بحكم الوجود البريطاني والأمريكي.

وإليك أخي القارئ هذه الرسالة التي وجهها إلى الحكومة الاتحادية في 13 يوليو 1960م التي عممت على جميع الإدارات الحكومية، ثم نشرتها الصحف ووسائل الإعلام بسبب حصول ابن عمه عبدالله عابد السنوسي امتياز تنفيذ طريق فزان بكيفية مريبة، فأطلق الملك صرخته المدوية (لقد بلغ السيل الزبى).

وكانت الرسالة موجهة إلى رئيس الحكومة الاتحادية والوزراء والوكلاء، وكل مسؤل بها، وإلى والي طرابلس، ووالي برقة، ووالي فزان ونظارهن ومديريهن ومتصريفيهن، وكل مسؤول فيهن: إنه قد بلغ السيل الزبى، ومايصم الاذان من سوء سيرة المسؤولين في الدولة من أخذ الرشوة سراً وعلانية، والمحسوبية القاضيتين على كيان الدولة وحسن سمعتها في الداخل والخارج، مع تبذير أموالها سراً وعلانية، وقد قال الله تبارك وتعالى: {ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون} (سورة البقرة، آية).

ولقد قال رسول الله ﷺ في حديثه الشريف: (لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم) وقد قال رسول الله ﷺ في حديثه: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).

وإنني بنعمة الله وقدرته سوف أغيره بيدي إن شاء الله ولن تأخذني في الله ولا في طهارة سمعة بلادي لومة لائم والسلام).

وبالرغم من إن التحقيقات التي أجريت قد أثبتت براءة ذمة حكومة كعبار من التهم التي علقت بها، إلا أن الملك رأى أن نزاهة الحكم لاتتحمل وجود مثل تلك الشبهات، فطلب من الحكومة تقديم

---

(1) انظر: ادريس السنوسي ، ص227.

استقالتها، فتقدمت بها وقبلها الملك في 16 أكتوبر 1960م[1].

رابعاً: أدب العبارة في خطاب الملك إدريس وسمو معانيها وتواضعها الجم والدعوة إلى الخير والتقوى:

تميزت خطابات ملك ليبيا السابق برصانة الأسلوب، ومتانة التعبير، وقوة الحجة، وحرص الراعي على الرعية، ونصحه لشعبه وكانت خطاباته عامرة بالدعوة إلى الخير والتقوى ومكارم الأخلاق وهذا خطاب ألقاه بمناسبة توحيد الحكم في المملكة وألغى الحكم الاتحادي في عام 1963م يوم 26 إبريل يؤكد ماذهبت إليه:

مواطني الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

في هذه اللحظات التاريخية التي تمر بها أمتنا المجيدة، وفي هذه المرحلة التي يجتازها ركبنا الصاعد يسرني غاية السرور أن أعلن للشعب الليبي الكريم انتهاء العمل بشكل الحكم الإتحادي والبدء رسمياً في نظام الوحدة الشاملة الكاملة تطبيقاً للتعديل الدستوري الذي وافقت عليه المجالس النيابية والتشريعية بالإجماع وإنني لأحمد الله تعالى كثير الحمد وأتوجه إليه بالشكر العظيم والثناء الجميل على مامنّ به سبحانه وتعالى من نعمة حتى مشاهدة ولادة هذا الأمل الوطني الكبير ووفقنا جميعاً بتأييده وعونه إلى تحقيق هذه الأمنية الغالية.

إن الوحدة التي تبدأ اليوم عهدها الميمون هدف جديد من أهدافنا الوطنية التي جاهدنا من أجلها وضحى شعبنا في سبيلها، فهي ثمرة طيبة للجهاد ووفاء لأجر الصابرين، وهي بعد ذلك، خير وبركة ورمز لاجتماع الكلمة وتآلف القلوب ووعاء للمحبة والتآخي والوئام ومبدأ يتبوأ مكان السمو في عالم الأخلاق والفضيلة، وحبل الله المتين الذي أمرنا سبحانه وتعالى بالاعتصام بعروته الوثقى، قال تعالى وهو أصدق القائلين: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا} وهو الدين القويم دين سيدنا محمد ﷺ وقال تعالى: {ولاتفرقوا فتفشلوا وتذهب ريحكم} وقال رسول الله ﷺ :(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

فالحمد لله الذي جمع على المحبة قلوبنا ووحد على الوفاق بلادنا وجعلنا من أمة التوحيد التي هي خير أمة أخرجت للناس.

وإني لأنتهز فرصة إعلان الوحدة المباركة السعيدة فأوصيكم جميعاً بتقوى الله تعالى ومراعاة وجهه في السر والعلن، وأحثكم على مضاعفة الجهد وبذل المزيد من العمل حتى نوفر لبلادنا الإزدهار والرخاء والرفاهية ونعيش جميعاً في ظل الوحدة أمة قوية في خلقها، عزيزة في شخصيتها، متينة في بنائها، نظيفة في سمعتها، إن الوحدة تلقي على كواهلنا مسؤوليات جساماً وتضع نصب أعيننا واجبات كثيرة فعلينا أن نكون بها ونحافظ عليها، كما نحافظ على استقلالنا ونحوطها بالرعاية والحدب، ونغذيها بمشاعر المحبة والوطنية حتى نستمر في طريق النمو والإكتمال، فالوحدة ليست غاية في ذاتها وإنما هي وسيلة إلى عمل الخير وطريق إلى آفاق الإصلاح والفلاح وواجبنا أن نأخذ منها القاعدة الصالحة للإنطلاق إلى الأهداف العليا، ومصباح النور الذي ينير مواقع خطواتنا في طريق العمل الدؤوب والسعي المجدي والتعاون المثمر المفيد،

---

(1) انظر: مجلة الانقاذ العدد 39 ، ص69،70.

إن كل مواطن مسؤول على حماية الوحدة وتفرض هذه المسؤولية أن شعار الوحدة تحت لوائه الخفاق كل السواعد العاملة، والهمم المتوثبة، والكفاءات الخلاقة، ويشمل كل بقعة تستظل بسماء هذا الوطن العزيز ويستمتع كل مواطن بخيراتها العميمة، ويعيش في كنفها عيشة الطمأنينة والسعادة والاستقرار، أبلغ شكر لنعمة ضيافتها، وأسمى مراتب الحق أن يحب المرء لأخيه مايحب لنفسه، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان. وفقنا الله جميعاً الى مايحبه ويرضاه، وألهمنا الرشد والصواب، وجعل وحدتنا فاتحة عهد سعيد يفيض خيره ويزيد نفعه وتعم بركاته، ونبدأ مرحلة تنشط فيها العزائم، وتقوى الارادات، فإنه تعالى أقرب مسؤول يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ومنه الهداية والتوفيق وإليه الملجأ والنصير[1].

إن هذا الخطاب مليء بأدب العبارة ، وسمو المعاني ، والتواضع الجمع والدعوة الى الخير والبر والتقوى.

خامساً: اهتمام الملك ادريس بالثورة الجزائرية:

كان السنوسيون منذ زمن المؤسس الأول للحركة الامام محمد بن علي السنوسي مهتمين بأمر الجهاد في الجزائر وواصل الملك ادريس جهوده المادية والمعنوية لدعم ثورة الجزائر التي اندلعت في 1954/11/1م وقد اثبتت الوثائق التاريخية جهوده العظيمة، وأعماله الجسيمة في هذا الباب، فقد ذكر السيد مصطفى احمد بن حليم في كتابه صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي في الباب التاسع تحت عنوان ثورة الجزائر ودور ليبيا الخطير في مساندتها مايقيم الحجة والبرهان على صدق الملك ادريس لدعمه للثورة الجزائرية، فقد ذكر السيد مصطفى بن حليم عندما كان بالقاهرة أن الرئيس جمال عبدالناصر اتصل به ودعاه لاجتماع منفرد معه، وفاجأه قائلاً: أنه يود أن يتحدث معه عن الثورة الجزائرية التي اندلعت وشرح جمال عبدالناصر لمطصفى بن حليم أنه اتفق مع الملك سعود والأمير فيصل على أن تقوم المملكة العربية السعودية بتقديم كافة الأموال اللازمة لشراء السلاح والعتاد والإمدادات اللازمة للثورة الجزائرية وأن يقوم رجال الجيش المصري والمخابرات بشراء ذلك السلاح والعتاد وإيصاله الى الحدود الليبية وهو يأمل أن يشرف رئيس الحكومة (السيد مصطفى بن حليم) بنفسه بنقل ذلك السلاح والعتاد عبر ليبيا الى الحدود الجزائرية حيث يستلمه منه ممثلوا الثورة الجزائرية ثم قال جمال عبدالناصر لمصطفى بن حليم أولعلك ستخشى الفرنسيين وتخاف بطشهم؟).

فرد عليه مصطفى بن حليم رئيس وزراء ليبيا سابقاً وقال له: (ياريس لعلك لا تعرف أن جد الملك إدريس جاء الى ليبيا من الجزائر هارباً من الطغيان الفرنسي وأمضى حياته في نشر الدعوة الاسلامية وإيقاظ الأمة الاسلامية لتقاوم موجة الطغيان والتنصير الفرنسي، ووالد الملك ادريس ظل يقاوم تغلغل المد الفرنسي في تشاد والسودان والنيجر، حتى لقي وجه ربه والسيد احمد الشريف والملك ادريس أفنيا عمرهما في الجهاد ضد الطليان...)[2]. ورد جمال عبدالناصر على هذه الاجابة المقنعة بقوله: (ألاتستوعب الدعابة ؟ إنني أعرف كل هذا وأعرف أن الليبيين أبطال جهاد ولكنني رغبة أن أرى رد فعلك.. وتبين لي أنك مغربي حاد المزاج لاتتقبل الدعابة بروح مرحة)[3].

---

(1) انظر: مجلة الانقاذ العدد 39 ، ص63.

(2) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص351.

(3) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص351.

كانت القوات البريطانية المتواجدة في ليبيا والمنتشرة على طول البلاد من طبرق الى غرب طرابلس، والجواسيس الانكليز يسيطرون على مراكز حساسة، وموظفون من الانكليز ايضاً في شرطة ولاية طرابلس، وفرنسا لاتزال تحتل جنوب ليبيا (فزان) ولسفاراتها في طرابلس وبنغازي جهاز مخابرات من الطراز الاول وله أعوان وعيون منتشرة في طول البلاد وعرضها، بين السيد بن حليم تلك الملابسات لجمال عبدالناصر الذي أجاب: (أنني على علم تام بأن ما أطلبه منك عمل ينطوي على خطورة كبيرة، ومغامرة خطيرة...)[1] ثم أضاف: (لولا أنني مطمئن لوطنية الملك ادريس ووطنيتك وحرصكما الشديد على تحرير الشمال الافريقي من نير الاستعمار الفرنسي البغيض لما طلبت منكم ماطلبت، وعلى أية حال فأنا رهن إشارتكم لأي عون أو نصح أو مساعدة في سبيل هدفنا النبيل لتخليص الجزائر من ربقة الاستعمار، بعد ذلك قام جمال عبدالناصر بتعريف مصطفى بن حليم بالسيد أحمد بن بلاّ[2].

كان قائد قوة دفاع برقة الفريق محمود بوقويطين لايثق في جمال عبدالناصر ويراه حريصاً على تفجير القلاقل وزعزعة النظام داخل ليبيا ولربما اتخذ من ستار مرور السلاح إلى الجزائر كوسيلة لتوزيع السلاح داخل ليبيا ضد المملكة وعُرِض الأمُر على الملك رحمه الله فقال: (من ناحية لايمكننا أن نرفض مساعدة ثوار الجزائر في جهادهم، هذا واجب ديني محتم علينا تلبيته ولايمكننا أن نتردد في القيام به.. ومن ناحية أخرى فإنني لا أريد أن أعرّض استقلال هذا الوطن الذي ضحينا في سبيله بكل عزيز وغال واستشهد في سبيله مئات الآلاف من الليبيين، ولا أود أن أقامر بهذا الاستقلال خصوصاً مع فرنسا التي خرجت عن طورها وترتكب كل يوم الكثير من الجرائم والحماقات في قمع كل حركة استقلالية في الشمال الإفريقي... ومع توتر علاقتنا مع فرنسا بعد طلبنا إجلاء قواتها عن فزان فإنها ستلتمس أي عذر لترتكب معنا حماقة كبرى..)[3].

لقد وافق الملك إدريس على تمرير السلاح من مصر عبر الأراضي الليبية وقام بتوجيه وزير الوزراء والمسؤولين عن هذه الأمور باتخاذ الأسباب اللازمة للجمع بين الأمرين مساعدة المجاهدين في الجزائر، وعدم تعريض استقلال البلاد لأي هزة من أي نوع كانت وقام مدير عام قوة دفاع برقة الفريق محمود بوقويطين باتخاذ إجراءات الرقابة التي ستصاحب قوافل السلاح عبر برقة، واتخذ رئيس الوزراء مجموعة خيرة من ضباط مدينة طرابلس يشرف عليهم المجاهد العقيد عبدالحميد بيّ درنه للإشراف على هذه المهمة الخطيرة وباشر الليبيون مع إخوانهم الجزائريين تنفيذ ما اتفقوا عليه وتسرب السلاح من ليبيا إلى الجزائر تدريجياً واستمر هذا الحال في سرّية وكفاءة تامتين لمدة سنة تقريباً وكان الملك رحمه الله يبارك تلك الأعمال الجبارة[4].

ويحدثنا السيد مصطفى بن حليم عن قصة طريفة حدثت له مع السفير الفرنسي في ليبيا حيث قال: أذكر هنا قصة طريفة حدثت في منتصف سنة 1955م، فقد كنا في أوائل الصيف وأذكر كان يوم خميس وكنت على موعد مع الأخ أحمد بن بلاّ (من زعماء ثورة الجزائر) وبعض مساعديه، دعوتهم للغداء ثم التباحث بعد ذلك في أمور السلاح والعتاد والثورة ... وأثناء النهار اتصلت بي وزارة الخارجية الليبية تقول أن السفير الفرنسي يلح في طلب مقابلتي حاملاً رسالة من إدجار فور رئيس الحكومة الفرنسية، وبدون تفكير قلت ليحضر السفير الساعة الخامسة إلى المنزل (منزل

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص352.

(2) المصدر السابق نفسه، ص352.

(3) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص353.

(4) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص356،355،354.

رئيس الحكومة) ناسياً موعدي السابق مع بن بلاّ وجماعته، ورجعت إلى مسكني عند الثالثة وتناولت الغداء مع الأخ أحمد وجماعته والعقيد بيّ درنه ومساعديه ثم بدأنا مناقشة طويلة لاختيار أحسن المواقع التي تخزن فيها شحنات السلاح القادمة، وأثناء انهماكنا في هذه المناقشة الدقيقة دخل كبير المباشرين، (وبرغم أوامري بعدم دخول أحد علينا في ذلك الاجتماع)، واستأذن وأسرّ في أذني أن السفير الفرنسي وصل وأدخله في الصالون المجاور!! وارتبكت ثم قلت للأخ أحمد بن بلاّ أستأذنكم لبضع دقائق فقد حان موعد كنت نسيته مع السفير الفرنسي! وأضفت لعله لم يسمع مناقشتنا..! وذهبت لاستقبال (مسيو دي مارساي) الذي كان يحمل لي رسالة عاجلة من رئيس وزراء فرنسا يرجو المساعدة في القبض على طريق العدالة الفرنسية المدعو (بن بلاّ) وتمكنت بصعوبة كبيرة من السيطرة على عضلات وجهي وكتم ضحكة ساخرة ... وقلت للسفير أرجو أن تحضروا لنا صوراً للمجرم (بن بلاّ) صور مواجهة وصور جانبية ووصف دقيق للرجل وتقدموا هذه المعلومات للسير يجادير جايلز بك في طرابلس وللفريق بوقويطين في برقة، وسأصدر تعليماتي لهما بمساعدتكم بكافة الوسائل، وودعت السفير ثم أستأنفت الاجتماع فسألني الأخ أحمد عن سبب زيارة السفير قلت أراد المساعدة في القبض عليك! قال وماذا قلت له؟ قلت وعدته بالمساعدة بعدما يقدم لي تفاصيل كافية تمكن رجال الشرطة من القبض عليك وضحكنا كثيراً..)[1].

لقد تدهورت العلاقات بين ليبيا وفرنسا بعدما تأكد للحكومة الفرنسية أن ليبيا تقف وراء حركة الجهاد في الجزائر مؤيدة لها قولاً وفعلاً، وتسربت الأخبار عن الدور السري الخطير الذي كانت تقوم به ليبيا بزعامة ملكها في مساندة الشعب الجزائري ومده بالسلاح والعتاد بالإضافة إلى التأييد السياسي، والمعنوي أثر اعتراض الطيران الفرنسي للطائرة التي كانت تحمل احمد بن بلا ورفاقه وهم في طريقهم من الرباط الى تونس، وإرغمت الطائرة على الهبوط في مطار الجزائر وتم اعتقالهم هناك[2].

لقد استشاط غضباً نواب اليمين في البرلمان الفرنسي ووصلت حملتهم على دور ليبيا في نصرة حركة الجهاد في الجزائر حد الهستريا، الأمر الذي جعل الحكومة الفرنسية تحاول التملص من تعهداتها بالجلاء عن الجنوب الليبي في فترة اقصاها نوفمبر سنة 1956م وقامت فرنسا بأرسال السفير (بالائي) الى الحكومة الليبية وأبلغها بأن الحكومة الفرنسية لاتستطيع أن تنفذ جلاء قواتها عن فزان بعد ماتبين لها مواقف الحكومة الليبية المعادية لفرنسا، وكان رد رئيس الوزراء الليبي بأن حكومته سوف ترفع القضية الى مجلس الأمن وطلبت من الرئيس أيزنهاور الامريكي لكي يتدخل وينصح حلفاءه الفرنسيين باحترام ميثاقهم مع ليبيا[3].

لقد وقف الملك وحكومته وشعبه مع القضية الجزائرية ، وكانت الحكومة الليبية شديدة الحرص على الادعاء بأنها تقف موقفاً محايداً تماماً، فبينما تعطف على آمال الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال إلا أنها لا تساعد على أعمال العنف! ولذلك فهي تدعو فرنسا وثوار الجزائر الى الجلوس الى طاولة المفاوضات للوصول الى حل سلمي! كان كل هذا ستار دبلوماسي لأن مساعدات ليبيا للجزائر زادت نوعاً ومقداراً بل سمح للمؤسسات الشعبية في أنحاء ليبيا بتكوين جمعيات شعبية لنصرة الشعب الجزائري وجمع التبرعات، وإرسال برقيات التأييد للثورة الجزائرية، وبرقيات الشجب للحكومة الفرنسية، وكانت الحكومة الليبية برئاسة بن حليم تدعي أن

---

(1) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص358،357.

(2) المصدر السابق نفسه، ص359.

(3) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص360.

لا دخل لها بالأعمال الشعبية العفوية، وأن خير سبيل أمام فرنسا هو الاستجابة لنصائحها باتباع الطرق السلمية مع الثورة الجزائرية وإيقاف القمع والقتل والتشريد التي تقوم بها القوات الفرنسية في الجزائر[1].

كان رئيس الحكومة الليبية مصطفى بن حليم متعاطفاً مع القضية الجزائرية ووجد دعماً معنوياً من الملك نفسه، فمضى في طريقه بثقة واطمئنان حتى أنه لما زار عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا ليبيا في عام 1957م في شهر فبراير اختلى بن حليم بعدنان مندريس وبدأ بحديثه عن دور الاتراك العظيم في نشر الاسلام وزعامتهم للامة الاسلامية عبر قرون عديدة من التاريخ الاسلامي المجيد، وشدد على روابط الدين التي تربط الاتراك ببقية الأمة الاسلامية، وعلى أن لتركيا دورها الاسلامي العظيم بالرغم من دعاوي العلمانية، ثم عرّج بحديثه عن شمال أفريقيا وشرح لمندريس مدى الظلم والقتل والتشريد الذي يعاني منه شعب الجزائر المجاهد ومحاولات فرنسا قمع ثورته الاسلامية وتنصيره وفرنسته ، ثم دخل في صلب الموضوع وقال لعدنان بك: (أنني آمل أملاً قوياً أن تمد تركيا الشقيقة المسلمة الكبرى يد المساعدة لشعب الجزائر المجاهد في محنته الراهنة). قال عدنان مندريس أنه كمسلم يعطف بكل جوارحه على الشعوب الاسلامية جميعاً وبنوع خاص على شعوب الشمال الافريقي وهو على إدراك تام بما يعانيه الشعب الجزائري في حربه الاستقلالية، ثم قال ولقد بذلت تركيا الكثير من المساعي السرية الحميدة لدى حكومة باريس موصية وناصحة بأن مشكلة الجزائر لا تحل بالقوة والقمع بل بحلول سياسية وتفاوض مع ممثلي سكان الجزائر، وأضاف أنه على استعدد لمضاعفة هذه المساعي بل وتوسيعها بحيث تشمل ضغطاً ودياً لدى دول حلف الاطلنطي الاخرى مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وإيطاليا، وقام السيد مصطفى بن حليم يشكر عدنان مندريس على مساعيه الدبلوماسية الطيبة وحثه على المواصلة وقال له: (أن مساعدة شعب الجزائر تتطلب أكثر من المساعي الحميدة فهي تتطلب عوناً مادياً، مالاً وسلاحاً ونظر عدنان مندريس الى مصطفى بن حليم وظهر على وجهه الاضطراب واختفت الابتسامة التي كانت تلازمه كثيراً ثم قال للسيد مصطفى بن حليم: يا أخي العزيز أنت تعرف أن تركيا عضو هام في حلف الاطلسي فكيف ترى أن تقدم لثوار الجزائر سلاحاً من سلاح الحلف (الاطلسي) لكي يحاربوا به عضواً هاماً آخر من ذات الحلف أعني فرنسا؟ فقال مصطفى بن حليم: أنا أعرف أن تركيا من أقوى الدول الاسلامية وهي التي كانت تتولى القيادة والريادة للأمة الاسلامية لقرون عديدة، فكيف ترى أنت يا أخي العزيز ألا تمد تركيا العون المادي للجزائريين المسلمين الذين تقتلهم قوات فرنسا وتشردهم او تعذبهم أنكل التعذيب؟ ومالهم من ذنب إلا أنهم يسعون لنيل حريتهم واستقلالهم؟

كرر مندريس مخاوفه الشديدة من عواقب اكتشاف اية شبهة بأن تركيا تمد الثورة الجزائرية بأي عون مادي .. وكرر عدة مرات بان هذا سيسبب طرد تركيا من حلف الاطلسي وهو الركيزة الرئيسية التي يرتكز عليها دفاع تركيا في مواجهة الخطر الروسي العظيم، وكان بن حليم يشعر بأن مخاوف عدنان مندريس حقيقية فهدأ من روعه وقال له أن الثورة الجزائرية في أشد الحاجة الى أنواع كثيرة من الأسلحة الحديثة وهذه الاسلحة متوفرة لديكم، فاذا أعطيتكم كشفاً مفصلاً بهذه الاسلحة وأهديتموها أنتم الى شقيقتكم ليبيا فليس في هذا مايثير أي شك او ريب لدى فرنسا وقال مصطفى لعدنان بأن الليبيين سوف يقومون بتسريب السلاح إلى الإخوان الجزائريين تدريجياً وواعده بأن لايعلم هذا السر إلا القيادة الجزائرية العليا، بل عدد قليل من أفراد تلك القيادة العليا وواصل بن حليم حديثه مع ضيفه رئيس وزراء تركيا عدنان مندريس واستعرض له ماضي تركيا

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص359،358.

الإسلامي وتاريخها في الذود عن الإسلام، وإعلاء كلمته ومزج السياسة بالعاطفة الدينية، إلى أن قال عدنان مندريس: سنقدم لكم هدية السلاح، وأرجو الله أن يوفقكم في إيصالها لأولئك الذين يحتاجونها في الدفاع عن دينهم، أما نحن في تركيا فإننا نقدم الهدية لجيش ليبيا الشقيقة فقط، وشدد على المحافظة على السرية المطلقة، وبعد أسابيع قليلة وصلت هدية السلاح التركي واستلمها الجيش الليبي في احتفال عسكري ثم بدأ تسريبها تدريجياً إلى مجاهدي الجزائر[1].
كان الملك إدريس رحمه الله بعيد النظر، فبعد أن استقال السيد مصطفى بن حليم من الحكومة في آخر مايو عام 1957م عينه مستشاراً خاصاً له بمرتب رئيس وزراء وأصر على بقاء بن حليم في خدمة الدولة وشرح الملك لرئيس وزراءه السابق أنه سيحتاج إليه قريباً ثم عرض عليه أن يرسله سفيراً لليبيا في باريس، لأن علاقته الممتازة مع رجال الثورة الجزائرية ولأن الحكومة الفرنسية قد وصلت لقناعة بأن قضية الجزائر لاتُحل عسكرياً وإنما بالمفاوضة مع سكان الجزائر وعندما ردّ بن حليم على الملك بقوله أن الحكومة الفرنسية أصبحت على علم تام بالدور الذي قام به في مساعدة الثورة الجزائرية وتهريب السلاح والعتاد لها، وأن الثقة منعدمة بينهم وبينه، رد الملك بأن هذا هو خير مؤهل يجعل الحكومة الفرنسية تستعمل مساعيك كقناة للوساطة مع الثورة الجزائرية لتأكدها من أن زعماء الجزائر سيتقبلون نصحك قبولاً حسناً ويثقون بما تنقل لهم من اقتراحات وأضاف الملك: (عليك أن تكمل رسالتك نحو الثورة الجزائرية)[2] لقد كانت مهمة سفير ليبيا في فرنسا البحث مع الحكومة الفرنسية عن سبل سلمية لإعطاء شعب الجزائر حق تقرير مصيره، وتشجيع الحكومة الفرنسية على انتهاج سياسة التفاهم والتفاوض مع جبهة تحرير الجزائر والإقلاع عن سياسة القمع والعنف والتشريد ضد الشعب الجزائري[3].
وبدأ السفير مصطفى بن حليم بتنفيذ دوره الذي رسمه له الملك، وقام الملك إدريس بطلب رسمي من الجنرال ديجول الذي أصبح رئيساً للجمهورية بأن يطلق سراح أحمد بن بلاّ ورفاقه من السجن أو على الأقل أن يخفف وطأة السجن إلى اقامة جبرية أو شيء من هذا القبيل وأجاب الجنرال ديجول على طلب الملك إدريس بواسطة سفير ليبيا بفرنسا مصطفى بن حليم الذي حمله ديجول رسالة إلى الملك إدريس بأن مسعاه لن يذهب سدى، وبعد أيام نُقل أحمد بن بلاّ ورفاقه إلى فيلا في ضاحية (شانتييي) بجوار باريس[4].
وفي يناير عام 1961م، زار ليبيا الكونت دوباري، موفداً من طرف الجنرال ديغول رئيس الجمهورية آنذاك، واستقبله محمد عثمان الصيد بصفته رئيساً للحكومة في طرابلس وكان الكونت دوباري يحمل رسالة خطية من ديغول للملك إدريس السنوسي، وأبلغ المبعوث الفرنسي السيد محمد الصيد رئيس الوزراء أن الجنرال ديجول يريد إبلاغ الملك إدريس عبر هذه الرسالة، أن فرنسا ستعمل قريباً على إيجاد حل لقضية الجزائر يضمن مصلحة الجزائريين ويلبي المطامح العربية، لكنه يرجو من القادة العرب خاصة أولئك الذين تعرف عليهم إبان الحرب العالمية الثانية، ومنهم الملك إدريس تفهم ظروف فرنسا الداخلية، ومساعدته حتى يمكن اخراج هذا الحل إلى حيز الوجود، وبالفعل لم تمضي أربعة أشهر حتى بدأت مفاوضات الاستقلال بين فرنسا والجزائر في 20 مايو 1961م في ايفيان.

---

(1) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص 363،362،361.

(2) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص364.

(3) المصدر السابق نفسه، ص366.

(4) المصدر السابق نفسه، ص375،374.

عقب إطلاق سراح أحمد بن بله ورفاقه الأربعة، وكان يطلق عليهم (الزعماء الخمسة) من السجون الفرنسية، قام هؤلاء الزعماء بزيارة إلى ليبيا واحتفى بهم الليبيون حكومة وشعباً احتفاءً كبيراً، واستقبلهم الملك إدريس السنوسي، وحثهم على التضامن ونكران الذات وذكرهم بالحديث الشريف الذي يقول فيه الرسول ﷺ :

(رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) وطلب منهم الإهتداء بهذا الحديث ودعاهم إلى نبذ جميع أشكال الخلاف والشقاق والأنانية التي تضر إن وجدت بالجزائر واستقلالها.

كانت الحكومات الليبية المتعاقبة بعد حكومة بن حليم تدعم ثورة الجزائر وكان من وراء ذلك التأييد غير المنقطع الملك إدريس بتوجيهاته المستمرة، وكان يكن في أعماقه عطفاً خاصاً على ثورة الجزائر الإسلامية.

إن المملكة الليبية بحكومتها وشعبها ساعدت ثوار الجزائر في معركتهم المقدسة ضد فرنسا وقاموا بمد الثورة بالسلاح والذخائر والمساعدات وقد حدثني السيد محمد القاضي عبدالكبير الذي كان معي في المعتقل السياسي بطرابلس عام 1983م وكان حاكماً لمنطقة فزان زمن المملكة فقد أخبرني عن اشراف الحكومة على مخازن الأسلحة وتوصيلها للمجاهدين في الجزائر وقد توفي رحمه الله بعد خروجه من السجن وقد قضى في سجون ليبيا من عام 1969م إلى سنة 1988م وكان رجلاً عجيباً في دينه وصفاء فطرته، حفظ القرآن الكريم بعد الخامسة والأربعين من عمره، وكان يتحدث الانجليزية والفرنسية والإيطالية وكان شعلة من النشاط والاجتهاد والتعليم وقد جاوز الستين من عمره، وكان يحافظ على صيام السنن، والنوافل، والقيام والرياضة البدنية، وكان يقول لي أن أمله في الله أن يغفر له ذنوبه وأن يكون سجنه تكفير للذنوب والخطايا، وأن السجن وقفة مع الذات وفرصة لمحاسبة النفس لاتعوض أبداً وإن الذي أكرمني الله به في السجن لولا أن الله منّ علي به ما تحصلت عليه أبداً وماوصلت إليه لقد كان فريداً في سنه، وفريداً في نشاطه، فرحمة الله عليه.

إن جميع الساسة والقادة العسكريين زمن المملكة الليبية والذين كانت لهم علاقة مباشرة بمد الثورة في الجزائر يشهدون أن الملك رحمه الله كان مسانداً لحركة الثورة، وحريصاً على نجاحها، ولم يقصر معها لامادياً، ولامعنوياً.

المبحث الخامس

نظرة في كتاب الملك إدريس رحمه الله في اتحاد العرب وائتلاف الموحدين وبعض المقابلات الصحفية

هذا الكتاب ذكره المؤرخ الليبي محمد الطيب الأشهب رحمه الله تعالى ونقل لنا منه نقولاً مهمة ولاندري أين الكتاب الآن، كان هذا الكتاب قد وضعه إدريس السنوسي بقلمه كرسالة شاملة في عام 1929م شكلت بحثاً سياسياً علمياً عاماً، تناول فيه الموقف الإسلامي العربي والدولي من جميع

الوجوه على حقيقته، فجاء بحثاً متميزاً مدعوماً بالحجج العقلية، والبراهين المنطقية، والأدلة التاريخية وتحدث فيه عن العوائق، والمشاكل التي تواجه تقدم العالمين (الإسلامي والعربي) والأسباب التي أخرت المسلمين والعرب، والوسائل التي يجب اتخاذها لتمكين العرب من تحقيق وحدتهم التي يراها ضرورية، وتحدث عن الخلافة الإسلامية ومالها وماعليها، وعن سبب انهيارها، وتكلم عن المشاكل الدولية وعن الإستعمار وأهدافه، وعن المدنية الإسلامية والحضارة العربية، وعن دولة الإسلام وماتلاها من دول وحكومات عربية، وتحدث عن الأخطاء التي ارتكبت في مختلف عصور التاريخ الإسلامي والعربي، ثم انتقل من هذه المواضيع العامة إلى موضوع الوحدة العربية وما يقاسونه(1).

أولاً: حديثه عن الوحدة العربية وحالة العرب :

قال رحمه الله: كل إنسان يعرف أن جزيرة العرب كانت قبل البعثة النبوية مضطربة بفعل الجهالة والفوضى والشقاق إلى أن قال: وكان لابد من إصلاح أساس النظام، وعلى هذه الحاجة ظهر الإسلام.

وقال في موضع آخر من بحثه: صار العرب بعد زوال الحكومات العربية تابعين لكل متبوع ولم يعنوا برفعة أمتهم، ولم ينتهوا من رقدتهم وبالأخص منهم من كانت دياره محتلة بالحكومات غير العربية لقد فسدت أخلاقهم وسجاياهم تحت سيطرة الدول المختلفة، وظلوا ناسين عظمتهم ومدنيتهم وقد تعودوا طأطأة الرؤوس للذل، ومن الطبيعي أن لاتحتفظ أمة ببأسها وسجاياها، وخصالها في سلطان حكومة مستبدة، وهكذا شرع العرب يتغيرون ويفسدون على أن العرب لن ينسوا جنيستهم وقتاً ما، وليس فيهم من خرج عن عروبته.

إن عربة العرب الماضية لتؤثر تأثيرها النفسي الآن، وإن التاريخ يعيد نفسه، وإن العربية مثل الإسلام صبغة لاتزول واستطرد إدريس السنوسي في بحثه إلى أن قال: فإذا نال العرب استقلالهم أو استقلت كل مقاطعة عربية إدارياً، واتحدت مع بقية أخواتها فإنهن يقمن امبراطورية عظيمة وحكومة متحدة على نسق واحد.

واستطرد في حديثه عن العرب إلى أن قال: إنهم محتاجون إلى تربية أخلاقية، وتنمية عقولهم المنهوكة منذ مدة من الزمن حتى يستردوا شملهم العربي وأخلاقهم العالية، وفي الحقيقة أن جملة البلاد العربية أصبحت في سبات عما يراد بها من الممالك الأخرى ولن تستيقظ إلا على أصوات مدافع المستعمرين، ورب أمة لاتعرف نفسها حتى تصاب بمظالم الأجانب(2).

ثانياً: الأخوة الإسلامية والعروبة:

قال: حقاً إن الإسلام يمنع تغلب الجنسية ولكن لا يأبى تكامل الأمم إذا لم يضر بسائر البلاد الإسلامية، ولم يضيع الأخوة الدينية والذي يمكنه الرقي في هذا العصر هو الذي يفهم الإحساس القومي، ولايمكن الرقي بغير هذا لأن الارتقاء رهين باتحاد الجماعات وتعاونها، والكمال لايكون إلا بالأمة كلها، وما كان لرقي الأفراد إلى الآن فائدة كبيرة في الأمة، ولهذه الأمنية يربي السياسيون الأمم، والاتحاد القومي موجود بنفسه، ويكفي فيه أن يكون الإنسان عربياً، فإن الفرد من هذه الأمة العربية يدرك بفطرته وبفكره الأول أنه ابن هذه الأمة التي زلزلت الأرض حيناً من الزمن، وحق له أن يفهم ذلك، وهذا العصر هو عصر القوميات فلا تستطيع الأمة العربية أن تقف

---

(1) انظر: ادريس السنوسي، ص218.

(2) انظر: ادريس السنوسي، ص218.

بعيداً عن هذا التيار، والعرب هم أساس الإسلام ومنشأه فإذا ماتماسكوا وتكاتفوا وشدوا أزرهم ينهض الإسلام بلا ريب، ولاخوف على المسلمين من تفرق الكلمة إذا ماعرب الجزيرة نهضوا، ومن أجل هذا نرى أن العصبية العربية معقولة ومشروعة، بل وضرورية، على شرط أن لا تتعارض مع الأخوة الإسلامية، وأن لاتتعدى على الآخرين وبهذه الوسيلة تقوى الأمة العربية ويقوى الإسلام معها[1].

ثالثاً: الحجاز هو قطب رحى الجزيرة العربية :

قال الملك إدريس رحمه الله: لاريب أن الحجاز هو قطب رحى الجزيرة العربية، ومنه منشأ الرجال الذين نشروا في العالم أسمى مبادئ الحرية وعلموا الناس أجمل معاني العدل، والتسامح، والعلم، والقابض الآن على أزمة أموره هو جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود، وفي بلاد اليمن جلالة الإمام يحيى بن حميد الدين، وهذان الملكان المستقلان المسيطران على صميم أحفاد عدنان وقحطان لاريب في أنهما يشعران بثقل المسؤولية أمام الله وأمام أهل الجزيرة وعموم المسلمين، وهما الآن أمام صحيفة يسطر لهما التاريخ فيها من جديد كما سطر لغيرهما في الماضي، ولايعزب عن ذكائهما كيف يجب أن تدار دفة الأمور لإعادة مجد العرب والإسلام، وتعريف الأمم ماتجهله من مدنيتهم وآدابهم وحضارتهم، وليس هناك مايقرب بين الشعوب ويعرف بعضها بالبعض الآخر غير الأعمال المجيدة النافعة والآخذة بأسباب الإصلاح من كل وجوهه المعلومة في هذا العصر، عصر المعارف والفنون، فعليهما أن يعرفا كيف يقودان صميم الأمة العربية من أحفاد عدنان وقحطان في القرن العشرين، إنهما يريدان أن يقفا بالأمة العربية في مستوى واحد مع الأمم التي سبقتهم الآن بمراحل، فعليهما إذن أن يستعدا للكفاح في معترك هذه الحياة، وعليهما أن يخلقا في أرض الجزيرة حيث لا امتيازات ولا عوائق مدنية جديدة وشعباً قادراً على السير وحده، ولم يكن هذا بالشيء العسير لأن الفرصة سانحة للعمل[2] .

رابعاً: العمل الإصلاحي على وجهين: ديني ومادي :

وقال أيضاً: والعمل الإصلاحي على وجهين: ديني ومادي، أما الديني فهو تحرير الفكر من قيد التقليد، واعتبار الدين صديقاً للعلم وحاكماً عليه وفهم الدين على طريقة السلف الصالح، ووضع ترتيبات ونظام للحج يكفل راحة الحجاج ورفاهيتهم وأمنهم وأما المادي فهو: الاتحاد وتحسين المواصلات في البلاد العربية، ومد السكك الحديدية ، وخطوط التلغراف، والتليفون وتعميمها، وتعبيد الطرقات لسير السيارات فبذلك ترتبط الممالك ارتباطاً منظماً، ثم وضع برامج واسعة وثابتة لنشر المعارف في عموم أنحاء المملكة بتعميم المدارس الدينية والثقافية، وتأسيس جماعة عربية بمكة لتعمل على ترقية الأمة العربية فنياً وأدبياً ولتنظيم الوحدة ومتجه السير وحرية الرأي، ثم المداومة على عقد المؤتمر الإسلامي في كل سنة أوان الحج وتنظيم طرق الدعاية إليه ونشرها في عموم الأقطار الإسلامية والعربية[3].

خامساً: الزعيم الأساسي هو الذي يؤسس حكومة راسخة البنيان:

وقال: إن الزعيم الأساسي هو الذي يؤسس حكومة راسخة البنيان لاتزول بزوال الأفراد والأسر،

---

(1) انظر: ادريس السنوسي، ص218.

(2) انظر: ادريس السنوسي ، ص219.

(3) المصدر السابق، ص219.

وهو صاحب النظريات السامية التي تؤثر في حياة الأجيال مع المحافظة على دوام السلام بقدر المستطاع ومراعاة الظروف الواقعية حتى لايعتري بنيانه الخلل وهو لايزال وليداً[1].

سادساً: أيها العرب اتحدوا وكونوا كالبنيان المرصوص:

وقال أيضاً: أيها العرب اتحدوا وكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، فإن الواجب المقدس يدعوكم أن توحدوا صفوفكم وأن تجاهدوا جميعاً في سبيل الذود عن حياض بلادكم ودينكم، وليس الجهاد هو القتال فحسب، بل إن أول الجهاد هو أن تعرفوا معنى الأخوة العربية وتوحيد السبيل، ثم تدافعوا بكل مااستطعتم كلما أمكنكم الدفاع، وأوله باليد، وليس معنى ذلك هو إشهار السلاح فقط، ولكنه التعلم، تعلم كل مايمكن أن تتفوقون به من الصنائع، وباللسان أي ببذل كل ما أوتيتم من النصيحة والإرشاد، وبالقلم، أي بتأسيس الصحف وارتباطها ببعضها لتوحيد الفكرة وتوجيه الرأي العام، وبعمل الملاجئ، والمستشفيات للفقراء واليتامى والمرضى حتى لايضطرون إلى الإلتجاء للمؤسسات الأجنبية التي قد تدس لهم السم من عقائد دخيلة، ومذاهب فاسدة مفسدة، ثم إنشاء المدارس الوطنية وتشجيع التجارة الوطنية والإكتفاء بمصنوعات البلاد.
وبعد أن تحدث في هذا الموضوع بإسهاب قال: والشعب العربي هو الآن على أبواب نهضة عظيمة ستتجاوز بعون الله ماكان عليه قبل قرون، وأن التاريخ سيعيد نفسه - والأحفاد كما قيل هم سر الجدود - .
إن الشعب العربي له مواهبه العظيمة في الحرب والسياسة، وفي العلم والإقدام، هذا مالاينكره أحد، والبلاد العربية في نظر عموم المسلمين متقدمة، ولها المكان المرموق لوجود البيت الحرام وكذلك قبر النبي ﷺ وبيت المقدس[2].
وقال في مكان آخر من البحث: إن الإسلام معناه الاتحاد والإسلام واحد لايقبل التجزئة ولكن مع الأسف الشديد فقد أدى الجدل الكلامي إلى الاختلاف فتفرق المسلمون إلى معتزلة وأهل سنة، وتفرقت المعتزلة شعباً وتفرق أهل السنة في الاجتهاد إلى مذاهب وهذا الاختلاف تجاذبته الأغراض السياسية، ولاسبيل لحسم هذا الخلاف إلا بالعودة إلى الإسلام الذي بينه صاحب الرسالة على بساطة أسلوبه وسمو معانيه وجوهره[3].
فلنفكر قليلاً في إنصاف وتعقل، ولننظر إلى الحقيقة ولنرجع إلى أوامر النبي وكنه الإسلام ونستعرض هذه المصائب التي انتابتنا منذ عصور طويلة، فإنه لايوجد شيء مهلك كمنازعتنا معشر المسلمين ... إلى أن قال: إن هذه الفوضى أفسدت الجماعة الإسلامية جيلاً بعد جيل، أفسدت الثبات والصبر والسعي المضطرد والاجتهاد والتفكير ثم قال: إن المسلمين لعدم تمسكهم بروح الإسلام أصبحوا في ضعف وانحطاط، وقد ذهب استعدادهم الفكري لانكبابهم على المنقولات، فالتقليد في الفكر لم يكن فضيلة، فكيف نقف هكذا صغار أمام الماضي؟ وكيف ننتظر من أسلافنا كل شيء كمن ينتظر الميراث ليعيش به؟[4]
هذه بعض النقولات من كتابه اتحاد العرب وائتلاف الموحدين يعطي الباحث خطوطاً عريضة في نظرة الملك إدريس رحمه الله لبعض القضايا التي تتعلق بنهوض الأمة وسعيها نحو التمكين.

---

(1) انظر: ادريس السنوسي، ص220.

(2) انظر: ادريس السنوسي، ص221.

(3) المصدر السابق نفسه، ص221.

(4) انظر: ادريس السنوسي، ص221.

وزيادة في إيضاح المنهج السياسي الذي كان يتبناه الملك إدريس ننقل هذه المقابلة الصحفية التي أجريت عام 1942م بين الملك ومندوب جريدة البصيرة التي كانت تصدر في الإسكندرية حيث أجاب على عدة اسئلة تتعلق بالوحدة العربية، ونهوض الأمة فقال: من المشاهد الآن أن العالم يسعى إلى التكتل داخل مجموعات قوية كبيرة، والعرب في بلادهم المختلفة لاحياة لهم أقصد حياة العز والقوة - إلا إذا اتحدوا داخل نطاق من التعاون التام، التعاون الذي يجمع بين الثقافة والصناعة، والاقتصاد، وبذلك تستطيع المجموعة العربية الكبيرة المؤلفة من ثمانين مليوناً أن تحتفظ لنفسها بين الأمم العالمية بمكانة مرموقة محترمة والوحدة العربية عندي أقرب إلى التحقيق في وقتنا الحاضر من اتحاد شرقي اسلامي، فإنه من المشاهد في بقاع الأرض المختلفة أن وحدة الدم واللسان والثقافة هي أكبر العوامل في تقارب الشعوب، واتحاد المصالح، وهذه الأمور جميعها متوفرة في الأمم العربية أكثر من توفرها في العالم الإسلامي، زد على هذا أن الأمم العربية متجاورة الحدود، ومتقاربة التخوم مما يجعل الاتحاد بينها أقوى أثراً وأسرع تنفيذاً وأجاب عن سؤال آخر لنفس المندوب بقوله:

إن الواجب المقدس الذي يحتمه الدين وتفرضه الوطنية على كل عربي هو أن يجاهد الطغيان بكافة الوسائل التي يملكها حتى يزول هذا الرعب الزاحف وتشرق شمس الحرية والكرامة الإنسانية على الأمم العربية والعالم أجمع من جديد[1] وعن سؤال آخر أجاب: إن الأهداف التي ترمي إليها والتي طالما سفكنا دماءنا في سبيل تحقيقها هي الحرية الكاملة، والإستقلال الشامل، ولاننسى نحن الطرابلسيين واجباتنا حيال النهضة العربية الكبرى باعتبارنا وحدة من الوحدات التي تتكون منها المجموعة العربية.

سنعمل كما عملنا في السابق متعاونين مع الأحرار العالميين على أن يسود الشرق العربي روح النهوض في المرافق العلمية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية حتى يؤدي رسالته الإنسانية ويستعيد مجده الغابر[2].

وعندما التقت به مجلة صوت الشرق في فبراير عام 1957م وجهت له بعض الأسئلة فأجاب: إن ليبيا تمد يدها لكل بلد عربي شقيق بإخلاص، واضعة كل مالها وأناسها في سبيل نصرة حرية هذا البلد، وتأييده في الذود عن حياضه وعزته وكرامته، ولن ننسى أبداً نصرة وتأييد البلاد العربية الشقيقة، والبلاد الحرة الصديقة لنا في جهادنا وكفاحنا في سبيل تحقيق استقلال ليبيا وتحريرها من الاستعمار إلى أن قال: أنصح العرب الأشقاء بالتمسك بالدين الكامل، والخلق الفاضل، والإتحاد الشامل، فلن يغلب شعب يحرص على هذه الأمور الثلاثة[3].

إن دراسة كتابه المذكور، وتصريحاته الصحفية تبين للباحث ضعف القول القائل بأن الملك إدريس لايفهم في أمور السياسة وأقرب إلى أهل التصوف من كونه رجل دولة، ولاتوجد لديه رؤية سياسية واضحة ولايعرف كيف تساس أمور الأمم والشعوب؟

إن حياة هذا الرجل لغنية بالعبر والدروس والمواعظ، التي تحتاجها الأجيال الصاعدة التي تستلهم من الماضي مايفيدها في حاضرها ومستقبلها وفق رؤية وتصور نابع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

---

(1) انظر: ادريس السنوسي، ص225.

(2) المصدر السابق نفسه، ص226.

(3) المصدر السابق نفسه، ص226.

سابعاً: مكانة الصحافة في زمن الملك إدريس، وحرية الكلمة في مجلس النواب:

إن كثيراً من الحكام والملوك والقادة لايتحملون النقد، ولاكلمة الحق الموجهة إلى حكوماتهم أو ذواتهم ويقتدون بفرعون مصر الذي قال الله فيه: { ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد} (سورة غافر، الآية) ويستعملون كافة الأساليب الوحشية لتكميم الأفواه، ومصادرة الحريات ويبررون مواقفهم أمام شعوبهم عند قمع الأخيار والمصلحين كما قال تعالى: {وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد} (سورة غافر، الآية: 26).

وهكذا كل الطغاة يقولونها عندما يواجهون المصلحين، وكلما تواجه الحق والباطل، والإيمان والكفر، والصلاح، والطغيان، على توالي الزمان واختلاف المكان.

وهكذا الطغاة في كل زمان ومكان يقدمون أنفسهم على أنهم الحريصون على الفضائل، الغيورون على الأخلاق، الراغبون في التعمير والتقدم، والأمن والإزدهار، بينما يقدمون أهل الخير والصلاح على أنهم مفسدون مخربون، ضالون، مضلون، أعداء الله والأمة والوطن، وحلفاء الشيطان ورؤوس الفتنة، ودعاة الضلال، ولهذا يجب القضاء عليهم قبل تحقيق أهدافهم الخبيثة[1].

إن الملك إدريس رحمه الله سمح للمصلحين أن يتكلموا وينقدوا الدولة والحكم وشجع الصحافة، والنواب على قول كلمة الحق وحتى الذين يتجاوزون حدود القانون من المعارضة يعترفون بالمعاملة الحسنة التي يلاقونها من الشرطة فقد ذكر الأستاذ محمد بشير المغيربي في كتابه وثائق جمعية عمر المختار مايدل على ماذهبت إليه فقد قال: (لابد أن أقول بعد كل ذلك أننا طيلة تلك المرحلة ونحن نعارض ونواجه بحدة وبشدة وتتخذ ضدنا إجراءات بالسجن والاعتقال والنفي وتحديد الإقامة إننا لم نتعرض لإهانة أو إذلال معنوي أو جسدي بل أن كل ماطبق علينا من تلك الإجراءات كان في جو من الإحترام وبما لايجرح كرامتنا أو يحط من أنسانيتنا..)[2].

إن من يدرس دور الصحافة في فترة الملك يلاحظ أنها كانت حرة ولكل شخص الحق في حرية التعبير عن رأيه وفي إذاعة الآراء والأنباء بمختلف الوسائل وذلك في حقوق الحق الدستوري المنظم لقانون المطبوعات الذي ظهر عام 1959م.

كان قانون المطبوعات يشترط موافقة مجلس الوزراء على وقف إصدار الصحيفة مما أعطاها منعة وحصانة ضد أي قرار تعسفي في حالة تفرد جهة معينة بذلك وأعطت الحكومة الليبية زمن الملك السابق رحمه الله حرية للصحف في مباشرة نشاطها دون تدخل أو تعويق إداري، ورغم أنه بدرت من الحكومة بعض الممارسات التعسفية في حق بعض الصحف إلا أن طبيعة النظام الحاكم كانت دائماً تعطي مجالاً وبراحاً للأخذ والعطاء، كما أن دستورية المؤسسات تضمن للصحف والمجلات حقوقها، وعندما قامت الحكومة في عام 1952م بإغلاق صحيفة التاج عارضت الصحيفة ذلك القرار، ورفعت دعوى ضد الحكومة وألقى الشاعر أحمد رفيق المهدوي قصيدة في تجمع لرفض القرار جاء فيها:

التاج يشكو لرب التاج مالاقى

من الوزارة تعطيلاً وإغلاق

وزارة جاوزت مالا يطاق فأكثرت

---

(1) انظر: قصص السابقين للخالدي (105/5).

(2) انظر: وثائق جمعية عمر المختار ، ص8.

على الشعب اعناتاً وإرهاق

وقد نشرت القصيدة في اليوم التالي في جميع الصحف ولم يتعرض الشاعر لأي أذى ويوم تعرضت صحيفتي البلاغ والميدان للإغلاق ودخلت هذه الصحف في معارك قضائية عنيفة ضد وزارة الإعلام كانت هذه الصحف تدافع عن وجهة نظرها علانية أمام الجميع وفي المحاكم وكانت هناك نوعان من الصحافة حكومية وأهلية: فالصحافة الحكومية من أشهرها (ليبيا الحديثة، برقة الجديدة، فزان، طرابلس الغرب) ومع كونها حكومية إلا أنها لم تخل في مرات عديدة من نقد واضح للسلطات الحاكمة، رغم كونها من أدواتها الإعلامية، ونذكر هنا بالقصيدة الشعبية التي نشرتها صحيفة حكومية:

(وين ثروة البترول ياسمسارة   اللى ع الجرائد نسمع بأخباره)

وقد تضمنت القصيدة رسالة جرئية وعنيفة في مهاجمة الحكومة[1].

ب- أما الصحافة الأهلية وهي قائمة على الشكل التجاري فكانت تتلقى دعماً غير مباشر من الحكومة على هيئة (إعلانات - اشتراكات) وبقدر ماكان ذلك يشكل دعماً مالياً عُد بمثابة ضغط غير مباشر وربما قيدها أحياناً عن التمتع بحرية كاملة وقد ساهمت في انضاج الرأي العام المحلي وتوعيته سياسياً، وقد عرفت صحف كالبلاغ والرقيب بمقالاتها المنتقدة للحكومة، كما اشتهرت صحيفة (الحقيقية) بأسلوبها الساخر في تناول الحكومة والتعريف بمساوئها، ولم تتوان الصحف بما فيها الحكومية عن نقدها وفضحها لبعض مشاريع الدولة حتى تلك التي كان وراءها مقربون كعبدالله عابد السنوسي (مشروع طريق فزان)، حيث نشرت القصة لأول مرة في صحيفة المساء في 1960/8/20م تقدمت المعارضة على أثرها بطلب إسقاط حكومة عبدالمجيد كعبار عن طريق البرلمان وهو ماحدث في 1960/10/16م.

وأهم الصحف والجرائد التي ظهرت في زمن المملكة الليبية وقبلها بقليل هي:

1- صحيفة الوطن أنشأها مصطفى بن عامر 1943م.
2- صحيفة (التاج) لصاحبها عمر الأشهب ظهرت عام 1951م.
3- مجلة (ليبيا) أنشأها مصطفى بن عامر 1951م.
4- صحيفة (شعلة الحرية) أنشأها أحمد زارم 1951م.
5- صحيفة (الصريح) أسسها إبراهيم أحمد البكباك 1951م.
6- صحيفة (الليبي) أنشأها علي محمد الديب سنة 1951م.
7- صحيفة (المنار) مؤسسها عمر الأشهب 1952م.
8- صحيفة (الدفاع) أسسها صالح بويصير 1952م.
9- صحيفة (اللواء) أسسها علي رجب 1952م.
10- صحيفة (البشائر) مؤسسها علي زاقوب 1953م.
11- صحيفة (الزمان) أسسها عمر الأشهب 1954م.
12- مجلة (طرابلس الغرب) أصدرها مكتب المطبوعات والصحافة والنشر الحكومي سنة 1954م.
13- صحيفة (طرابلس الغرب) رئيس تحريرها فخر الدين عبدالسلام ابو خطوة 1954م.
14- مجلة (صوت المربي) صدرت عن اللجنة الثقافية لرابطة المعلمين ظهرت عام 1955م.
15- مجلة (النور) صاحب الامتياز عقيلة بالعون العدد الأول 1957/5/1م.

---

(1) انظر: الانقاذ العدد 39 بقلم طاهر احمد ، ص78، 79.

16- مجلة (الأفكار) ورئيس تحريرها راسم قدري 1955م[1].
17- صحيفة (الرائد) أنشأها بشير يوسف الطويبي سنة 1956م.
18- مجلة (الضياء) صاحب الامتياز عمر الأشهب أول عدد 1957/3/1م.
19- صحيفة (العمل) أحمد حسين أبو هدمه 1958م.
20- صحيفة (الطليعة) سالم علي شيته 1958م.
21- صحيفة (الرقيب) رئيس تحريرها رجب المغربي 1961م.
22- مجلة (الهدى الإسلامي) الشيخ محمد أمين هلال رجب 1381هـ - 1961م.
23- صحيفة (البلاغ) لصاحبها علي وريث 1963م.
24- صحيفة (الأمة) رئيس تحريرها عبدالله عبدالمجيد 1963م.
25- صحيفة (الميدان) فاضل المسعودي 1964م.
26- صحيفة (الحرية) رئيس تحريرها محمد عمر الطاشاني 1964م.
27- صحيفة (الحقيقة) صاحبها محمد بشير الهوني 1966م.
28- صحيفة (الديلي نيوز) رئيس تحريرها عبدالرحمن خليفة الشاطر.
29- صحيفة (الريبوتاج) رئيس تحريرها عبدالقادر طه الطويل 1967م.
30- صحيفة (الشعلة) رئيس تحريرها حسين الكيلاني الضريريط 1967م.
31- صحيفة (الفجر) محمد فريد سيالة .
32- صحيفة (ليبيا الحديثة) رئيس تحريرها صالحين عبدالجليل عمر.
33- مجلة الإذاعة، الكشاف، صحف برقة، طرابلس، الرأي العام، ليبيا تايمز[2].

وهذا العرض لإسماء الصحف والجرائد يدل على نهضة فكرية وسياسية جيدة للغاية، كما يدل على مرونة الملك وحكومته وبعدهم عن مصادرة الأصوات المعارضة لسياسة الدولة.

الاستاذ مصطفى بن عامر وكلمة حول الميزانية العامة في مجلس النواب:

كانت العناصر الحية، والحريصة على مصلحة شعبنا تستطيع أن تتكلم بكل وضوح وصراحة في مجلس الأمة ويحفظ لنا التاريخ مرافعة مهمة في مجلس الأمة الليبي عام 1955م وقد تكلم الكثير ممن نقدوا سياسة الحكومة من أمثال الشيخ عبدالعزيز الزقلعي وغيره إلا أن مرافعة الاستاذ مصطفى بن عامر كانت أقوى بياناً وأوضح حجة، وادق عبارة، واسهل اسلوباً، ومرافعته التاريخية يلاحظ الباحث وجود حرية في القول والنقد، والتعبير تمتع بها نواب الشعب وتلك الحرية حسنة من حسنات ذلك النظام الذي كان يقوده الملك ادريس رحمه الله.

وقد جاء في كلمة مصطفى بن عامر في مرافعته: (لقد سبق لي وأنا لست عضواً في المجلس حين وضعت المعاهدة البريطانية والاتفاقية الامريكية أمامكم لتقولوا كلمتكم فيها، أن ابلغتكم آرائي عن هذين القيدين الحديدين اللذين صيغا للبلاد وأعدا لمنع تقدمها من طريق العزة والكرامة والحرية رغم ماقدمته بريطانيا وأمريكا الى خزينة الحكومة من فتات الاعانات، وفضلات المساعدات التي ظهرت ارقاماً ضخمة في الميزانية الحالية والميزانيات السابقة ، ولكن أي أثر احداثته تلك الأرقام الضخمة في النهضة الاقتصادية ، وفي العدالة الاجتماعية اللهم إلا إذا احدثنا تعريفاً جديداً لحقيقة النهضة ، وحقيقة العدالة وفسرناهما تفسيراً يتمشى مع الاوضاع السائدة التي تقوم على ترف الاقلية، وبؤس الاغلبية ، واعتبار الفساد ضرورة لا بد منها، والاصلاح حلماً من أحلام الطيش

---

(1) الانقاذ العدد 39 جمادى الاخرة 1412هـ، ديسمبر 1991م، ص80.

(2) الانقاذ العدد 39 ، ص81،80.

والغرور، لقد مددنا أيدينا للانكليز والأمريكان وأخذنا منهم الشلنات والدولارات، واعطيناهم أعز مانملك وأكرم مانحرص عليه فماذا عملنا بما أخذنا لاشيء، .. أين موقفنا هذا من ذلك الموقف الذي كنا نقفه في وجه الادارة البريطانية السابقة عندما كانت تدعي وجود عجز في الميزانية وما كان يبلغ نصف مليون جنيه وكنا نعتبر هذا العجز مفتعل نتيجة الاسراف المقصود لإقامة حجة علينا ومع ذلك فقد عاشت ليبيا تحت حكم الادارة البريطانية تسعة اعوام تخللتها سنون عجاف كان الجفاف فيها أشد من الجفاف الآن لكننا لم نشاهد بؤساً كما نشاهد اليوم ولم يمت احد من الجوع مثلما حدث في هذا الوقت كما أعلن ذلك أحد النواب المحترمين في قاعة هذا المجلس بالرغم من وجود القمح الامريكي الذي ظن أنه لن يترك بيتاً جائعاً. ولآن نريد أن نعرف مامعنى أن نصبح دولة مستقلة ذات سيادة. معنى ذلك أن نضخم ارقام الميزانية حتى يقال أنها ميزانية دولة لا ميزانية مستعمرة ونبني المنازل لسكنى الوزراء ونقيم العمارات ونؤثثها وننشيء المكاتب الفاخرة ونستورد السيارات والسخانات وآلات التدفئة والمكانس الكهربائية ومكيفات الهواء ونتقل من عاصمة الى عاصمة ونبعث بالسفراء والوزراء الى امريكا والشرق.
أمعنى ذلك أن يصبح جميعاً وزراء ونظاراً وأعضاء مجالس نيابية وتشريعية ورؤساء دوائر ومتصرفين ومدراء ومستشارين وسكرتيرين وكتاباً وطباعين ومباشرين ونتقاضى الرواتب والمكافآت والعلاوات ونتطاحن على التعينات والترقيات والدرجات. . أمعنى ذلك أن نشمخ بأنوفنا حينما نقلد منصباً حكومياً ونمشي في الارض مرحاً ونأبى أن نخاطب إلا بالعرائض ومن وراء حجاب ونمسي ونصبح وإذا هنا خلق لا عهد له بهذه الدنيا ومن فيها؟ لعل هذا هو المعنى الذي ادركه المسؤولون من إعلان الاستقلال وقيام دولة وممارسة السيادة لعل هذا هو المعنى الذي أدركوه وطبقوه وتفهموا فقراته على من تصرف الاموال وعلى من تنفق؟
لا بل انظروا حواليكم ايها السادة كم كلفكم هذا الاثاث الفخم الذي يحيط بكم ألم تكن هناك مقاعد صالحة ولائقة قبل هذه وإن كانت غير جميلة ولا أنيقة ولكنها كانت كافية بل فوق الكافية.
لما أنفقتم آلاف الجنيهات في هذه المظاهر والمناظر وميزانيتكم تئن من العجز والاجنبي يحتل بلادكم وشعبكم يرزح تحت أثقال عيشة بائسة؟ أريد أن أعرف اهذا هو معنى الاستقلال أم هو الاسراف والتبذير والأبهة والترف، وأين الاقتصاد والإنتاج والعمل والاجتهاد. اريد الجلوس على الكراسي العادية والمناضد الخشبية قليلة التكاليف، فماذا يلحقنا من ضرر لو أننا فعلنا ذلك اللهم إلا الأجر عند الله والذكر الحسن عند الشعب ومن وراء ذلك خير الوطن ونفع البلاد بل إني استطيع أن أتطرف في التوفير وعدم التبذير الى أبعد من ذلك. وأتصور عندما أعلن استقلال ليبيا وقيل إن في ميزانيتها عجزاً يحتاج تغطية من المساعدات الاجنبية واجتمع اول مجلس نيابي يمثل البلاد أتصور أن هذا المجلس رفض أن يكلف ميزانية الدولة الناشئية أي شيء لحساب اثاث قاعة وفضل اعضاؤه المحترمون البساطة على كل ماعداها وأن يأتي الزوار من هنا وهناك لينظروا الى ممثلي الشعب وهم يضربون أروع الأمثلة في التقشف والعزوف عن المظاهر على حساب الامة الفقيرة هم يباشرون أعمالهم لمصلحة أمتهم على هذه الصورة الرائعة الخالية من الزخرف والبهرجة كأنهم في بيت من بيوت الله يعبدون الله بالعمل لصالح المجموع فنحن مسلمون وشعار الاسلام في كل عمل عبادة.
أيكون ذلك لو كان دليلاً على تأخر وانحطاط؟ لم لا يكون دليلاً على وعي كامل وشعور رفيع بالمسؤولية وتفهم عال لحقيقة الاستقلال وبداية سليمه قوية في تشييد الكيان السليم القويم؟ ولعل عشاق المظاهر يرون في ذلك عاراً ومهزلة لايليق أن توصم بهما دولتنا الفتية وليس من الكرامة والشرف أن يجتمع مجلس الامة على تلك الصورة. وإلى اولئك أذكر أن العار الذي يطمس الشرف هو أن نسمح لأقدام المحتلين أن تدوس أرضنا وهي عرضنا مقابل حفنة من المال ننفقها على

مظاهر كاذبة ومناظر زائلة والمهزلة التي تطيح بالكرامة هي أن نتجاهل قدر أنفسنا وحقيقة وضعنا وظروفنا وإمكانياتنا.
إني أشعر وأنا أتصفح الميزانية بأسى عميق وأسف شديد، إذ أن ذاكرتي تعود بي الى الماضي القريب المليء بالآمال واستعرض الذكريات وأقارن بينها وبين الحاضر المشحون بالآلام واتطلع الى المستقبل فلا أملك إلا التوجه الى الله ان يلطف بنا ويهئ لنا من أمرنا رشداً.
أذكر ايها السادة ذلك اليوم الأغر الذي صدر فيه قرار هيئة الامم المتحدة التاريخي بالاستقلال ليبيا (مساء 21 نوفمبر 1949) وأذكر أن جريدة كتبت في اليوم التالي تعليق على هذا القرار: (منذ البارحة سيكون علينا أن نعمل وننتج أكثر مما قاتلنا وكافحنا وسيكون علينا أن نكد ونجد حتى يفوق مانصبه من عرق وماذرفناه من دموع وأهرقناه من دماء أمامنا تركة عهدين يتطلبان التصفية النهائية حتى لانكون بعد ذلك مطالبين بميراث عهد الايطاليين الذين خرجوا من ديارنا بعد صراع عنيف وضحايا جمة وخلفوا ممتلكات مدمرة وعامرة ولكنها كلها ملك شرعي في ارض الوطن لأهل الوطن... وعهد البريطانيين الذين قسموا البلاد الواحدة واقتسموها سلباً حلال، وضيعوا عليها الفرص وشوهوا معالمها ووضعوا في طريقها نهضتها كل معرقل وعائق. أمامنا هذه التركة أو هذه المشكلة التي يجب أن يوضع لها حد، ثم أمامنا ما أمام كل شعب مثلنا من الحاجة الى إحصاء كل ماله وما عليه وتفهم كل دقيقة من لوازمه وضرورياته وتنسيق جميع متطلباته في جدول تراعى فيه الأهمية والاسبقية ثم المباشرة في العمل بما يستحق من العناية والاتقان في صغير الامور وكبيرها.
هذا الكلام قالته الجريدة منذ خمسة أعوام وكأنها تلخص برنامجاً يجب أن تسير عليه الدولة الجديدة إذا أرادت أن تكون دولة. قالت هذا وقلوب الجميع مفعمة بالآمال. والآن أعود لتلاوة ماقلت ونفسي مليئة بالآلام، كيف لا أيها السادة ، ونحن بدل أن نكد ونجد تخاذلنا وتكاسلنا، وبدل أن نقتصد ونجتهد أسرفنا وبذرنا وبدل أن نصفي التركة المتروكة لنا جعلنا نحن من أنفسنا تركة في الحاجة الى تصفية.
وبدل أن نحل المشكلة التي تواجهنا زدنا عليها مشاكل لا يمكن حلها وبدل أن ننتج أصبحنا نستجدي الاغاثة ونجلس في طلب الصدقة بدل من أن نحصي ونتفهم ضرورياتنا ولوازمنا صرنا نفرط في الكماليات حتى جعلناها ضرورة لازمة.
والاستقلال معناه أن نعيش في بلادنا ونملك أمر نفوسنا ولا نكن عالة على غيرنا في أي أمر من الأمور.. من أجل هذا الاستقلال بذلنا الأرواح وأهرقنا الدماء وذرفنا الدموع ولكي نحافظ على هذا الاستقلال، بهذا المعنى كان يجب أن نعصر اجسامنا عرقاً نتيجة الكد والجهد حتى نوفر المبالغ التي تسدد عجزنا ولكننا عكسنا الأمر وقلبنا الوضع:- فلابد من التضحية ولابد من نكران الذات وضرب الامثال للأجيال القادمة في الخلاص والتفاني الى أبعد الحدود[1].
لقد كانت مرافعة الاستاذ مصطفى بن عامر في مجلس الامة في سنة 1955م مفخرة تاريخية للاجيال حيث أن من اجدادنا من هو بهذه الشجاعة والاخلاص والحرص على تحرير البلاد من الغاصبين والدعوة الى الأخذ بالاسباب التي تؤدي الى هذا السبيل، وإن شعبنا في هذه الفترة الحرجة من تاريخه الجهادي لهو احوج الى أمثال الاستاذ مصطفى بن عامر لخوض معارك التحرير الفعلية في كافة مجالاتها التشريعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية....الخ.
فنحو أسلمة بلادنا الحبيبة وأرجاع عز الأمة التليد نحن ساعون وعلى ربنا متوكلون.

(1) انظر: وثائق جمعية عمر المختار لمحمد المغيربي، ص410، 411، 412.

ثامناً: استقالة الملك عام 1965م الاولى واستقالته الثانية قبل الانقلاب العسكري باشهر عام 1969م:

مع مرور الزمن وتقدم السن رأى الملك ادريس ان يتخلى عن الملك وأن يقدم استقالته، ويترك الى الشعب أو ممثليه اسناد الامر الى من احق منه او أقدر على حمل الامانة والقيام بالواجب المطلوب ولذلك لم يتردد الملك ادريس في عام 1965م في عهد حكومة السيد محمود المنتصر الثانية ان يقدم استقالته بسبب التقدم في العمر، وخشيته نتيجة لذلك من التقصير في القيام بماعليه من الواجب والمسؤوليات الى البرلمان الليبي تاركاً له أن يتخذ مايراه مناسباً من نظام للحكم لصالح البلاد، ومن رئيس للدولة فيها؛ ولكنه عندما تقاطرت الى مدينة طبرق، حيث كان يقيم الملك الجماهير الغفيرة من مختلف اطراف البلاد، وفي مقدمتهم الكثيرون من كبار قادة البلاد بما في ذلك قادة المعارضة فيها، واحاط الآلاف منهم بالقصر عدة أيام يطالبون بالحاح الملك المحبوب بالعدول عن استقالته، وبقائه ملكاً لبلاده الى ماشاء الله، فإنه لم يكن بوسع الملك سوى الرجوع عن هذه الاستقالة، موضحاً إن استقالته هذه كان قد تحدث بشأنها من قبل مع بعض رؤساء الحكومات الليبية، الذين كان من بينهم السيد مصطفى بن حليم، والسيد محمد بن عثمان الصيد، وهي كانت فقط بسبب تقدمه في السن، وخشيته من يؤدي ذلك الى التقصير في حسن القيام بما عليه من المسؤوليات ، ولم تكن هذه الاستقالة بسبب خلاف مع الحكومة الليبية أو البرلمان الليبي، حيث كان كل منهما كما ذكر الملك قائماً بواجبه، وباذلاً جهده في خدمة البلاد، ولكنه امام معارضتهم لهذه الاستقالة فلا يسعه إلا العدول عنها، على أن يكون لهم الحق في رفع يده عن الحكم إذا ماشعروا، مستقبلاً بعجزه عن حمل ماعليه من الواجبات وتكليف من هو أقدر منه على حملها[1].

وقد كانت استقالة الملك ادريس الثانية والاخيرة هي تلك المؤرخة في 1969/8/4م ، والتي وجهها أثناء رحلة استشفائية الى تركيا ثم اليونان الى كل من رئيس وأعضاء مجلس الشيوخ ورئيس وأعضاء مجلس النواب، ورئيس الوزراء ورئيس مجلس الشيوخ عبدالحميد العبار ورئيس مجلس النواب مفتاح عريقيب، عندما جاءا الى تركيا في ذلك الوقت للاجتماع بالملك بناءً على طلبه وفي هذه الاستقالة أكد الملك ادريس أنه وقد تقدم به العمر حتى وهن العظم منه، وبلغ من العمر عتياً ولهذا فهو قد قرر التخلي عن العرش الى الامير ولي العهد الحسن الرضا السنوسي مشترطاً موافقة البرلمان على ذلك، ومن ثم عليه حلف اليمين واعتلاء العرش، ومطالباً في هذه الاستقالة الشعب الليبي بتقوى الله ومخافته وحمد الله تعالى وشكره على ماأكرم بلاده من النعم، وأفاض عليها من الخير، وأن عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وذلك خوفاً من أن يرفع الله تعالى عنها نعمه وخيره ويوليها الأشرار من عباده، وكان نص هذه الرسالة:

بسم الله الرحن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصبحه أجمعين.

أما بعد؛

ياأخواني الاعزاء رئيس وأعضاء مجلس الشيوخ واعضاء مجلس النواب ، يعني مجلس الامة الليبية، ورئيس الحكومة الليبية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أقدم لكم هذا الخطاب قائلاً: منذ أن قلدتني هذه الامة الكريمة الليبية ثقتها الغالية بتبوئي هذا المقام الذي شغلته بعد اعلان استقلال بلادنا العزيزة ليبيا.

---

(1) انظر: السنوسيون مخطوطة لم ترى النور بعد طلب مني مؤلفها عدم ذكر اسمه.

قمت بما قدر الله لي مما اراه واجب عليّ نحو بلادي واهلها وقد لا يخلو عمل كل انسان من التقصير، وعندما شعرت بالضعف قدمت استقالتي قبل الآن ببعض سنوات فرددتموها فطوعاً لأرادتكم سحبتها، واني الآن نسبة لتقدم سني وضعف جسدي اراني مضطراً ان أقول ثانية اني عاجز عن حمل هذه الامانة الثقيلة، ولا يخفى انني بليت في سبيلها خمسة وخمسين سنة قبل الاستقلال وبعده قد اوهنت جلدي مداولة الشؤون وكما قال الشاعر:

(سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم)

وقد مارست هذه القضية وعمري 27 سنة والآن في الثانية والثمانين ولله الحمد اتركها في حالة هي احسن مما باشرت في بلائي بها، فاسلمها الآن لولي العهد السيد الحسن رضا المهدي السنوسي الاول) على أن يقوم بعبئها الثقيل امام الله وامام اهل هذه البلاد الكريمة على نهج الشريعة الاسلامية والدستور الليبي بالعدل والانصاف فاعتمدوه مثلي مادام على طاعة الله ورسوله والاستقامة.

وبعد اعتماده من مجلس الامة يحلف اليمين الدستورية امام مجلس الامة قبل أن يباشر سلطاته الدستورية، واني ان شاء الله عقدت العزم الاكيد على اجتناب السياسة بتاتاً والله على ما أقول وكيل.

والذي اختتم به قولي بأن اوصي الجميع من ابناء وطني بتقوى الله في السر والعلن، وانكم جميعاً في ارغد عيش وانعم النعم من الله تبارك وتعالى.

فأحذروا من ان يصدق عليكم قوله تعالى: {وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون} فالله الله مما يغضب الله. وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ولا تفرقوا ، قال ﷺ لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

محمد ادريس المهدي السنوسي
في 21 جمادى الاول 1389هـ
الموافق 4 أغسطس 1969م

تاسعاً: نزاهة ملك ليبيا وعفته واقوال المؤرخين فيه ووفاته:

حينما وقع الانقلاب في سبتمبر 1969م كان الملك في رحلة الى تركيا واليونان ولم يكن معه مال خاص ينفق منه، ومع ذلك فحينما عرض عليه المسؤول المالي للرحلة استلام ماتبقى في عهدته من مخصصات رفض الملك ذلك بعزة نفس وقال له: (يابني أنا بالأمس كنت ملك ليبيا، ولكني لم اعد كذلك اليوم، وبالتالي فإن هذا المال لم يعد من حقي، ويجب أن يسلم الى خزينة الشعب).

تقول الملكة فاطمة في رسالة لها بتاريخ 13 سبتمبر 1969م تصف فيها حالها ومال زوجها الملك بعد وقوع الانقلاب : (إننا نحمد الله على أن تيجان الملكية لم تبهرنا قط، ولا نشعر بالأسف لفقدها ، فنحن كنا دائماً نعيش حياة متواضعة، ولم يغيب عن أذهاننا مثل هذا اليوم، كما نحمد الله كثيراً على أننا لا نملك مليماً واحداً في أي مصرف حتى يشغل بالنا المال، ولم نغير أبداً معاملتنا لاصدقائنا

(1) انظر: الملك ادريس عاهل ليبيا، ص165، 166.

وهي لن تتغير مع الايام)[1].

لقد تحدث الكثيرون عن سيرة ملك ليبيا السابق ويجدر بنا أن نشير الى بعض اللذين عاصروه واتصلوا به شخصياً، واطلعوا عن قرب على الكثير من اخلاقه الرفيعة ففي مقال نشر في صحيفة الشرق الاوسط في عددها بتاريخ 23 يونيو 1983م نعى السيد مصطفى بن حليم رئيس وزراء ليبيا السابق الملك محمد ادريس السنوسي وتحدث عن جهاد ليبيا تحت قيادته وكان ضمن ماقاله عن شخصيته: (لقد عرفت الملك ادريس رحمه الله معرفة حميمة على مدى نصف قرن تقريباً عرفته منذ كنت صبياً وعملت معه وزيراً ثم رئيساً لحكومته ثم مستشاراً له، كما عرفته وأنا مواطن عادي ، وكما عرفته وهو لاجئ في مصر وكنت دائماً التردد عليه في ملجئه في القاهرة وفي طول نصف القرن عرفت فيه المجاهد المسلم الزاهد المتواضع لم يعر مباهج الدنيا أي اهتمام، وكان الملك المؤمن الورع والاب العطوف والقائد الحكيم المتواضع، كما كان يحن دائماً للهجرة الى مكة والمدينة المنورة ليجاور في الأراضي المقدسة، مرة واحدة رأيته يتلوى ألماً ويبكي دماً ويهدر هديراً، وهو الهادي الصبور كان ذلك يوم سقوط القدس الشريف في ايدي الصهاينة، كان يخشى الله في السر والعلانية كان كريماً ندي اليد، خجولاً طالما صرف مخصصاته الرسمية في أوجه الخير سراً وفي سنة 1955م عندما أنشئت الجامعة الليبية تبرع بقصر المنار في بنغازي ليكون لها المقر وكذلك فعل سنة 1956م تنازل عن قصر الغدير كمقر للكلية العسكرية كان دائماً يتردد على الاراضي المقدسة للحج والعمرة[2].

ويقول الدكتور مجيد خدوري عن دوره في إنشاء الدولة الليبية وتحقيق الوحدة الوطنية: إن الدور الذي قام به الملك ادريس في إنشاء الدولة الليبية بالغ الاهمية إذ انه لم يكتف بأن اقدم على العمل بجرأة لتخليص برقة من ايطاليا في الحرب العالمية الثانية فحسب، بل استعمل نفوذه الشخصي وحنكته السياسية لاقناع أصحاب النفوذ من الزعماء الطرابلسيين بوجوب الالتفاف حول النظام الاتحادي الذي لولاه ماكانت لتتم وحدة ليبيا قط ولما كان حفيداً وخليفة للسيد محمد السنوسي، فضلاً عن ذلك فقد كسب أيضاً ثقة زعماء القبائل البرقاوية وأحاط نفسه بنفر من الرجال المقتدرين الذين تفانوا في تأييده كان بعض هؤلاء الزعماء قد تبعوه الى المنفى، والآخرين الذين ظلوا في البلاد لمقاومة الايطاليين قاموا بذلك بتوجيه، فلما عاد الى برقة بعد الحرب لم يكن ثمة مجال للتساؤل عمن يمكن أن تؤول إليه الرئاسة في برقة، ولم يكن الزعماء الطرابلسيين يجهلون أثر الملك ادريس في توحيد البلاد، إذ أنهم ادركوا أنه الشخص الوحيد الذي يكن له لجميع الاحترام، لكنهم اختلفوا على شكل الحكومة المنوي إنشاؤها ، وعلى الحدود الدستورية لاختصاصاته ... قبل عرش ليبيا بدافع من شعوره بالواجب الوطني ليزود البلاد المقسمة بالزعامة اللازمة لها)[3].

واما المؤرخ دي كاندول صاحب كتاب الملك ادريس عاهل ليبيا فقد قال: (على الرغم من محاولات تشويه صورة الملك في اذهان الناس وتهويل بعض نقاط الضعف التي لاينفرد بها عن بقية البشر، إلا أن الحقبة الطويلة التي قضاها في خدمة بلاده وأمته قد ترسخت في أعماق التاريخ بما يكفي للصمود أمام كل المساعي الخبيثة.

إن الملك ادريس رمز لعهد مضى ولن يعود، لكنه عهد زاهر يجدر بالليبيين جميعاً والعرب عموماً

---

(1) انظر: الملك ادريس عاهل ليبيا، ص154،153.

(2) انظر: الانقاذ العدد 39، ص65،64.

(3) انظر: الانقاذ العدد 39 ، ص65.

أن يعتزوا به)[1].

وقال ايضاً: (كانت الدعاية التي رافقت الانقلاب كاذبة مفترية في مزاعمها ضد الملك الذي حاولت أن تصوره مثل فاروق فاسقاً متهتكاً فاسد الذمة وهو أبعد مايكون عن تلك الصفات، فسمعته الشخصية كانت فوق مستوى الشبهات سواء في بلاده وفي العالم العربي عامة كرجل شديد الورع والتقوى كرّس حياته لحرية شعبه وكان في سلوكه الخاص مثلاً للاعتدال والاستقامة الكاملة وان الحملة الدعائية التي تواصلت ضده على ذلك النحو كانت من نوع الاسفاف الرخيص الذي لايقوم على أساس)[2].

وفاته:

استقر الملك ادريس رحمه الله تعالى في مصر حيث بقى مدة حياته الأخيرة بها، ولم يغادر مصر إلا مرتين ذهب فيها الى مكة للحج، وكانت وفاته في القاهرة بتاريخ 25 مايو 1983م وهو في سن الرابعة والتسعين[3].

وقد دفن الملك رحمه الله تعالى في المدينة المنورة، وكان قد طلب من جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز في لقاء لهما بموسم الحج سنة 1977م أن يأذن بدفنه متى حانت المنية في البقيع فكفل الملك خالد للملك ادريس رغبته رحمهما الله ثم إن الملك فهد بن عبدالعزيز اجاز ذلك بعد وفاة الملك خالد بن عبدالعزيز، ونقل جثمانه من القاهرة الى المدينة المنورة في طائرة مصرية خاصة[4].

فنسأل الله له الرحمة والمغفرة والرضوان ونقول ماقاله المولى عز وجل: {ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا أنك رؤوف رحيم} (سورة الحشر، آية 10).

لقد تركت مايتعلق بالممكلة الليبية متعمداً في ذلك، الى وقت آخر إن كان للعمر بقية واذن الله في مواصلة هذه الرحلة الطويلة التي بدأتها من الفتح الاسلامي الى هذا الكتاب، لأنني أشعر بضعف المادة التي أمامي فيما يتعلق بتلك الاحداث لان قضايا ذلك العصر على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لملابساتها وآثارها الممتدة الى عصرنا الحاضر وخصوصاً وأنني قد بحثت في أسباب سقوط المملكة بحثاً دقيقاً وطلبت من رجال عاشوا في تلك المرحلة ليساهموا معي في تتبع الأسباب التي أدت الى سقوط المملكة الليبية ولكن التفاعل كان ضعيفاً واعتذر البعض لأسباب أمنية وقد علمت بأن بعض الذين عاصروا تلك الأحداث قد كتبوا مذكرات مهمة عن المرحلة وينتظرون الوقت المناسب لنشرها لذلك رأيت من الحكمة والتعقل التريث حتى يأذن الله في نشرها لأنها سوف تساهم في إيجاد معلومات تساعد الباحثين على تقصي الحقائق للوصول الى نتائج صحيحة مبنية على معلومات يقينية ولا يفتوتني في هذه الخاتمة أن أشيد بالمجهودات القيّمة التي قاما بها كل من الوزيرين السابقين؛ مصطفى بن حليم ومحمد عثمان الصيد في كتابة مذكراتهم ثم نشرها بغية استفادة الاجيال منها.

إن الجهود التي قاما بها الوزيران السابقان تستحق الثناء والتقدير لأنها أصبحت مرجعاً مهماً لتلك

---

(1) انظر: الملك ادريس عاهل لبيبا حياته وعصره، ص45.

(2) انظر: الملك ادريس عاهل لبيبا، ص141.

(3) المصدر السابق نفسه، ص151.

(4) المصدر السابق نفسه، ص151.

المرحلة وأخذت قيمتها التاريخية والعلمية وتعتبر من المبادرات الرائعة والرائدة لأن اصحابها عاشوا تلك الاحداث وساهموا في صناعتها، كما أنهم حطموا جدار الصمت ، وكتبوا تاريخهم السياسي الذي في حقيقته اصبح ملكاً للأجيال الصاعدة بغض النظر عن اختلاف الآراء حول تلك المذكرات.

إن فترة المملكة الليبية من عام 1951م الى 1969م غنية بالأحداث على المستوى المحلي والأقليمي والدولي تحتاج الى دراسة واعية وباحث مدقق يتوخى العدل والانصاف يعتمد على الله ثم على الوثائق والحجج والبراهين.

إن الاعتناء بتاريخ بلادنا وبلاد المسلمين تظهر اهميته في هذا العصر الذي استخدم فيه التاريخ كأداة لتوجيه الشعوب وتربيتها كما يريد القادة والساسة، بل استعان بهذا العلم أصحاب المذاهب الفكرية الهدامة في فلسفة مذاهبهم المادية وتدعيمها حتى أصبح هذا العلم عند الامم المتقدمة في مكانة سامية لا يعلوها علم آخر.

إن دراسة التاريخ بوجه عام، وتاريخ الأمة المسلمة على وجه الخصوص لاينبغي في دراستها تحقيق الرغبات، والحاجات الدونية ، بل من أجل الوصول الى القمة العلية ألا وهي إحياء الامة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومعرفة كيفية التعامل مع سنن النهوض والصعود بالشعوب، واجتناب سنن السقوط والهبوط ولهذا قال تعالى: {أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض} (سورة غافر: آية 8).

هذا وقد انتهيت من كتابة هذه السلسلة التاريخية يوم الثلاثاء 1 ربيع الاول 1420هـ الموافق 15 يونيو 1999م، والفضل لله من قبل ومن بعد وأساله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل قبولاً حسناً وأن يكرمنا برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: { مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ومايمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم} (سورة فاطر: آية2).

وبهذه الابيات:

إليك وجهت يامولاي آمالي

فاسمع دعائي وارحم ضعف أحوالي

أرجوك يامولاي لا نفسي ولا ولدي

ولا صديقي ولا أهلي ولا مالي

لما عرفتك لم أنظر الى أحد

فلا الرعية أرجوها ولا الوالي

فلا تكلني الى من ليس يكلؤني

وكن كفيلي فأنت الكافل الكالي[1]

واسقني كأس حب من ودادك يا

مولاي فهو شراب سلسل حالي

(1) كلأه إذا حفظه (قل من يكلؤكم).

فلا وحقك ماللقلب من شغف

إلا بحبك فاشرح لي به بالي

وفيه سلوان قلبي عن علائقه

وسلسبيلي وسلوائي وسلسالي

ومنه أحيى ومن فقدي له مرض

ومرهمي أبداً منه وإبلالي[1]

أنا الفقير الى مولاي يرحمني

إذ تقضى بهول الموت إمهالي

أنا الفقير الى مولاي يرحمني

في بطن لحد وحيش مظلم خالي

هناك لحمي لدود القبر فاكهة

والعظم مني رميم في الثرى بالي

أنا الفقير الى مولاي يرحمني

يوم القيامة من عنف وأهوال

أنا الفقير الى مولاي يحشرني

في زمرة المصطفى المختار والآل

صلى الإله على أرواحهم أبداً

ضعفاً على قدر زخار وهطال[2]

---

(1) الإبلال: الشفاء من المرض.

(2) الزخار: صفة للبحر، وهطال: صفة للغيث.

الخلاصة

• ولد محمد ادريس السنوسي يوم الجمعة في العشرين من شهر رجب 1307هـ الموافق 12 مارس 1890م بزاوية الجغبوب .
• كان مولده يوم فرح وسرور لأتباع الحركة السنوسية، وخصوصاً أهالي الجغبوب، فعطل معهد الجغبوب، والكتاتيب القرآنية، ودور الأعمال ، ونحرت الجزر، ومدت الموائد ، وقدمت الصدقات شكراً لله تعالى.
• نشأ محمد ادريس في رعاية ابوية وبعد وفاة أمه احتضنته جدته لوالدته واهتم والده بتربيته تربية صالحة، وبدأ تحفيظه للقرآن الكريم بنفسه مع دخوله في سن السابعة من عمره.
• تتلمذ على مجموعة من أفاضل العلماء اشتهر من بينهم العلامة العربي الفاسي، واحمد ابي سيف، والعربي الغماري، وحسين السنوسي، واحمد الريفي وأحمد الشريف السنوسي.
• أتقن القراءات ، وعلوم الحديث ، كما أتقن البخاري، ومسلم، ومسند أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وموطأ مالك، ومسند ابي حنيفة، ومسند الامام احمد، وكتاب الام للشافعي، وغير ذلك من كتب الفقه والحديث والتفسير واللغة، وعلوم التاريخ ، وتقويم البلدان، وتحصل على إجازات عدة.
• لما تقدمت به السن أصبح له مجلساً عامراً بالعلماء والأدباء، وكان يحب العلماء ويجلهم ويكبر مافي نفوسهم من العلم، وينزلهم منه منزلة خاصة، ويحيطهم بعطفه وكانت أحب العلوم إليه الحديث الشريف، وعلم التاريخ والأدب والسياسة.
• كان لا يتحدث في موضوع إلا ويعلل رأيه فيه بعد تدقيق وتمحيص ثم يأتي بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة، تارة من كتاب الله، وطوراً من الحديث الشريف، وحيناً من أقوال السلف الصالح وأئمة المسلمين.
• كان قوي الذاكرة ، سريع الخاطر متين الحجة، وله اهتمام خاص بالفقراء والمساكين، وكان جميل المعشر، رحيماً باتباعه وخدمه، فيعود مريضهم بنفس متواضعة ويصفح عن المذنبيين منهم مالم يكن الذنب مغضباً لله ولرسوله وكان يميل الى اقتناء جياد الخيل، وله شغف بجمع انواع الاسلحة ويجمع الكتب.
• كان حريصاً على وحدة الصف السنوسي أمام أعداء الاسلام، فبعد أن بدأ الطليان هجومهم الغادر على الاراضي الليبية ورأى بعض الاخوان أن يسندوا الزعامة الى ادريس السنوسي كحق موروث بدلاً من أحمد الشريف رفض ادريس ذلك العرض وبذلك اجتمعت كلمة المجاهدين على احمد الشريف.
• سافر الى الحجاز لتأدية فريضة الحج عام 1330هـ، 1912م وكانت تلك الرحلة مليئة بالدروس والعبر وأصبح لها أثر عميق في تفكيره حيث احتك بالحكومة المصرية، وبزعيم الثورة العربية الكبرى الشريف حسين وقادة الانكليز في مصر وتكونت له قناعات مهمة فيما

يتعلق بمجريات السياسة الدولية، وبطبيعة الصراع بين الاتراك والانكليز واتخذ لنفسه منهجاً سار عليه لخدمة شعبه ووطنه وبلاده.
• رأى أنه ليس لمصلحة الحركة السنوسية الدخول مع الاتراك في حربهم ضد الانكليز وبعد رجوعه من الحج نصح أحمد الشريف بعدم الدخول في الحرب مع الاتراك ضد الانكليز وأعلن رأيه ذلك بصراحة .
• بعد انتهاء المعارك بين احمد الشريف وبريطانيا ظهر محمد ادريس على مسرح العمل السياسي الليبي وكان لبروزه مصلحة للبلاد، لما تمتع به من صفات أهلته لزعامة لبرقة؛ وآلت الأمور الى أن بايعه القبائل في شرق ليبيا بالإمارة.
• دخل الامير محمد ادريس السنوسي في مفاوضات مع الانكليز لكي يتوصل معهم الى اتفاق مؤقت يهدف به فتح الطرق مع مصر، حتى يتغلب على شبح المجاعة الذي هدد البلاد.
• اشترط الانكليز للدخول في المفاوضات ضرورة دخول حليفتها في الحرب العالمية الاولى إيطاليا لتلك المفاوضات، واضطر الأمير ادريس للموافقة على ذلك الشرط.
• لم يكن موقف الامير ادريس قوياً في المفاوضات بسبب هزيمة جيش السيد احمد الشريف في مصر بينما كان رصيده الوحيد في ولاء قبائل برقة، وحرص الانكليز على كسبه لصفهم.
• كانت ثورة الاتراك ضد السنوسية من العوامل التي ساعدت في دفع محمد ادريس نحو التقارب مع السياسة البريطانية، وقد بدأت تلك الثورة في أواخر عام 1916م وانتشرت في جهات عديدة حتى توجت بالنصر على السنوسية في فزان خلال شهر سبتمبر عام 1917م وطردوا منها محمد عابد السنوسي الذي التجأ الى الكفرة وترك واحة واو، وأصبحت فزان منذ ذلك الحين بيد الاتراك.
• استمر الاتراك في مضايقة محمد ادريس، وتضييق الحصار عليه وعملوا على الاطاحة به وأرسل نوري باشا بعثته الاولى الصغيرة الى الكفرة لضرب النفوذ السنوسي هناك إلا أن تلك البعثة فشلت وانتهت بوقوع أعضائها في ايدي صفي الدين السنوسي الذي استطاع أن يكشف أمرهم بسرعة، وأودعهم السجن.
• كان الأمير محمد ادريس على قناعة راسخة أن النصر في الحرب العالمية الاولى سيكون للحلفاء ولذلك حرص على التقارب من بريطانيا، صاحبة التفوق في منطقة الشرق ومن أجل تقليل الخسائر والمحافظة على كيان السنوسية الذي تعمل تركيا على تحطيمه في البلاد في تلك المرحلة، واتخذ قراراً بالانسحاب من الحرب ضد إيطاليا وبريطانيا ووافقه زعماء القبائل التابعين للحركة السنوسية على ذلك.
• كان ابناء البيت الادريسي في مصر هم حلقة الاتصال بين الامير ادريس والحكومة البريطانية وتم الاتفاق على سفر وفد بريطاني وايطالي الى اجدابية لعقد صلح بين الاطراف الثلاثة.
• وصل في أواخر عام 1916م الى زويتينة وفد من الانكليز والايطاليين ومعهم من المصريين احمد محمد حسنين افندي، ومحمد الشريف الادريسي وابنه محمد المرغني، وكانوا جميعاً ضمن الوفد الانكليزي اضافة الى الكولونيل تالبوت الذي له دراية كبيرة بشؤون الشمال الافريقي، والضابط اللفتننت هسلم وكان الوفد الايطالي يتكون من الكولونيل بيلا، والكوماندانور بياجنتيني ، ومترجمهم.
• بدأت المفاوضات بين الاطراف الثلاثة خلال شهري اغسطس، وسبتمبر سنة 1916م ، وكان الوفاق والتفاهم ظاهر بين الجانبين الانكليزي والسنوسي أما العلاقات الايطالية فقد كانت مغايرة لذلك تماماً.

• كانت مهمة الوفد الانكليزي يسيرة، فلم تكن هناك أية صعوبة في الوصول الى اتفاق مع السنوسيين ولكن الصعوبة تكمن في إصرار الكولونيل تالبوت رئيس الوفد على عدم التوقيع على أي اتفاق مع السنوسيين قبل ان ينتهي ادريس من الاتفاق مع الايطاليين ويتم التوقيع من الطرفين على هذا الاتفاق.
• في أوائل عام 1917م تمت اتصالات جديدة بين الانكليز، والايطاليين والسنوسيين وقد لعب محمد الشريف الادريسي وابنه المرغني دوراً هاماً في إنجاح هذ الاتصالات وموافقة جميع الاطراف على تجديد المفاوضات.
• طالت مدة المفاوضات ، فاستغرقت الفترة مابين شهر يناير الى منتصف ابريل تقريباً، والجلسات المعقودة ، والحوار مستمر وكانت لضغوط الانكليز اثر على الطرفين الايطالي والسنوسي حتى تم التوصل الى اتفاق ارتضاه الجميع.
• كانت معاهدة عكرمة في طبرق خير وسيلة لتحقيق السلم وصون مصالح العرب المجاهدين في برقة، كما أنه اتيحت فرصة لمحمد ادريس لتنظيم القبائل تنظيماً من شأنه أن يجمع الكلمة ويقضي على بذور الفتنة والاضطراب، كما ساعد ذلك الاتفاق على تأييد نفوذ محمد ادريس حتى بدأ الاهالي من ذلك الحين يلقبون محمد ادريس بالمنقذ.
• تركزت جهود الأمير ادريس بعد تلك المعاهدة على أمرين: إقامة الحكومة الوطنية الرشيدة التي تحفظ مصالح البلاد، وتتولى زعامة القبائل في برقة، وتطالب بكل حقوقهم ، ومقاومة نفوذ الطليان ومنع اتصالهم بالعرب بكل الوسائل في داخل البلاد.
• اتخذ محمد ادريس إجدابية مركزاً لقيادته وذلك لعدة أسباب نجملها فيما يلي؛ لما تميزت به من موقع استراتيجي هام، وقوعها في منتصف قاعدة مثلث رأسه في الكفرة وقاعدته النوفلية والجبل الاخضر، كما أنها تمثل الامتداد الطبيعي لواحات جالوا وأوجلة جخرة، والكفرة، وهذا يعطيها بعداً استراتيجياً هاماً، ومن أهم المناطق في تجارة القوافل، كانت موطناً لمعظم القبائل التي كانت تؤيد الحركة السنوسية ولغير ذلك من الأسباب.
• قام محمد ادريس بوضع نواة لجيش نظامي واجتهد في تسوية الخلافات بين بعض القبائل، وتمكن من القضاء على عناصر السلب والنهب والقتل.
• قام محمد ادريس بتشكيل مجلسين احدهما يضم كبار العلماء والاخوان ويقال عنه المجلس الخاص وله السلطات التشريعية والتنفيذية وأما المجلس الثاني فكان أعضاؤه من شيوخ واعيان القبائل ويقال له مجلس الاعيان.
• كان الأمير محمد ادريس يدير دفة العلاقات مع ايطاليا بمنتهى الحذر واللياقة، والكياسة ، والدبلوماسية ، والسياسة ، وحرص على توثيق علاقته مع الوالي الايطالي الكونت جاكومودي مارتينو، وعين عمر باشا منصور الكيخيا ممثلاً له في بنغازي ، وكان لعمر باشا خبرة سياسية نادرة، حيث كان نائباً في مجلس المبعوثان العثماني في استانبول.
• كان الايطاليون يرغبون في نقص الاتفاقات السابقة لأنهم كانو يطالبون بالسيادة التامة على ليبيا، وإنهم قبلوا بالأمر الواقع مؤقتاً، لذلك حاولوا أن يتقربوا من السكان، أملاً في أن ينتهي الامر بهم الى القبول بالسيادة الايطالية.
• بعد انهزام تركيا في الحرب العالمية الاولى اضطر الأتراك للاستسلام وعقدوا مع الحلفاء معاهدة جزيرة موندروس في 31 اكتوبر عام 1918م تعهدت فيها تركيا بسحب قواتها من طرابلس الغرب وأن تقطع علاقتها بها.
• كان لسقوط تركيا سبب رئيسي في ظهور فكرة الجمهورية الطرابلسية وطرحت على بساط البحث، واشترك فيها رمضان بك، وعزام بك، والباروني باشا، والأمير عثمان،

ومختار بك كعبار.
• في يوم السبت الثالث عشر من صفر سنة 1337هـ الموافق 16 نوفمبر سنة 1918م اجتمعت الوفود الطرابلسية في جامع المجابرة بمسلاته وهو أكبر جامع فيها.
• تشكل مجلس إدارة الجمهورية من سليمان الباروني، واحمد بك المريض، ورمضان السويحلي، وعبدالنبي بالخير، وشكل مجلس شورى الجمهورية ، والمجلس الشرعي لها.
• قامت الحكومة بإرسال عدة بلاغات الى كل من رئيس الحكومة الايطالية، ورئيس امريكا ولسن ، ورئيس الوزراء الانكليزي، ورئيس الجمهورية الفرنسية إلا أن تلك الدول لم تعترف بها.
• في 30 سبتمبر سنة 1919م أعلن الطرابلسيون رسمياً عن تأسيس حزب الاصلاح لأجل الدفاع عن مكاسب البلاد، وايقاظ الوعي الجماهيري السياسي، وأسندوا رياسته الى أحمد بك المريض، ورياسة شرفه الى رمضان بك.
• انتهز الايطاليون فرصة المهادنة ليلقوا بذور الفتنة بين العرب والبربر من جهة وبين البدو والحضر من جهة اخرى، وبين سكان البلدان المتجاورة.
• كانت من أكبر الفتن الحرب الطاحنة بين الزنتان والبربر فقدت بها طرابلس من ابنائها مالا يعلم عدده إلا الله.
• استغل الايطاليون ذلك الصراع وتلك الفتن، وتحركت جيوشهم للقضاء على الطرابلسيين، فاحتلوا فزان في 31 اكتوبر عام 1922م ، وفي 17 نوفمبر 1922م ، احتلوا غريان وبدأت المدن تتساقط أمام الجيوش الايطالية.
• بعد التطورات الخطيرة، والانشقاقات العظيمة التي وقعت بين الزعماء رأى عقلاء طرابلس ضرورة الاجتماع في مؤتمر غريان ليتدارسوا الاوضاع الراهنة ، ويتخذوا حيالها موقف مشترك.
• كانت الفتنة بين طرابلس وبرقة قد اشتدت مع اندلاع الحرب العالمية الاولى، وحصل فتور بين البرقاويين والطرابلسيين ، واستمر لمدة خمس سنوات.
• كان عقلاء طرابلس وبرقة لاترضيهم تلك الحالة المزرية التي لايرضى عنها عقل ولا شرع ولا عرف فبادر السيد احمد المريض بإرسال رسالة لأخيه الامير محمد ادريس السنوسي، وكانت مليئة بالمعاني الرفيعة والعبارات السامية، ورد على تلك الرسالة الامير محمد ادريس وترتب على ذلك اجتماع سرت العظيم بين الوفد الطرابلسي والبرقاوي.
• كانت الحكومة الايطالية تتابع الأخبار ومايدور بين برقة وطرابلس، وخافوا أن يترتب على اتفاق طرابلس وبرقة مالا تحمد عقباه، فقرر ولبي احتلال مصراته قبل أن يصل الليبيون الى نتيجة في مؤتمر سرت.
• بعد فشل المفاوضات بين ايطاليا والطرابلسيين في فندق الشريف في 10 ابريل سنة 1922م رأى الطرابلسيون ضرورة إرساله وفد الى الامير محمد ادريس ليبايعوه بالامارة تنفيذاً لما قررته هيئة الاصلاح المركزية في فندق الشريف.
• بادر الامير محمد ادريس بمصافحة تلك اليد الممدودة وقبل البيعة دون تردد وأجاب على كتاب البيعة في 22 ربيع الاول 1341هـ الموافق 22 نوفمبر 1922م.
• تغيرت العلاقات الايطالية السنوسية وحدثت بعض الاشتباكات بين الطليان والعربان بسبب حرص الطليان على نزع السلاح منهم ومرض الامير ادريس مرضاً شديداً ونصحه الاطباء بالذهاب الى مصر للعلاج.
• قام الامير ادريس قبل هجرته بتنظيم أمور الجهاد، وبحث الأمر مع زعماء ورؤساء برقة

من جانب ، ومع بشير السعداوي والوفود الطرابلسية من جانب آخر.
• عهد الامير بالأعمال السياسية والعسكرية في برقة الى عمر المختار نائباً عنه في تنظيم معسكرات المجاهدين وعهد بالمسائل الدينية وما يتعلق بالأسرة السنوسية الى أخيه محمد رضا.
• استطاع الايطاليون بقواتهم الجرارة، وطائراتهم القضاء على حركة المقاومة رويداً رويداً، ثم هاجموا في آخر الأمر ورفلة وعندئذ انحلت المقاومة تماماً، واضطر بشير السعداوي الى مغادرة سرت في عام 1924م بعد أن مكث بها سنة تقريباً.
• كان السعداوي رحمه الله من أشد المجاهدين تحمساً في هذه الفترة العصيبة، ومن أعظمهم مثابرة على الجهاد، وكان يتحلى برجاحة العقل، والرزانة والهدوء، ويتصف بالقدرة على النظر البعيد وتقليب وجوه الرأي في عواقب الامور.
• أصبحت برقة وحدها تحمل على عاتقها عبء الجهاد منفردة ضد العدو، وكان والي برقة الجديد بونجيو فاني قد بدأ يحل الأدوار المختلفة في برقة عنوة واقتدار.
• بدأ الجهاد بقيادة عمر المختار في برقة ضد إيطاليا من غير هوادة أو لين، أو ضعف، أو خوار.
• ولد الشيخ عمر المختار من أبوين صالحين عام 1862م وقيل 1858م وكان والده مختار بن عمر من قبيلة المنفة من بيت فرحات وكان مولده بالبطنان في الجبل الأخضر.
• بعد وفاة والده توالى تربيته الشيخ حسين الغرياني هو وشقيقه محمد، فأدخلهما مدرسة القرآن الكريم بالزاوية، ثم ألحق عمر المختار بالمعهد الجغبوبي لينضم إلى طلبة العلم من أبناء الإخوان والقبائل الأخرى.
• مكث في معهد الجغبوب ثمانية أعوام ينهل من العلوم الشرعية المتنوعة كالفقه، والحديث والتفسير، ومن أشهر شيوخه الذين تتلمذ عليهم، السيد الزروالي المغربي، والسيد الجواني، والعلامة فالح الظاهري المدني وغيرهم كثير.
• كان عمر المختار شديد الحرص على أداء الصلوات في أوقاتها وكان يقرأ القرآن يومياً، فيختم المصحف الشريف كل سبعة أيام منذ أن قال له الإمام محمد المهدي السنوسي ياعمر وردك القرآن.
• إن من أسباب الثبات الذي تميز به عمر المختار حتى اللحظات الأخيرة من حياته إدمانه على تلاوة القرآن الكريم والتعبد به، وتنفيذ أحكامه، لأن القرآن الكريم مصدر تثبيت وهداية وذلك لما فيه من قصص الأنبياء مع أقوامهم، ولما فيه من ذكر مآل الصالحين، ومصير الكافرين والجاحدين وأوليائه بأساليب متعددة.
• ظهرت صفة الشجاعة في شخصية عمر المختار المتميزة في جهاده في تشاد ضد فرنسا، وفي ليبيا ضد إيطاليا وقد حفظ لنا التاريخ رسالة منه إلى الشيخ الشارف الغرياني بين له فيها أنه لايخاف طائرات العدو ولا مدافعه ولا دباباته ولا جنوده من الطليان ولايخاف حتى من السم الذي وضعوه في الآبار ووضعوه على الزروع النابتة في الأرض، كما ظهرت فيه صفة الكرم وكان يردد على ضيوفه مقولته المشهورة (إننا لانبخل بالموجود ولانأسف لمفقود).
• تفوق عمر المختار على أقرانه بصفات عدة منها، متانة الخلق ورجاحة العقل، وحب الدعوة، ووصل أمره إلى الزعيم الثاني للحركة السنوسية محمد المهدي السنوسي فقدمه على غيره واصطحبه معه في رحلته الشهيرة من الجغبوب إلى الكفرة عام 1895م.
• وفي عام 1897م أصدر محمد المهدي قراراً بتعيين عمر المختار شيخاً لزاوية القصور

بالجبل الأخضر قرب المرج، وقام عمر المختار بأعباء المهمة خير قيام، فعلّم الناس أمور دينهم، وساهم في حل النزاعات بين القبائل وعمل على جمع كلمتهم وسعى في مصالحهم، وسار في الناس سيرة حميدة، فظهرت في شخصيته أخلاق الدعاة من حلم وتأني وصبر ورفق وعلم وزهد.

• عندما اندلعت الحرب الليبية الإيطالية عام 1911م كان عمر المختار وقتها بواحة جالو خفّ مسرعاً إلى زاوية القصور وأمر بتجنيد كل من كان صالحاً للجهاد من قبيلة العبيد التابعة لزاوية القصور.

• أعجب الضباط الأتراك بالمختار وبشجاعته وبالآراء السديدة التي تصدر عنه فكأنما هي تصدر من قائد ممتاز تخرج عن كلية عسكرية وكان قدومه إلى معسكرات المجاهدين مشجعاً وباعثاً للروح المعنوية في قوة خارقة.

• في شهر مارس عام 1923م سافر إلى مصر لمقابلة الأمير محمد ادريس، وكان عمر المختار عظيم الولاء للسنوسية وزعمائها، وشيوخها.

• حاولت إيطاليا بواسطة عملائها بمصر الاتصال بالسيد عمر المختار وعرضت عليه عروضاً مغرية لترك الجهاد، واستمرت عروضهم حتى بعد رجوعه للبلاد وحاولوا استمالته بالمال الطائل، والمناصب الرفيعة، والجاه العريض في ظل حياة رغدة ناعمة ولكنهم لم يفلحوا.

• من أشهر المعارك التي خاضها المختار في تلك المرحلة معركة بئر الغبي، ومعركة أم الشفاتير عقيرة الدم.

• كانت المعسكرات التي يقودها عمر المختار على أساس قبلي ويعتبر الدور وحدة عسكرية، وإدارية، واجتماعية يرأسها قائمقام.

• كان مجئ بادوليو إلى ليبيا بداية مرحلة جهادية حاسمة بالنسبة للمجاهدين وكان تاريخ تعيينه في شهر يناير من عام 1929م وكان برنامجه يتلخص في تخفيض الجيش إلى القدر الذي يكفي للقيام بحرب العصابات، والمحافظة على هيبة الحكومة مع انفاق الأموال المتوفرة في مد الطرق في الجبل الأخضر مما يسهل عليه التنقلات العسكرية، فإذا ما أتم له ذلك قام بهجوم شامل كاسح على المجاهدين يقضي على المقاومة نهائياً، ومن أجل ذلك سعت إيطاليا إلى مفاوضة السيد عمر المختار لتهدئة الأحوال.

• دخل عمر المختار في المفاوضات مع قناعته بأنها لاتجدي نتيجة لضغوط بعض قادة الجهاد، ولأقامت الحجة على الحكومة الإيطالية، وقد ظهر في تلك المفاوضات حرص المختار على رفض الخضوع لأي إرادة أو سلطة غير سلطة الله وكان مصراً في شروطه على تطبيق الشريعة الإسلامية بين المسلمين ورفض كل ماعداه من قوانين وضعية في مفاوضاته.

• أظهر بادوليو قبول الشروط ولكنه نكث بوعوده وأخذ يستعد للقضاء على المجاهدين، وشرع الطليان يبذرون بذور الشقاق في صفوف المجاهدين على أمل أن يضعفوا من قوتهم، وفي اجتماع سيدي رويفع ادعى سيشلياني أنه لايمكن إبرام الاتفاق النهائي إلا في بنغازي.

• أراد المجاهدون أن يقطعوا حجة الطليان فاتفقوا على أن يحضر اجتماع بنغازي السيد الحسن رضا السنوسي، وكان عمر المختار مقتنعاً بعدم جدوى الاجتماع ولكنه اضطر مكرهاً، وعاد الحسن يحمل شروطاً إيطالية مجحفة فرفضها عمر المختار والمجاهدون.

• كان عمر المختار بجانب إيمانه الراسخ واسع الأفق عالماً بواقعه مدركاً لما يجري حوله متابعاً له وقد كان ذلك أكبر عون له بعد الله على صحة مواقفه وقوتها التي فرضت الاحترام

على أعدائه قبل أصدقائه.
• خاطب السيد عمر المختار المجاهدين وأبناء شعبه قائلاً، فليعلم إذاً كل مجاهد أن غرض الحكومة الإيطالية إنما بث الفتن، والدسائس بيننا لتمزيق شملنا وتفكيك أواصر اتحادنا ليتم لهم الغلبة علينا واغتصاب كل حق مشروع لنا كما حدث كثير من هذا خلال الهدنة.
• نقضت الحكومة عهودها وغدرت بالمجاهدين وكان السيد حسن الرضا أول من ذاق مرارة غدرهم.
• عين الجنرال غراسياني حاكماً لبرقة ونائباً للمرشال بادوليو الحاكم العام، وكان غراسياني معظماً ومقدماً عند قومه وقام بأعمال عسكرية في فزان شنيعة للغاية واستطاع أن يقضي على حركة الجهاد في فزان في 25 فبراير 1930م وكان حقوداً على الإسلام والمسلمين ولم يرقب في مؤمن إلاً ولا ذمة.
• سافر إلى روما ورجع بتعليمات من موسوليني وحكومته هدفها القضاء المبرم على حركة الجهاد، مهما كلف ذلك، وبكل الطرق والوسائل للقضاء على القضية البرقاوية.
• لم يمضي على وصول غراسياني سوى أيام قلائل حتى أنشأ ماعرف في تاريخ الإستعمار الإيطالي الأسود باسم المحكمة الطائرة إبريل 1930م ثم شرع في سياسة عزل الأهالي الخاضعين عن المجاهدين وجمع الإخوان السنوسيين وشيوخ الزوايا وأئمة المساجد ومعلمي القرآن بها مع ذويهم جميعاً، ومشائخ وأعيان القبائل، وبكل من يربطه أي نوع من أنواع الصلات بأحد المجاهدين أو المهاجرين، جيئ بهذه المجموعات يساقون إلى مراكز التعذيب ثم إلى السجون ولم يشفع في أحدهم سن الشيخوخة الطاعنة، أو الطفولة البريئة أو المرض المقعد، أو الضرر الملازم.
• وأنشئت معتقلات جديدة في بنينه والرجمه، والمقرون وسلوق والبريقة والعقيلة وسيقت القبائل إلى تلك المعتقلات الشنيعة.
• غيّر عمر المختار خطته وطور أساليبه القتالية لما يتماشى مع المرحلة واعتمد على عنصر المباغتة وركن إلى مفاجأة القوات الإيطالية في أماكن متفرقة ونقل دائرة عملياته إلى الناحية الشرقية في الدفنا نظراً لقربها من الحدود المصرية.
• عزم غراسياني على مد الأسلاك الشائكة في الحدود الليبية المصرية المصطنعة من قبل الاستعمار مايزيد عن 300كم من البحر المتوسط إلى مابعد الجغبوب وقد كلف الدولة الإيطالية عشرين مليوناً فرنكاً إيطالياً.
• مع شدة قبضة الاستعمار الإيطالي على المدن إلا أن ذلك لم يمنع الأهالي من القيام بواجبهم المقدس، واستطاعت المخابرات الإيطالية أن تقبض على عدد من الليبيين الذي زودوا حركة الجهاد بالمؤن والمعلومات وتمّ اعدامهم.
• بعد أن استطاعت القوات الإيطالية أن تعتقل قبائل برقة في معسكرات واسعة، وأخذ غراسياني في مد الأسلاك الشائكة على طول الطريق على البحر المتوسط إلى مابعد الجغبوب ليفصل برقة عن مصر وكان قد شرع في جمع قواته الضخمة من مختلف وحدات الجيش الإيطالي والجيوش الملونة، من المرتزقة ومن المعدات الحربية لإحتلال الكفرة وقد كتب غراسياني عن اهتمامه بإحتلال الكفرة، وعن الاستعدادات التي اتخذتها الحكومة الإيطالية أكثر من خمسة وأربعين صفحة.
• قام الأمير شكيب أرسلان بدور مشكور في كتابة المقالات عن ماحدث في برقة وطرابلس وقد اتصل به عمر المختار وأرسل إليه رسالة شكر عن دوره العظيم.
• قامت إيطاليا بتصعيد حملات الانتقام من الليبيين والمجاهدين خصوصاً، فقامت بسياسة

التهجير، وسياسة القتل والرمي في البحر، وبهتك الأعراض وخصوصاً في الكفرة، وقتلهم لأهل العلم، وكبار الشيوخ ورمي الأبرياء من الطائرات، وانتزعت الأراضي من الأهالي، ورحلت الأطفال إلى إيطاليا، ونشطت حركة التنصير بين الأهالي.

• كان غراسياني يملك القوات الضخمة في البر والبحر والجو، والسلطة الغاشمة المستبدة في برقة، والخزائن المرصوفة بالأموال والسجون والمعتقلات والمشانق، ومع هذا يضعف ويسيطر عليه العجز أمام المجاهدين وقائدهم العظيم حتى دفعه تفكيره إلى حرق الغابات بعد أن تمكن من حرق الأكباد، والأفئدة والأجسام لقد وقع تحت تأثير عصبي حاد من جراء ما أصابه من الفشل الذريع وكان في طريقه إلى الإستقالة أو الإقالة لولا تقدير الله بوقوع عمر المختار في الأسر.

• ظل عمر المختار في الجبل الأخضر يقاوم الطليان على الرغم من هذه الصعوبات الجسيمة التي كانت تحيط به وبرجاله وفي صباح 11 سبتمبر 1931م وقع من على جواده في إحدى المعارك فأصيب في إحدي يديه بجروح ثم وقع في الأسر ثم أرسل إلى سجن بنغازي.

• وفي الساعة الخامسة مساءً في 15 سبتمبر 1931م جرت محاكمة الشيخ عمر المختار وكانت محكمة صورية شكلاً وموضوعاً، وقد استغرقت المحاكمة من بدئها إلى نهايتها ساعة واحدة وخمسة عشر دقيقة فحسب وحكم عليه بالإعدام.

• في يوم 16سبتمبر من صباح يوم الإربعاء من سنة 1931م عند الساعة التاسعة صباحاً نفذ الطليان في (سلوق) جنوب مدينة بنغازي حكم الإعدام شنقاً في شيخ الجهاد، وأسد الجبل الأخضر بعد جهاد طويل ومرير.

• قام المسلمون بتأبين الشيخ عمر المختار وقيلت القصائد في رثائه ومن أشهر ماقيل قصيدة أحمد شوقي، وقصيدة نعمان عبدالوهاب، والأستاذ أبو الخير الطرابلسي، والأستاذ حسن الغناي.

• بعد سقوط عمر المختار رحمه الله في الأسر تجمع المجاهدون بين يوم وليلة وأجمعوا على تنصيب الشيخ المجاهد يوسف بورحيل قائداً للجهاد الإسلامي، ووكيلاً عاماً للجهاد.

• حشدت إيطاليا قواتها وواصلت شن حملاتها بشراسة منقطعة النظير ضد المجاهدين فقتل حمد بوخير الله أحد الزعماء، وقتل يوسف بورحيل، وجرح عصمان الشامي فأخذ أسيراً، وأما عبدالحميد العبار فاستطاع أن يجتاز الأسلاك الشائكة بجواده رغم مطاردة القوات الإيطالية له.

• وبهذه النهاية المؤلمة الحزينة انكسرت شوكة المجاهدين، وتعثرت خطواتهم واخمدت حركة الجهاد وذهب الأجداد تاركين خلفهم تاريخاً بطولياً كفاحياً رائعاً من أجل العقيدة، والدين والشرف والكرامة.

• سعى الفاشيست إلى إعادة الامبراطورية الرومانية الغابرة فقرروا لذلك امتلاك البلدان الإسلامية القائمة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط ثم إبادة أهل هذه البلاد وافنائهم وتحويلهم إلى رقعة لاتينية.

• هاجر الليبيون إلى تونس والجزائر، وتشاد، وسوريا، والأردن، ولبنان، ومصر، والحجاز، وتركيا وتركوا أوطانهم بسبب الظلم والجور الذي وقع من الطليان وشرعوا في جمع شتاتهم في المهجر استعداداً ليوم قريب تتاح لهم فرصة تخليص بلادهم من الاحتلال الطلياني البغيض، وكانت قلوبهم تتقطع شوقاً للرجوع إلى ديارهم وتفجرت ملكاتهم الشعرية وتركوا لنا بعض القصائد المعبرة عن الشوق للأوطان.

• ضاق المهاجرون ألوان العذاب في المهجر ومع ذلك فقد واصلوا الجهاد وهم في ديار الهجرة حتى ضاقت بهم إيطاليا ضرعاً، وبرز من المجاهدين في مصر السيد ادريس السنوسي وفي بلاد الشام بشير السعداوي الذي أسس الجمعية الطرابلسية البرقاوية.

• مع اقتراب الحرب العالمية الثانية أصبح البريطانيون يسعون لإيجاد تحالف قوي مع المعارضة الليبية ومدوا خيوطهم لكافة المعارضين وخصوصاً أقواهم الأمير إدريس السنوسي.

• إن الحرب العالمية الثانية آية من آيات الله في تصريف أمر الدول والشعوب والأمم وفق سننه وقوانينه في المجتمعات البشرية ومن السنن الواضحة في حياة الأمم أنه عندما تتجبر أمة من الأمم وتعلو في الأرض ويصيبها البطر والكبرياء يهيأ الله لها أسباب الأنهيار والزوال.

• كان الأمير ادريس في مصر يتحين تلك الفرصة بمجرد أن تحقق بأن الحرب العالمية لامحالة واقعة شرع يجمع زعماء الليبيين والتشاور معهم ودراسة احتمالات الموقف، ووضع الخطط المناسبة التي يجب أن يسيروا عليها.

• عقد الزعماء الليبيين اجتماعاً تاريخياً في منزل الأمير ادريس السنوسي بالاسكندرية في 6 رمضان 1358هـ/20 أكتوبر 1969م اجتمع فيه حوالي أربعين شيخاً من رؤساء الليبيين وزعمائهم الموجودين في مصر واسفر تبادل الرأي عن اتخاذ قرار بتفويض الأمير في أن يقوم بمفاوضة الحكومة المصرية أو الانكليز بشأن تكوين جيش سنوسي مهمته الاشتراك مع الحلفاء عندما تدخل إيطاليا الحرب إلى جانب المانيا ووقعوا على وثيقة تاريخية مهمة في يوم 9 رمضان 1358هـ/23 أكتوبر 1939م.

• بادرت جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي بعقد اجتماع في دمشق في يوم 29 شوال 1358هـ واطلعت على صورة القرار الموقع عليه من زعماء ورؤساء المجاهدين في مصر ووافقت عليه.

• شرع ادريس السنوسي في مفاوضة الانكليز، فأسفرت مباحثاته عن السماح له بتشكيل فصائل من القبائل الليبية المهاجرة لاسترداد حريتها، واستخلاص بلادها من العدو الإيطالي.

• دعا الامير ادريس مشايخ القبائل وزعماء المجاهدين الموجودين في مصر واجتمع بهم في يوم الخميس 8 أغسطس سن 1940م من اجل دراسة الأحداث والتطورات الاخيرة.

• اتخذت الجمعية الوطنية الليبية عدة قرارات من أهمها؛ وضع الثقة في بريطانيا العظمى، إعلان الامارة السنوسية، تعيين هيئة تمثل القطرين طرابلس وبرقة ، خوض غمار الحرب ضد إيطاليا، تعيين حكومة سنوسية مؤقتة،....

• قدم الليبيون كل ماعندهم لدعم الحلفاء ضد المحور وكانت كتائب المجاهدين قد قامت بدور بارز في حرب الصحراء وكذلك الاهالي المدنيون فقد قدموا للجيش البريطاني مساعدات جريئة.

• كانت غرب مصر وبرقة مسرحاً لأطول حملة في الحرب العالمية الثانية وضربت المدن والموانئ والقرى والمطارات والطرق، والتركيبات التي اقامها الطليان.

• في يناير 1943م كان جيشان من جيوش الحلفاء يلتقيان حول طرابلس جيش مونتجمري الثامن، وجيش فرنسي بقيادة ليكلرك الجنرال الفرنسي وقام حاكم طرابلس الايطالي بتسليم المدينة للحلفاء.

• في أعقاب الاحتلال البريطاني الثالث لمنطقة برقة أعلن الجنرال مونتجمري بأن المنطقة ستدار من قبل حكومة عسكرية بريطانية حتى نهاية الحرب العالمية وليس حتى نهاية الحرب

في شمال افريقيا.

• عارض الليبيون موقف الدول الكبرى من قضيتهم، ووجهوا نقدهم وسهامهم الى الدول الكبرى وخصوصا الحكومة البريطانية التي لم تلتزم بعهودها مع الليبيين.

• في عام 1947م أصبح البريطانيون يرون الحاجة الى منح برقة نوعاً من الحكومة الذاتية تحت زعامة ادريس واوصت لجنة بريطانية ببرنامج استقلال على ثلاث مراحل، وتحت الأشراف البريطاني أما طرابلس فكان الوضع يختلف وظهر الخوف هناك من عودة الحكم الايطالي للمنطقة، وخاصة وجود الجالية الايطالية الكبيرة بمطامعها وتطلعاتها.

• اقتصرت غالبية الاحزاب والجماعات في منطقتي برقة وطرابلس على حاجتهم لدولة متحدة واصبح نادي عمر المختار يشدد انتقاده ضد بريطانيا وضد سياسة ادريس المتحالف معهم.

• قام الامير ادريس بإيقاف نشاط نادي عمر المختار ومنع جميع الاحزاب السياسية عن العمل في ديسمبر 1947م وألف المؤتمر الوطني بحجة التحدث باسم أهالي برقة جميعاً.

• ارسلت الدول الكبرى لجنة لتقصي وضع ليبيا فوجدوا رغبة عارمة في الاستقلال التام وأوضح تقرير اللجنة الرغبة الليبية الاجماعية للاستقلال التام.

• أصبح استقلال ليبيا شيئاً لابد منه بالنسية للامم المتحدة وأعيدت قضية ليبيا الى اللجنة السياسية في صيف 1949م وسمح لايطاليا بالاشتراك بالنقاش وكذلك الممثلين من المؤتمر الوطني البرقاوي، وحزب المؤتمر الوطني الطرابلسي، وممثلين من الجالية اليهودية بطرابلس، وفي اكتوبر بدأت لجنة فرعية في وضع قرار يتضمن جميع النقاط الرئيسية الواردة في مقترحات وفود الهند والعراق وباكستان والولايات المتحدة.

• في 21 نوفمبر 1949م تبنت الجمعية العامة القرار الذي اقترحته وفود الهند والعراق وباكستان والولايات المتحدة وتبنته الجمعية بأغلبية 48 صوتاً ضد صوت واحد هو الحبشة وغياب تسعة منها فرنسا وخمس دول شيوعية.

• أعلن استقلال ليبيا في 24 ديسمبر عام 1951م واصبح الدستور معداً للتنفيذ وتولت الحكومة المؤقتة البلاد وأصبح لها صلاحيات كاملة وكان أول رئيس للحكومة المؤقتة محمود المنتصر، وفتحي الكيخيا نائباً له ووزيراً للعدل والمعارف وأصبح عمر شنيب مديراً للديوان الملكي وعين الملك ادريس حكام الولايات الثلاثة، وتقدم بطلب انضمام ليبيا للامم المتحدة واليونسكو وغيرها من المنظمات الدولية.

• كان الملك رحمه الله يرى ان الحياة السعيدة لا تقوم إلا على الدين والعلم والاخلاق ولذلك اهتم بهذه الركائز اهتماماً عظيماً ولذلك احبه شعبه.

• كان الملك كثير الاتصال بجميع ملوك ورؤساء العرب والمسلمين مسترشداً مستعيناً او ناصحاً أميناً، وقد بذل جهوداً كبيرة ومساعي جليلة بين الحكام لإصلاح ذات البين وتقريب وجهات النظر، والدعوة للاتحاد.

• بذل الملك رحمه الله مافي وسعه في القضايا التي تتنامى الى سمعه، فيغضب لله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكانت هناك أمور قد خرجت عن إرادته وقدرته بحكم الوجود البريطاني والأمريكي.

• تميزت خطاباته برصانة الاسلوب، ومتانة التعبير ، وقوة الحجة، وحرص الراعي على الرعية، ونصحه لشعبه وكانت خطاباته عامرة بالدعوة الى الخير والتقوى ومكارم الاخلاق.

• كان السنوسيون منذ زمن المؤسس الأول للحركة الامام محمد بن علي السنوسي مهتمين بأمر الجهاد في الجزائر وواصل الملك ادريس جهوده المادية والمعنوية لدعم ثورة الجزائر

التي اندلعت في 1954/11/1م وقد اثبتت الوثائق التاريخية جهوده العظيمة، وأعماله الجسمية في هذا الباب.

• ترك الملك رحمه الله تعالى كتاباً يبحث في قضايا الامم والشعوب والدول، تناول فيه الموقف الاسلامي العربي والدولي من جميع الوجوه على حقيقته، وتحدث فيه عن الاسباب التي أخرت المسلمين والعرب، والوسائل التي يجب اتخاذها لتمكين العرب من تحقيق وحدتهم التي يراها ضرورية وتحدث عن الخلافة الاسلامية ومالها وماعليها، وعن سبب انهيارها، وتكلم عن الاستعمار وأهدافه ويعتبر هذا الكتاب مهماً لمعرفة عقيلة الملك رحمه الله في التفكير.

• إن دراسة كتاب الملك المذكور ، وتصريحاته الصحفية تبين للباحث ضعف القول القائل بأن الملك ادريس لا يفهم في أمور السياسة وأقرب الى أهل التصوف من كونه رجل دولة، ولا توجد له رؤية سياسية واضحة ولا يعرف كيف تساس أمور الأمم والشعوب.

• كان الملك يؤمن بأهمية النقد الايجابي في نهضة الشعوب وبناء الامم ولذلك سمح للمصلحين أن يتكلموا وينقدوا الدولة والحكم وشجع الصحافة ، والنواب على قول كلمة الحق .

• مع مرور الزمن وتقدم السن رأى الملك ادريس أن يتخلى عن الحكم وأن يقدم استقالته، ويترك الى الشعب أو ممثليه اسناد الامر الى من أحق منه او أقدر على حمل الامانة والقيام بالواجب المطلوب، فقدم استقالته عام 1965م في عهد حكومة محمود المنتصر الثانية، ولكن الضغوط الشعبية اضطرته للرجوع عن هذه الاستقالة.

• كانت استقالته الثانية هي المؤرخة في 1969/8/4م والتي وجهها الى كل من رئيس وأعضاء مجلس الشيوخ ، ورئيس واعضاء مجلس النواب، ورئيس الوزراء عندما كان في رحلته الاستشفائية في تركيا.

• حينما وقع الانقلاب في سبتمبر 1969م كان الملك في رحلة الى تركيا واليونان ولم يكن معه مال خاص ينفق منه، ومع ذلك، فحينما عرض عليه المسؤول المالي للرحلة استلام ماتبقى في عهدته من مخصصات رفض ذلك بعزة نفس وقال له: (يابني أنا الامس كنت ملك ليبيا، ولكني لم أعد كذلك اليوم، وبالتالي فإن هذا المال لم يعد من حقي، ويجب أن يسلم الى خزينة الشعب.

• استقر الملك ادريس رحمه الله تعالى في مصر حي بقي مدة حياته الأخيرة بها، ولم يغادر مصر إ لا مرتين ذهب فيها الى مكة للحج، وكانت وفاته في القاهرة بتاريخ 25 مايو 1983م وهو في سن الرابعة والتسعين.

• دفن الملك رحمه الله في المدينة المنورة وكان قد طلب من الملك خالد بن عبدالعزيز في لقاء لهما بموسم الحج سنة 1977م أن يأذن بدفنه متى حانت المنية في البقيع فكفل الملك خالد للملك ادريس رغبته رحمهما الله ثم إن الملك فهد بن عبدالعزيز اجاز ذلك بعد وفاة الملك خالد ونقل جثمانه من القاهرة الى المدينة المنورة في طائرة مصرية خاصة.

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

أهم مراجع ومصادر البحث

(أ)

1. ادريس السنوسي ، لمحمد الطيب الاشهب، دار العهد الجديد للطباعة، لصاحبها كامل مصباح، الطبعة الثانية، مكتبة القاهرة، بميدان الأزهر.
2. أعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن ابي بكر ابن القيم، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية بيروت ، طبعة 1407هـ.
3. إيطاليا والسنوسية ، يوسيرا فبريتز، ترجمة محمد السيد ابومدين نسخة مخطوطة بشعبة الوثائق، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي.

(ب)

4. برقة العربية امس واليوم، محمد الطيب احمد ادريس الأشهب ، مطبعة الهواري شارع محمد علي بمصر.
5. برقة الدولة العربية الثامنة، زيادة نقولا، بيروت طبعة عام 1950م.
6. برقة الهادئة، الجنرال رود لفو غراسياني، ترجمة ابراهيم سالم بن عامر ، دار مكتبة الاندلس، الطبعة الثالثة ، يناير 1980م.

(ت)

7. تاريخ ليبيا المعاصر ، محمد عامر ، منشورات جامعة دمشق ، طبعة عام 1411هـ/1991م.
8. تاريخ ليبيا، جون رايت، كتاب مصور ، دار الفرجاني ، طرابلس ، طبعة عام 1972م.
9. تاريخ حرب طرابلس، ابراهيم لطفي، مطبعة مؤسسة الأمير فاروق بنها 1946م.
10. تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، ابوالفداء اسماعيل بن كثير، تحقيق عبدالعزيز غنيم، وحمد احمد عاشور، ومحمد ابراهيم البناء، مطبعة الشعب القاهرة.
11. الثبات، د. محمد بن حسن بن عقيل، دار الاندلس الخضراء بجدة الطبعة الثانية، 1417هـ/1997م.
12. جهاد الابطال في طرابلس الغرب، الطاهر احمد الزوي، ط3، بيروت، دار الفتح للطباعة والنشر 1962م.
13. جذور النضال العربي في ليبيا ، محمد عبدالرزاق مناع، ط2، بنغازي عام 1972م.
14. الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ، محمد خير هيكل ، دار البيارق ، الطبعة الاولى 1414هـ/1993م.

(ح)

15. الحركة الوطنية شرق ليبيا، مصطفى هويدي، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، طبعة 1988م.
16. حاضر العالم الاسلامي ، تأليف لوثروب ستودارد الامريكي نقله الى العربية الاستاذ عجاج نويهض وعلق عليه الأمير شكيب ارسلان ، دار الفكر.
17. حياة عمر المختار، محمود شلبي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الرابعة 1982م/1402هـ.

(د)

18. الدولة العربية المتحدة، أمين السعيد، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه عام 1938م.

(ذ)

19. ذكريات عزام ، الحلقة 8، مجلة المصورة، القاهرة عام 1332هـ/1950م.

(ر)

20. رمضان السويحلي البطل الليبي الشهير بكفاحه للطليان ، محمد مسعود فشيكه، دار الفرجاني، طرابلس - ليبيا، الطبعة الاولى 1394هـ/1974م.

(س)

21. السنوسية دين ودولة ، د. محمد فؤاد شكري، دار الفكر ، طبعة 1948م.
22. السنوسيون في برقة، بريتشارد إيفانز، ترجمة عمر الديراوي أبوحجلة، طرابلس مكتبة الفرجاني.
23. سنن ابي داود، سليمان بن الأشعث ، تحقيق عزت عبيد الدعاس، حمص، الناشر محمد السيد.
24. سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي، تحقيق احمد شاكر، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة.
25. السنن الالهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الاسلامية، د. عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى 1413هـ/1993م.
26. سنن النسائي ، احمد بن شعيب، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(ش)

27. شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة، الالكائي، تحقيق د. احمد بن سعد حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض السعودية.

(ص)

28. صفحات من تاريخ ليبيا الاسلامي، على محمد الصلاّبي، دار البيارق عمان، الطبعة الاولى 1418هـ/1998.
29. صحيح البخاري، للامام محمد بن اسماعيل البخاري، دار الطباعة العامرة باستانبول 1315هـ المكتب الاسلامي، استانبول - تركيا.
30. صحيح مسلم، للامام ابي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الحديث، القاهرة الطبعة الاولى 1412هـ/1991م.
31. صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، مطصفى بن حليم ، وكالة الأهرام للتوزيع والنشر، مطابع الاهرام التجارية قليوب، مصر.

(ط)

32. الطريق الى الاسلام ، محمد اسد، دار العلم للملايين، بيروت ، الطبعة السابعة 1981م.

(ع)

33. عبدالنبي بالخير، داهية السياسة وفارس الجهاد، محمد المرزوقي ، الدار العربية للكتاب، عام 1398هـ/1978م.
34. الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم، بيروت الطبعة الثالثة 1389هـ.

35. عمر المختار نشأته وجهاده من 1862م الى 1931م دراسات في حركة الجهاد الليبي، اعمال الندوة العلمية التي عقدها مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي بمناسبة الذكرى الخمسين لاستشهاد عمر المختار، اشراف الدكتور عقيل محمد البربار، كلية الآداب والتربية- جامعة قاريونس.
36. عمر المختار، لمحمد الطيب الاشهب، سلسلة ابطال الجهاد والسياسة في ليبيا.
37. الأعمال الشعرية الكاملة، احمد شوقي، دار العودة ، بيروت ، طبعة 1986م.

(ف)

38. فقة التمكين في القرآن الكريم، علي محمد الصلاّبي، رسالة دكتوراه لم تطبع بعد.
39. في ظلال القرآن ، سيد قطب، دار الشرق.

(ق)

40. قضية ليبيا، محمد الشنيطي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1951م.
41. قادة الغرب يقولون دمروا الاسلام أبيدوا أهله، جلال العالم ، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، طبعة 1405هـ/1985م.
42. قواعد التعامل مع العلماء، د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، دار الوراق، السعودية، الطبعة الاولى 1415هـ/1994م.

(ك)

43. كفاح الليبيين في بلاد الشام، تيسر بن موسى.
44. ليبيا اليوم، محمد الطيب الأشهب، بغداد، مطبعة أسعد عام 1955م.
45. ليبيا في العصور الحديثة، نقولا زيادة، القاهرة، دار الرائد للطباعة 1966م.
46. ليبيا من الاستعمار الايطالي الى الاستقلال، د. نقولا زيادة، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، طبعة عام 1958م.
47. ليبيا الحديثة، مجيدي خدوري، ترجمة د. نقولا زيادة ، دار الثقافة ، بيروت.

(م)

48. المغرب الكبير، جلال يحيى، الاسكندرية، الدار القومية للطباعة والنشر 1966م.
49. الملك ادريس، عاهل ليبيا حياته وعصره ، تأليف : ئي.آف. دي كاندول، قام بطباعتها وأشرف على ترجمتها محمد عبده بن غلبون عام 1989م.
50. المغني لابن قدامة ، عبدالله بن احمد بن محمد بن قدامة (موفق الدين ، ابو محمد) على مختصر الخِرَقي ومعه الشرح الكبير على متن المقنع عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي ، دار الكتاب العربي، بيروت 1392هـ/1972م.

51. المهذب، في فقه مذاهب الامام الشافعي، ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروزبادي الشيرازي - معه بأسفل الصفحة : النظم المستعذب في شرح غريب المهذب، محمد بن أحمد بن بطال الركبي، مطبعة عيسى الباب الحلبي.
52. ميلاد دولة ليبيا، محمد فؤاد شكري، مطبعة الاعتماد القاهرة، عام 1957م.
53. مجلة الانقاذ تصدر عن الجبهة الوطنية لأنقاذ ليبيا ، العدد 29.
54. معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911م-1931م، ط3 ، خليفة محمد التليبي ، دار الثقافة 1973م.
55. مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الاولى ، السعودية.
56. مذكرات مجاهد، محمود الجهني.
57. مجلة البحوث التاريخية، العدد الاول، السنة السادسة عام 1984م.
58. مجلة البيان، العدد الخامس عشر، ربيع الثاني، 1988م.
59. مجلة المنار، ج9 ، م3.
60. منهج كتابة التاريخ الاسلامي، محمد صامل العلياني السلمي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، 1406هـ/1986م.
61. محطات من تاريخ ليبيا المعاصر، مذكرات محمد عثمان الصيد، إخراج طوب للاستثمار والخدمات، الرباط بالمغرب، الطبعة الاولى 1996م.
62. نونية القحطاني، لأبي محمد عبدالله بن محمد الأندلسي، الطبعة الثالثة 1410هـ/1989م مكتبة السوداي للتوزيع.
63. النظام السياسي في الاسلام، د. محمد ابوفارس، دار الفرقان، عمان - الاردن، الطبعة الثانية 1407هـ/1986م.
64. وثائق جمعية عمر المختار، محمد بشير المغيربي، مؤسسة دار الهلال، الطبعة الاولى يناير 1993م.

فهرس